تم الطالب تصحيح ما طلبته لجنة المناقشة

جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الحضارة والنظم الإسلامية

الكتابات والنقوش في الحجاز

في العصرين المملوكي والعثماني

من القرن الثامن الهجري حتى القرن الثاني عشر الهجري (١٤م - ١٨م)

رسالة مقدمة من الطالب

محمد فهد عبد الله الفعر

لنيل درجة الدكتوراه



تحت إشراف الأستاذ الدكتور
عبد الرحمن فهمي محمد

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

لا يسعني وقد انتهيت من كتابة هذا البحث الا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من مدّ اليّ يد العون والمساعدة في سبيل انجاز هذا العمل العلمي وأخص بالشكر **فضيلة الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد** عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية **وفضيلة الدكتور ابراهيم نجيب عوض** رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية لاتاحتهما الفرصة لي للتقدم بهذا البحث **أما سعادة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن فهمي محمد** فقد كان له الفضل بعد الله في كل عمل قمت به في هذا البحث تشجيعا وتوجيها وارشادا ونصحا وأدعو الله سبحانه وتعالي أن يجزيه عنّي وعن طلاب العلم خير الجزاء ولا أنسى أن أذكر بالشكر والامتنان الأستاذ محمود عبد الرؤوف حلمي خبير التصوير بكلية الشريعة سابقا لما بذله من جهد مخلص في تصوير نصوص هذا البحث .

كما أذكر بالشكر والتقدير الأستاذ محمود سليم خبير التصوير بالكلية حاليا لما بذله أيضا من جهد مخلص صادق في نقل وطبع نصوص هذا البحث.

الى هؤلاء جميعا والى غيرهم ممّن ساهم في مساعدتي أتقدم بجزيل الشكر والتقدير .

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل ،

محمد فهد الفعر

فهرس الموضوعات

.. .. ..

المقدمة

أهمية الكتابات والنقوش كمصدر حضاري بالحجاز

المقدمـة :

أهمية الكتابات والنقـوش
كمصدر حضارى بالحجاز

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيـين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد

الواقع أن موضوع الكتابات والنقوش فى الحجاز فى العصرين المملوكي والعثمانى الذى أتقدم به فى هذه الرسالة لنيل درجة الدكتوراة هو امتداد لموضوع سبق لى دراسته هو "تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى " وحصلت به على درجة الماجستير فى فرع الحضارة الاسلاميـة بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة تحت اشراف الأستاذ الدكتـور عبد الرحمن فهمى محمد ، وكان للتشجيع الذى وجدته من سعادته أثره فـى مواصلة الجهد والسير فى نفس الدرب رغم كل الصعوبات التى تواجه كل دارس لمثـل هذا الموضوع فعقدت العزم على دراسة الكتابات والنقوش فى الحجاز فى العصريـن المملوكي والعثماني وهو موضوع هذه الرسالة والذى لم يبحث قبل هذه الدراسـة فكنت ولله الحمد أول من تنبه لهذا الموضوع وقام بدراسته دراسة علمية . ومما لا شك فيه أن للكتابات والنقوش فى الحجاز أهمية كبرى كمصدر حضارى تتمثل هذه الأهميـة فيما يلي :

١ - أن هذه الكتابات والنقوش هي فى الواقع وثائق أصلية يصعب الطعن فى قيمتهـا ومصدر وثائقي لا يمكن تجاهله ، ولذلك أدرك العرب والمسلمون أهميـة هذه الكتابات والنقوش سواء كانت هذه الكتابات والنقوش لوحات تأسيسيـة أو مراسيم سلطانية أو حجج وقف أو كتابات تذكارية لتكون شاهدا قويا عـلى الغرض الذى كتبت من أجله كما أنها مصدر يصعب تزويره أو تغييره فى الغالب ، ولذلك فلا غرابة أن نجد بعض المراسيم والأوامر السلطانية قد نقشت على ألواح مـن الحجر أو الرخام أو على عمود من الأعمدة كما هو الحال بالنسبة لمرسـوم

السلطان شعبان الخاص بابطال المكوس في مكة المكرمة المؤرخ بسنة ٧٦٦ هـ والذى قمنا بدراسته وتحليله في هذه الرسالة لوحة (٢) وقد أدرك بعض المؤرخين المكيين أهمية الكتابات والنقوش كمصدر حضارى بالحجاز وأخص بالذكر - تقي الدين الفاسي المتوفي سنة ٨٣٢ هـ الذى اعتمد على الكتابات والنقوش فى كتاباته التاريخية وتراجم الرجال وكثيرا ما أشار الى هذه الكتابات والنقوش عند وصفه لبناء من الآبنية سواء كان هذا البناء مسجدا أو رباطا أو مدرسة أو غيرها وذلك بقوله " وعلى بابه حجر مكتوب فيه .... الخ " أو عند ترجمته بشخصية من الشخصيات بقوله " ومن حجر قبره نقلت وفاته " ولذلك فان مؤلفاته لا تخلو من النصوص الكتابية (١) بحيث يعتبر الفاسي بحق رائدا من رواد علم الكتابات والنقوش العربية في الحجاز نظرا لاعتماده عليها من ناحية ولمقدرته الفائقة في قراءة النصوص قراءة صحيحة واستحق بذلك أن يكون عميد المؤرخين المكيين .

٢ - أن الكتابات والنقوش قد تشير الى بعض الأعمال والاصلاحات التى قام بها سلطان من السلاطين أو ملك من الملوك أو أمير من الأمراء وغفل عن ذكرها المؤرخون وربما كان أقرب مثل نسوقه هنا نصوص السلطان اينال المؤرخة بسنة ٨٥٨ هـ التي أثبتت لنا أن السلطان اينال ٨٥٧ هـ - ٨٦٥ هـ قد قام بتجديد مقام ابراهيم عليه السلام سنة ٨٥٨ هـ مع أن بعض المؤرخين ذكر صراحة أنه لم يتم في عهد هذا السلطان أى عمارة أو اصلاح بالمسجد الحرام مما سوف نشير اليه عند دراسة هذه النصوص (٢) كما أثبت النقش القائم حتى الآن بمسجد الاجابة بمكة المكرمة أن سنقر الجمالي شاد العمائر السلطانية وناظر الحسبه بمكة قد عمّر هذا المسجد سنة ٨٩٨ هـ وهو مالم يشر اليه المؤرخون وما يقال عن نصوص السلطان اينال ونص مسجد الاجابة يقال أيضا عن نص السلطان سليمان المنقوش فوق باب السلام بالجهة الشرقية من المسجد

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - جزآن - مطبعة عيسي البابي الحلبى - القاهرة ١٩٥٦م . وأنظر :
الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الآمين ٨ أجزاء بتحقيق : محمد حامد الفقي ، فؤاد سيد و محمود الطناحي - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٩هـ - ١٣٨٨هـ - ١٩٥٩م - ١٩٦٩م .

(٢) أنظر ص ١٧٥ وما بعدها من هذه الرسالة .

الحرام المؤرخ بسنة ٩٣١ هـ ونص السلطان سليمان أيضا الخاص باعـادة عمارة عين حنين المؤرخ بسنة ٩٣٥ هـ والتي أثبتت لنا بعض الاصلاحـات التي فات ذكرها على المؤرخين المعاصرين ومن جاء بعدهم .

٣ - ان للكتابات والنقوش أهمية قصوى في تصحيح كثير من الأخطاء في كتابـات المؤرخين سواء من حيث أسماء الأشخاص أو التواريخ أو بعض المعلومـات التاريخية وقد ورد مثل هذا التصحيح في بعض النصوص الكتابية التي قمنـا بدراستها في هذه الرسالة ، فبالنسبة للأسماء ورد مثلا في مؤلفات المؤرخين اسم " طوغان شيخ الأحمدى " بينما الاسم الصحيح في أحد نقوش السلطان اينال المؤرخ بسنة ٨٥٨ هـ هو " طوغان شيخ المحمدى " كما أورد المؤرخون اسم " بيرم خواجه " وصحته كما ورد في نص السلطان جقمق المؤرخ بسنـة ٨٥٢ هـ " بيرم خجا " وكل هذه التصحيحات سوف نشير اليها عند دراسة هذه النصوص .

وبالنسبة للتواريخ أورد ابن تغرى بردى أن السلطان شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون قد أبطل المكوس عن الحجاج وغيرهم سنـة ٧٦٧ هـ بموجب مرسوم أصدره هذا السلطان بينما ورد التاريخ الصحيح في نص المرسوم المنقوش على أعمدة الحرم المكي والمؤرخ بسنة ٧٦٦ هـ .

أما بالنسبة لأهمية الكتابات والنقوش في تصحيح بعض المعلومـات التاريخية فقد أوردت كثيرا منها في صفحات هذه الرسالة ويكفى هنا أن أسوق مثلا واحدا على ذلك.

فقد أورد المقريزى عند حديثه عن ابطال السلطان شعبان للمكـوس أن السلطان شعبان عوض أمير مكة عن هذه المكوس بأربعين ألف درهم بينما يذكر ابن تغرى بردى أن المبلغ هو مائتان وستون ألف درهم والصواب كمـا أورده هذا المرسوم المنقوش على أعمدة الحرم هو مائة وستون درهم وسـوف أشير اليها عند دراسة هذا المرسوم .

والحقيقة أن الكتابات والنقوش تمدنا في أحيان كثيرة بمعلومات ضئيلة فـي حد ذاتها غير أنها تصبح ذات قيمة هامة عند مقارنتها بالمعلومات المستمدة من

المصادر الأخرى اذ قد تضيف حقائق جديدة أو تصحح أخطاء شائعة أو ترجح بعض الآراء على غيرها[1] .

٤ - أهمية الكتابات والنقوش فى دراسة الخطوط العربية وتطورها وأنواعها كما تظهر أهميتها فى تطور الزخارف الاسلامية باعتبارها مصادر أصلية لاسيما وأن كثيرا من الكتابات والنقوش مؤرخ وبعضها يشتمل على اسم كاتبها أو ناقشها كما تبدو أهمية هذه الكتابات فى ابراز المدارس الخطية فى العالم الاسلامي . ومميزات كل مدرسة ومدى التأثر والتأثير فى بعضها البعض .

٥ - كثير ما تمدنا الكتابات والنقوش بأسماء كان لها دور بارز فى بناء وتشييد بعض المنشآت كالمشرفين على بعض العمائر أو المهندسين لها والذين أغفلتهم المؤلفات التاريخية فى الغالب .

٦ - تمدنا هذه الكتابات والنقوش فى كثير من الأحيان بأسماء بعض مشاهير الخطاطين وأسلوبهم فى الكتابة والطرق التى اتبعوها فى تنفيذ هذه النصوص وهو ما تتجاهله المؤلفات التاريخية فى أغلب الأحيان .

٧ - أهمية الكتابات والنقوش فى الكشف عن كثير من الألقاب والوظائف وتحدد فى كثير من الأحيان مدلول كل لقب أو وظيفة مما لا يتوفر فى المؤلفات التاريخية .

ونظرا لأهمية الكتابات والنقوش كمصدر حضارى فقد عكف كثير من العلماء فى العصر الحديث على جمع هذه الكتابات ودراستها وتحليلها وظهر أثر هذه الدراسات فى عدد من المؤلفات الضخمة حتى ظهر ما يعرف اليوم بعلم الكتابات العربية Arabic Palaeography ولكن لم يكن للحجاز نصيب من هذه الدراسات على الرغم من الدور الرئيسي الذى لعبه الحجاز فى ظهور الكتابة العربية وفضله فى نشرها بعد ظهور الاسلام فى دار الاسلام وكان هذا هو الدافع الأول لدراستي للكتابات والنقوش فى الحجاز منذ اختيارى لموضوع الماجستير الذى أشرت اليه فى السابق .

---

(١) حسن الباشا : " أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية فى العصر الاسلامي " - مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج ١ - طبع ونشر جامعة الرياض - الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م من ص ٨١ - ١٢٦ .

ولم يكن الطريق الى جمع هذه النقوش والكتابات من أماكن مختلفة وقراءتها وتحقيق ما ورد بها من أسماء وألقاب وتواريخ مفروشا بالورود فجمع هذه النقوش يعتبر أمرا فى غاية الصعوبة لعدة أسباب نذكر منها ما يلى :

١ - أن الحصول على تصريح للاطلاع على هذه النقوش وتصويرها يتطلب وقتا وجهدا لتبرير هذا العمل العلمي .

٢ - أن تصوير هذه الكتابات والنقوش للوصول الى صور واضحة تحتاج الى خبرة كبيرة فى تصوير مثل هذه النقوش .

٣ - أن كثيرا من هذه النقوش قد فقد أو أزيل من مكانه الأصلى أو تعرض للكسر نتيجة حركة التوسع العمراني الذى تشهده المملكة بصفة عامة والحجاز بصفة خاصة مما تطلب منى وقتا وجهدا فى سبيل الوصول اليها وتحديد فتراتها الزمنية .

٤ - على الرغم من أن هذا البحث ميداني بالدرجة الأولى الا أن الجهد الذى يجب بذله في سبيل الحصول على المصادر والمراجع التاريخية والأدبية وغيرها للاستفادة منها فى تفسير ما ورد بهذه النقوش والكتابات لا يقل بأى حال عن البحث عن النقوش والكتابات نفسها .

وقد استطعت - وبفضل من الله - أن أصل الى غالبية هذه المصادر والمراجع والتي أفدت منها فى هذه الرسالة فائدة كبرى .

وقد قمت بوضع خطة علمية لهذا البحث تتألف من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة البحث ونتائجه العلمية :

فالفصل الأول ، يشتمل على دراسة الكتابات والنقوش فى الحجاز فى العصر المملوكي وينقسم الى قسمين كما يلى :

أولا : دراسة الكتابات والنقوش فى الحجاز فى عصر المماليك البحرية .

ثانيا : دراسة الكتابات والنقوش فى الحجاز فى عصر المماليك الجراكسة .

أما الفصل الثاني : فيشتمل على دراسة الكتابات والنقوش فى الحجاز فى العصر العثماني وينقسم الي مايلي :

أولا : دراسة الكتابات والنقوش فى الحجاز فى القرن العاشر الهجرى (١٦م) .

ثانيا : دراسة الكتابات والنقوش فى الحجاز فى القرن الحادى عشر الهجرى (١٧م).

أما الفصل الثالث ، فقد خصصته للدراسة المقارنة للكتابات والنقوش الحجازية مع غيرها من الكتابات والنقوش فى بعض أقطار العالم الاسلامي ويشمل ما يلى :

أولا : دراسة مقارنة للكتابات والنقوش الحجازية مع غيرها من الكتابات والنقوش فى بعض أقطار العالم الاسلامي فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين (١٤ ، ١٥م) .

ثانيا : دراسة مقارنة للكتابات والنقوش الحجازية مع غيرها من الكتابات والنقوش فى القرنين العاشر والحادى عشر الهجريين (١٦ ، ١٧م) .

ثم أختتم هذا البحث وأوضح أهم النتائج العلمية التى توصلت اليها أثناء معالجة موضوع هذا البحث مبينا أهمية دراسة الكتابات فى هذا القطر الهام من العالم الاسلامي .

وسوف أحاول أن أتبع في دراسة هذه الكتابات والنقوش منهجا علميا يتألف من عدة خطوات على النحو التالي :

١ - وصف النقش ويشتمل على توضيح المكان الذى يوجد به وقياس أبعاد النص ونوع المادة التى نقش عليها سواء كانت من الرخام أو البازلت أو غير ذلك وشكل اللوح الذى نقش عليه النص ان كان مربعا أو مستطيلا أو نقش على عمود من الأعمدة بطريقة دائرية واتجاه النص فى اللوح ان كتب بطريقة أفقية أو رأسية أو دائرية أو فى اتجاه عقرب الساعة أو عكسها وذكر رقم النص ان كان له رقم أو سجل فى متحف من المتاحف أو أشار اليه أحد من المؤرخين أو سبق أن نشره أحد الباحثين تحت رقم معين ونوع الخط الذى كتب به النص وعدد أسطره والاشارة الى نشره ان كان قد نشر قبل هذه الدراسة واعادة نشر بعض النصوص التى لم تتهيأ لها كل مقومات النشر العلمي الصحيح .

٢ - الدراسة التاريخية وتتمثل فى تقديم ترجمة عن حياة كل شخصية وردت فى هذه النصوص وذلك بالاستعانة بالمؤلفات التاريخية وكتب التراجم وغيرها للافصاح عن

حياة هذه الشخصية وكذلك الاستعانة بالوثائق وحجج الوقف للافصاح عن حياة هذه الشخصيات كلما أمكن ذلك ومقارنتها بما ورد في النصوص الحجازية باعتبار أن هذه النصوص وثائق أصلية لا يمكن الاستغناء عنها سواء في تاريخ انشاء أو وفاة .

وكذلك اعطاء نبذة عن الأماكن أو المنشآت التي كانت هذه النصوص موجودة بها أو ماتزال موجودة حتى الآن ويمثل نصا تأسيسيا لها سواء كانت هذه النصوص لمساجد أو مدارس أو مآذن أو غيرها مع الاشارة الى المكان الحالي الذى يوجد به النص .

وقد ركزت في هذا البحث على اصلاحات السلاطين المماليك والعثمانيين المنقوشة أسماؤهم على هذه النصوص ومآثرهم بالحرمين الشريفين باعتبار أن هذه الاصلاحات والمآثر أحد الجوانب الحضارية التي تشكل جزءاً رئيسيا من تاريخ الحجاز وحضارته ولأن موضوع الرسالة يختص بمنطقة الحجاز ولم أتعرض الى النواحي السياسية أو اصلاحات هؤلاء السلاطين خارج منطقة الحجاز الا ماكان له اتصال وثيق بموضوع هذه الرسالة لأن النواحي السياسية تخرج البحث عن نطاقه الحضارى ودراستها لها مكان آخر هو من اختصاص الباحثين في التاريخ كما أن اصلاحات السلاطين خارج منطقة الحجاز وجدت عناية من الباحثين بل كتبت فيها رسائل علمية خاصة .

٣ - دراسة الألقاب والوظائف الواردة في هذه النصوص بحيث يوضع كل نص من هذه النصوص في مناخه التاريخي الصحيح ولما تكشف عنه هذه الألقاب والوظائف من أمور قد لا تتوفر في المؤلفات التاريخية في كثير من الأحيان ومقارنة هذه الألقاب والوظائف الواردة في هذه النصوص بما ورد في نصوص أخرى خارج الحجاز من واقع المؤلفات الخاصة بدراسة الألقاب والوظائف والاشارة الى ظهور لقب من الألقاب أو وظيفة من الوظائف في نصوص أخرى خارج الحجاز أو تفرد النص موضوع الدراسة بهذا اللقب دون غيره أو لم تشر المصادر التاريخية اليه .

٤ - الاشارة الى بعض المحاولات في نشر بعض النصوص وهما نصان اثنان فقط أحدهما نص عين عرفة المحفوظ بمتحف قسم الحضارة والنظم الاسلامية بكلية

الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المؤرخ بسنة ٨٧٥ هـ[١] في عهد السلطان قايتباى (٨٧٢ هـ - ٩٠١ هـ) لوحة (١٨) ونص اعادة اصلاح عين حنين وبركتها في عهد السلطان سليمان العثماني (٩٢٦ هـ - ٩٧٤ هـ) المؤرخ بسنة ٩٣٥ هـ[٢] وكلاهما نشره الدكتور أنور شكرى بعنوان "لوحتان أثريان للسلطان قايتباى والسلطان سليمان القانوني" في كتيب خاص سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م وقد قمت باعادة نشرهما مرة أخرى نشرا علميا صحيحا وتصحيح كل ماورد بهذا النشر من أخطاء لكي تتم بذلك الفائدة العلمية المرجوة من النشر الصحيح .

٥ - تحليل النصوص تحليلا فنيا وبيان مميزات مدرسة الحجاز الكتابية من حيث رسم الحروف الكتابية وطرق تنفيذها وما لحق بها من زخارف سواء اتصلت هذه الزخارف بالحروف وشكلت لواحق زخرفية لها أو جاءت منفصلة عن هذه الحروف .

٦ - الدراسة المقارنة للنصوص الحجازية مع نصوص أخرى من العالم الاسلامي وخاصة مصر باعتبارها احدى المراكز الهامة التي تطور فيها الخط الثلث الذى كتب به معظم النصوص في العصر المملوكي أو تركيا نظرا للاصلاحات والتحسينات التى أدخلها العثمانيون على الخط الثلث وارتبط بهم اسم خط الثلث الجلي لما بذلوه من جهود في سبيل تحسينه واصلاحه .

وقد راعيت في كل هذه الدراسة الترتيب الزمنى لهذه النصوص الحجازية التى سوف تنشر لأول مرة كما راعيت هذا الترتيب نفسه عند الاستعانة بالمؤلفات التاريخية اذ بذلت قصارى الجهد في الاعتماد على مؤلفات كل مؤرخ معاصر لنص من النصوص باعتبار أن هذا المؤرخ قد كتب عن مشاهدة ومعايشة وليس نقلا عن غيره نظرا لما أتوخاه من الدقة في الكشف عن الغموض الذى يحيط عادة بهذه النصوص .

---

(١) أنظر ص ٢١٠-٢٢٠ من هذه الرسالة .
(٢) أنظر ص ٣٣٦-٣٤٣ من هذه الرسالة .

وقد قمت بوضع اللوحات الخاصة بالنصوص الحجازية وما يتبعها من نصوص جاءت للمقارنة أو التفريغات التى تبين تطور الحروف العربية فى الحجاز فى هذه الفترة فى مجلد خاص حسب ترتيب موضوعات الرسالة .

واني لأرجو أن أكون قد حققت بعض ماكان يراودني من أمل فى دراسة الكتابات والنقوش فى الحجاز باعتبار الحجاز المنطلق الأول للكتابة العربية ومنه انتشرت الى مختلف أقطار العالم الاسلامي التى عكفت بدورها على تحسينه وتجويده وابتكار أنواع عديدة لاحصر لها مما أدى بالتالي الى ظهور وحدة فنية اسلامية لها طابعها الخاص والمميز وكان للكتابة العربية دورها الرئيسي بحيث تعتبر القاسم المشترك بين كل الفنون والصناعات الاسلامية ، كما أرجو أن أكون قد وضعت لبنة فى صرح الحضارة الاسلامية بحيث يسّد هذا البحث فراغا كان يشعر به الأثريون جميعا فى العالم الاسلامي وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يكلل هذا العمل المتواضع بمزيد من النجاح والتوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

.. ....

الفصل الأول:

دراسة الكتابات والنقوش في الحجاز في العصر المملوكي

أولاً: دراسة الكتابات والنقوش الحجازية في عصر المماليك البحرية

ثانياً: دراسة الكتابات والنقوش الحجازية في عصر المماليك الجراكسة

لوحه رقم (١)

يوجد بمتحف آثار الحرم المكى كتابة منقوشة بالخط النسخى الحجازى على لوح رخامى مستطيل الشكل عبارة عن لوحة تأسيسية لترخيم المقام الشريف والحطيم المعظم مؤرخة بعام تسعة وعشرين وسبعمائة وصفها على النحو التالى :

المكان	:	متحف آثار الحرم المكى .
الرقم	:	بدون .
النوع	:	لوح من الرخام مستطيل الشكل .
المقاس	:	٣٥ × ٢٧ سم .
التاريخ	:	٧٢٩ هـ .
الخط	:	حجازى لين بارز من نوع الثلث .
عدد الأسطر	:	أربعة .

وهذا النص يؤرخ لعمارة السلطان الناصر محمد بن قلاوون لمقام الخليل ابراهيم عليه السلام وللحطيم المعظم وذلك سنة ٧٢٩ هـ كما هو مذكور بالنص . وقد أشار الفاسى الى أن موضع هذا اللوح كان فى الشباك الشرقى أحد شبابيك المقام .(١)

أما باسلامه فقد ذكر أن هذا النص موجود على الجدار الشمالى لقبة بئر زمزم(٢) مما يرجع معه أن النص قد نقل من مكانه الأصلى الذى أشار اليه الفاسى أثناء التجديدات التى حدثت لمقام ابراهيم والتى سنتحدث عنها فى مواضع أخرى من هذه الرسالة .

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - طبعة عيسى البابى الحلبى - القاهرة - ج ١ ص ٢٠٤ سنة ١٩٥٦م .

(٢) باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام - تحقيق عمر عبد الجبار - الطبعة الثانية - مصر - ص ٢٢٥ - سنة ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤م .

أما ابراهيم رفعت (١) فلم يشر الى هذا النص موضوع البحث وانما نقل عن القاسى نقلا رغم أنه أشار فى ثنايا كتابه الى كثير من النصوص الموجودة بالحرم المكى الشريف والكعبة المشرفة وغير ذلك .

" النص "

١ - مما أمر بترخيم المقام الشريف وهذا
٢ - [ا] لحطيم المعظم السلطان الملك الناصـ[ـر]
٣ - محمد ابن السلطان الملك المنصور خا
دم الحرمين الشر[يـ][ف][يـ][ن] فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة

وقد أورد باسلامه قراءة لهذا النص على النحو التالى :

" أمر بترخيم المقام الشريف وهذا الحطيم المعظم السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور خان خادم الحرم الشريف فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة " (٢)

ومع تقديرى واحترامى للشيخ باسلامه رحمه الله فان لى على قراءته لهذا النص بعض الملاحظات التى تتلخص فيما يلى :

١ - أن باسلامه لم يلتزم ببدايات السطور ونهاياتها وهو أمر مهم فى قراءة أى نص لكى يستطيع القارىء معرفة مكان الكلمة من النص بسهولة وكذلك عدد أسطر النص.

٢ - ورد فى قراءة باسلامه كلمة " أمر " فى بداية النص والصواب " مما أمر " .

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م ، ص ٢٤٢ وما بعدها .

(٢) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٢٥ ويلاحظ أن صاحب كتاب التاريخ القويم قد نقل هذا نقلا حرفيا بأخطائه عن باسلامه - أنظر :
محمد طاهر الكردى : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم جـ ٣ ص ٨٢ ، الطبعة الأولى - مكتبة النهضة الحديثة بمكة ١٣٨٥ هـ .

٣ - ورد في قراءة باسلامه كلمة " محمد بن " والصواب " محمد ابن " بزيادة الألف على كلمة ابن .

٤ - ورد في قراءة باسلامه كلمة " خان " والتي لم ترد في النص اطلاقا والذى أرجحه هو أن باسلامه ظن أن كلمة " خادم " التي قسمت الى قسمين والتصقت الدال بالميم في أول السطر الرابع هي كلمة " خان " والصواب انها " خادم " .

والواقع أن لقب " خان " لم يتلقب به أحد من سلاطين المماليك ولم يشر أحد من المؤرخين الى أن سلاطين المماليك تلقبوا بهذا اللقب لأنه من الألقاب التي اختص بها ملوك المغول في فارس والعراق وانتقل بعد ذلك الى سلاطين العثمانيين.(١)

٥ - وورد في قراءة باسلامه عبارة " خادم الحرم الشريف " والصواب " خادم الحرمين الشريفين " مع ملاحظة أن كلمة " الشريفين " قد وردت خطأ في نفس النص الذى أنشره هنا فجاءت بهذا الشكل " الشرفن " فظن باسلامه أنها " الشريف " وهو خطأ في كلا الحالتين . هذا بالاضافة الى لقب " خادم الحرمين الشريفين من الألقاب التي حرص سلاطين المماليك منذ عهد بيبرس على التمسك بها وذلك لما فيه من مظاهر السيادة على الحرمين الشريفين التي تعتبر رمزا لشمول النفوذ المملوكي على العالم الاسلامي كله(٢) وسنتحدث بالتفصيل عن لقب خادم الحرمين الشريفين في الصفحات القادمة الخاصة بالألقاب.(٣)

٦ - ذكر باسلامه أن تاريخ النص هو سنة أربع وعشرين وسبعمائة والصواب هو أن تاريخ النص سنة تسع وعشرين وسبعمائة .

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار - طبعة دار النهضة المصرية ١٩٥٧م ص ٢٧١ ، ٢٧٤ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٦٧ وما بعدها .
(٣) أنظر ص ٣٠ من الرسالة .

وهناك ملاحظة يجب التنبيه اليها وهو أن ناقش النص قد أورد اسم السلطان الناصر محمد كاملا بينما لم يذكر اسم والده المنصور قلاوون بل اكتفى بذكر ألقابه فقط .

وصاحب النص : هو السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي وكنيته أبو الفتح ولقبه حرفوش .(١)

ولد يوم السبت الخامس عشر من محرم - أو السادس عشر منه وقيل فى صفر - سنة أربع وثمانين وستمائة بقلعة الجبل بالقاهرة .(٢)

وقد ولي السلطنة لأول مرة بعد وفاة أخيه السلطان الأشرف خليل بن قلاوون فى الرابع عشر من شهر محرم أو فى النصف منه سنة ثلاث وتسعين وستمائة وعمره تسع سنين .(٣)

---

(١) الشجاعى : تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون وأولاده : تحقيق بربارة شيفر - نشر المعهد الألمانى بالقاهرة - طبع مكتبة عيسى البابى الحلبى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ص ١٠٧ .

(٢) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ١ (ق ٣) تحقيق محمد مصطفى زيادة - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٧٠م ص ٧٢٧ وأنظر : الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك - تحقيق جمال الدين الشيال - نشر الخانجى - القاهرة ١٩٥٥م ص ٩٥ وأنظر : ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة جـ ٤ - طبعة دار الجيل - بيروت ص ١٤٤ .

(٣) الشجاعى : المصدر السابق ، ص ١٠٧ - وأنظر أيضا : الحسن بن حبيب : تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه جـ ١ تحقيق محمد محمد أمين - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٦٩ وأنظر أيضا : المقريزى : السلوك جـ ٢ ق (٢) تحقيق زياده - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٧٢م ص ٥٢٣ ، وأنظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة - طبعة دار الكتب المصرية جـ ٨ ص ٤١ وما بعدها .

وتقرر أن يكون الأمير زين الدين كتبغا المنصوري[١] نائبا للسلطنة وعلم الدين سنجر الشجاعي وزيرا[٢] .

وأقام في سلطنته الأولى هذه سنة الا ثلاثة أيام ثم خلع في يوم الأربعاء الحادي عشر من محرم سنة أربع وتسعين وستمائة[٣] .

ثم خدمته الأقدار فعاد للسلطنة مرة ثانية في شهر جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وستمائة[٤] بعد مقتل السلطان حسام الدين لاجين المنصوري[٥] .

واستمر في سلطنته هذه نحو عشر سنين وخمسة أشهر الى أن عزل نفسه سنة ثمان وسبعمائة ورحل الى الكرك[٦] .

---

(١) أنظر ترجمته في الدرر الكامنة جـ ٣ ص ٢٦٢ .
(٢) أنظر ترجمته في الدرر الكامنة جـ ٢ ص ١٧٠ .
(٣) الشجاعي : المصدر السابق ص ١٠٧ ، ١٠٨ وأنظر أيضا :
أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر - طبع دار المعرفة - بيروت جـ ٤ ص ٣١ وأنظر :
ابن حبيب : تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٦٩ ، وأنظر أيضا :
المقريزي : السلوك جـ ٢ ص ٥٢٣ وأنظر أيضا :
ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٥٠ .
(٤) الشجاعي : المصدر السابق ص ١٠٨ ، وأنظر :
أبو الفدا : المختصر جـ ٤ ص ٤٠ وأنظر أيضا :
ابن حبيب : تذكرة النبيه ص ٢١١ وأنظر أيضا :
الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين جـ٢ تحقيق فؤاد سيد - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م ص ٢٦٠ وأنظر أيضا :
ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١١٥ وما بعدها .
(٥) أنظر ترجمته في الدرر الكامنة جـ ٣ ص ٢٧١ .
(٦) الشجاعي : تاريخ الناصر محمد بن قلاوون وأولاده ص ١٠٨ - وأنظر :
أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر جـ ٤ ص ٥٤ - وأنظر :
المقريزي : الذهب المسبوك ص ٩٦ - وأنظر :
الفاسي : العقد الثمين جـ ٢ ص ٢٦٠ وأنظر :
ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٧٦ .

وأما عودته للسلطنة للمرة الثالثة فكانت في سنة تسع وسبعمائة واستمرت سلطنته هذه اثنتان وثلاثون سنة وشهران وعشرون يوما - وقيل خمسة عشر يوما [١].

وتعتبر سلطنته الثالثة هي مدة حكمه الحقيقي حيث استبد بالأمر من غير معارض بينما كانت سلطنته الأولى والثانية مجرد سلطنة بالاسم فقط [٢].

وكان السلطان الناصر محمد أطول ملوك زمانه عمرا وأعظمهم مهابة وقد بلغت مدة حكمه في السلطنات الثلاث ثلاثا وأربعين سنة وثمانية أشهر وتسعة أيام [٣].

وتوفي السلطان الناصر محمد بن قلاوون ليلة الخميس الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة وعمره سبعا وخمسين سنة وأحد عشر شهرا وأيام [٤].

وقد حج السلطان الناصر محمد ثلاث مرات فكانت الأولى منها سنة ٧١٢هـ (١٣١٣م) حيث صاحبه في هذه الحجة الأولى نحو أربعين أميرا ومائة فارس وستة آلاف مملوك على الهجن ثم زار المدينة المنورة وتوجه منها الى الشام ثم الى القاهرة [٥].

---

(١) أبو الفدا : المختصر ج ٤ ص ٥٧ ، ٥٨ وأنظر : الشجاعي : المصدر السابق ص ١٠٨ ، ابن حبيب : تذكرة النبيه ج ٢ ص ١٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٣ وما بعدها .

(٢) المقريزى : السلوك ج ٢ ق (٢) ص ٥٢٣ .

(٣) الشجاعى : المصدر السابق ص ١٠٨ وأنظر : المقريزى : الذهب المسبوك ص ٩٩ وانظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٦٥ وما بعدها .

(٤) ابوالفدا : المختصر ج٤ ص ١٣٤ وأنظر : الشجاعى : المصدر السابق ص ١٠٦ وأنظر : المقريزى : السلوك ج٢ ص ٥٢٣ ومابعدها ، ابن تغرى بردى : النجوم ج٩ ص ١٦٤ .

(٥) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٩٩ وأنظر : الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٢٦٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٩ ص ٣٥ ، نجم الدين ابن فهد : اتحاف الورى - مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم (٢) تاريخ دهلوى - حوادث سنة ٧١٢ هـ ورقة ٤١ ، ٤٢ ، ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور - تحقيق محمد مصطفى ج ١ ق (١) نشر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية - طبع البابي الحلبي ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ص ٤٤٣ .

أما حجته الثانية ، فكانت سنة ٧١٩ هـ وصاحبه فيها خمسون أميرا وجماعة من أعيان الدولة المملوكية وأكثر من فعل المعروف على أهل الحرمين وغسل الكعبة بيده وأخذ أزر احرام الحجاج وغسلها لهم بنفسه كما كنس مكان الطواف ومسحه بيده وأبطل بعض المكوس التى كانت بمكة والمدينة وعوض أميرى مكة والمدينة عنها باقطاعات فى مصر والشام ثم توجه بعد الحج الى المدينة المنورة فدخلها وهو ماش على قدميه حافي الرأس وتصدق على أهل المدينة بصدقات بلغت عشرين ألف دينار [١].

وقد أظهر السلطان الناصر فى حجته هذه كثيرا من التواضع بحيث قال للأمير بدر الدين جنكلي بن البابا " لازلت أعظم نفسي الى أن رأيت الكعبة المشرفة ، وذكرت بوس الناس الأرض لى فدخلت فى قلبى مهابة عظيمة مازالت عنى حتى سجدت لله تعالى " .

وقد حسن له بدر الدين بن جماعه قاضي القضاة أن يطوف بالبيت راكبا كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم فقال له السلطان " ومن أنا حتى أتشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم !!! والله لا طفت الا كما يطوف الناس" كما منع السلطان الناصر الحجاب من منع الناس أن يطوفوا معه وصاروا يزاحمونه وهو يزاحمهم كواحد منهم فى مدة طوافه وفى تقبيله الحجر الأسود [٢].

---

(١) أبو الغدا : المختصر جـ ٤ ص ٨٥ وقد فصل أبو الفدا فى حجة السلطان الناصر هذه لأنه حج معه - وأنظر: المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ١٩٧ ، الذهب المسبوك ص ١٠٠ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ٤ ص ١٤٧ وقد ذكر أن حجة الناصر هذه كانت سنة ٧٢٠ هـ والصواب أنها كانت سنة ٧١٩ هـ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٩ ص ٥٨ وما بعدها ، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٧١٩ هـ ورقة ٤٦ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ق (١) ص ٤٥٠ حيث ذكر ذلك فى حوادث سنة ٧١٨ هـ والصواب أن حجة السلطان هذه كانت فى سنة ٧١٩ هـ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ١٩٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٩ ص ٥٨ وما بعدها ، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٧١٩ هـ ورقة ٤٦ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ق (١) ص ٤٥٠ .

أما حجته الثالثة فكانت سنة ٧٣٢ هـ وكان معه فى حجته هذه نحو سبعين أميرا وجماعة من أعيان الفقهاء والقضاة وبعض حاشيته وقد عم بصدقاته أهل الحرمين الشريفين [(١)].

ويلاحظ أن ابن اياس أشار الى أن السبب فى حجة السلطان الناصر الثالثة سنة ٧٣٢ هـ هو رغبة السلطان فى الحضور الى مكة لمشاهدة تركيب باب الكعبة الذى صنعه السلطان لها [(٢)]، والواقع ان ذلك خطأ لأن باب الكعبة لم يعمل فى هذه السنة بل عمل فى السنة التى بعدها وهى سنة ٧٣٣ هـ وأرسله الى مكة ولم يحج السلطان وذلك حسب ما أجمع عليه المؤرخون مما سوف نشير اليه عند الحديث عن اصلاحات السلطان محمد بن قلاوون فى الحرمين .

والواقع أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد بلغ من نفوذ الكلمة فى الحجاز مالم يبلغه أحد من قبله من سلاطين المماليك وهو ما ذكره تقى الدين الفاسى صراحة بقوله :

" وكان للملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي من نفوذ الكلمة بالحجاز مالم يكن لأحد من قبله من ملوك الترك بمصر بسبب أن الملك الناصر المذكور أرهب أولاد أبى نمي بالولاية والعزل لهم فى أمر مكة والقبض على بعضهم وتجهيز العساكر غير مرة لاصلاح أمرها وتقوية من يوليه أمرها وتم لملوك مصر بعد الملك الناصر مثلما تم له من كثرة نفوذ أوامرهم بالحجاز وانفردوا بالولاية فيه دون ملوك اليمن وغيرهم " [(٣)].

---

(١) الفاسى : العقد الثمين جـ٢ ص ٢٦٢ وأنظر : المقريزى : الذهب المسبوك ص١٠٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ١٠٢ وما بعدها ، ابن فهد :اتحاف الورى حوادث سنة ٧٣٢ هـ ورقة ٥٧ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ق (١) ص ٤٦٢ وما بعدها .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٣٩ .

ولعل ما أورده ابن فهد هو مصداق لمدى ما بلغه نفوذ الناصر محمد بن قلاوون فى الحجاز عامة وفى مكة بصفة خاصة عندما أشار الى أن السلطان الناصر محمد بعث مرسوما سنة ٧٢٦ هـ لأمير مكة ينكر عليه تشيّعه للمذهب الزيدى ويأمره بابطال مقام الزيدية فامتثل أمير مكة لذلك وأخرج امام الزيدية اخراجا عنيفا ونادى بذلك فى البلاد فحصل للمسلمين بذلك سرور عظيم [1].

وقد قام السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعدة اصلاحات فى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة منها تجديد بعض سقوف المسجد النبوى الشريف فى سنتي ٧٠٥ هـ، ٧٠٦ هـ وأنشأ رواقين فى السقف القبلى بالمسجد النبوى أيضا سنة ٧٢٩ هـ [2].

ومنها أنه أبطل المكوس الخاصة بالمأكولات وعوض أميرى مكة عنهما باقطاع بمصر فى سنة ٧٢٢ هـ [3]، ومنها انه عمل بابا للكعبة المشرفة سنة ٧٣٣ هـ وكان من خشب السنط الأحمر [4]، وأشار ابن فضل الله العمرى الى أنه هو الذى وضع نص الكتابة التى نقشت على الباب الذى عمله السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأن اسم الناصر منقوش

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٧٢٦ هـ ورقة ٥٣ .

(٢) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة : نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة - طبع بيروت ١٤٠٢ هـ ص ٢٩ وأنظر : المراغى : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة : تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعى - الطبعة الثانية - نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٤٠١ هـ ص ٨٥ ، العباسى : عمدة الأخبار فى مدينة المختار : تحقيق الطيب الأنصارى - الطبعة الخامسة - نشر الطرابزونى ١٤٠١ هـ ص ١١٠ .

(٣) سوف نتحدث عن ذلك بشىء من التفصيل عند دراسة مرسوم السلطان شعبان الخاص بابطال المكوس المؤرخ بعام ٧٦٦ هـ . أنظر ص ٥٦ من الرسالة .

(٤) خشب السنط هو خشب من شجر شائك ينمو فى مصر والشام واسمه العلمى Acacia Adansorni أنظر حاشية رقم (٥) من تذكرة النبيه جـ ٢ ص ٢٤٦ وما بها من مراجع .

عليه [١] وقد قدرت حلية هذا الباب من الفضة بحوالى خمسة وثلاثين ألف درهم [٢].

ويشير البلوى فى رحلته وهو من مؤرخي القرن الثامن الهجرى أنه أهدى للمسجد الحرام منبر مؤرخ بسنة ٧٣٣ هـ [٣] ، واستنادا الى أن هذه السنة تقع فى الفترة الثالثة من حكم السلطان الناصر محمد فلاشك آن هذا المنبر هو للسلطان الناصر محمد بن قلاوون فقد كان من عادة سلاطين مصر ارسال المنابر الى الحرمين الشريفين .

ومن اصلاحات السلطان الناصر محمد بن قلاوون تعمير سقاية العباس وكانت فى

---

(١) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار جـ١ تحقيق أحمد زكى باشا - طبع دار الكتب المصرية ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م ص٩٩ ، وأنظر: ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ طبع بيروت ١٩٧٧م ص ١٦٢ ، ابن حبيب : تذكرة النبيه جـ ٢ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ فقد ذكر ابن حبيب انه حضر تركيب الباب الجديد حينما حج فى سنة ٧٣٣ هـ وأن ذلك أحدث موجة سرور بين الحجاج والمجاورين ، الفاسى : شفاء الغرام جـ ١ ص ١٠٣ ، العقد الثمين جـ ١ تحقيق محمد حامد الفقى - طبع مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م ص ٥١ ، ٥٢ و جـ ٢ ص ٢٦٠ وأنظر: المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ٣٦٢ ، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٧٣٣ هـ ورقة ٥٩ ، قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام - الطبعة الثانية - تحقيق محمد طاهر كردى - نشر مكتبة فدا بمكة ١٣٧٠ هـ ص ٥٩ .

(٢) يلاحظ أن الجزيرى قد أخطأ فى ذكر المبلغ الذى حلي به باب الكعبة فى عهد السلطان الناصر محمد فذكر أنه خمسمائة وثلاثين ألف درهم والصواب انه خمسة وثلاثين ألف درهم كما أجمعت المصادر المشار اليها على ذلك ، أنظر : الجزيرى : درر الفوائد المنظمة - طبع المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٨٤هـ ص ٢٥ .

(٣) البلوى : تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق جـ ١ ص ٣٠٤ تحقيق الحسن السائح مطبعة فضاله المحمدية - المغرب . وعن منابر الحرمين الشريفين وما أهدى اليهما أنظر: الفاسى : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٣ ، السخاوى : التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة جـ ١ - تحقيق محمد حامد الفقى - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٦-١٣٧٧هـ/١٩٥٧ - ١٩٥٨م ص ٤٧ ، السمهودى : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - الطبعة الثالثة - دار احياء التراث العربى - بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م جـ ٢ ص ٤٠٧ ، العباسى : عمدة الأخبار ص ١٣٥ .

داخل المسجد الحرام فى الجهة الشرقية منه[١]. ومنها أنه أمر باجراء عين مكة المعروفة بعين ثقبه[٢] وأجراها فى مجرى عين بازان وأنفق على ذلك خمسة آلاف درهم وذلك فى سنة ٧٢٨ هـ[٣].

ومن اصلاحاته أيضا : أنه خصص مقدار سهم واحد من أربعة وعشرين سهما من أوقافه فى ناحية سرياقوس[٤] من أعمال القليوبية بمصر وذلك لمساعدة المنقطعين بمكة المكرمة والمدينة المنورة لايصالهم الى بلادهم سواء كانوا مصريين أو غيرهم[٥].

ومن اصلاحاته أيضا أنه أنشأ ميضأة عند باب بنى شيبه سنة ٧٢٨ هـ وصفها الفاسى بأنها أعظم المطاهر نفعا وكان اشترى موضعها من الشريفين عطيفه ورميثة

---

(١) سقاية العباس : أول من أنشأها الخليفة المهدى العباسى ١٦٩هـ ثم جرى عليها كثير من الاصلاحات والتعميرات الى أن هدمت فى سنة ١٣٠٠ هـ أنظر :
الأزرقى : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار جـ ٢ - تحقيق رشدى الصالح ملحس الطبعة الثانية - مطابع دار الثقافة بمكة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ص ١٠٤ وما بعدها ، الفاسى : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٥٩ ، محمد طاهر كردى : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم جـ ٣ الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ ص ٧٧.

(٢) ثقبه : بالتحريك - جبل بين حراء وثبير تقع تحته مزارع . أنظر : ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ٨١ طبعة بيروت.

(٣) الفاسى : شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٤٨ وما بعدها ، العقد الثمين جـ١ ص ١٢٧ ، جـ ٢ ص ٢٦٠ ، المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ٣٠٣ وأنظر أيضا : ابن الضياء الحنفى : البحر العميق - مخطوط مصور بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة رقم ١٩١٠ ورقة ١١٠.

(٤) سرياقوس : قرية قديمة من قرى مصر وهي الآن من قرى شبين القناطر بمحافظة القليوبية على بعد ١٨ كم من القاهرة . أنظر : محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية القسم الأول ص ٢٣٢.

(٥) وثائق السلطان الناصر محمد بن قلاوون - الوثيقة الثانية - وثيقة وقف رقم ٣٠/ ٥ وتاريخ ١٠ جمادى الآخرة ٧٢٤ هـ ملاحق تذكرة النبيه لابن حبيب جـ ٢ - دراسة وتحقيق د . محمد محمد أمين ص ٣٥٧ ، ٣٧١ سطر ٢٠ ، ص ٣٨٠ سطر ٨٨ - ٩١ .

ابنى أبى نمى أمير مكة [(١)] ومنها عمارته لرباط باب العباس بالمسعى وكان ميضأة ثم جعله الملك الناصر رباطا . [(٢)] ومنها ترخيم حجر اسماعيل عليه السلام سنة ٧٢٠ هـ . [(٣)]

والواقع ان السلطان الناصر قد قام بكثير من الاصلاحات فى كل من مكة والمدينة أشار اليها المؤرخون قديما وحديثا ويهمنا بصفة خاصة ما ورد فى النص موضوع الدراسة من أن السلطان الملك الناصر قام بترخيم المقام والحطيم فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة .

والملاحظ أن مؤرخى مكة وفى مقدمتهم تقى الدين الفاسي قد أخطأوا فى تاريخ هذا الترخيم فذكروا أن ذلك حدث فى سنة ٧٢٨ هـ [(٤)] بينما يذكر النص صراحة أن الترخيم حدث سنة ٧٢٩ هـ .

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٥٠ ، العقد الثمين جـ١ ص ١٢٧ ، جـ ٢ ص ٢٦٠ وأنظر : المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ٣٠٣ ، ابن الضياء الحنفى : البحر العميق ورقة ١١٠ ، محى الدين الطبرى : الارج المسكى فى التاريخ المكى - مخطوط بمكتبة الحرم المكى رقم (٣) دهلوى ، ورقة ٣٣ ، ويلاحظ أن هذه الميضأة هدمت فى عصر السلطان قايتباى وبالتحديد فى يوم الأحد ١٩ صفر ٨٨٩هـ وذلك لاقامة بعض منشآته الخيرية بمكة التى سوف نتحدث عنها عند دراسة بعض النصوص التى ترجع الى عهده ، وأنظر أيضا : العز بن فهد : بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى - مخطوط بمكتبة الحرم المكى رقم (١) دهلوى - ورقة ٢١ .

(٢) ابن بطوطه : الرحلة جـ ١ - طبع مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٧م ، ص ٨٧ ، وأنظر : الفاسى : شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٣ .

(٣) الفاسى : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢١٦ حيث أشار الى هذا الترخيم وانه منقوش فى رخامة فى أعلى الحجر مؤرخة بعام ٧٢٠ هـ وأنظر أيضا : ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٧٢٠ هـ ورقة ٤٩ ، محى الدين الطبرى : الأرج المسكى فى التاريخ المكى ورقة ٧٣ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٣٠٦ فقد رأى هذه اللوحة وذكر أنها موجودة على حائط الحجر من الناحية الغربية .

(٤) الفاسى : شفاء الغرام جـ١ ص ٢٠٤ وأنظر : ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٧٢٨ هـ ورقة ٥٥ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ١٨١ - مخطوط بمكتبة الحرم المكى الشريف رقم (٣٠) تاريخ دهلوى ، الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٣٠٢ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٤٥ .

والجدير بالملاحظة أن الأزرقى حين تحدث عن مقام ابراهيم عليه السلام لم يذكر أن المقام كان يعلوه قبة بل ذكر أن على المقام صندوق من الساج مسقف وفى طرفي الصندوق سلسلتان تدخلان فى أسفل الصندوق ويقفل فيهما بقفلان[1] مما يشير الى أن البناء والقبة التى على المقام قد استحدثت بعد ذلك وربما كانت أول اشارة اليها هو ما ذكره ابن جبير فى رحلته حينما حج فى سنة ٥٧٩ هـ وذكر أن مقام ابراهيم تعلوه قبة من خشب وقبة أخرى من حديد موضوعة الى جانب قبة زمزم فاذا كان فى أشهر الحج وكثر الناس رفعت قبة الخشب ووضعت قبة الحديد لتكون أكثر تحملا للزحام[2] وفى ذلك دليل على أن القبتين الخشبية والحديدية متحركتين وليستا ثابتتين .

أما وصف الفاسي فيتلخص فى أن على المقام قبة من خشب ثابتة قائمة على أعمدة من حجارة منحوتة بينها أربعة شبابيك من حديد من الجهات الأربع ولها باب من الجهة الشرقية للدخول الى المقام وأن القبة مما يلى المقام منقوشة مزخرفة بماء الذهب ومبيضة بالنورة مما يلى السماء وأن القبة الحديدية موجودة داخل القبة الخشبية وكلتاهما ثابتة وأن المقام موجود داخل القبة الحديدية وأن الملك المسعود الأيوبى (ت ٦٢٦ هـ) هو أول من عمل ذلك على الأرجح وأنه دخلت عليهما اصلاحات كان آخرها سنة ٨١٠ هـ .[3]

والواقع أنه قد حصلت كثير من التجديدات والعمارات لمقام ابراهيم عليه السلام بعد عصر الفاسي مما سوف نتحدث عنه عند دراسة النصوص الخاصة بتجديد مقام ابراهيم سواء فى العصر المملوكى أو العصر العثمانى .

---

(١) الأزرقى : أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار جـ٢ ص ٣٨ تحقيق رشدى الصالح ملحس الطبعة الثانية ـ مطابع دار الثقافة بمكة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
(٢) ابن جبير : الرحلة ـ طبعة دار صادر ـ بيروت ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤م ص ٦٣ .
(٣) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٠٤ .

أما صفة المقام فى عصرنا الحاضر فقد وصفها صاحب كتاب التاريخ القويم بقوله :

" وفى زماننا هذا - ونحن فى القرن الرابع عشر للهجرة - المقام موجود فى داخل تابوت خشبى عليه ستارة من الحرير مكتوب فيها آيات قرآنية ويحيط بالتابوت شبابيك نحاسية مثبتة على أربعة أعمدة بغاية الضبط والاحكام وعلى السقف قبة صغيرة ظريفة ".[1]

ومن المفيد أن نذكر أن قبة المقام وأعمدته والمقصوره الحديدية والتابوت الخشبى الذى كان يحيط بالمقام قد أزيلت جميعها بقرار من الحكومة السعودية بعد استفتاء العلماء فى ذلك وصدر بذلك قرار رابطة العالم الاسلامى ونشر هذا القرار فى الصحف المحلية بتاريخ ٨ صفر ١٣٨٥ هـ . وذلك باستبداله بمقصورة زجاجية وتم فعلا تركيب هذه المقصورة الزجاجية بتاريخ ١٢ رجب سنة ١٣٨٧ هـ بحضور وفود من مختلف أنحاء العالم الاسلامى واتسع بذلك المطاف بعد أن كان يضيق بالحجاج لاسيما فى أوقات مواسم الحج والعمرة .[2]

وورد فى النص لفظ " الحطيم " وقد اختلف المؤرخون فى تعيين موضع الحطيم فالأزرقى (ت حوالى ٢٥٠ هـ) يرى أن الحطيم هو مابين الركن والمقام وزمزم والحجر .[3] أما المحب الطبرى (ت ٦٩٤ هـ) فيرى أن الحطيم هو مابين الركن والباب كما يطلق الحطيم على الشاذروان وسمي بذلك لأن البيت رفع وترك هو محطوما .[4]

---

(١) محمد طاهر كردى : التاريخ القويم جـ ٤ ص ٤٧ .

(٢) المرجع نفسه جـ ٤ ص ٥١ - ٦٢ .

(٣) الأزرقى : أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار جـ ٢ ص ٢٣ وما بعدها ، وأنظر : الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ١٩٧ .

(٤) محب الدين الطبرى : القرى لقاصد أم القرى - تحقيق مصطفى السقا - طبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠م ص ٣١٤ ، وأنظر : الفاسي : شفاء الغرام ص ١٩٧ .

وقيل ان الحطيم سمي بذلك لأن الناس كانوا يحطمون هناك بالأيمان فقل من دعا هنالك على ظالم الا هلك وقل من حلف هنالك آثما الا عجلت له العقوبة[1].

ومما تقدم يتضح أن الحطيم يطلق على الحجر كما يطلق على الملتزم ويطلق أيضا على مابين الركن والمقام وزمزم والحجر[2].

ولعل القول الراجح هو ما ذكره الأزرقي من أن الحطيم هو مابين الركن والمقام وزمزم والحجر لأنه كان يطلق عليه هذا الاسم قبل بناء قريش للكعبة وقبل أن يحطم شيء من البيت الحرام[3].

وقد ورد في النص عدة ألقاب مثل لقب :

" الشريف " على وزن فعيل من الشرف وهو العلو والرفعة .

ولا يكون هذا اللقب الا لمن كان له آباء يتقدمونه بالشرف بخلاف الحسيب ولعل ذلك هو السبب في جعله أعلى من لقب " الكريم " لاشتماله على عراقة الأصل وشرف المحتد .

ومن هنا أيضا صار لقبا عاما لكل علوي وعباسي . كما أصبح لقبا خاصا لأبناء فاطمة الزهراء في العصرين الأيوبي والمملوكي[4] ، وورد لقب الشريف في كثير من النقوش الأثرية .

وفضلا عن استعماله كلقب مطلق فقد اصطلح في عصر المماليك على أن يرد في سلسلة الألقاب المفتتحة " بالمقام " و " المقر " و " الجناب " من الألقاب الأصول فيقال "المقام الشريف" و"الجناب الشريف" وهذا أعلى الألقاب الأصول[5].

---

(١) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٤ .
(٢) باسلامه : تاريخ الكعبة المعظمة ص ١٦٥ - الطبعة الثانية - طبع تهامة - جدة ١٤٠٢هـ.
(٣) الأزرقي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٣ ، ٢٤ وأنظر : محمد طاهر كردي : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم جـ ٤ ص ١١٧ .
(٤) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .
(٥) المرجع نفسه ص ٣٥٩ .

وكان لفظ " الشريف " يستعمل كصفة تشير الى القداسة أو الملكية في عصر المماليك فكان يقال : " المصحف الشريف " و " العلم الشريف " و " الكسوة الشريفة " و " المدينة الشريفة " و " الحرم الشريف " (١). وهكذا .

وقد جرى العرف في عصر المماليك على استعمال لقب " الشريف " لما يضاف الى السلطان من أنواع المكاتبات فقيل " عهد شريف " و " تقليد شريف " و " توقيع شريف " و " مرسوم شريف " . أما ما يتعلق بالنواب فيوصف " بالكريم " وان لم يكن ذلك عاما بين الكتاب (٢).

وورد في النص لقب " المعظم " وهو من ألقاب الملوك والسلاطين وقد أطلق على كثير منهم في مشرق العالم الاسلامي ومغربه وكان يستعمل في ديوان الانشاء المملوكي في بعض المكاتبات الى الملوك غير المسلمين (٣).

وقد جاء هذا اللقب في صيغة المؤنث بلفظ " المعظمة " كلقب من ألقاب النساء في عصر المماليك وهو أحد الألقاب الدالة على العظمة التي كان يتعين على ديوان الانشاء أن يضفيها على الجليلات من النساء بالاضافة الى ألقاب الصيانة (٤).

ويلاحظ أن لفظ " المعظم " ورد هنا في هذا النص كصفة تشير الى القداسة فقد جاء هنا بقوله " الحطيم المعظم " شأنه في ذلك شأن كل صفة يمكن اطلاقها على شيء مقدس مثل " البيت المعظم " اشارة الى البيت الحرام " و " الكعبة المعظمة " وغير ذلك .

وورد في النص لقب " السلطان " وهو في اللغة من السلاطة بمعنى القهر ، ومن هنا أطلق على الوالي ، وقد ورد اللفظ في آيات قرآنية عديدة بمعنى الحجة

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٥٩ .
(٢) المرجع نفسه ص ٣٥٩ .
(٣) المرجع نفسه ص ٤٧٧ .
(٤) المرجع نفسه ص ٤٧٨ .

والبرهان . وهذا اللفظ مأخوذ من اللغة الآرامية والسريانية Sultana ويوجد هذا فى أوراق البردى العربية منذ القرن الأول الهجرى مثل خراج السلطان وبيت مال السلطان ويقصد به سلطة الحكومة والوالى أو الحاكم ومن ثم صار يطلق على عظماء الدولة وقد استعمل لأول مرة فى عهد هارون الرشيد حين تلقب به بعض رجال البرامكة الا أنه يعتبر هنا نعتا فخريا خاصا وانقطع التلقيب به بعد ذلك حتى القرن الرابع الهجرى (١).

ولم يكن لقب السلطان لقبا عاما الا بعد أن تغلب ملوك الشرق مثل بنى بويه على الخلفاء واستأثروا بالسلطة دونهم واتخذوا لقب السلطان سمة عامة لهم فضلا عما كان يضفيه عليهم الخليفة من ألقاب فخرية خاصة ثم صار لقب السلطان لقبا عاما على المستقلين من الولاة يضرب على نقودهم تمييزا لهم عن غيرهم من الولاة غير المستقلين (٢).

وقد ورث المماليك عن الأيوبيين لقب " السلطان " خصوصا وقد أضفى المماليك على أنفسهم ولاية اسمية عامة على سائر أنحاء العالم الاسلامى حين أحيا بيبرس الخلافة العباسية فى القاهرة ومن ثم فوض بالسيادة العامة نيابة عن الخليفة ، ولذا كان بيبرس أول من أطلق عليه لقب " سلطان الاسلام والمسلمين من المماليك " (٣).

وورد فى النص لقب " الملك " وهو لقب يطلق على الرئيس الأعلى للسلطة الزمنية وقد عرف هذا اللقب فى اللغات السامية كما ورد فى النقوش العربية القديمة مثل نقش صرواح الذى تركه " كرب ال وتر " ملك سبأ فى جنوب بلاد العرب .

كما ورد فى نقش من شمال بلاد العرب هو نقش النماره الذى ينسب الى امروء القيس بن عمرو ملك الحيره والذى يرجع الى سنة ٣٢٨ م (٤).

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٢٣.
(٢) المرجع نفسه ص ٣٢٣ .
(٣) المرجع نفسه ص ٣٢٨ .
(٤) المرجع نفسه ص ٤٩٦ .

كما ورد اللفظ فى بعض آيات القرآن الكريم مثل " وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا"[١] ولم يعرف هذا اللقب بصفة رسمية فى صدر الاسلام ولا فى العصر الأموى اذ اقتصر الأمر على تلقيب الرئيس الأعلى بلقب " الخليفة" و " بأمير المؤمنين " ولكن فى العصر العباسي أخذ بعض الولاة يستقلون عن مركز الخلافة وكان من أثر استقلال بعض الولاة واستبداد بعض الأمراء بالسلطة المركزية من جهة أخرى أن ظهر لقب " الملك " الذى يحمل فى طياته معنى السيادة العليا.[٢]

وفى عصر المماليك استمر اطلاق لقب " الملك " فصار يطلق الى جانب السلطان" والنعت الخاص على رئيس الدولة فجاء بصيغ مختلفة مثل " الملك المعز " و " الملك المظفر " و " الملك الظاهر " وغير ذلك.[٣]

وورد فى النص لقب " الناصر " وقد استعمل هذا اللفظ كلقب وكان يقصد به الناصر لدين الله الذى ورد أحيانا بهذه الصيغة " الناصر لدين الله " .

وقد دخل لفظ " ناصر " فى تكوين كثير من الألقاب المركبة مثل " ناصر الاسلام " و " ناصر الامام " و " ناصر أمير المؤمنين ".[٤]

وورد فى النص لقب " المنصور " وقد ورد كنعت خاص للخليفة أبى جعفر المنصور (ت ١٥٨ هـ) ثانى خلفاء بنى العباس ثم نعت بهذا اللقب بعد ذلك كثيرون.

ولقب " المنصور " يشير الى أن صاحبه مؤيد من الله لأن النصر من عند الله. وفى عصر المماليك استعمل كاحدى الصفات التى تجرى مجرى التفاؤل فكان يوصف به بعض الأشياء فقيل " الجيوش المنصورة " و " العساكر المنصورة " وغير ذلك.[٥]

---

(١) سورة الكهف ، آية ٨٠ .
(٢) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٤٩٧ .
(٣) المرجع نفسه ص ٥٠٠ .
(٤) المرجع نفسه ص ٥٢٥ .
(٥) المرجع نفسه ص ٥١٣ .

وورد في النص لقب " خادم الحرمين الشريفين " ويقصد بهما المسجد الحرام بمكة ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة كما كان هذا اللقب يرد بصيغة أخرى مماثلة هي " خادم حرمي الله ورسوله " وقد أطلق لقب " خادم الحرمين الشريفين" على صلاح الدين الأيوبي في نص تعمير مؤرخ بعام ٥٨٧ هـ.[١]

وقد عرف لقب خادم الحرمين الشريفين في العصر المملوكي منذ عهد بيبرس حيث أطلق عليه في نص انشاء بتاريخ سنة ٦٥٩ هـ في قلعة دمشق .

ومن أهم سلاطين المماليك الذين أطلق عليهم هذا اللقب السلطان المنصور قلاوون الذى استعمل سلطته حتى حلف له الشريف أبو نمى أمير مكة بالطاعة له ولولده في شعبان سنة ٦٨١ هـ[٢] ثم استمر هذا اللقب يطلق على سلاطين المماليك والعثمانيين كما سنرى في النصوص اللاحقة لهذا النص موضوع الدراسة .

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٢٦٧ ، ٢٦٨.

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦٩.

تحليل

نص السلطان الناصر محمد بن قلاوون المؤرخ بعام ٧٢٩هـ

١ - نقش النص بالخط الحجازى اللين البارز من نوع الثلث الذى ازدهر ازدهارا كبيرا فى العصر المملوكي الا أن هذا النص ليس على درجة كبيرة من الاتقان على الرغم من أنه يعود الى القرن الثامن الهجرى اذا ماقورن بالنصوص الكتابية التى نقشت فى نفس الفترة فى غير منطقة الحجاز مثل مصر حيث قطع الخط الثلث فيها شوطا كبيرا من الجودة والاتقان مما يرجح معه أن الحجاز لم يستعن بخطاطين من خارج منطقة الحجاز وانما اعتمد على الخطاطين المحليين فحسب مما سوف نفصله عند الدراسة المقارنة لهذا النص مع نصوص أخرى من مصر ترجع الى عهد هذا السلطان (1).

٢ - لم يضع النقاش أو الكاتب خطوطا بارزه تفصل السطور بعضها عن بعض بحيث تنتظم الكلمات فى السطر الواحد على نسق واحد دون ميل أو نتوء .

٣ - يبدو أن النقاش ليس على دراية كافية بقواعد اللغة العربية اذ أضاف فى بداية النص عبارة " مما " لكلمة " أمر " وربما أراد بذلك أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون هو أحد الملوك والسلاطين الذين أمروا بترخيم المقام مما يشير الى أن أرض المقام قد أصلحت بالرخام من قبل الملوك والسلاطين السابقين فكان الصواب أن يكتب " ممن أمر " بدلا من " مما " أو يقتصر على كلمة " أمر " فقط وليس من المستبعد أن يكون الكاتب أو النقاش قد قصد من كلمة " مما " أن السلطان الناصر محمد قد أمر باجراء اصلاحات كثيرة فى الحرمين الشريفين وخاصة الحرم المكى الشريف ويكون ترخيم المقام مما أمر به السلطان على حد تعبير النص خاصة وأن للسلطان الناصر محمد بن قلاوون كثير من المآثر والاصلاحات والتى أشرنا اليها فى الصفحات السابقة .

٤ - يخلو هذا النص من العبارات الدعائية للسلطان الناصر محمد بن قلاوون رغم أنه هو الآمر بهذا الاصلاح وخاصة عبارتي " عز الله أنصاره " و " عز نصره "

---

(1) أنظر ص ٤٥٧ من هذه الرسالة .

الواردتين في كثير من النصوص الحجازية في العصر المملوكي والتي سوف نقوم بدراستها وتحليلها في هذه الرسالة .

٥ - ورد تاريخ ترخيم المقام في هذا النص بالسنة فقط دون ذكر للشهر أو اليوم الذي تم فيه هذا الترخيم على العكس من كثير من النصوص الحجازية التي نقشت في العصر المملوكي والتي وردت تواريخها بالشهر في معظم الأحيان وكذلك ذكر اليوم الذي تم فيه العمل أو الاصلاح في بعض الأحيان .

٦ - نظرا لضيق المساحة المخصصة لكتابة هذا النص فاننا نجد أن الكاتب أوالنقاش قد أهمل بعض حروف النص ولم يكتبها مطلقا مثل حرف " الألف " في كلمة الحطيم في أول السطر الثاني وحرف " الراء " في كلمة " الناصر " في آخرالسطر الثاني وحرف " الياء " في كلمة " الشريفين " في السطر الأخير .

ونتيجة لضيق المساحة المخصصة للكتابة أيضا نلاحظ أن هناك عدم تناسق في توزيع الكلمات والأحرف في كل سطر من سطور النص فظهرت أحجام بعض الحروف صغيرة عن المعدل الذى وضعه النقاش لنفسه مثل حرف " الميم " في كلمة " ترخيم " حيث لم يعطها حقها من الاستمداد وكذلك حرف " النون " في كلمة " ابن " في السطر الثالث وحرف " السين " في " تسع " في السطر الرابع بل لقد أدمجت بعض الحروف ببعض لدرجة أن حرفي " الدال والميم " في كلمة " خادم " في أول السطر الرابع تبدو وكأنها حرف واحد .

٧ - تذكرنا تجزئة الكلمة الواحدة بين سطرين بالتأثيرات النبطية رغم أنه يرجع الى عصر اسلامي متأخر من حيث تجزئة الكلمة الواحدة في سطرين مثل كلمة "خادم" اذ نقشت الخاء والألف في آخر السطر الثالث بينما كتبت الدال والميم في أول السطر الرابع .

٨ - يبدو أن الكاتب أو النقاش أراد أن يضفي شيئا من الزخارف النباتية على نهايات بعض الحروف أو منفصلة عنها وهي زخارف قوامها بعض الأغصان الملتوية والوريقات المدببة أو ذات بتلات ثلاث كما هو الحال في كلمة مما في أول النص حيث لحقت نهاية حرف الألف بهذا الشكل مما وكلمة الحطيم هكذا " الحطيم " وكذلك الزخرفة الواردة في أعلى كلمة " محمد " في أول السطر الثالث هكذا محمد وكذلك كلمة " المعظم " في السطر الثاني حيث لحقت حرف الطاء هكذا " المعظم " .

٩ - ألفات النص ولاماته وردت تقريبا ذات سمك واحد في بعض كلمات النص بينما وردت في البعض الآخر سميكة من أعلاها ورشيقة من أسفلها مثل حرف اللام والألف في كلمة " المقام " في السطر الأول وحرف اللام في كلمة " المعظم " في السطر الثاني والألف في كلمة " السلطان " في السطر الثاني أيضا والألف واللام في كلمة " ابن السلطان " واللام في كلمة " المنصور " في السطر الثالث وحرف الألف في كلمة " الشريفين " في السطر الرابع .

والملاحظ أن الألفات واللامات السميكة من أعلى والرشيقة من أسفل هي طراز الخط النسخي في العصر الأيوبي منذ منتصف القرن السادس الهجرى وربما كانت بداية هذا النوع من الخط في اللوح الرخام التأسيسي على باب المدرّج وهو الباب الرئيسي لقلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة سنة ٥٧٩ هـ.(1)

وهنا يمكن القول ان النقاش الذى نقش نص الناصر محمد موضوع الدراسة لم يتمرس في كتابة الخط النسخي الذى كان قد قطع شوطا كبيرا من الاتقان في عصر المماليك ابتداء من منتصف القرن السابع الهجرى مما يثبت أنه خطاط حجازى محلي لم تقع عليه تأثيرات خارجية مصرية أو غيرها .

١٠ - وردت بعض حروف النص معجمة بينما أهملت حروف أخرى تحتاج الى اعجام مثل حروف " الباء والتاء والياء " في كلمة " بترخيم " في السطر الأول وحرف الياء في كلمة " الشريف " في السطر الأول أيضا وحرف الياء في كلمة " الحطيم " في السطر الثاني وحرف الياء في كلمة " الحرمين " في السطر الرابع وحرفي " الياء " اللتان لم تكتبا في كلمة " الشريفين " وحرف النون والتاء في كلمة " سنه " والتاء في كلمة " تسع " والنون في كلمة " عشرين " والباء والياء في كلمة " سبعماية " وجميعها في السطر الرابع .

---

(1) أنظر عن هذا النقش القائم على باب المدرّج بقلعة القاهرة :
بول كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة : ترجمة : أحمد السيد دراج ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ص ١٦٨ ، ٢٠٦ .
أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها جـ ٢ (العصر الأيوبي) طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٩م ص ٨٤ .

١١ - يلاحظ أن حرفي " الحاء والخاء " قد اختلفا في ورودهما من حيث الشكل في بداية الكلمة وفي وسطها فوردت في بداية الكلمة بهذا الشكل تقريبا " ـحـ " بينما وردت في وسط الكلمة على هذا النحو " ـحـ " وهو أمر طبيعي في خط الثلث الذي نقش به النص .

١٢ - ورد حرف " الراء " في جميع النص على هذا النحو " ـر " وجاء حرف النون شبيها بهذه الراء في كلمة " عشرين " بينما ورد حرف النون شبيها بحـــرف الراء النسخية في كلمة " الحرمين " في السطر الأخير هكذا " ـمين " .

١٣ - حرف الكاف لم يأت بشكله التقليدي الذي عرف منذ تأثره بالشكل النبطي هكذا " ك " كما أن النقاش أو الكاتب في هذا النص لم يضع همزه فـــي وسط الحرف هكذا " ك " لكي يميزها عن حرف اللام وانما أضاف اليهـا شرطة في أعلاها على هذا النحو " ـكـ ـكـ " .

١٤ - ما تزال التأثيرات النبطية ظاهرة في هذا النص على الرغم من أنه يعود الـــى القرن الثامن الهجري من حيث ورود الياء الراجعة كما هو واضح في كلمـــــة " في " في السطر الأخير .

. . . . . .

لوحة رقم (٢)

يوجد بالحرم المكي الشريف كتابة منقوشة على بعض أعمدة الحرم الشريف وهي عبارة عن مرسوم يرجع الى عصر السلطان شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون أحد سلاطين المماليك البحرية مؤرخ بيوم الاثنين الثالث من جمادى الأولى سنة ٧٦٦ هـ .

والواقع أن هذا المرسوم قد نقش فى أكثر من عمود رخامي بل وفى أكثر من موضع من المسجد الحرام حيث يوجد نسخة منه عند باب الزيادة [(١)] ونسخة عند باب الصفا ونسخة عند باب العمرة ونسخة عند باب السلام .

ويلاحظ أن هذا المرسوم قد قسم الى نصفين فى جميع النسخ المذكورة فالنصف الأول من المرسوم نقش على عمود مستقل ونقش النصف الثانى من المرسوم على عمود آخر مما جعل تنسيق النص وقراءته يتميز بشيء من الصعوبة ، ويلاحظ أن بعض أسطر النص فى بعض هذه النسخ قد محي بفعل عوامل التعرية وطول الزمن كما غطيت بعض أسطره بحزام معدنى بحيث تعذر قراءة هذا السطر وهو السطر الثانى من نسخة المرسوم المنقوشة عند باب العمرة كما أن النصف الأول من نسخة المرسوم المنقوشة على أعمدة باب السلام غير موجودة .

وعلى الرغم من ذلك كله فان بعض نسخ هذا المرسوم بنصفيه الأول والثانى مازالت موجودة وفى غاية الوضوح وهي النسخة الموجودة عند باب الزيادة بالجانب الشمالي من المسجد الحرام والتى جعلتها هنا أساسا لهذه الدراسة .

---

(١) سنتحدث عن أبواب المسجد الحرام كلما أشارت الى ذلك النصوص اللاحقة ان شاء الله كما سنشير الى تغيير وتبديل أسماء هذه الأبواب كلما دعت الحاجة الى ذلك .

وصف النقش

المكان	:	أعمدة باب الزيادة بالجانب الشمالي من المسجد الحرام .
النوع	:	أعمدة من الرخام .
المقاس	:	الطول ١٥٠ سم × محيط العمود ١٥٣ سم .
الخط	:	حجازى لين بارز من نوع الثلث .
عدد الأسطر	:	٢٩ سطرا منها ١٤ سطرا فى القسم الأول من النص ، ١٥ فى القسم الثانى من النص .
التاريخ	:	٣ جمادى الأولى سنة ٧٦٦ هـ .

النص

القسم الأول من النص ويحتوى على أربعة عشر سطرا .

١ - بسم الله الرحمن الرحيم لما كان بتاريخ يوم الاثنين المبارك الثالث من جمادى الأول سنة ست وستين .

٢ - وسبعماية برز مرسوم(١) مولانا السلطان المالك الملك الأشرف ناصر الدنيـــا والدين سلطان الاسلام .

٣ - والمسلمين محي العدل في العالمين أبى الفتح شعبان بن الملك الشهيـــد الأمجد جمال الدنيا والدين .

٤ - حسين بن السلطان الشهيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون خلد الله تعالى سلطانه .

٥ - بالاشارة الكريمة العالية المولوية الأميرية الكبيرية الكفيلية الأتابكية السيفيـــة يلبغا الأشرفي .

---

(١) مرسوم : أخذا من قولهم رسمت له كذا فارتسمه اذا امتثله أو من قولهم رسم علىّ كذا اذا كتب ويحتمل أن يكون منهما جميعا .
ويلاحظ أن المراسيم على أنواع منها المراسيم المكبرة والمراسيم المصغرة وقـــد أفاض القلقشندى فى ذكرها - أنظر : صبح الأعشى جـ ١١ ص ١٠٧ ومابعدها .

٦ - أتابك العساكر المنصورة أعز الله تعالى أنصاره بأن تبطل سائر المكوس من مكة المشرفة عن جميع الأصناف .

٧ - التي بها والواردة اليها على اختلاف أنواعها وما يباع بأسواقها من المأكول والمشروب والنيّ والمطبوخ .

٨ - وجميع الحبوب من الحنطه والسّيال[1] والذرة والدخن[2] والدقسم[3] والحمص والأرز والعدس والشعير والدقيق وغير ذلك .

٩ - والتمر واللبانه والفواكه والثمار والأعناب والبطيخ والخضروات والأعسال والأقوات والأدم والملح .

١٠ - والحيوانات من الأبقار والأغنام والجمال وما يصل اليها في البر والبحر من ذلك وغيره وما يؤخذ من حجاج البحر أيضا من .

١١ - ساحل جدّه ومن ساير دروب مكة المشرفة ومن نخله والحجاز وساير المشاعر العظام ، وذلك خارجا عن ثلاثة أشياء لاغير .

١٢ - وهي تجار العراقيين وكارم اليمن والخيل خاصة ولا يؤخذ شيء قل ولا جل مما تقدم ذكره من ذلك مكيين بالجملة الكافية ولا يتعرض .

---

(١) السّيال : جمع سياله نبات له شوك أبيض طويل اذا نزع خرج منه اللبن نقله أبو عمرو عن بعض الرواه وفي الأساس وكأن ثغرها شوك السيال وهو شجر الخلاف بلغة اليمن وقال غيره : السيال شجر له شوك أبيض وهو من العضاه أو ماطال من السمر أنظر :

محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس - باب اللام فصل السين جـ ٧ - الطبعة الأولى المطبعة الخيرية بالجمالية - مصر ١٣٠٦هـ ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ وأنظر :

محمود مصطفى الدمياطي : معجم أسماء النبات الواردة في تاج العروس - طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥م ص ٧٧ .

(٢) الدخن : حب معروف والحبّة منه دخنه وهو حبّ الجاورس أوحب أصغر منه أملس جدا والدخن صغار يزلّ في الكف زليلا . أنظر :

عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى : الافصاح في فقه اللغة - الطبعة الأولى - دار الكتب المصرية ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م ص ٥٩٥ .

(٣) الدقسم : لم أعثر له على تعريف علمي فيما عرضت له من المصادر ويبدو أنه نوع من الحبوب كالقمح والشعير وغيرها مما لا يستغنى عنه من أشياء ضرورية .

١٣ - متعرض بهذا السبب الى صنف من الأصناف في اليوم ولا فيما بعده ويعفى رسم ما كان يستأديه من ذلك كله أمير مكة المشرفة ونوابه .

١٤ - ومباشروه ولا يعطى لهم بعد هذا التاريخ شيء من المكوس المذكورة بحكم تعويض أمير مكة المشرفة المشار اليه عن ذلك جميعه بما حصل الاتفاق .

القسم الثاني من النص ويحتوى على خمسة عشر سطرا :

١٥ - معه عليه وهو فى كل سنة مائة وستون ألف درهم تحمل اليه من بيت المال المعمور بقلعة الجبل المحروسة .

١٦ - وتستمر هذه الحسنة على الدوام مدى المدد والأعوام باقية على تعاقب الأيام ما أنشأ الأفق غمامه .

١٧ - وأظهر البدر تمامه عملا بقوله صلى الله عليه وسلم من استن سنة حسنة[1] فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ابتغاء للأجر .

١٨ - والثواب وقربها لبيت الله الحرام من مكان ليس يفتح به للمظالم الأبواب بحيث لا ينقطع رسم هذا المعروف ولا يمحى ويتم فضله .

١٩ - المألوف ولا يغير حكمه ولا ينقض اسمه وملعون بن ملعون من يخالف ذلك وخنزير بن خنزير من يسلك غير هذه المسالك أو يأخذ .

٢٠ - مكسا من المكوس فيلقيه الله به من الغضب المهالك أو لا يداوم على اعتماد هذا الأمر فى اليوم ولا فيما بعده أو ينقضه .

٢١ - من أمير مكة المشرفة أو من ولاة مصر المحروسة وعلى طول المدة يك كمن يأبى على ممر الدهور ويحرم أخذ هذا الحرام .

---

(١) ورد هذا الحديث عند أبى داود وابن ماجه وأحمد بن حنبل بلفظ " من سنّ سنّة حسنة أو سيئة . . . " كما ورد أيضا عند مسلم والنسائى وأحمد بلفظ " من سنّ فى الاسلام سنّة حسنة . . . " أنظر :
ونسنك : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ج ٢ طبعة ليدن ١٩٤٣م ج ٢ باب " سنّ " ص ٥٥٢ .

٢٢ - ليكون من قوم يحبهم الله ويحبونه ومن بدله بعد ماسمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ومن خان فبدل أو غيّر .

٢٣ - فبئس الخائنون ومن تجرأ على اعادته فأولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ومن أخذ به بعد ابطاله كان .

٢٤ - بريا من الله ورسوله كافرا بهما فلا ينال من الرحمة من أمر يتوله يلقيه الله في الدرك الأسفل من النار وعليه اللعنة .

٢٥ - والخزى من غضب الجبار ولا يكون من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من نسله ويحرم شفاعته ولا يرد .

٢٦ - حوض فضله فاليتق ذلك الى يوم الدين ويستمر الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

٢٧ - وقد التزم أمير مكة جميع ذلك ورضي بما عوض به وأشهد على نفسه بجميع ذلك طائعا مختارا وحسبنا .

٢٨ - الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

٢٩ - وذلك بمباشرة العبد الفقير الى الله تعالى بهادر الجمالي أستاذ الدار الملكي الأشرفي وبيبغا العلائي ومحمد الطولوني .

وقد ورد في النص اسم : السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون :

وهو السلطان الملك الأشرف أبو الفتح وأبو المعالي وأبو المفاخر زين الدين شعبان بن الأمجد حسين بن السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك

المنصور قلاوون[١].

ولد بقلعة الجبل بالقاهرة سنة أربع وخمسين وسبعمائة وولي السلطنة وعمره عشر سنين[٢] بعد خلع ابن عمه السلطان الملك المنصور بن الملك المظفر حاجي بعد أن أشيع عنه أمور نفّرت قلوب الأمراء منه فاتفقوا على خلعه من السلطنة فخلع في يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة[٣] وبويع السلطان شعبان في نفس اليوم[٤] وكان ذلك باتفاق الأمراء وعلى رأسهم الأمير يلبغا العمرى الخاصكي[٥] واستقر الأتابك يلبغا هو المتكلم في الأمور فكان مدبر المملكة من غير مشارك حتى أصبح السلطان شعبان معه على حد قول المؤرخ ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ) آلة في السلطنة[٦] وظل الأمر كذلك حتى قتل الأتابك يلبغا في شهر ربيع الآخر سنة ٧٦٨ هـ[٧]

----

(١) السلطان شعبان بن حسين صاحب هذا النص له ترجمة في عدد من كتب التاريخ والتراجم نذكر على سبيل المثال : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ - الطبعة الثانية - بيروت ١٩٧٧م ص ٣٠٢. الفاسي : العقد الثمين ج ٥ تحقيق فؤاد سيد مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م ص ٧ وما بعدها . المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ج ٣ ق (١) - تحقيق : سعيد عاشور - طبعة دار الكتب المصرية ١٩٧٠م ص ٨٣، ٢٨٢ ، له أيضا : الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك - تحقيق : جمال الدين الشيال ص ١١٨ - ١٢١. ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر بأنباء العمر ج ١ تحقيق : حسن حبشي ص ١٢٨، ١٢٩، له أيضا : الدرر الكامنة بأعيان المائة الثامنة ج ٢ طبعة دار الجيل - بيروت ص ١٩٠ وما بعدها . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١١ طبعة دار الكتب المصرية ص ٢٤ - ٨٣. السخاوى : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ج ٢ نشر أسعد طرابزوني ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م ص ٢١٩.

(٢) المقريزى : السلوك ج ٣ ق (١) ص ٨٣ وأنظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٢٤.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٠٢ وأنظر المقريزى : السلوك ج ٣ ق (١) ص ٨٣.

(٤) ابن كثير : المصدر السابق ج ١٤ ص ٣٠٢.

(٥) سيرد له ترجمة في الصفحات القادمة حيث ورد اسمه في النص .

(٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٦، ٣٢.

(٧) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٣٩ وأنظر : ابن تغرى بردى : المصدر السابق ص ٣٥.

ومنذ ذلك الوقت أخذ أمر السلطان شعبان يتعاظم فما أن استهلت سنة ٧٦٩ هـ حتى صار تدبير جميع أمور المملكة بيده يعزل ويولي من غير مشورة الأمراء وصار في الملك بلا منازع وحسنت سيرته الى الغاية [١].

وفى سنة ٧٧٨ هـ خرج السلطان شعبان متوجها الى الحج فلما وصل الى عقبة ايله فى مستهل ذى القعدة اتفق أكثر أمرائه على قتله فلما بلغ السلطان أمرهم ركب ببعض أمرائه وحصلت بينهم معركة هزم فيها السلطان ففرّ راجعا الى القاهرة واختفى فى بعض بيوتها حتى قبض عليه الأمراء وخنقوه فى الخامس من ذى القعدة سنة ٧٧٨ هـ [٢].

وكان السلطان شعبان كما وصفه المقريزى : لينا يحب أهل الخير ويقف عندما يحسن له فعل الخير كما كانت أيامه فى هدوء وسكون ولم يكن فيه أذى ولا تجبر بل يرفع يديه ويسأل الله تعالى أن يخرب ديار من يريد بالناس سوءا [٣].

كما وصفه ابن حجر بقوله : " وكان الأشرف هينا لينا محبا فى المال محبا فى أهل الخير والفقراء والصلحاء والعلماء مذعنا للأمور الشرعية . . . وكانت الدنيا فى زمنه طيبة آمنه . . . " [٤].

كما أن ابن تغرى بردى ذكر كثيرا من فضائله [٥]. وبلغت مدة سلطنته أربعة عشر عاما وشهرين وخمسة عشر يوما وقيل أربعة عشر عاما وشهران وعشرون يوما [٦].

---

(١) ابن تغرى بردى : المصدر السابق ص ٥٣ .
(٢) ابن حجر : أنباء الغمر جـ ١ ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق ص ٧٤ - ٧٦ .
(٣) المقريزى : السلوك جـ ٣ ق (١) ص ٢٨٢ .
(٤) ابن حجر : أنباء الغمر جـ ١ ص ١٣٠ .
(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٨١ ، ٨٢ .
(٦) المقريزى : السلوك جـ ٣ ق (١) ص ٢٨٢ وأنظر : ابن حجر : أنباء الغمر جـ ١ ص ١٣٠ وأنظر أيضا : ابن تغرى بردى : النجوم جـ ١١ ص ٨٣ .

ورد في النص اسم والد السلطان شعبان :

وهو الأمير بدر الدين حسين الملقب بالأمجد بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو آخر من بقي من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون من الذكور وكانت وفاته في ليلة السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ٧٦٤ هـ وكان موته قبل سلطنة ولده بنحو خمسة أشهر وأيام وكان حريصا على السلطنة فلم ينلها دون اخوته ولو عاش لما كان يعدل عنه يلبغا الى غيره.(١)

ورد في النص اسم : يلبغا الأشرفي :

وهو يلبغا بن عبد الله الخاصكي الأمير الكبير المشهور وكان من مماليك السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وأمّره وأنعم عليه بتقدمة ألف(٢) ثم أمير مجلس(٣) غير أنه سرعان ما انقلب على أستاذه السلطان حسن وقتله واستقر أتابكا للعساكر أيام سلطنة المنصور محمد بن المظفر حاجي ثم خلعه في شعبان سنة أربع وستين وسبعمائه وأقام مكانه السلطان الأشرف شعبان ولقب نظام الملك وصار صاحب الحل والعقد في سائر المملكة حتى قتل في ربيع الآخر سنة ٧٦٨ هـ.(٤)

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٢١.
(٢) أنظر عن هذا اللقب حسن الباشا : الفنون والوظائف على الآثار العربية جـ ٣، ص ١١٢٧ وما بعدها.
(٣) أنظر عن هذا اللقب حسن الباشا : الفنون والوظائف على الآثار العربية جـ ١، ص ٢٥٩ وما بعدها.
(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة جـ ٤ ص ٤٣٨، ٤٣٩ وأنظر :
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٤، جـ ١١ ص ٥ - ٩٢.
" " : الدليل الشافي على المنهل الصافي جـ ٢ - تحقيق فهيم شلتوت طبع مركز البحث العلمي - جامعة أم القرى ١٣٩٩/١٩٧٩م، ترجمة رقم ٢٦٧٢ ص ٧٩٣.

ورد في النص اسم بهادر الجمالي :

وهو بهادر بن عبد الله الجمالي المعروف بالمشرف[1] أصله من مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون فتنقلت به الأحوال فصار أحد أمراء الطبلخاناة في أيام السلطان الناصر حسن ثم أصبح أحد أمراء الألوف في سلطنة الأشرف شعبان بن حسين وكان ذلك في سنة تسع وستين وسبعمائة وتقلب في عدة وظائف مثل نظر البيمارستان المنصوري[2] كما استقر في ولاية الفيوم[3] ثم صار أميرا للحاج أيام السلطان الظاهر برقوق[4] واستمر أميرا للحاج ابتداء من سنة ٧٧٨ هـ حتى عام ٧٨٦هـ حيث توفي وهو قاصد الحج[5] ودفن بمنزلة عيون القصب[6].

---

(١) ابن حجر: انباء الغمر جـ ١ ص ٢٩١، ٢٩٣، الدرر الكامنة جـ ١ ص ٤٩٦، وأنظر: ابن تغرى بردى : الدليل الشافي على المنهل الصافى جـ ١ ص ٢٠٠.

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ١٥١.
أما البيمارستان المنصورى فهو نسبة الى السلطان المنصور قلاوون الذى أنشأه في سنة ٦٨٣ هـ بين القصرين بخط المدارس الكاملية والصالحية والظاهرية بالقاهرة وقد نشر محمد محمد أمين وثائق وقف هذا البيمارستان . أنظر:
ملاحق كتاب تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه للحسن بن الحبيب (ت ٧٧٩هـ) جـ ١ ص ٢٩٥ وما بعدها . طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م.

(٣) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق (٢) ص ٤٢١.

(٤) ابن تغرى بردى : الدليل الشافي جـ ١ ص ٢٠١.

(٥) المقريزى : السلوك جـ ٣ ق (٢) ص ٥٢٣، ٥٢٥ وأنظر:
ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان جـ ١ - تحقيق حسن حبشى - طبع دار الكتب المصرية ١٩٧٠ م ص ١١٠.

(٦) عيون القصب : منزله أو محطه في طريق الحاج المصرى بين العقبة والمويلح في مكان يخرج فيه الماء بين جبلين فينبت حوله القصب الفارسي وغيره ولهذا عرفت بعيون القصب - أنظر: أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج - تحقيق ليلى عبد اللطيف ص ١٣٦ حاشية (٤).
والجدير بالملاحظة هو أنى عثرت بدار الوثائق القومية بالقاهرة على وثيقة وقف لبهادر الجمالي المذكور والسيفي قلمطاى بن عبد الله برقم ٦٨ / ١١ من مجموعة المحكمة الشرعية تشير الى أنهما وقفا أراضى زراعية بناحية كفر بهنيشه وجعلا سدس ربع وقفها بعد اصلاح الوقف لمصالح الحرمين الشريفين وللفقراء المجاورين بهما وبهذه الوثيقة عدة تواريخ آخرها ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٨١٣ هـ وأنظر: محمد محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة - طبع المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ص ١٦ مسلسل رقم ٧٥.

ورد فى النص اسم " بيبغا العلائى " :

ولم أعثر له على ترجمة وافية فيما عرضت له من مصادر رغم الجهد الذى بذلته غير أن ابن تغرى بردى أشار الى أن بيبغا العلائى قد انضم الى صف الأتابك يلبغا ضد السلطان شعبان الأمر الذى جعل السلطان شعبان يمتقله بعد انتصاره على الأتابك ويرسله مقيدا الى الاسكندرية وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وسبعمائة .(١)

أما المقريزى فقد أشار الى أنه توفي بطرابلس سنة ٧٧٦ هـ .(٢)

ويبدو أن هذا الأمير قد نفى أولا الى الاسكندرية سنة ٧٦٨ هـ ثم نفى مرة أخرى الى طرابلس ومات بها .

ورد فى النص اسم " محمد الطولوني " :

وتكاد تجمع معظم المصادر على تسميته بأحمد وليس محمد حتى أن السخاوى يقول : " ويقال ان اسمه محمد لا أحمد "(٣) مع أن النص هنا موضوع الدراسة قد أورده باسم محمد لا أحمد وقد أورد ابن الصيرفي اسمه صحيحا فى ترجمة له وصفه فيها بأنه أمير معلم المعلمين من الرؤوس المعتبرين والأصلاء المذكورين .(٤)

كما أجمع المؤرخون على أن محمد الطولوني ووالده أحمد بل وكافة الرجال من بنى الطولوني كانوا أعرف الناس بصناعة العمارة وهندستها فقد وصف ابن حجر محمد الطولوني هذا بقوله : " كبير المهندسين كان عارفا بصناعته قديما فيها ".(٥)

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٤٠ ، ٤١ .
(٢) المقريزى : السلوك جـ ٣ ق (١) ص ٢٤٩ .
(٣) السخاوى : الضوء اللامع جـ ١ طبعة بيروت ص ٢٢١ ، ٢٢٢ وأنظر :
ابن حجر : أنباء الغمر جـ ٢ تحقيق حسن حبشى ص ٤١ وأنظر أيضا :
ابن تغرى بردى : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافى جـ ٢ تحقيق محمد محمد أمين - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .
(٤) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان جـ ٢ ص ٢٧ .
(٥) ابن حجر : أنباء الغمر جـ ٢ ص ٥٧ ، ٥٨ .

وكان لمحمد الطولوني ولوالده مكانة مرموقة عند السلطان الظاهر برقوق حيث تزوج السلطان بأخته أو بابنته[(١)]، وقد تردد محمد الطولوني ووالده الى مكة غير مرة حيث عمل كل منهما مهندسا لعمارة الحرم المكي الشريف بل وتوفى والده أحمد في سنة ٨٠٢ هـ ودفن بمكة[(٢)] أما محمد المذكور فقد توفي في القاهرة في شهر رجب سنة ٨٠١ هـ في الوقت الذى توجه فيه والده أحمد الى مكة وتوفي بها[(٣)].

أما اصلاحات السلطان شعبان الوارد اسمه في النص في الحرمين الشريفين فان له مآثر عديدة بحرم مكة وحرم المدينة المنورة وقد أشار المؤرخون الى بعضها كما أشارت الى معظمها حجة وقف للسلطان شعبان المذكور عثرت عليها بدار الوثائق القومية[(٤)] بالقاهرة أثناء ترددى على هذه الدار للاطلاع على بعض الوثائق الخاصة بالحرمين الشريفين وسوف أقوم بنشر الجزء الخاص بمآثر السلطان شعبان في الحرمين الوارد في هذه الحجة في ملحق خاص في نهاية الرسالة دون تعليق ليتمكن المهتمون بدراسة الوثائق والتاريخ من الاستفادة منها - أنظر لوحة (٥١) .

---

(١) أشارت جميع المصادر السابقة تقريبا الى زواج السلطان برقوق بأخت ابن الطولوني أو ابنته .

(٢) الفاسي : العقد الثمين جـ ٣ ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٣) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان جـ ٢ ص ٢٧ .

(٤) هذه الحجة محفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة بالقاهرة برقم ٤٩ محفظة ٨ مؤرخة في ٣ جمادى الآخر سنة ٧٧٣ هـ وهي من مجموعة محكمة الأحوال الشخصية والولاية على النفس والتى عرفت بالمحكمة الشرعية .

والحجة عبارة عن درج كبير جدا مفقود أولها وأجزاء من طرفها الأيسر وبها تمزيق في وسطها وهي تشتمل على ما أوقفه السلطان شعبان على ذريته وكذلك ما أوقفه على الحرمين الشريفين . وكنت أود تصويرها بالكامل غير أن نظام دار الوثائق لم يسمح بذلك ولكني وفقت ولله الحمد في تصوير الجزء الخاص بما أوقفه السلطان الأشرف شعبان على كل من أمير مكة وأمير المدينة لقاء عدم أخذهما شيئا من المكوس وكذلك ما أوقفه السلطان على الحرمين الشريفين . أنظر أيضا :

محمد محمد أمين : فهرس وثائق القاهرة - طبع المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ص ١٣ .

ومن مآثر السلطان شعبان فى الحرمين والتى أشارت اليها هذه الحجة أنه أوقف بعض النواحي[١] وجعل ريعها لكل من أمير مكة المكرمة وأمير المدينة المنورة بشرط عدم أخذهما لشىء من المكوس[٢] وأبطل ماكان يأخذه أمير مكة من بنى شيبه عند فتح الكعبة المشرفة والمقام[٣] كما رتب قراءا لكتاب الله ودروسا فى الحديث الشريف[٤] كما رتب دروسا فى الفقه على المذاهب الأربعة وجعل لكل من المدرسين والطلاب مبلغا من المال يصرف لهم فى كل سنة[٥] وجعل فى الحرم المكى الشريف مؤدبا وعشرة من أيتام المسلمين تصرف لهم المرتبات والكساوى والأرزاق[٦] وقرر صرف مرتبات لكل امام من أئمة المسجد الحرام[٧] والمؤذنين[٨] وسدنة الكعبة المشرفة[٩] والفراشين بالمسجد المذكور[١٠] كما قرر مرتبات لمن يسقى الماء بالحرم الشريف وسائر مكة[١١] وجعل مرتبا لمصالح بئر زمزم[١٢] وخصص مبلغا من المال لشراء طيب وبخور للكعبة المشرفة والطائفين بها[١٣] وقرر مبلغا لشراء أقمشة من الكتان والقطن تصرف لفقراء مكة ومساكينها وأراملها والمنقطعين بها[١٤] وشراء أكفان لتكفين الموتى بها[١٥].

---

(١) النواحي : جمع ناحية وهي مرادفة لبلدة أو قرية استعملها العرب منذ الفتح الاسلامي لمصر وقد درجت على ذلك كتب الخطط والتاريخ والوثائق فى العصور الوسطى . أنظر: محمد رمزى : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية جـ ١ص ١٢ .

(٢) سوف أتحدث عن المكوس وما أبطله السلطان شعبان منها بالتفصيل فى الصفحات القادمة حيث أن هذه المكوس هي مضمون هذا المرسوم موضوع الدراسة .

(٣) أنظر سطر ٢٦ من نص الحجة المنشور هنا .

(٤) أنظر الأسطر من ٣٧ - ٥٦ من نص الحجة المنشور هنا ، وأنظر أيضا : الفاسي : العقد الثمين جـ ٥ ص ١٠ .

(٥) أنظر الأسطر ٥٧ - ٧٢ من نص الحجة وأنظر أيضا : الفاسي : المصدر السابق جـ٥ ص ١٠ .

(٦) أنظر الأسطر ٧٢ - ٨٣ من نص الحجة .

(٧) أنظر الأسطر ٩٣ - ٩٥ من نص الحجة .

(٨) أنظر الأسطر ٨٩ - ٩٣ من نص الحجة .

(٩) أنظر الأسطر ١٠٣ - ١٠٤ من نص الحجة .

(١٠) أنظر الأسطر ١٠٠ - ١٠٢ من نص الحجة .

(١١) أنظر الأسطر ١٢٥ ، ١٢٦ من نص الحجة .

(١٢) أنظر الأسطر ١٠٨ - ١١٤ من نص الحجة .

(١٣) أنظر الأسطر ١١٤ - ١١٦ من نص الحجة .

(١٤) أنظر الأسطر ١٣١ - ١٣٤ من نص الحجة .

(١٥) أنظر الأسطر ١٣٠ - ١٣٢ من نص الحجة .

وأنشأ السلطان شعبان ميضأة بمكة مقابل باب علي بالمسعى وخصص لهـــا موظفين يقومون بمصالحها [١] كما جدد البيمارستان بمكة [٢] وجعل فيه أطباء وموظفين يقومون بشئونه وخصص للمرضي ما يحتاجونه من دواء وطعام وشراب وكساء وغيره وكذلك الحال بالنسبة للفقراء القاطنين برباط السّدره بمكة [٣].

وقرر مرتبا من المال لحاكم مكة المشرفة نظير انتصابه للحكم والفصل في الخصومات ورد المظالم [٤] وجعل لمسجد الخيف بمنى مقررا نظير اصلاحه وترميمه وما يقوم بشئونه [٥]

----

(١) أنظر نص الحجة : سطر ١٣٨ - ١٥٢ وأنظر أيضا :
الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٥٠ ، العقد الثمين جـ ٥ ص ١٠ ، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ورقة ٧٥ وأنظر : ابن الضياء الحنفي : البحر العميق ورقة ١١٠ ويشير ابن الضياء الى أن هذه الميضأة قد تخربت ثم عمّرت سنة ٨١٧ هـ وأنظر أيضا : ابن فهد : اتحاف الورى جـ ٢ حوادث سنة ٧٧٦ هـ مخطوط ورقة ٩٨ . وكان موقع هذه الميضأة على وجه التحديد بين الميلين القائمين فـــي المسعى يحدها من الشرق مساكن ومن الغرب المسعى ومن الجنوب سيل وادي ابراهيم المعروف بسوق الليل ومن الشمال دار سيدنا العباس رضي الله عنـــه والتي صارت فيما بعد رباطا للفقراء وقد أزيلت هذه الميضأة وما حولها في عهد السلطان قايتباي وأقيم مكانها رباطا للسلطان المذكور . أنظر :
قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٠٠ .

(٢) أنظر نص الحجة : سطر ١٥٣ ، ١٨٩ وأنظر أيضا : الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٢٧ ، العقد الثمين جـ ٥ ص ١٠ ويشير الفاسي الى أن أول من أنشأ هذا البيمارستان الخليفة المستنصر العباسي سنة ٦٢٨ هـ ثم ذكر بعض العمـــارات التي أجريت لهذا البيمارستان ، وقد أزيل هذا البيمارستان في العصر الحديث حينما كان الأمير عبد الله الفيصل وزيرا للصحة وأستبدل بمستشفى حديث بمدينة الطائف . أنظر : حاشية (١) من شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٢٧ .

(٣) أنظر نص الحجة سطر ١٩٥ وكان رباط السّدره يقع في الجانب الشرقي مــــن المسجد الحرام على يسار الداخل الى المسجد من باب بني شيبه وقد أوقف هذا الرباط في سنة أربعمائة ولا يعرف واقفه وكان موضعه دار القوارير التي أنشئت في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد . أنظر : الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٠ .

(٤) أنظر نص الحجة سطر ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٥) انظر نص الحجة سطر ١٩٨ - ٢٠٣ .

وكذلك الحال بالنسبة لعيون مكة واصلاح البرك بعرفات[(١)] وجعل لعرب حنين وخليص مبلغا من المال نظير جريان ماء العيون في أراضيهم[(٢)].

أما مآثره التي أشار اليها المؤرخون فمنها عمارته لمأذنة باب الحزورة[(٣)] أحد أبواب المسجد الحرام وكذلك تحليته لباب الكعبة المشرفة وميزابها[(٤)] وفرش أرض المطاف بالحجارة المنحوتة[(٥)] وجدّد المقامات الأربعة بالحرم المكي الشريف[(٦)]، وعملت في عهده سلما لصعود الكعبة ظلت حتى سنة ثمان عشرة وثمانمائة[(٧)] وعمل منبرا للخطيب ولم يزل حتى استبدله السلطان الظاهر برقوق في سنة ٧٩٧ هـ[(٨)] وجدد عمارة دار خديجة رضي الله عنها بزقاق الحجر[(٩)] وغير ذلك من الاصلاحات والمآثر كما كان له عدد من المآثر والأعمال الخيرية بالمدينة المنورة أيضا[(١٠)].

---

(١) أنظر: نص الحجة سطر ٢٠٣ - ٢٠٥ وأنظر أيضا: الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٤٠ وأنظر أيضا: ابن الضياء الحنفي: البحر العميق ورقة ١٠٨.

(٢) أنظر نص الحجة سطر ٢٠٧ - ٢١١.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٠ وأنظر: ابن الضياء الحنفي: البحر العميق ورقة ٨٠ وأنظر أيضا: ابن فهد: اتحاف الورى حوادث سنة ٧٧٢ هـ ورقة ٩٤ وسوف أقوم بنشر النصوص الخاصة بعمارة هذه المأذنة بعد نصنا هذا مباشرة وهي عبارة عن ثلاثة نصوص مؤرخة بعام ٧٧٢ هـ. أنظر: ص ٨٤ وما بعدها من هذه الرسالة، لوحة (٣، ٤، ٥).

(٤) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٠٣، العقد الثمين جـ ٥ ص ١٠ وأنظر: ابن فهد: اتحاف الورى جـ ٢ حوادث سنة ٧٧٦ هـ ورقة ٩٨.

(٥) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣١٧، العقد الثمين جـ ٥ ص ١٠ وأنظر: ابن فهد: اتحاف الورى حوادث سنة ٧٦٦ هـ ورقة ٩٢.

(٦) الفاسي: العقد الثمين جـ ٥ ص ١٠، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ورقة ٤٢ وأنظر: ابن فهد: اتحاف الورى حوادث سنة ٧٦٦ هـ ورقة ٩٢.

(٧) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٠، العقد الثمين جـ ٥ ص ١٠ وأنظر: ابن فهد: اتحاف الورى حوادث سنة ٧٦٦ هـ ورقة ٩٢.

(٨) الفاسي: العقد الثمين جـ ٥ ص ١٠ وأنظر: ابن الضياء الحنفي: البحر العميق ورقة ٨٠ وأنظر أيضا: ابن فهد: اتحاف الورى حوادث سنة ٧٦٦ هـ ورقة ٩٢.

(٩) زقاق الحجر: يعرف أيضا بزقاق العطارين ويعرف اليوم بزقاق الصاغة - أنظر: الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٧٣.

(١٠) المراغي: تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة - تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي - الطبعة الثانية - نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٤٠١ هـ - ص ٨١.

ووردفى النص اسم " بيت المال " :

وبيت المال هو أهم دواوين الدولة فى العصر المملوكي وموضوعه التحدث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترياته من أراض ودور وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى كما أن متوليها يجب أن يكون من أهل العلم والديانة وكان له مجلس بدار العدل فتارة يكون مجلسه دون مجلس المحتسب وتارة فوق مجلسه بحسب رفعة قدر كل منهما فى نفسه وقد أضيف الى صاحب بيت المال أو وكيل بيت المال نظر كسوة الكعبة المشرفة وصارا وظيفة واحدة .(١)

وكان يطلق على بيت المال اسم ديوان النظر وكذلك بيت المال وهو يشبه فى كثير من اختصاصاته ما يعرف بوزارة المالية حيث ترجع اليه سائر الدواوين فى كل ما يتعلق بالمسائل الخاصة بالمتحصل والمنصرف من أموال الدولة .(٢)

وقد ألغي بيت المال أو ديوان النظر فى عهد دولة المماليك الجراكسة رغم كل ماكان يؤديه من خدمات وقد عبر المقريزى عن ذلك بقوله : " وتلاشى المال وبيت المال وذهب الاسم والمسمّى ولا يعرف اليوم بيت المال من القلعة ولا يدرى ناظر المال من هو " .(٣)

ووردفى النص اسم " قلعة الجبل " :

وهي القلعة القائمة حتى الآن بالقاهرة على تل يتصل بجبل المقطم وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافه فالقاهرة فى الجهة البحرية منها والفسطاط والقرافة الكبرى وبركة الحبش فى الجهة القبلية الغربية منها والنيل فى غربيهما وجبل المقطم خلفها فى الجهة الشرقية وكان موضعها يعرف بقبة الهواء ثم صار مقبرة الى أن أنشأنها السلطان صلاح الدين الأيوبى .(٤)

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٣٦ ، جـ ١١ ص ٢١٦ وأنظر : المقريزى : الخطط جـ ٢ طبعة بولاق ١٢٧١ هـ ص ٢٢٤ .

(٢) على ابراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ص ٢٢٤ .

(٤) المصدر نفسه ، نفس الجزء ص ٢٠١ .

وكان سبب بنائها هو أن صلاح الدين لما قضى على دولة الفاطميين الشيعية سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١م) ثم استيلاؤه على مملكة سيده نور الدين زنكي بالشام (ت ٥٧٠ هـ) أدرك وهو بالشام ما قامت به القلاع وخاصة في حلب والكرك من دور فاصل في المعارك الحربية فقد تسقط المدينة وتظل قلعتها على المقاومة حتى ييأس المحاصرون ويرفعون عنها الحصار ولذلك لم يلبث أن يصدر أمره غداة وصوله الى القاهرة سنة ٥٧٢ هـ بانشاء سور حول القاهرة ومصر معا وبناء قلعة تحميه هو وأسرته من غارات الصليبيين أو من بقايا الفاطميين على السواء [١] وجعل بهاء الدين قراقوش متوليا لعمارتها وتوفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ دون أن يتم العمل الى أن كانت سلطنة الملك الكامل فأتم بناءها وأصبحت دارا للسلطنة وانتقل اليها سنة ٦٠٤ هـ [٢].

والواقع أن هذه القلعة لم تكن مركزا للحكم ودارا للسلطنة فحسب بل كانت بمثابة مدينة صغيرة تضم طباق المماليك السلطانية ودور الخواص والأمراء فضلا عن دار الوزارة وما اشتملت عليه من قاعة الانشاء وديوان الجيش وبيت المال وخزانة الخاص وظلت قلعة الجبل موضع عناية سلاطين المماليك فأقاموا فيها كثيرا من القصور والمساجد والقاعات مما جعلها مثار دهشة الرسل والسفراء الأجانب [٣].

ولما كانت قلعة الجبل من الاتساع والضخامة وعناية السلاطين بها طوال العصور الأيوبية والمملوكية والعثمانية وما تمثله من عناصر معمارية متعددة فقد أفردها بعض الباحثين من عرب ومستشرقين بمؤلفات خاصة [٤].

---

(١) عبد الرحمن فهمي : " قلعة الجبل" القاهرة تاريخها - فنونها - آثارها - مطابع الأهرام التجارية - القاهرة - ١٩٧٠م - ص ٤٧٩ وما بعدها .

(٢) سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام - دار النهضة العربية - العربية - القاهرة ص ٣٦٥ .

(٣) المرجع نفسه ص ٣٦٥ .

(٤) نذكر على سبيل المثال ما ألفه المستشرق " بول كازانوفا " بعنوان : " تاريخ ووصف قلعة القاهرة" وقد ترجمه الى اللغة العربية أحمد السيد دراج وطبع بالهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م وكذلك ما ألفه عبد الرحمن زكي بعنوان " قلعة صلاح الدين وما حولها من الآثار" طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م وغير ذلك من المؤلفات ، هذا عدا عشرات المقالات المتناثرة في الدوريات العلمية والندوات .

وورد في النص لفظ " المكوس " :

ومفردها " مكس " وقد عرف المقريزى المكس بأنه دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية ويقال لمن يقبضه العاشر أو صاحب المكس.(١)

والمكس قرية تعرف بأم دنين بظاهر القاهرة فقلبت الكاف قافا فسميت بالمقس لأن صاحب المكس أو العاشر كان يجلس بها.(٢)

ويرى بعض الباحثين أن كلمة مكس ليست عربية وانما هي آرامية استعملها اليهود بمعنى واجبات وضرائب تدفع.(٣)

وقد وردت أحاديث بالنهي عن أخذ المكوس أو العشور على تجارة المسلمين كقوله صلى الله عليه وسلم " انما العشور على اليهود والنصارى وليس على المسلمين عشور ".(٤)

وقد أبطل الاسلام سائر المكوس على المسلمين وفرض الزكاة عوضا عنها لأن الزكاة حق معلوم يؤخذ من أغنياء المسلمين ويرد الى فقرائهم.(٥)

وقد اصطلح المؤرخون المسلمون في العصور الوسطى على أن المكوس هي ماتحصل من الأموال لديوان السلطان أو لأصحاب الاقطاعات أو لموظفي الدولة خارجا عن الخراج الشرعي وعرفت باسم المال الهلالي تمييزا لها عن المال الخراجي لأنها كانت تجبى على حكم الشهور الهلالية بعكس الخراج الذى يجبى على حكم السنة الشمسية أو القبطية كما عرفت المكوس باسم المرافق والمعاون وان كانت كلمة مكس هي الغالبة منذ العصر الفاطمي.(٦)

---

(١) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٢١ .

(٢) المصدر نفسه ، نفس الجزء والصفحة ، وأنظر: ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٥٣ حاشية (٧) .

(٣) عطيه القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر - طبع دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٦م ص ٢٣٢ حاشية (٢) .

(٤) أبو داود : السنن جـ ٣ - الطبعة الأولى - نشر دار الحديث - سوريا ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ص ٤٣٤ .

(٥) قدامه بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة - تحقيق محمد حسين الزبيدى - دار الرشيد - بغداد ١٩٨١م ص ٢٤١ .

(٦) المقريزى : الخطط جـ١ص١٠٣ ، ١١١ ، جـ ٢ ص ١٢١ - ١٢٤ ، السلوك جـ ١ ص ٨٥ حاشية (٣) ص ٢٦٧ حاشية (٤) . وأنظر: عطيه القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر ص ٢٣٣ حاشية (٣) .

غير أن الذى يهمنى من أمر المكوس فى هذا النص هو ما كان يتعرض له الحجاج والتجار الوافدون الى مكة والمدينة من معاملة قاسية نتيجة ارهاقهم بدفع ضرائب باهظة يصعب عليهم تأديتها الأمر الذى أدى فى كثير من الأحيان الى تدخل الصالحين من السلاطين والحكام فى ابطال هذه المكوس وتعويض أمراء مكة والمدينة عنها بمبالغ نقدية أحيانا تدفع لهم فى كل سنة أو باقطاعات يقطعونها لهم نظير عدم تناولهم لشىء من المكوس من الحجاج وغيرهم ومن هؤلاء السلاطين السلطان شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون الذى أبطل كثيرا من المكوس وأصدر مرسوما بذلك سنة ٧٦٦ هـ وهو هذا المرسوم الذى نقوم هنا بدراسته .

وربما كان أول من فرض المكوس على الحجاج هم القرامطة منذ سنة ٣٢٧ هـ اذ تشير المصادر الى أن أبا علىّ عمر بن يحيى العلوى الفاطمى قد كتب الى أبى طاهر القرمطى بأن يخلى سبيل الحجاج على أن يعطيه عن كل حمل خمسة دنانير فأجابه الى ذلك وانها أول سنة أخذ فيها المكس من الحجاج .(١)

ويحدثنا الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذى قدم لأداء فريضة الحج سنة ٤٣٩هـ عن الاجراءات التى كانت تتخذ مع الحجاج فى جدة عند جباية المكوس وأنه لم يعف أحد من دفع المكوس سواه .(٢)

وظل الحجاج يعانون من دفع هذه المكوس طيلة قرون اذ يصور لنا الرحالة المغربى ابن جبير الذى قدم أيضا لأداء فريضة الحج سنة ٥٧٩ هـ ما كان يعانيه الحجاج من استغلال ومهانة بقوله : " وهم يعتقدون فى الحاج ما لا يعتقد فى أهل الذمة قد صيروهم من أعظم غلاتهم التى يستغلونها ينتهبونهم انتهابا ويسبّبون لاستجلاب ما بأيديهم استجلابا فالحاج معهم لا يزال فى غرامة ومؤونة الى أن ييسر الله رجوعه الى وطنه ولولا ما تلافى الله به المسلمين فى هذه الجهات بصلاح الدين

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ١٨٩ وأنظر :
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٦٤ وأنظر أيضا : ابن فهد : اتحاف الورى جـ ٢ تحقيق فهيم شلتوت طبع مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى سنة ١٤٠٤هـ ص ٣٨٧ ، وأنظر : العصامي : سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى جـ ٤ - طبع السلفية بالقاهرة ص ١٩٤ .

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه - ترجمة يحى الخشاب - طبع دار الكتاب الجديد - بيروت الطبعة الثانية ص ١٢٠ .

لكانوا من الظلم فى أمر لا ينادى وليده ويلين شديده ".[١]

غير أن صلاح الدين الأيوبى (ت ٥٨٩ هـ) سرعان ما تدخل وأبطل هذه المكوس وعوض أمير مكة عنها بألفى دينار وألف اردب[٢] من القمح سوى اقطاعات بصعيد مصر واليمن ولم تلبث كميات القمح أن زادت حتى بلغت ثمانية آلاف اردب تحمل سنويا الى جدة.[٣]

ويظهر أن صلاح الدين قد أوقف بعض الأراضى بصعيد مصر[٤] ومن ريعها كان يحمل القمح الى جدّة ولكن وثائق هذا الوقف لم تصلنا وان كان المقريزى (ت ٨٤٥هـ) قد اطلع على احداها.[٥]

أما مقدار المكس الذى كان يؤخذ من الحاج زمن صلاح الدين فهو سبعة دنانير مصرية ونصف ومن لم يؤد ذلك عذّب بأنواع العذاب.[٦]

---

(١) ابن جبير: الرحلة - طبعة دار صادر بيروت - ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ص٥٤ وأنظر: أحمد السيد دراج: وثائق دير صهيون بالقدس الشريف - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٨م ص ٨٧.

(٢) الاردب: جمعه أرادب وهو مكيال ضخم لأهل مصر وهو من المكاييل العرفية ويعتقد أنه من مكاييل قدماء المصريين وهو يساوى أربعة وعشرين صاعا أو ست ويبات أو اثنا عشر كيلة أو أربعة وعشرون ربعا أو ثمان وأربعون ملوه أوستة وأربعون قدحا ويقدر الاردب أيضا بحوالى ١٩٨ لترا وهو يساوى ١٥٠ كجم من القمح، أو ١٣٠ كجم من الشعير أو ١٤٠ كجم من الذرة ... أنظر:
ابن الرفعة: الايضاح والتبيان فى معرفة المكيال والميزان - تحقيق: محمد أحمد اسماعيل الخاروف - نشر مركز البحث العلمى - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٠/١٩٨٠م ص ٧١ - ٧٣. وأنظر أيضا: سامح عبد الرحمن فهمى: المكاييل فى صدر الاسلام - نشر المكتبة الفيصلية بمكة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ٤١.

(٣) ابن جبير: الرحلة ص ٥٥ وأنظر: الفاسي: شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٣١، الزهور المقتطفة ورقة ١٢٧ وأنظر أيضا: القلقشندى: صبح الأعشى ج ٧ ص ١٠٩، ١١٠ وأنظر أيضا: المقريزى: السلوك ج ١ ق (١) ص ٦٤ وأنظر أيضا: أحمد عمر الزيلعى: مكة وعلاقاتها الخارجية - رسالة ماجستير - الطبعة الأولى - نشر جامعة الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ١٦٩.

(٤) أبو شامه: الروضتين فى أخبار الدولتين ج ٢ طبع دار الجيل - بيروت ص ٣٠.

(٥) عبد اللطيف ابراهيم على: "وثائق الوقف على الأماكن المقدسة" - مصادر تاريخ الجزيرة ج ٢ طبع جامعة الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ص ٢٥١.

(٦) ابن جبير: الرحلة ص ٣٠ وأنظر: المقريزى: السلوك ج ١ ق (١) ص ٦٤.

واذا كان جميع الحجاج يدفعون هذا المبلغ فان حجاج المغرب كانوا يدفعون دينارا آخر زيادة على السبعة دنانير ونصف يطلق عليه دية الكلب فقد ذكر ابن المجاور (ت ٦٩٠ هـ) أن بعض الحجاج المغاربة قد قتل كلبا بجدة لأنه أخذ رغيفا من طعامهم فنهض لذلك القواد بجدّة وأرادوا قتل المغاربة فلما رأى المغاربة عين الهلاك اتفقوا مع القواد على دفع دينار واحد عن كل حاج مغربي فسمى ذلك بدية الكلب[(١)].

وعلى الرغم من أن صلاح الدين قد أبطل المكوس فانها لم تلغ تماما بل كانت مرتبطة بضمان ورود الاعانة من مصر فاذا ما تأخرت عاد أمير مكة لأخذ المكوس مرة اخرى وهو ما أشار اليه ابن جبير في رحلته[(٢)] ، ولما توفى صلاح الدين الأيوبي وأهمل خلفاؤه من بعده ارسال ما التزم به صلاح الدين لأمراء مكة عادت المكوس مرة أخرى[(٣)] حتى سنة ٦٣٩ هـ حينما جاء الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول (ت ٦٤٧هـ) من اليمن الى مكة فأبطل المكوس والجبايات وكتب ذلك في رخامة مربعة جعلت أمام الحجر الأسود ودامت الى أن قلعها محمد بن أحمد بن المسيّب الذى ولى مكة من قبل ابن رسول سنة ٦٤٦ هـ وأعاد المكوس والجبايات[(٤)]. وظلت هذه المكوس تجبى الى أن وقع نزاع بين أميرى مكة سنة ٦٦٧ هـ نجم الدين أبي نمي[(٥)] (ت ٧٠١هـ) وعمه

---

(١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : تحقيق أوسكر لوففرين ـ طبعة ليدن ١٩٥١م ، ص ٤٨ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ص ٥٥ وأنظر أيضا :
أحمد عمر الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ص ١٦٩ .

(٣) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ـ طبع الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٣٩٣هـ ص ١٦١ .

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية جـ ١ تحقيق محمد بسيوني عسل طبع الفجالة بمصر ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م ص ٦٩ ، ٧٦ وأنظر أيضا :
الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٣٧ ، العقد الثمين جـ ٦ ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ وأنظر :
المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك ص ٨٠ وأنظر أيضا : بامخرمه : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ١٧٤ ، ١٧٧ .

(٥) نجم الدين أبو نمي محمد بن أبى سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني توفى سنة ٧٠١ هـ وقد جاوز السبعين وكانت مدة ولايته نحو أربعين سنة وقيل خمسين سنة ، وأنظر : ابن حبيب : تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ـ تحقيق : محمد محمد أمين جـ ٢ ص ٢٤١ ، وأنظر : الفاسي : العقد الثمين جـ١ ص ٤٥٦-٤٧١ حيث أورد له ترجمة مطولة .

الشريف بهاء الدين ادريس[١] بن قتادة (ت ٦٦٩هـ) وفي هذه السنة التي وقع فيها النزاع حج السلطان الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦ هـ) صاحب مصر فانتهز السلطان هذه الفرصة لتسوية النزاع بينهما ورتب لهما عشرين ألف درهم في كل سنة على أن لا يأخذا مكسا من أحد ولا يمنعا أحدا من زيارة البيت الحرام ولا يتعرضا لتاجر وأن تكون الخطبة باسم السلطان وأن تضرب السكّة باسمه وكتب لهما تقليدا بذلك وأن تسلم لهما أوقاف الحرمين[٢].

الا أن المكوس قد عادت مرة أخرى بدليل ما رآه الرحالة المغربي القاسم بن يوسف التجيبي السبتي الذي أدى فريضة الحج سنة ٦٩٦ هـ عند وصوله الى جدّة فقال :

" وبهذه المدينة عامل من قبل الشريف الأمير نجم الدين أبي نمي الحسني ملك مكة شرفها الله تعالى يقبض له مكوسها وضرائبها التي تؤخذ من الحجاج نفعهم الله تعالى وأعظم أجورهم أخذ منا من غرائر الطعام نحو ربع كل غراره[٣] وألزم أيضا من كان له متاع أن يؤدي ضريبة أخرى على المتاع ولهم أيضا ضريبة أخرى على الجمال التي يكتريها الحجاج لركوبهم وحمل متاعهم وأزوادهم ورفع جميع ذلك للشريف أبو نمي المذكور[٤].

---

(١) هو ادريس بن قتادة بن ادريس بن مطاعن الحسني ولي أمرة مكة نحو سبع عشرة سنة شريكا لابن أخيه نجم الدين أبي نمي كما انفرد بامرة مكة وقتا يسيرا حتى قتله ابن أخيه سنة ٦٦٩ هـ أنظر ترجمته في العقد الثمين جـ ٦ ص ٢٧٨.

(٢) الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٤٠٩ وأنظر :
المقريزي : السلوك جـ ١ ق (٣) ص ٧٢٤، الذهب المسبوك ص ٨٧، ٨٨ وأنظر :
سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ـ سلسلة أعلام العرب رقم ١٤ ص ١٠٩ وأنظر :
أحمد السباعي : تاريخ مكة ص ٢٥٥.

(٣) الغراره : هي وحدة الكيل الرئيسية ببلاد الشام وكل غرارة دمشقية ومدّ ونصف = ٣ أرادب بالكيل المصري وقد أشار الفاسي الى الغرارة المكيّة وهي أن كل غرارتين ونصف غرارة مكية = غرارة شامية واحدة ـ أنظر :
الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٧٢ وأنظر أيضا : القلقشندي : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٨١ وأنظر أيضا : أكرم حسن العلبي : دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين الطبعة الأولى الشركة المتحدة بسوريا ١٩٨٢م ص ٢٤١، ٢٤٣.

(٤) القاسم بن يوسف التجيبي : مستفاد الرحلة والاغتراب ـ تحقيق : عبد الحفيظ منصور ـ طبع الدار العربية للنشر ـ تونس ـ ص ٢١٩، ٢٢٠.

وفى سنة ٧٢٢ هـ أسقط السلطان الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١ هـ) المكس المتعلق بالمأكولات وعوض أمير مكة عنها باقطاع ثلث دمامين[1] من صعيد مصر.[2]

غير أن هذه المكوس لم تلبث أن عادت مرة أخرى مما اضطر السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (ت ٧٦٢ هـ) الى تجهيز عسكر الى مكة لاصلاح أمرها وللاقامة بها وأسقط المكس المأخوذ من المأكولات من الحب والتمر والغنم والسمن وغير ذلك ودام هذا الاسقاط مدة اقامة هذا العسكر بمكة وذلك الى أواخر سنة احدى وستين وسبعمائة فعادت المكوس الى ما كانت عليه.[3]

والواقع أن المكوس قد بلغت غاية القسوة مما جعل الفاسي (ت ٨٣٢ هـ) مؤرخ مكة يصور لنا ذلك أدق تصوير حينما قال : " وكان الناس يقاسون شدة بحيث بلغني أن بعض الناس جلب شاة فلم تساو المقدار المقرر عليها فسمح به في ذلك فلم يقبل منه فأزال الله هذا الباطل على يد الأمير يلبغا الخاصكي مدبر المملكة الشريفة في دولة الأشرف شعبان ".[4]

---

(١) دمامين أو دماميل من البلاد المصرية القديمة بمركز قوص وقد اختلف في مساحتها فبينما يذكر ابن الجيعان أن مساحتها ٢٥٨٩ فدان نجد أن ابن دقماق يذكر أن مساحتها ٢٦١٩ فدان.

أما في العصر الحاضر فتعرف بالمفرجيه نسبة الى الشيخ مفرج بن موفق بن عبد الله الدماميني المتوفى سنة ٦٤٨ هـ - أنظر:
ابن الجيعان : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية - نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٤م ص ١٩٣ ، أنظر أيضا : ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار (٢) ص ٣١ طبع بولاق ١٣١٠هـ/١٨٩٣م وأنظر أيضا :
محمد رمزى : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية - القسم الثاني ص ١٨٥.

(٢) ابن حبيب : تذكرة النبيه في أيام المنصور ونبيه جـ ٢ ص ١٢٥ وأنظر : الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٤٤ ، العقد الثمين جـ ١ ص ١٩٤ ، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ورقة ١٢٧ وأنظر : المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ٢٣٦ وأنظر : ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ نشر دار المعرفة - بيروت - لبنان ص ٣٩٠.

(٣) الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٤٩ ، العقد الثمين جـ ١ ص ١٩٥ ، ١٩٦ وأنظر: المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ٨٨٧ وأنظر أيضا : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ٣١٦ ، ٣١٧.

(٤) الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٤٩.

والفاسي يشير بذلك الى ما أبطله السلطان شعبان من مكوس بموجب هذا المرسوم الذى نحن بصدد دراسته والذى أصدره السلطان شعبان فى الثالث من جمادى الأولى سنة ٧٦٦ هـ وعوض أمير مكة بمبلغ مائة وستون ألف درهم فى كل سنة.(١)

ويذكر بعض الباحثين أن الفاسي قد أخطأ فى ذكر المبلغ الذى عوض به السلطان الأشرف شعبان أمير مكة وأن الفاسي لم يذكر سوى ثمانية وستين ألف درهم مع أن المبلغ الصحيح هو مائة وستون ألف درهم.(٢)

الا أنه بمراجعتى لبعض مؤلفات الفاسي التاريخية الأخرى فانى وجدته قد أورد المبلغ ايرادا صحيحا وهو مائة وستون ألف درهم.(٣)

كما أن كثيرا من مؤرخى مكة ممن اعتمد على مؤلفات الفاسي قد أورد المبلغ ايرادا صحيحا.(٤)

أما الخطأ الواضح فهو ما وقع فيه كل من المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) وابن تغرى بردى (٨٧٤ هـ) عند ذكرهم لهذا المبلغ فالمقريزى يشير الى رقم بعيد كل البعد عما ورد فى المرسوم اذ يذكر أن المبلغ الذى عوض به أمير مكة هو أربعين ألف درهم.(٥)

أما ابن تغرى بردى فقد أخطأ من ناحيتين الأولى أنه ذكر أن المبلغ هو مائتان وستون ألف درهم(٦) والثانية أنه أشار الى أن المكوس قد أسقطت سنة ٧٦٧هـ مع أنها أسقطت فى شهر جمادى الأولى سنة ٧٦٦ هـ كما أورده المرسوم موضوع الدراسة.(٧)

---

(١) أنظر سطر (١) ، (١٥) من نص المرسوم.

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٤٩ وأنظر :
أحمد السيد دراج : وثائق دير صهيون بالقدس الشريف ص ٨٨.

(٣) الفاسي : الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة - مخطوط - ورقة ١٣٥ ويحتمل أن يكون الخطأ الذى وقع فى شفاء الغرام للفاسي أثناء طبع الكتاب لأن النسخة المطبوعة منه مليئة بالأخطاء.

(٤) أنظر على سبيل المثال : ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٧٦٦ هـ ورقة ٩٢ ، الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٣١١ ، العصامي : سمط النجوم العوالى ج ٤ ص ٢٤٤ ، الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن بولاية بنى الحسن مخطوط ورقة ١٣ ، دحلان : خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام ص ٣٣.

(٥) المقريزى : السلوك ج ٣ ق (١) ص ٩٧.

(٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٣٤.

(٧) أنظر نص المرسوم : سطر (١).

ويستفاد من دراسة هذا المرسوم أن السلطان شعبان قد أبطل سائر المكوس التي كانت تؤخذ على جميع أصناف المأكولات الواردة الى مكة سواء كان ذلك عن طريق البر[(١)] . وكذلك ابطال المكوس عن كافة الحجاج والزوار والمقيمين والمارّين من بر أو بحر[(٢)] ولم يستثن هذا المرسوم سوى ثلاث طوائف هي : ١) تجار العراقيين ٢) كارم اليمن . ٣) وتجار الخيل[(٣)] وفي ذلك تصحيح لما أورده بعض المؤرخين والباحثين من أن اسقاط مكس الحاج في هذا المرسوم قد اقتصر على حجاج مصر والشام فقط باعتبارهم من رعايا الدولة المملوكية[(٤)] ، والواقع أن هذا الاسقاط قد شمل جميع فئات الحجاج دون استثناء[(٥)] .

واذا كان السلطان شعبان قد أبطل المكوس على هذه الصورة فانها عادت بدليل ما ذكره كثير من المؤرخين عن ابطال السلطان الظاهر ططر الجركسي سنة ٨٢٤ هـ للمكوس التي كانت على الخضر والفواكه بمكة وأن السلطان عوض أمير مكة عنها بألف (١٠٠٠) دينار وأن يعفي أمير مكة مما يدفعه لأمراء الحج حين وصولهم الى مكة[(٦)] . وكذلك فعل السلطان قايتباى سنة ٨٧٢ هـ وأمر بنقش ذلك على اسطوانة

---

(١) أنظر نص المرسوم سطر ٦ - ١٠ وأنظر نص حجة الوقف سطر ١٣ - ١٧ وأنظر أيضا : الفاسي : شفاء الغرام جـ٢ ص ٢٤٩ والعقد الثمين جـ١ ص ١٩٦ ، الزهور المقتطفة ورقة ١٣٥ وأنظر : المقريزي : السلوك جـ ٣ ق (١) ص ٩٨ وأنظر أيضا ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٧٦٦ هـ ورقة ٩٢ .

(٢) أنظر نص المرسوم سطر ١٠ ، ١١ ونص حجة الوقف سطر ١٢ ، وأنظر أيضا : الفاسي : شفاء الغرام جـ٢ ص ٢٤٩ ، المقريزي : المصدر السابق جـ٣ ق (١) ص ٩٨ .

(٣) أنظر نص المرسوم سطر ١١ ، ١٢ وأنظر نص حجة الوقف سطر ٢١ وأنظر أيضا : الفاسي : شفاء الغرام جـ٢ ص ٢٤٩ وأنظر أيضا : المقريزي : المصدر السابق نفس الجزء والصفحة وأنظر أيضا : ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٧٦٦هـ ورقة ٩٨ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين جـ٦ ص ٦٩ ، ٧٠ وأنظر : علي بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ص ١٦٤ وأنظر : أحمد السباعي : تاريخ مكة - الطبعة الرابعة ص ٢٨٢ وأنظر : د . محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ص ١٢٧ .

(٥) أنظر نص المرسوم سطر ١٠ ، ١١ .

(٦) الفاسي : العقد الثمين جـ١ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ وأنظر : ابن حجر : أنباء الغمر جـ ٣ تحقيق د . حسن حبشي ص ٢٥٣ ، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٢٤هـ ورقة ١٨٠ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٧٥ . وعن ترجمة السلطان الظاهر ططر أنظر : ابن حجر : المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ وأنظر أيضا : السخاوي : الضوء اللامع جـ ٤ ص ٧ ، ٨ .

من أساطين باب السلام بالحرم المكي الشريف .[(١)]

ونستطيع من خلال هذا الاستعراض للمكوس والمراسيم التي صدرت بابطالها نلاحظ أن تاريخ ابطال المكوس يرجع في معظم الأحيان الى بداية ونهاية عهود معظم هؤلاء السلاطين استجلابا لرضاء الله والناس وأنها تنتهي بصيغة تقليدية عامة هي تقرير ابطال هذه المظلمة ابطالا مستمرا على الدوام باقيا على مر الدهور والأيام وتنزل لعنة الله والناس أجمعين على كل من يجددها أو يسعى في تجديدها[(٢)] كما أن هناك ظاهرة عامة نخرج بها من استعراض تاريخ هذه المكوس وهي أنه يبطلها أو يعمل على ابطالها الحكام العادلون ثم تعود على يد الظالمين مدفوعين بشهوة الطمع تارة وبدعوى الحاجة تارة أخرى .[(٣)]

أما مصير هذه المراسيم التي نقشت على أساطين الحرم المكي الشريف فانه على الرغم مما كانت تتعرض له من قبل أمراء مكة الذين كانوا يعمدون في كثير من الأحيان الى اخفاء معالمها فيكسونها بعجينة من الجبس حتى لا يظهر أثرها[(٤)] الا أنها وجدت في بعض الأحيان من يعتني بها ويقوم بتنظيفها وصقلها مثل ما فعله الشيخ محمد بن سليمان المغربي سنة ١٠٨٠ هـ فتبدو ظاهرة للعيان .[(٥)]

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٧٢ هـ ورقة ٣١٩ وأنظر :
ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٠ وأنظر أيضا : العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٤٣ وأنظر أيضا : السنجاري : منائح الكرم ورقة ٢١٣ .
(٢) أحمد دراج : وثائق دير صهيون بالقدس الشريف ص ٩٣ .
(٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٦٩ .
(٤) محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ص ٩٧ .
(٥) السنجاري : منائح الكرم ورقة ٣٦٦ .

واذا كانت هذه النقوش قد وجدت من يعتني بتنظيفها ودهنها الا أنها تأثرت كثيرا بسبب ما كانت تتعرض له من طمس واخفاء فقد رأيت بعض هذه المراسيم في حالة يصعب تصويرها وقراءتها وأصبحت باهتة جدا وأرجو أن تتاح لي فرصة أستطيع معها القيام على دراسة هذه المراسيم وتحليل محتوياتها رغم اختفاء كثير من معالمها .

ورد في النص عبارة : " تجار العراقيين "

وهي احدى الفئات التى لم ترفع عنها المكوس التى أبطلها السلطان شعبان في مرسومنا هذا موضوع الدراسة. وربما كان السبب في ذلك هو أن العراق قد وقع تحت الاحتلال المغولي منذ سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) واحتل المغول بغداد عاصمة الخلافة العباسية وتقدمت جحافلهم الى بلاد الشام وأصبح خطرهم يهدد كافة العالم الاسلامي الأمر الذى أحدث هزة عنيفة في العالم الاسلامي كله بصفة عامة وفي مصر المملوكية بصفة خاصة فأعد المماليك العدة لمقاومة الغزو المغولى فكانت موقعة عين جالوت الشهيرة بين المماليك والمغول سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م).[١] بل ان الغزو المغولي للعراق قد أدى الى قفل الطريق التجارى عبر الخليج فبغداد فدمشق مما أثر تأثيرا بالغا في المركز التجارى لموانىء الشام المملوكية.[٢]

كما أن المغول حاولوا الاستيلاء على الحجاز سنة ٧١٥ هـ حينما استعان بعض الأشراف بالمغول ضد الدولة المملوكية في زمن الناصر محمد بن قلاوون مما جعل السلطان المملوكي يرسل جيشا لمكة لتأديب أميرها حميضه الذى حاول الاستعانة بالمغول.[٣]

ورد في النص عبارة : " كارم اليمن "

وهي الفئة الثانية التى لم تلغ عنها المكوس التى أبطلها السلطان شعبان في هذا المرسوم المؤرخ بعام ٧٦٦ هـ .

ويبدو أن السبب في ذلك يعود الى أن اليمن كان القطر المنافس لمصر في

---

(١) فايد أحمد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى - طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٤م ص ٥
(٢) سعيد عاشور : الحروب الصليبية ج ٢ الطبعة الثانية - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧١م ص ١٢٦٣.
(٣) فايد عاشور : المرجع السابق ص ١٨٥.

سبيل السيطرة على الحجاز منذ قيام الدولة الرسولية باليمن سنة ٦٢٧ هـ .[١]

ويمكن أن يكون السبب هو أن غالب هؤلاء التجار هم من أتباع المذهب الشيعى بدليل ما تذكره كثير من الوثائق التى أمدتنا بمعلومات قيمة عن العداء الشديد بين السنة والشيعة حتى فى معرض العمل الخيرى ويؤيد ذلك ما رآه المؤرخ محمد بن اياس الحنفى حينما حج سنة ٨٨٣ هـ[٢] . بل ان هناك بعض الوثائق التى اشترطت ضمن وقفها أن لا يسكن الرباط بمكة أو المدينة الا أهل السنة الفقراء دون الروافض والشيعة فلا يعطى لأحد منهم حجرة وان كانت خاوية خالية .[٣]

وربما كان السبب أيضا أن رئاسة تجار الكارمية قد انتهت فى كثير من الأحيان الى ممن ينتمون الى المذهب الشيعى[٤] كما يمكن أن يكون السبب أيضا فى فرض المكوس على تجارة الكارم هو ماكان يحصل عليه هؤلاء التجار من أرباح طائلة أراد سلاطين المماليك أن يستفيدوا منها ولو بفرض المكوس وليس أدل على ضخامة هذه التجارة وما تدره من أموال من أن سلاطين المماليك أنفسهم كانوا يقترضون من تجار الكارم كما فعل السلطان الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١ هـ) ومن جاء بعده .[٥]

أما عن لفظ " الكارم " الوارد فى المرسوم فيقال الكارم والآكارم والكارمية ومفرده كارمى .[٦]

والواقع أنه لم يصلنا حتى الآن تفسير جازم لهذا اللفظ لأنه ليست هناك كلمة فى اللغة العربية بهذا المعنى .

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية جـ١ ص ٤٩ وما بعدها وأنظر : الفاسي : العقد الثمين جـ ٦ ص ٣٢٩ ومابعدها ، يحيى الحسين بن القاسم : غاية الأمانى فى أخبار القطر اليماني - تحقيق : سعيد عاشور - طبع دار الكاتب العربى - القاهرة ١٣٨٨ هـ ص ٢٥ ، ٢٦ . وأنظر : على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ص ٢٥ - ٢٩ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٤٥ وأنظر : عبد اللطيف ابراهيم على : " وثائق الوقف على الأماكن المقدسة " مصادر تاريخ الجزيرة جـ ٢ ص ٢٥٣ .

(٣) عبد اللطيف ابراهيم علي : المرجع نفسه ص ٢٥٣ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٦ ص ٣٥٣ .

(٥) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق (١) ص ١٠٣ ، جـ ٢ ق (٣) ص ٨٦٩ .

(٦) المقريزى : السلوك جـ ١ ق (٣) ص ٨٩٩ حاشية (٢) .

وقد تعددت محاولات تفسير هذه الكلمة فقد رجح القلقشندى أن هذه الكلمة نسبة الى الكانم وهي منطقة السودان الغربى التى تقع بين بحر الغزال وبحيرة تشاد وأن هذه الكلمة أطلقت على طائفة من السودان كانت تقيم بمصر للتجارة فى البهار والفلفل والقرنفل ونحوها مما يجلب من الهند واليمن فعرف ذلك بهم (١).

أما الأستاذ ليتمان فيفترض أن هذا الاسم قد أخذ عن متاجرهم نفسها اذ وجد أن كلمة Kuararima وهى لفظة أمهرية تفيد معنى الحبهان (الهيل) وهو أحد التوابل التى اشتغلوا بالاتجار فيها ثم صحفت هذه الكلمة وأصبحت "كارم" وأطلقت على هؤلاء التجار (٢).

وهناك تفسير آخر مفاده أن كلمة كارم كانت تطلق على تجار الحضارم واليمن لأنهم كانوا الواسطة فى نقل البضائع الهندية من البهار وخلافه ثم أصبحت كلمة عامة تطلق على كل من اشتغل بتجارة التوابل ولو كانوا مصريي الأصل (٣).

وقد قامت دراسات عن نشأة الكارم من أهمها تلك الدراسة التى قام بها المستشرق جواتين Goutin من واقع وثائق الجنيزه وأثبت فيها نشاط تجار الكارم فى عهد الفاطميين مؤكدا بذلك ما أورده القلقشندى فى حديث عابر عن نشاطهم فى ذلك العهد (٤).

كما أورد جواتين تفسيرا آخر مفاده أن أصل هذه الكلمة ليس عربيا ولكنه هندى لأن لغة جنوب الهند توجد بها كلمة كاريام Karyam ويقصد بها الأعمال أو الأشغال ، ولما كانت أعمال أهالي الساحل الغربى من الهند مع الشرق الأوسط تتعلق بالتجارة فمن المحتمل أن يكون أصحاب السفن أو التجار الذين عملوا فى ذلك

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٢ وأنظر :
عطيه القوصي : تجارة مصر فى البحر الأحمر ص ١٠١ .
(٢) صبحي لبيب : "التجارة الكارمية" ـ مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية مجلد ٤ ـ العدد الثانى ـ مايو ١٩٥٢م ص ٦ .
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١١ ص ١٣٢ حاشية (٢) .
(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٠ وأنظر :
عطيه القوصي : "أضواء جديدة على تجارة الكارم" مجلة الجمعية المصرية التاريخية العدد ٢٥ سنة ١٩٧٥م ص ٢٥ .

الحضمار قد عرفوا أو أطلق عليهم أهالي الهند هذا الاسم.[1]

ومع كل هذا فان هناك تفسيرا جديدا أورده الأستاذ الشاطر بصيلى فى مقال له عن الكارمية وهو أننا لوقسمنا لفظ " كارم " الى قسمين لوجدناه يتألف من كار بمعنى الحرفة أو العمل أو التجارة أو الوظيفة و يم بمعنى المحيط أو البحر البعيد الشواطىء أو النهر الكبير ثم سقط حرف الياء من كاريم فأصبحت الكلمة كارم وأن معنى هذه الكلمة حسب هذا التفسير هو حرفة التجارة فى البحار.[2]

وكانت شهرة الكارمية قد اتضحت منذ عهد الدولة الفاطمية بدليل أن المقريزى حين تحدث عن وصول الكارمية من عدن الى مصر فى شهر ربيع الأول سنة ٥٧٧ هـ لم يقدم تعريفا لهم وفى ذلك اشارة الى ما كان لهم من شهرة بحيث لا يحتاجون الى تعريف.[3]

كما أشار القلقشندى أيضا الى أن الفاطميين قد أعدوا أسطولا بعيذاب[4] يلتقى بالكارم فيما بين عيذاب وسواكن وما حولها خوفا عليهم من قوم كانوا بجزائر بحر القلزم هناك يعترضون المراكب فيحميهم الأسطول منهم.[5]

---

(١) عطيه القوصى : أضواء جديدة على تجارة الكارم ص ٢٥ .

(٢) الشاطر بصيلي : " الكارمية " - مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية مجلد ١٣ ١٩٦٧م ص ٢١٧ - ٢٢١ . وأنظر :
القوصي : تجارة البحر الأحمر ص ١٠٢ وأضواء جديدة على تجارة الكارم ص ٢٥ .

(٣) المقريزى : السلوك ج ١ ق (١) ص ٧٢ وأنظر :
القوصي : تجارة البحر الأحمر ص ١٦٩ .

(٤) عيذاب : هي فرضة لتجار اليمن والحجاج الذين يتوجهون من مصر فى البحر فيركبون من عيذاب الى جدة وقد اختلف فى تبعية هذا الميناء فالبعض يرى أنه من حدود مصر وهو الأرجح لأن الولاية فيه من مصر وبعضهم يجعله من بلاد البجه والبعض الآخر يجعله من بلاد الحبشة . أنظر :
ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار - القسم الثاني - طبعة بولاق ١٣١٠ هـ ١٨٩٣ م ص ٣٥ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٠ . وأنظر :
صبحى لبيب : التجارة الكارمية ص ٧ .

وقد تحدثت وثائق الجنيزه[١] عن الكارميه ووصفتهم بأنهم فئة من كبار التجار اشتغلوا باحتكار تجارة الهند والشرق الأقصى من التوابل وغيرها من السلع الأخرى وكان مركز نشاطهم الأول فى المحيط الهندى وبحر الحجاز اللذان يمثلان السوق التجارى الكبير الذى تتجمّع فى موانئه سلع الشرق الأقصى والهند وغيرهما .[٢]

والوا أن الكارميه هي أول هيئة تجارية اسلامية تتحكم فى أهم تجارة عالمية فى ذلك الوقت وهي تجارة التوابل وسلع الشرق والتى كانت موانىء اليمن ومدن الحجاز ومصر أهم أسواقها التى تصدر عن طريقها الى الغرب الأوروبى .[٣]

وكانت مدن الحجاز ولاسيما ميناء جدّه من أهم مراكز تجارة الكارمية فى العصور الوسطى ولاسيما فى موسم الحج حيث تصل الى مكة وجدّه أفواج الحجاج والتجار من بلدان الاسلام المختلفة حيث تعقد الصفقات التجارية الكبرى .[٤]

وقد أشار ابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٢ هـ) الى ضخامة تجارة الكارمية بمكة ومنى وكثرة بضائعهم مما جعلهم يستأجرون بيوتا أو منازل بهما لوضع بضائعهم وأن هذه البيوت أو المنازل كانت تكرى بأجر طائلة .[٥]

ولذلك فانه لاغرابة اذا رأينا سلاطين المماليك يفرضون المكوس والضرائب على هذا النوع من التجارة فكان لهؤلاء السلاطين مراكز فى الحجاز تجبى فيها هذه

----

(١) الجنيزه Geniza كلمة عبرية مثل الكلمة العربية جنازة مشتقة من الكلمة الفارسية جنك بمعنى خزانة وفى العصور الوسطى أطلقت كلمة جنيزة على تلك الحجرة التى كان اليهود يخزنون فيها أوراقهم الخاصة من خطابات وايصالات وعقود وخلافه . . أنظر: حسنين محمد ربيع : " وثائق الجنيزه وأهميتها الدراسة التاريخ الاقتصادى" ـ مصادر تاريخ الجزيرة جـ ٢ ص ١٣٢ .

(٢) حسنين محمد ربيع : وثائق الجنيزة ص ١٣٦ وأنظر:
عطية القوصي : تجارة مصر فى البحر الأحمر ص ٩١ .

(٣) صبحي لبيب : التجارة الكارمية ص ١٥ وأنظر:
على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ص ١٥٩ .

(٤) صبحى لبيب : المرجع السابق ص ١٩ وأنظر:
حسنين ربيع : وثائق الجنيزة ص ١٣٤ .

(٥) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار جـ ١ تحقيق : أحمد زكى باشا ـ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٤ م ص ١١٥ .

المكوس مثل بدر وحنين والعقبة وغيرها [1].

ولو تتبعنا مراحل تطور التجارة الكارمية على مدى العصور الوسطى - وأهمية مدن الحجاز بالنسبة لهذه التجارة وما كانت تدرّه من أرباح طائلة جعلت سلاطين المماليك يحتكرون هذه التجارة لأنفسهم فيما بعد ويفرضون عليها أعلى المكوس مما ليس له علاقة بموضوعنا - لطال بنا الحديث الا أنه يجب أن نشير الى أن السلطان برسباى الجركسي (ت ٨٤١ هـ) هو أول من احتكر مكوس تجارة جدة لنفسه منذ عام ٨٢٩ هـ وأصبحت نيابة جدّه منذ ذلك الوقت وظيفة سلطانية [2]. وتبعه في ذلك من جاء بعده من السلاطين من أمثال السلطان جقمق (ت ٨٥٧ هـ) وقايتباى (ت ٩٠١ هـ) والغورى (ت ٩٢٢ هـ) [3] بل واستمر أخذ المكوس من التجار فى جدّه طوال العصر العثمانى [4].

ووَرد فى النص كلمة " درهم "

دون تحديد لنوع هذا الدرهم [5] الا أن حجة الوقف الخاصة بالسلطان شعبان قد حددت نوعه بالدرهم النقره [6].

---

(١) ابن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ص ١٠٨ ، وأنظر: نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م ص ٢٧٩ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ ٤ ق (٢) ص ٧٠٧ وأنظر:
ابن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ١٤ وأنظر أيضا :
ابن حجر : أنباء الغمر جـ ٣ ص ٤٢٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٤ ص ٢٧١ ، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٢٩هـ ورقة ١٩٢ ، ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان جـ ٣ ص ٣٠٢ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ ٤ ق (٣) ص ١١٨٧ وأنظر: ابن تغرى بردى : النجوم جـ ١٥ ص ٣٣٨ وحوادث الدهور ص ٤٥٥ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ص ٤٥٢ ، جـ ٤ ص ٤٤ ، ٤٥ ، الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٣٣٨ ، العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٢٧٧ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٠٨ ، ٢١٣ .

(٤) الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٢٨ وأنظر: العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٣٩٢ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٣٠٢ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٦٩ ، باسلامه : تاريخ الكعبة المعظمة ص ٩٥ ، أحمد السباعى : تاريخ مكة ص ٤٥٣ .

(٥) أنظر نص المرسوم سطر (١٥) .

(٦) أنظر نص حجة الوقف سطر (٨) .

وقد عرف القلقشندى الدراهم النقره بقوله " وأصل موضوعها أن يكون ثلثاها من فضة وثلثها من النحاس وتطبع بدور الضرب بالسّكه السلطانية على نحو ما تقدم فـــى الدنانير . . . ".[1]

أما المقريزى فقد أشار اليها بقوله : " وهي التى أدركنا الناس يتعاملون بهـا ثلثيها من فضة والثلث نحاس يضاف على المائة من الفضة الخالصة خمسون درهما مـن النحاس".[2]

وكانت هذه الدراهم تعرف أيضا بالكاملية نسبة الى الملك الكامل محمد بـــن الملك العادل حيث أمر بضربها في شهر ذى القعدة سنة ٦٢٢ هـ .[3]

وقد راجت هذه الدراهم فى بقية دولة بنى أيوب ثم فى عهد دولة المماليـــك الأولى رواجا قل الذهب بالنسبة اليها وصارت المبيعات الجليلة تباع وتقوم بها واليها تنسب أثمان المبيعات . . . وبها يؤخذ خراج الأرضين وأجرة المساكن وغير ذلك .[4]

وقد احتفظت هذه الدراهم بنسبتها التى أشار اليها كل من القلقشنـــــدى والمقريزى وهى (٣/٢) وهو ما يساوى ٩٨٣ و ١ جرام) حتى نهاية القرن الثامن الهجرى (١٤م) وتراوح صرف الدينار الذهب من عشرين الى ثلاثين درهما نقــره الا أنه مع أوائل القرن التاسع الهجرى (١٥م) حدث انهيار اقتصادى فمنذ سنـــة ٨٠٠ هـ صار الدرهم لا يحوى أكثر من $\frac{١}{٣}$ معدنه فضه فانقطع ضرب الدراهم النقـرة وحلت محلها دراهم البندقية منذ سنة ٨١٨ هـ .[5]

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٣٩ .

(٢) المقريزى : اغاثة الأمة بكشف الغّمه ـ تحقيق : محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ـ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٥ .

(٤) المصدر نفسه ص ٦٦ .

(٥) عبد الرحمن فهمي محمد : النقود العربية ماضيها وحاضرها ـ المكتبة الثقافية ـ رقم ١٠٣ ـ طبع المؤسسة العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة ص ٩١ ، ٩٢ .

ومهما يكن من أمر هذه الدراهم فانه لابد من معرفةمقدار المبلغ الذى عوض به السلطان شعبان أمير مكة بسبب الغاء المكوس وهو مائة وستون ألف درهم على أساس الدنانير الذهبية باعتبارها قاعدة النقد وعلى أساسها تقدر قيم النقود الأخرى خاصة اذا علمنا أن قيمة الدينار الذهب فى سنة ٧٦٦ هـ - وهى السنة التى أسقط السلطان شعبان فيها المكوس بمكة - بالنسبة للدراهم النقره تساوى = ١ : ٢٠ بحيث يصرف كل دينار بعشرين درهما من الدراهم النقره[١] .

وعلى هذا الأساس يكون المبلغ بحساب الدنانير الذهبية هو :

$$١٦٠٫٠٠٠ \div \frac{١}{٢٠} = ٨٠٠٠$$ آلاف دينار .

وقد أورد كل من الفاسي[٢] وابن فهد[٣] مقدار المكوس التى كانت تؤخذ على المأكولات الواردة الى مكة وهي :

مدّ حب جدّى (نسبة الى جدّه) وهو مدّان مكيان[٤] عن كل

----

(١) المقريزى : السلوك جـ ٣ ق (١) ص ٩٨ وأنظر:
سامح عبد الرحمن فهمي : القيم النقدية فى الوثائق المملوكية - طبع المكتبة الفيصلية بمكة ١٤٠٤ هـ ص ٢٤٦ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٤٩ .

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٩٢ .

(٤) المدّ : مأخوذ من اللاتينية Modius أو Modium وهو مكيال كان يستخدم عند الرومان للسوائل والجوامد ويختلف باختلاف البلدان والأزمان وجمعه أمداد ومدده أنظر :
سامح عبد الرحمن فهمي : المكاييل فى صدر الاسلام - طبع المكتبة الفيصلية بمكة ١٤٠١ هـ ص ٣٠ ، ٣١ ، والمدّ ربع الصاع لأن الصاع = $٥ \frac{١}{٣}$ رطل بغدادى والمدّ يساوى $١ \frac{١}{٣}$ رطل وهو ما اتفق عليه أهل الحجاز وهو مكيال شرعي عرف منذ فجر الاسلام وشاع استعماله أصلا فى المدينة المنورة ومنها انتقل الى سائر الأقطار الاسلامية . أنظر:
ابن الرفعة : الايضاح والتبيان فى معرفة المكيال والميزان - تحقيق : محمد الخاروف - طبع مركز البحث العلمي - جامعة أم القرى ١٤٠٠ هـ ص٦٣ ، ٦٤ وأنظر:
سامح عبد الرحمن فهمي : المكاييل فى صدر الاسلام ص ٢٦ - ٢٨ ، ٣١ .
وقد اختلف فى مقدار الرطل فقيل انه $١٢٨ \frac{٤}{٧}$ درهما وقيل ١٣٠ درهما وهو ما رجحه ابن الرفعة وبذلك فان المدّ يساوى $١٣٠ \times ١ \frac{١}{٣} = ١٧٣٫٣٣$ جرام أنظر: ابن الرفعة : الايضاح والتبيان ص ٦٥ ، ٦٨ حاشية (١) .

حمل[1] يصل من جدّه ومد مكي وربع عن كل حمل يصل من جهة الطائف وبجيله[2] وثمانية دراهم مسعودية[3] على كل حمل من التمر اللبان الذى يصل الى مكة وثلاثة دراهم مسعودية على كل حمل تمر محشي وستة دراهم مسعودية على كل شاه تصل الى مكة وسدس وثمن ما يباع بمكة من السمن والعسل والخضر وذلك بأن يقدر ثمنها فاذا عرف أخذ على كل خمسة دنانير درهم مسعودى ويؤخذ أيضا درهم مسعودى على سلة التمر اذا بيعت فى السوق من التمار الذى باعها كما يؤخذ على ما بيع فى

---

(١) الحمل : يقصد به حمل البعير وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم فى سورة يوسف فقال تعالى: " ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردّت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردّت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير " سورة يوسف ، آية (٦٥) وقال تعالى : " قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم " سورة يوسف ، آية (٧٢) .

وحمل البعير هو الوسق وهو يساوى ستون صاعا ويعادل ١٩٤/٣ كجم من القمح ـ أنظر:

سامح عبد الرحمن فهمى : المرجع السابق ص ٢٣ حاشية (٢) .

(٢) بجيله : بفتح الباء وكسر الجيم وسكون الياء هي منطقة فى سراة بنى مالك وتعرف قديما بسراة بجيله الا أن الاسم اقتصر على منطقة بالقرب من جبل بثره فيها قرى عديدة ومدارس ومصالح حكومية . . . وهي ذات مناظر جميلة وجبالها مغطاة بالأشجار وهي كثيرة المياه وسكانها الآن فرع من قبيلة بجيله ويعرفون ببنى مالك أنظر :

عاتق بن غيث البلادى : معجم معالم الحجاز ج ١ ـ الطبعة الأولى ـ مطبوعات نادى الطائف الأدبى ١٣٩٨ هـ ص ١٧٨ .

(٣) الدراهم المسعودية نسبة الى الملك المسعود بن الملك الكامل الأيوبى صاحب مكة واليمن المتوفى بمكة سنة ٦٢٦ هـ وهو الذى أمر بضرب هذه الدراهم واليه تنسب وقد ضربت هذه الدراهم من فضة خالصة مربعة الشكل وكان وزنها النصف ثم نقص الى السدس وهو يساوى $\frac{1}{3}$ درهم كاملي نقره .

وقد اشتبه الأمر على الفاسي عند ما ذكر هذه الدراهم فى المكوس بلفظ دنانير ولكنه استدرك خطأه فى العقد الثمين حينما ترجم للملك المسعود الآمر بضرب هذه الدراهم ـ أنظر: شفاء الغرام ج ٥ ص ٢٤٩ ، العقد الثمين ج ٧ ص ٤٩٢ ، ٤٩٥ وقد تحدث القلقشندى عن الدراهم المسعودية هذه وأشار الى أن كثرتها بمكة ترجع الى ما يؤخذ من التجار الواردين الى مكة من اليمن والهند وذلك عند ما تحدث عن المعاملات بمكة ـ أنظر : القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ وأنظر أيضا : عائشة باقاسي : بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى ـ منشورات نادى مكة الثقافي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ص ٧٦ ، سليمان عبد الغنى مالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ـ طبع دارة الملك عبد العزيز ـ الرياض ١٤٠٣ هـ ص ١٠٥ .

السوق من غير ذلك[1] .

وقد ورد فى النص عدة ألقاب تحدثنا عن بعضها فى نص سابق مثل لقب السلطان والناصر والملك[2] .

كما ورد هنا لقب " المالك "

والمالك خلاف المملوك وهو من الألقاب الملكية فى العصر الاسلامي وربما كان أقدم استعمال له فى النقوش اطلاقه على ظهير الدين طغتكين فى نص انشاء مؤرخ بسنة ٥٠٦ هـ في مسجد عمرو ببصرى كما شاع استعماله فى عصر المماليك[3] .

وعلى الرغم من أن الدكتور حسن الباشا قد أورد مثالا لهذا اللقب فى عصر المماليك من واقع نص انشاء مدرسة السلطان شعبان المؤرخ بعام ٧٧٠ هـ الا أن هذا اللقب قد ورد قبل ذلك كما هو الحال فى نص مرسوم السلطان شعبان نفسه موضوع الدراسة المؤرخ بعام ٧٦٦ هـ[4] .

ويلاحظ أن لقب " السلطان الملك المالك الأشرف " يدل على أن صاحبه مالك وليس بمملوك وورد فى كثير من وثائق سلاطين المماليك كما يوجد منقوشا على عمائرهم[5] .

وورد فى النص لقب " الأشرف "

وهى أفعل التفضيل من شريف بمعنى عال وهو من ألقاب التوابع المتفرعة على الألقاب الأصول وهو أعلاها فى مصطلح الألقاب فى العصر المملوكي ودونه الشريف ثم الكريم ثم العالي ثم السامي ويعلل دارسوا المصطلح هذا الترتيب تعليلا لغويا مبنيا على المعنى فيقولون ان " أشرف " أرفع من شريف لأن أشرف أفعل تفضيل

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٤٩ ، ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٩٢ .
(٢) أنظر ص ٢٧ وما بعدها من هذه الرسالة .
(٣) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار - الطبعة الثانية - دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٨م ص ٤٤٤ .
(٤) أنظر النص موضوع الدراسة سطر (٢) .
(٥) عبد اللطيف ابراهيم علي : دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغوري - رسالة دكتوراة - لم تطبع - جامعة القاهرة ١٩٥٦م جـ ٢ص ١ حاشية (٢٤) .

ولذا فهو يقتضي الترجيح كما هو مقرر في علم النحو.[١]

ونظرا لعلو هذا اللقب فانه يتفرع على أعلا الألقاب الأصول وهي : المقام والمقر وكانا يستعملان للسلاطين ومن يقاربهم في الرتبة.[٢]

وقد استعمل الأشرف لقبا خاصا لعدد من سلاطين المماليك ومن بينهم السلطان الأشرف شعبان فى نصنا هذا موضوع الدراسة.[٣]

وفى آواخر عصر المماليك أثار لقب الأشرف بعض المشكلات فقد حدث بعد وفاة السلطان قايتباى (ت ٩٠٢ هـ) وتولية ابنه محمد وتلقيبه بالسلطان الناصر أن احتج مماليك أبيه الأشرفيه وطالبوا بأن يغير السلطان لقبه الى الأشرف حتى ينتسبوا اليه وتنضم اليهم مماليكه الخاصة الناصرية فرضخ لبعض هذه المطالب خوفا من الفتنة.[٤]

ويلاحظ أنه أضيفت الى هذا اللقب ياء النسبة فجاء لقب " الأشرفي ". الذى اشتق من لقب الأشرف .

ورد فى النص لقب " سلطان الاسلام والمسلمين "

وقد تحدثت عن لقب السلطان[٥] أما لفظ السلطان مضافا الى بعض التراكيب فانه قد ورد ليعطي صفة دينية اسلامية اذ تجعله المسلم الأول الذى اختاره الله لتأييد الاسلام والانتصار للمسلمين وقد جاء هذا اللقب ومترادفاته كأثر لتخلي الخلفاء عن حماية الدين لرجال الدولة من السلاطين وقد ظهرت الحاجة الى ذلك بعد هجمات الصليبيين وأخذت الأنظار تتحول الى السلاطين عندما انبرى هؤلاء السلاطين

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ١٦٠، ١٦١.
(٢) المرجع نفسه ص ١٦١.
(٣) المرجع نفسه ص ١٦١ وأنظر النص موضوع الدراسة سطر (٢) .
(٤) المرجع نفسه ص ١٦١.
(٥) أنظر ص ٢٧، ٢٨ من هذه الرسالة .

لمناهضة الصليبيين مثل صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩هـ-٥٨٩هـ) الذى ظهر بصورة البطل المسلم الذى استرد مسرى النبى صلى الله عليه وسلم (المسجد الأقصى) من أيدى الصليبيين سنة ٥٨٣ هـ فظهر هذا اللقب لأول مرة كنعت خاص للسلطان صلاح الدين الأيوبي فى نص انشاء مؤرخ بعام ٥٧٦هـ فى قلعة القاهرة.(١)

أما فى العصر المملوكي فقد ظهر هذا اللقب بعد أن اتجهت أنظار المسلمين الى سلاطين المماليك كحماة للدين الاسلامي بعد سقوط الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ وهم الذين ورثوا عن الأيوبيين مهمة اجلاء الصليبيين عن بلاد الشام ثم استطاعوا أن يهزموا التتار فى موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ.(٢)

وورد فى النص لقب "محي العدل فى العالمين"

ولفظ محي كان يضاف اليه بعض كلمات لتكوين لقب مثل : محي السنة من ألقاب العلماء والصلحاء فى عصر المماليك ومحي الدولة ومحي الدين وغيره .

وأما محي العدل فى العالمين(٣) فقد أطلق على السلطان الأشرف شعبان فى نصنا هذا المؤرخ بعام ٧٦٦ هـ وهو يسبق النص الذى أورده الدكتور حسن الباشا لنفس السلطان كمثال للقب والمؤرخ بعام ٧٧٠ هـ.(٤)

وورد فى النص لقب "الشهيد"

وهو فى اللغة الشاهد وقد وردت صيغة الشهيد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا"(٥) ومعنى الشهيد أيضا : المقتول فى سبيل الله واستعمل أيضا للمقتول ظلما وربما أطلق اللقب أيضا بمعنى الشهادة على الناس.(٦)

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٣١.
(٢) المرجع نفسه ص ٣٣٢.
(٣) أنظر النص موضوع الدراسة سطر (٣) .
(٤) حسن الباشا : المرجع السابق ص ٤٦٣، ٤٦٤.
(٥) سورة البقرة ، آية ١٤٣.
(٦) حسن الباشا : المرجع السابق ص ٣٦٣.

وقد عرف هذا اللقب في العصر المملوكي وربما كان هذا النص موضوع الدراسة المؤرخ بعام ٧٦٦ هـ من أوائل النصوص التي ورد بها هذا اللقب .[1]

ورد في النص لقب " الأمجد "

وهو في اللغة مأخوذ من المجد وهو في اللغة الكرم[2] وربما كان نصنا هذا موضوع الدراسة من النصوص القليلة التي ورد بها هذا اللقب فلم أجد له مماثلا في نصوص أخرى .

ورد في النص لقب " جمال الدنيا والدين "

وقد ورد لفظ جمال مضافا لبعض الكلمات فجاء لقبا مركبا مثل جمال الدولة وجمال الدين والدولة وجمال الدين وغير ذلك[3] .

أما لقب جمال الدنيا والدين فلم أجد له مماثلا فيما أورده الدكتور حسن الباشا مما يجعل هذا النص موضوع الدراسة من النصوص النادرة التي ورد بها هذا اللقب .

ورد في النص عبارة " العالية "

وهي مأخوذة من لقب العالي وأضيف اليه ياء النسبة وقد وردت النسبة هنا بالتأنيث لأنه سبقتها عبارة بالاشارة .

أما لقب العالي فهو من ألقاب التشريف فكان يوصف به أشياء على سبيل التشريف .

وفي عصر المماليك أطلق على متعلقات النائب الكافل أو النواب بالممالك الشامية في حين كان لقب الشريف يختص بمتعلقات السلطان فاذا كان الأمر صادرا من نائب السلطنة بمصر كان يكتب " بالاشارة العالية الكافلية الفلانية أعلاها الله تعالى "[4] .

---

(١) أنظر النص موضوع الدراسة سطر (٣) ، (٤) .
(٢) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٤٥٤ .
(٣) المرجع نفسه ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .
(٤) المرجع نفسه ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

الا أن الملاحظ أن ألقاب نائب السلطنة فى هذا النص موضوع الدراسة قد زيد عليها عبارة " بالاشارة الكريمة " كما أنه لم يذكر العبارة الدعائية التى أوردها حسن الباشا[(١)] وهي عبارة " أعلاها الله تعالى " بل وردت عبارة دعائية أخرى هي : " أعز الله تعالى أنصاره "[(٢)] وهي من العبارات التى اختص بها السلاطين دون سواهم مما سيرد كثيرا فى نصوص لاحقة من هذه الرسالة وبعبارات مختلفة مثل " عز الله أنصاره " و " عز نصره " ولعل ذلك يدل على مدى ما بلغه الأمير يلبغا الذى سبق أن ترجمنا له فى الصفحات السابقة من قوة النفوذ .

ورد فى النص عبارة " المولوية "

وهى مأخوذة من لقب المولى وأضيف اليه ياء النسبة ، والمولى فى اللغة يطلق على السيد وعلى المملوك وعلى العتيق وعلى المنتسب الى قبيلة .[(٣)]

وفى العصر المملوكي صار لقب المولوى فضلا عن استعماله للسلاطين يرد ضمن ألقاب كبار رجال الدولة من الأمراء والمدنيين .[(٤)]

وقد اصطلح كتاب المماليك على وضع لقب المولوى فى سلسلة الألقاب قبل اللقب الدال على الوضع دلالة خاصة مثل " الأمير " و " القاضوى " فكان يقال مثلا " المقر الشريف العالي المولوى الأميرى " .[(٥)]

وجاء فى النص عبارة " الأميرية "

وهي مأخوذة من لقب الأمير وأضيف اليه ياء النسبة والأمير فى اللغة ذو الأمر والتسلط وهو لقب من ألقاب الوظائف التى استخدمت كذلك كألقاب فخرية .[(٦)]

ويرجع استعمال لقب الأمير فى الاسلام كاسم وظيفة الى عصر النبى صلى الله عليه وسلم حين كان يقصد به الولاية على الحكم أو رئاسة الجيش ونحو ذلك .[(٧)]

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٩١ .
(٢) أنظر النص موضوع الدراسة سطر (٦) .
(٣) حسن الباشا : المرجع السابق ص ٥١٦ .
(٤) المرجع نفسه ص ٥١٨ .
(٥) المرجع نفسه ص ٥١٩ .
(٦) المرجع نفسه ص ١٧٩ .
(٧) المرجع نفسه ص ١٨٠ .

كما استعمل لقب الأمير للدلالة على وظيفة ولاة الأمصار التابعة للخلافة الاسلامية كما تشير بذلك أقدم النقوش المعروفة فأطلق على عبد العزيز بن مروان في نقش مؤرخ بسنة ٦٩ هـ بالفسطاط.(١)

وفي العصر المملوكي استعملت النسبة منه وهي الأميرى كلقب فخرى وكذلك الأميرية للنائب الكافل من العسكريين ولنقيب الأشراف من المدنيين.(٢)

ورد في النص عبارة " الكبيرية "

وهي مأخوذة من الكبير وأضيف اليه ياء النسبة والكبير خلاف الصغير ويقصد به رفيع الرتبة وكثيرا ماكان يلحق لقب الكبير بلقب الأمير وكذلك الحال بالنسبة للكبيرى والأميرى حتى لقد أعتبرا وحدة لقبية واحدة.(٣)

وقد استعملت النسبة منه فقيل الكبيرى وكذلك الكبيرية كما هي في نصنا هذا وحكمها حكم اللقب المجرد وقد عني مقننوا الألقاب في العصر المملوكي بهذه الصفة في سلسلة الألقاب فوضعوها بعدلقب التمييز أى اللقب الدال على الوظيفة فكان يقال : " المقر العالي الأميرى الكبيرى "(٤) وقد وردت في هذا النص موضوع الدراسة كذلك بقوله : " بالاشارة الكريمة العالية المولوية الأميرية الكبيرية " .

ورد في النص عبارة " الكفيلية "

وهي مأخوذة من لقب الكفيل وأضيف اليه ياء النسبة فقيل الكفيلي والكفيل على وزن فعيل من الكفالة وهي الاعالة وكان لقبا لنائب السلطنة في عصر المماليك وكان يستعمل في حالة اضافته الى ياء النسبة كلقب فخرى في جميع المدلولات التي يستعمل فيها " الكافلي " غير أن الكفيلي أرفع رتبة من الكافلي لأنه يغلب عليه الاختصاص بنائب السلطنة ويعلل القلقشندى علو رتبة الكفيلي على الكافلي بأن صيغة فعيل أبلغ من صيغة فاعل كما هو مقرر في علم النحو.(٥)

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ١٨٠.
(٢) المرجع نفسه : ص ١٨٤، ١٨٥.
(٣) المرجع نفسه : ص ٤٣٦.
(٤) المرجع نفسه : ص ٤٣٦.
(٥) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٦ ص ٢٤، ٢٥ وأنظر: حسن الباشا : المرجع السابق ص ٤٣٩.

ولم أجد على حد علمي أى نص أثرى أورد صيغة " الكفيليه " سوى نصنا هـذا حيث أمدنا بوثيقة لقبية تكاد تكون فريدة [١].

أما صيغة " الكفيلى " فقد وردت فى نقشين أثريين مؤرخين بشهر رمضان سنة ٧٠٢ هـ فى عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون [٢].

ورد فى النص عبارة " الأتابكية " ولقب " أتابك العساكر "

ولفظ أتابك يتألف من كلمتين أو مقطعين تركيبين هما " أطا " بمعنى أب و" بك " بمعنى أمير وقيل ان معناها أمير أب أو الأب الأمير أو الولد الأمير وقد قلبت الطاء تاء فى الاستعمال ومن المحتمل أن تكون وظيفة الأتابك قد نشأت فى المجتمع التركمانى القديم متمشية مع نظمه الاجتماعية وعاداته وتقاليده وكانت مهمة الأتابك هي الوصاية على أولاد السلطان ورعايتهم وتربيتهم وكانت هذه الوظيفة مقصورة فى معظم الأحيان على الأمراء الأتراك ولم تعرف هذه الوظيفة بصفة رسمية الا فى سنة ٤٦٥ هـ وذلك حين فوض السلطان ملكشاه السلجوقي الى وزيره نظام الملك أمر تدبير المملكة ولقّبه بألقاب منها الأتابك [٣].

وكان الأتابك يتولى الحكم لاسيما اذا كان الأمير السلجوقي قاصرا وقد جرت العادة أن يتزوج بأمه حتى يقوّى من مركزه الأدبى [٤].

ويبدو أن الأتابك بمعنى الوصي كان معروفا فى بداية عصر المماليك غير أن وظيفة الأتابك لم تلبث أن صار لها دلالة أخرى فى هذا العصر اذا استخدمت على سبيل الاختصار للاشارة الى أتابك العساكر [٥].

---

(١) أنظر النص موضوع الدراسة سطر (٥)
(٢) حسن الباشا : الفنون والوظائف على الآثار العربية ج ٢ طبعة دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٦م ص ٩٧٦.
(٣) حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ج ١ ص ٣ .
(٤) المرجع نفسه ص ٥ .
(٥) المرجع نفسه ص ١١.

أما " أتابك العساكر " فقد تكررت على الآثار العربية ويقصد بها كبير العساكر أو رئيس العساكر بمعنى رئيس الجيش وترد هذه الوظيفة بصيغ مختلفة مثل " أتابك العساكر المنصورة " و " أتابك العساكر بالممالك الاسلامية " و " أتابك العساكر المنصورة بالديار المصرية " غير أن الصفة الرسمية هي " أتابك العساكر المنصورة " وصاحب هذه الوظيفة هو أشبه بالقائد العام للجيوش المملوكية .(١) وتعتبر هذه الوظيفة من أرقي الوظائف العسكرية بحضرة السلطان فى عصر المماليك ومتوليها أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل وربما وليها النائب الكافل نفسه .(٢)

أما الأتابكي فهو لقب أو اسم وظيفة يتألف من لفظة أتابك مضافا اليها ياء النسبة وتتحدد دلالة هذه الكلمة بحسب وضعها فى سياق سلسلة الألقاب فى النص أو الكتابة الأثرية بالنسبة للاسم فاذا وردت قبل الاسم كانت لقبا فخريا لصاحب الاسم جاء بصيغة المبالغة وينعت به أمير الجيوش ومن في معناه كالنائب الكافل ونحوه وأنه بالأتابك أخص . أما اذا جاء بعد الاسم فانه يصبح لقب نسبة يدل على تبعية الاسم الى أتابك .(٣)

ورد فى النص عبارة " السّيفيه "

وهي مأخوذة من اللفظ " سيف " الذى دخل فى تكوين كثير من الألقاب التى تحمل جميعها معنى من معاني القوة مثل سيف الاسلام وسيف الدولة وسيف الدين .(٤) ونظرا لأهمية هذا اللقب اجتهد مؤرخوا الألقاب فى بحثه وتصنيفه فذكروا أنه خاص بالعسكريين سواء كانوا من الترك أو من المولدين وذلك لمناسبته لحالهم من حيث رغبتهم فى الانتساب الى القوة والشدة كما ذكر أيضا أنه يتفق فى حالة العسكريين من الترك مع أسمائهم نفسها التى تحمل فى طياتها معنى القوة مثل يلبغا ومنلكي بغا وبي خجا وتغرى بردى وغيرهم .(٥)

---

(١) حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية جـ ١ ص ١٣، ١٤ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٤ .
(٣) المرجع نفسه ص ٢٢ .
(٤) المرجع نفسه ص ٣٤١ .
(٥) المرجع نفسه ص ٣٤٤ .

ومن لفظ السيف جاء لقب " السيفى " بعد اضافة ياء النسبة ويلاحظ أن لقب السيفى كثير الورود فى أسماء المماليك وكان لاستعماله وترتيبه بالنسبة للاسم دلالة على معاني اصطلاحية مختلفة فاذا أتى لقب السيفي قبل الاسم كالسيفى يلبغا مثلا كان معناه أن لقب هذا الأمير سيف الدين واذا ورد بين اسمين مثل أرغون السيفي دمرداش كان معناه أن صاحب ذلك اللقب قد مات عنه سيده أو أستاذه ونقل الى ديوان السلطان لهذا كان من بين مماليك السلطان فرقة من المماليك اسمها السيفية تمييزا لها عن فرقة المماليك السلطانية المكونة من مماليك السلطان السابقين وفرقة المشتريات أو الأجلاب التى كان يشتريها لنفسه [١].

وورد فى النص لقب " نواب " جمع نائب

وهو اسم فاعل من ناب فقلبت الهمزة عن واو ويقال ناب فلان عن فلان ينوب نوبا اذا قام مقامه فهو نائب . والنائب هو من ينوب عن شخص آخر أعلى منه سواء فى أعماله فيقال نائب السلطان ونائب الوالي ونائب الرئيس وغيره [٢].

وقد استقرت وظيفة النائب فى عصر المماليك وتحددت درجاتها واختصاصاتها وألقابها وسائر متعلقاتها شأنها شأن غيرها من الوظائف فى ذلك العصر [٣].

وورد فى النص لقب " مباشروه " جمع مباشر

وقد ورد هذا اللقب على الآثار العربية بصيغ مختلفة فجاءت بصيغة الفاعل " مباشر " وبصيغة المصدر " مباشرة " والمباشر هو الموظف الذى يكلف بادارة العمل والاشراف على تنفيذه واجراء المبيعات والمشتريات المتعلقة به واستخدام عماله وربما أطلق على الموظفين بالدواوين اسم مباشرين وفى اللغة باشر الأمر : وليه بنفسه وبطبيعة الحال تختلف أعمال المباشرين باختلاف الدواوين والأعمال التى يعملون فيها [٤].

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ق (٣) ص ٧٣٦ حاشية (٦) .
(٢) حسن الباشا : الفنون والوظائف على الآثار العربية جـ ٣ ص ١٢١٩ ، ١٢٢٠ .
(٣) المرجع نفسه نفس الجزء ص ١٢٣٠ .
(٤) المرجع نفسه نفس الجزء ص ٩٨٢ .

ورد في النص لقب " الولاه " جمع والي

وتطلق هذه اللفظة عادة على أمير القطر وحاكمه والمصدر منها ولاية بمعنى الامارة أو السلطة .

وقد عرف لقب الوالي منذ صدر الاسلام اذ جرت أن ينصب الخلفاء عنهم في حكم الأقطار الاسلامية أو الولايات التابعة لهم ولاة كانوا يعرفون بالأمراء والعمال . وقد استمر نظام استخدام الولاة في جميع العصور الاسلامية وقد حدث أحيانا أن استقل بعض الولاة عن الخلافة وبذلك صاروا يولون هم أيضا ولاة من قبلهم لحكم الأقطار التابعة لهم وربما تسمّوا بأسماء أعلى كالملك والسلطان .[1]

وفي العصر المملوكي صارت لفظة الوالي تدل على طبقة معينة من الحكام وذلك الى جانب معناها العام اذ كان الولاة في ذلك العصر ينقسمون الى طوائف كان أعلاها النواب ثم الكشاف ثم الولاة وذلك بالاضافة الى أمراء العربان وفي بعض الأحيان كانت بعض الولايات تزداد أهميتها فترتفع الى كشف أو نيابة كما حدث بالنسبة للاسكندرية مثلا حين هاجمها الفرنج وفتكوا بأهلها سنة ٧٦٧ هـ .[2]

وورد في النص عبارة " العبد الفقير الى الله تعالى "

والعبد ضد الحر وكان يستعمل كلقب وقد ورد في المكاتبات بلقب صاحب المكاتبة نفسه ويقصد منها اظهار الصلة بينه وبين المكاتب اليه وكان لقب العبد مما يترجم به السلاطين عن أنفسهم في مكاتباتهم الى الخلفاء .

وكان العبد يوصف في كثير من الأحيان بصفات أخرى كنوع من الألقاب مثل " العبد الفقير الى الله " و " العبد الفقير الى رحمة الله " و " العبد الضعيف الفقير الى رحمة الله " وغير ذلك .

---

(١) حسن الباشا : الفنون والوظائف على الآثار العربية جـ ٣ ص ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ .
(٢) المرجع نفسه نفس الجزء ص ١٣٠٩ ، ١٣١٠ .

أما لقب " العبد الفقير الى الله " فكان يطلق كلقب من ألقاب التواضع والتذلل لله تعالى وهو غالب الورود فى النصوص الجنائزية وكان لا يأتى فى النقوش المملوكية ضمن ألقاب السلطان القائم .[1]

وورد فى النص لقب " أستاذ الدار " وقد عرفت هذه الوظيفة بصيغ مختلفة منها استدار واستادار وستدار وأستاذ دار وأستاذ الدار وأستاذ الآدر واختلف العلماء فى الأصل اللغوى للكلمة فالقلقشندى يرى أنها كلمة فارسية مركبة من " استذ " بمعنى الأخذ و " دار " بمعنى ممسك فيكون معناها الكلي " ممسك الأخذ " أو متولى قبض المال وأن صحتها فى نظره هي استدار أو استذدار بالاهمال أو بالاعجام وهو يعيب كتاب عصره الذين توهموا ان صحة اللفظه هي " أستاذ الدار " العربية فى حين أن بعض الباحثين فى العصر الحديث يعترضون على تفسير القلقشندى ويؤكدون صحة ما اعتقد القلقشندى أنه خطأ والرأى عند هؤلاء أن الكلمة أصلها " أستاذ الدار " المكونه من أستاذ بمعنى السيد أو الكبير و " الدار " بمعنى البيت والبعض الآخر يرى أنها مشتقة من الكلمة الفارسية " اصطاسرا " بمعنى " اصطا كبير " ثم عربوه فقالوا أستاذ ومعنى " سرادار " الكبير كالسلطان ونحوه فلما تلاعبوا بهذه الكلمة قالوا " أستادار " .[2]

وقد عرفت هذه الوظيفة فى عصر العباسيين وكانت مهمة الاستاذدار هي الاشراف على دار الخليفة أو السلطان والعمل على مراعاة الآداب فيها وربما أسند اليه وظيفة الحجابه .

وعرفت أيضا فى العصر الأيوبى وكان يشغلها أحد الأمراء العسكريين واقتصرت مهمتها فى هذا العصر على حاشية القصر وخدمه وتنظيمهم فى الخدمة والاشراف على اعداد السماط وأمور المطبخ والشراب والمحافظة على المخزون من المواد الغذائية والتأكد من سلامة الأطعمة .

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ .
يلاحظ أن حسن الباشا قد أورد أن لقب " العبد الفقير " لا يأتى فى النقوش المملوكية ضمن ألقاب السلطان القائم أى الذى لا يزال قائما على سلطانه ولكنه فى الواقع قد وردت فى بعض النقوش المملوكية الحجازية كما هو الحال فى نص السلطان برقوق المؤرخ بعام ٨٠١ هـ - أنظر ص ٩٨ من هذه الرسالة .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٥٧ وأنظر : حسن الباشا المرجع السابق ص ٣٩ ، ٤٠ .

وانتقلت وظيفة الاستادار الى دولة المماليك البحرية واحتفظ بنفس الاختصاصات التى كان يقوم بها فى العصر الأيوبى من أمر البيوت والخزانات والشراب والمطابخ وأمر الحاشية والغلمان وكان من ألصق الموظفين بالسلطان فى اقامته ورحيله وأثناء سيره فى موكبه وكان يشغل هذه الوظيفة فى قصر السلطان عادة أمير واحد من مقدمى الألوف وثلاثة من أمراء الطبلخاناه وكان للاستادار نواب يطلق على الواحد منهم نائب الاستادار.[1]

. . . . . .

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ١٤١، ٤٣، ٤٤ .

تحليل
نص مرسوم السلطان شعبان المؤرخ بعام ٧٦٦ هـ

١ - نقش نص هذا المرسوم بخط حجازى لين بارز من نوع الثلث المحقق ، ويلاحظ أن كتابة هذا المرسوم قد بلغت درجة كبيرة من الاتقان والجودة سواء فى أسلوب الخط أو فى طريقة التنفيذ على العكس من نص السلطان الناصر محمد الذى سبق أن تحدثنا عنه والذى يفتقر الى الجودة مما يشير الى أن هناك نماذج كتابية حجازية متميزه ومتطوره جدا كنقش هذا المرسوم مما يجعلنا نقول انه ربما كان هناك مجموعة من الخطاطين الحجازيين المتخصصين فى نقش المراسيم والذين غالبا ماتكون كتاباتهم على مستوى رفيع اذا ماقارناهم بخطاطي التحف الفنية لهذا السلطان أو ذاك اذ نجد أن التقارب واضحا بينما يوجد مجموعة أخرى من الخطاطين تمرست فى كتابة نقوش اللوحات التأسيسية التى تؤكد قيام أحد السلاطين بعمارة من العمائر أو تجديد واصلاح لمرفق من المرافق كما هو الحال فى النصوص التأسيسية التى تؤرخ لعمارة السلطان شعبان لمانذنة باب الحزوره والمؤرخة بعام ٧٧٢ هـ والتى سوف نتحدث عنها بعد تحليل هذا النص وكذلك لوحات تأسيسية أخرى ترجع الى العصر المملوكي سوف نتحدث عنها فى صفحات هذه الرسالة كما أن هذا لا يمنع أن يكون هناك مجموعة من الخطاطين الحجازيين أقل اتقانا وجودة فى كتاباتهم ومع ذلك أستفيد منهم فى كتابة بعض النقوش الحجازية التأسيسية كما هو حاصل فى نقش السلطان الناصر محمد سالف الذكر وكذلك نقوش أخرى سوف نتحدث عنها مثل نقش السلطان برقوق المؤرخ بعام ٨٠١ هـ (لوحة ٦) وغيره من النقوش.

٢ - يلاحظ أن نص المرسوم قد نقش بطريقة دائرية بحيث تكون نهاية السطر الواحد أقرب ماتكون الى بدايته الأمر الذى جعل الخطاط يضع خطا رأسيا بارزا يفصل بين بداية السطر ونهايته بحيث لا تتداخل بداية السطر مع نهايته مما يشيرالى الدقة فى التنفيذ وقراءة النص بكل سهولة ويسر بل وضع خطوطا أفقية بارزة تفصل بين كل سطر وآخر بحيث لا يتجاوز السطر الواحد المساحة المخصصة له .

٣ - جاء تاريخ نص هذا المرسوم فى أول سطر من سطوره اذ ورد بعد البسملة مباشرة وهو ما يميز نص هذا المرسوم عن نصوص اللوحات التأسيسية التى جرت العادة أن تكون تواريخها فى نهاية النص وربما كان السبب فى ذلك هو أهمية هذا التاريخ الذى حدده المرسوم باليوم والشهر والسنة لابطال المكوس فى مكة المكرمة .

٤ - لقد اهتم الخطاط هنا بمضمون النص الذى يمثل مرسوما سلطانيا فقام بنقشه مجزءا على عمودين بدلا من نقشه على عمود واحد ليكون النص بذلك أكثر وضوحا كما يصعب ازالة أى سطر من سطوره وهو ما كان ممكنا لو نقش على عمود واحد من أعلاه الى أسفله لأنه من المحتمل أن يتعرض الجزء السفلى من النص للطمس والاخفاء كما أنه من المحتمل جدا أن يكون الخطاط أو النقاش قد قصد اشغال أكثر من مكان واحد بمضمون النص بحيث يلفت نظر الحجاج وغيرهم ممن أشار المرسوم الى اعفائهم من المكوس على العكس من لو أنه حصره فى مكان واحد أو عمود واحد .

٥ - يتميز النص بعناية كبيرة من حيث نقط النص وأعجامه اذ بذل الخطاط فى ذلك جهدا كبيرا ليسهل بذلك قراءته على الحجاج وغيرهم من الفئات التى أبطلت عنها سائر المكوس بموجب هذا المرسوم .

٦ - على الرغم من طول النص وصعوبة تنفيذه لم ينس الخطاط أن يزين النص ببعض الزخارف النباتية التى وردت على هيئة فروع نباتية صغيرة منفصلة عن الحروف تنتهى بوريقات من ثلاث أو أربع بتلات كتلك التى وردت فوق البسملة فى السطر الأول على هذا النحو كما وردت على هذا النحو فوق كلمة " العالمين " فى السطر الثالث وكلمة " العاليه " فى السطر الخامس وكلمة " الاتفاق " فى السطر الرابع عشر وغيرها من الكلمات. كما جاءت وريدات زخرفية ذات وريقات ثلاثية تتميز بفرع نباتى أكثر استقامة مثل تلك الزخرفة الواردة فوق كلمة " بقلعه " فى السطر الخامس عشر هكذا وكذلك كلمة " أجمعين " فى السطر الثامن والعشرين وهكذا .

كما رسم النقاش فوق بعض الكلمات وريدات شبيهة بجامات مفصصة كما هو الحال فى كلمة " الشهيد " فى السطر الرابع وكلمة " حصل " فى السطر الرابع

عشر هكذا كما رسم الخطاط زخارف نباتية تمثل فروع نباتية ملتوية كما هو الحال في الزخرفة الواردة فوق كلمة " سمعه " في السطر الثاني والعشرين وكلمة " يلعنهم" في السطر الذى يليه هكذا" "
وبذلك تنوعت الزخارف النباتية فوق كثير من كلمات النص .

٧ - على الرغم من جودة خط النص ومضاهاته لأجود النصوص التى نقشت فى مصر على مختلف فروع الآثار والتحف فى مصر فى العصر المملوكي فاننا نلاحظ أن هذا النص يتسم بقرمطة الحروف وسمكها نسبيا اذا ماقورنت بالنصوص المملوكية التى كتبت فى مصر والواقع أن قرمطة الحروف وسمكها تعتبر احدى خصائص مدرسة الحجاز الكتابية منذ النصف الثاني من القرن السادس الهجرى وأوائل القرن السابع الهجرى (١٢م - ١٣م) ولاسيما تلك التى تحمل توقيع خطاط الحجاز الشهير فى تلك الفترة عبد الرحمن بن أبى حرمى المكى (١) .

.. .. ..

---

(١) أنظر: محمد فهد الفعر: تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى ص ٤٠٨ - ٤١٤ اللوحات من ٥٧ الى ٦٣ .

لوحـة (٣)

يوجد بالقرب من باب العمره[1] أحد أبواب المسجد الحرام من ناحيته الغربيـة نص على عمود رخامي مطل على صحن المسجد وهو عبارة عن لوحة تأسيسية لعمـارة مأذنة الحزوره مؤرخه بشهر المحرم سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة وصفها على النحـو التالي :

المكان	:	باب العمره أحد أبواب المسجد الحرام الغربية
الرقم	:	بدون
النوع	:	لوحة تأسيسية منقوشه على محيط عمود من الرخام
المقاس	:	الطول ٥٥ × ١٥٥ سم محيط العمود
التاريخ	:	شهر المحرم ٧٧٢ هـ .
عدد الأسطر	:	٥ أسطر يفصل بين كل سطر وآخر شريط بارز
الخط	:	حجازى لين بارز من نوع الثلث

وهناك نصان آخران مماثلان للنص المشار اليه :

أحدهما : موجود بمتحف آثار الحرم المكي ومنقوش على عمود من الرخام وهو نسخـة مماثلة تماما للنص الموجود عند باب العمره المشار اليه سابقا سواء من حيث النـص أو من حيث المقاسات وعدد الأسطر . لوحه (٤)

وثانيهما : موجود بمتحف آثار الحرم المكي عبارة عن لوحه تأسيسية لنفس العمـارة السابق ذكرها منقوشه على لوح رخامى مستطيل الشكل أوصافه على النحو التالي :

---

(١) باب العمره أحد أبواب المسجد الحرام من الناحية الغربية وكان يعرف بباب بـني سهم وأطلق عليه باب العمره لأن المعتمرين من التنعيم يدخلون ويخرجون منه ، أنظر :
الأزرقى : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار جـ ٢ ص ٩٢ ، الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٢٣٩ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٥٠ ، باسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٨١ ولعل أول اشارة الى اسم باب العمره هو ما أورده ابن جبير فى رحلته ، أنظر ص ٨٢ من الرحلة .

لوحه (٥)

المكان : متحف آثار الحرم المكي
الرقم : بدون
النوع : لوح من الرخام مستطيل الشكل
المقاس : ٩٦ × ٤٧ سم
التاريخ : شهر المحرم ٧٧٢ هـ
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث
عدد الأسطر : ٤ أسطر

وقد لاحظت أثناء قراءتى للنصوص الثلاثة أن النصين المنقوشين على العمودين يتفقان تماما من حيث النص وعدد الأسطر وعدد الكلمات بينما وجدت أن نص اللوحة التأسيسية المستطيلة الشكل يختلف عن نصي العمودين فى بعض الكلمات سواء من حيث الزيادة أو النقصان حيث ظهرت كلمات فى نصي العمودين ليس لهذه الكلمات وجود فى نص اللوحة المستطيلة كما ظهرت كلمات فى نص اللوحة المستطيلة لم تظهر فى نصي العمودين .

وقد اضطررت عند قراءة النص الى وضع الكلمات التي ظهرت فى نص ولم تظهر فى الآخر بين قوسين مشيرا الى مكان هذه الكلمة فى الحواشي :

" النص "

١ - [بسم الله الرحمن الرحيم](١) أمر بعمارة هذه المأذنة الشريفه [المعروفه بحزوره](٢)
٢ - بعد انهدامها وذهاب آثارها [سيدنا و](٣) مولانا السلطان المالك الملك(٤) .
٣ - الأشرف ناصر الدنيا والدين شعبان بن حسين [بن محمد بن قلاوون](٥) أعز الله أنصاره

---

(١) البسمله ذكرت فى نصي العمودين القائم بالمسجد الحرام وكذلك العمود الموجود بالمتحف المذكور ولم تذكر فى اللوحة المستطيلة .
(٢) هذه العبارة ظهرت فى نصي العمودين ولم تظهر في اللوحة المستطيلة .
(٣) هذه العبارة ذكرت فى نصي العمودين ولم تظهر فى اللوحة المستطيلة .
(٤) يلاحظ أن السطر الأول فى اللوحة المستطيلة ينتهي بكلمة المالك .
(٥) بقية سلسلة النسب وردت فى نصي العمودين المشار اليهما ولم ترد فى اللوحة المستطيلة .

٤ - وضاعف اقتداره [1] [بمحمد واله] [2] وذلك بمباشرة العبد الفقير الى الله تعالى
٥ - على بن محمد المعروف بابن كلفك [وكان مهندسها] [3] [و] [4] الحاج
على بن الأقباعي بتاريخ [5] شهر المحرم سنة اثنين وسبعين وسبعمائة
[وصلى الله على محمد] [6]

وقد ورد فى النص اسم : على بن محمد المعروف بابن كلفك ويلقب بعلاء الدين [7] ويشير ابن حجر الى أن اسمه على بن كلفت وأن العامه غيرت اسمه الى كلبك [8] ، بينما ورد فى النص باسم " كلفك ".

وقد ولى ابن كلفك امرة الحج سبع سنوات متوالية من سنة ٧٧١ هـ الى سنة ٧٧٧ هـ [9] . وكان ابن كلفك قد تولى عدة مناصب مثل شاد الدواوين [10]

---

(١) يلاحظ أن السطر الثانى فى اللوحة المستطيلة ينتهى بهذه العبارة .
(٢) هذه العبارة وردت فى نصي العمودين المذكورين ولم ترد فى نص اللوحة المستطيلة .
(٣) وردت هذه العبارة فى اللوحة المستطيلة ولم ترد فى نصي العمودين المذكورين .
(٤) وردت فى نصي العمودين المذكورين ولم ترد فى اللوحة المستطيلة .
(٥) بينما وردت فى نص اللوحة المستطيلة بعبارة (فى شهر المحرم) .
(٦) وردت هذه العبارة فى نص اللوحة المستطيلة ولم ترد فى نصي العمودين المشار اليهما .
(٧) المقريزى : السلوك جـ ٣(ق ١) ص ١٨٥ ، ٢٣٢ ، ٣٥٠ ، وأنظر:
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ١٩٥ ، ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٩٢ .
(٨) ابن حجر : انباء الغمر - تحقيق د . حسن حبشي نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - القاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م جـ ١ ص ١٨٥ .
(٩) الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي امارة الحاج - تحقيق د . ليلى عبد اللطيف أحمد نشر مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٨٠م ص ١٣٦ .
(١٠) شاد الدواوين : هي الوظيفة التاسعة عشرة من الوظائف التى كان يشغلها عسكريون بحضرة السلطان المملوكي وكان شاد الدواوين رفيقا للوزير ومهمته استخلاص ما يتقرر فى الديوان على من يعسر استخلاصه منه . وقد ظهرت هذه الوظيفة على بعض الآثار والتحف العربية ، لمزيد من التفاصيل أنظر :
حسن الباشا : الفنون والوظائف على الآثار العربية ، طبع دار النهضة العربية ١٩٦٦م ، جـ ٢ ص ٦١١ وما بعدها .

وأمير طبلخاناه[1] كما ولي ولاية القاهرة فى بعض الأحيان[2] .

ويبدو ثمة اختلاف بين كل من المقريزى وابن تغرى بردى فى شأن ابن كلفك هذا ، فالمقريزى يشير الى أن السلطان الأشرف شعبان أنعم على على بن كلفك بامرة طبلخاناه فى سنة ٧٧٦[3] بينما يشير ابن تغرى بردى الى أن السلطان قبض على جماعة من الأمراء ومنهم على بن كلفك فى نفس هذه السنة وهى سنة ٧٧٦هـ ونفاهم الى الشام[4].

وللتوفيق بين الروايتين فالراجح أن نفيه الى الشام كان بعد انعام السلطان شعبان عليه بامرة طبلخاناه وليس قبل ذلك لأن ابن كلفك قضى بقية عمره بالشام الى أن توفي سنة ٧٨٠ هـ[5] .

وكان ابن كلفك مشهورا بالفقه لكنه كان ظلوما غشوما لاسيما بعد نفيه الى الشام الأمر الذى جعل نائب حلب يحضره ويضربه مما كان سببا فى موته عند عودته من حلب الى دمشق حيث توفي فى الطريق وحمل الى دمشق ودفن بها وذلك فى سنة ٧٨٠هـ[6] .

---

(١) أمير طبلخاناه : هو أمير الأربعين وقد يختصر الاسم فيقال طبلخاناه فقط . وطبلخاناه لفظة فارسية معناها بيت الطبل وهو أحد المخازن الخاصة بالسلطان يحفظ فيه الطبول والأبواق وما يتعلق بها من الأدوات. وتستخدم اللفظة أيضا للدلالة على فرقة الموسيقى الخاصة بالسلطان التي تقوم بدق النوبة ليلا ونهارا أثناء اقامة السلطان أو سفره أو حربه . ويؤلف أمراء الطبلخاناه الطبقة الثانية من طبقات الأمراء فى عصر المماليك وكانوا يلون فى الرتبة أمراء المئين مقدمى الألوف . أنظر :
حسن الباشا : الفنون والوظائف على الآثار العربية ج ١ ص ٢٣١ ومابعدها .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١١ص ١٩٥ .

(٣) المقريزى : السلوك ج ٣(ق ١) تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور ـ طبعة دار الكتب ١٩٧٠م ص ٢٣٢ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٦٢ .

(٥) المقريزى : السلوك ج ٣ ص ٣٥٠ .

(٦) المقريزى : السلوك ج ٣ ص ٣٥٠ ، وأنظر :
ابن حجر : أنباء الغمر ج ١ ص ١٨٥ .

وورد في النص اسم على بن الأقباعي : ولم أعثر له للأسف على ترجمة فيما عرضت له من مصادر .

وقد ورد في النص اسم حرزوره : وهي اسم سوق كانت بمكة وكان موقعها بفناء دار أم هانىء بنت أبي طالب ويقال الحزاور وهي الأسواق . وقد أورد الأزرقي عدة آراء في موقعها غير أنه رجح أنها بفناء دار أم هانىء عند سوق الحناطين[(1)] .

وقيل ان الحزورة هي الرابية الصغيرة التي في أسفل مكة عند منارة المسجد التي تلي أجياد[(2)] .

وقد صحف لفظ الحزوره فأصبح يقال عزوره وهو خطأ صوابه حزوره وامتد هذا التصحيف الى مؤلفات بعض مؤرخي مكة.[(3)] بل ان هذا التصحيف امتد أيضا الى بعض النقوش الأثرية المكيّة كما هو الحال في نقش رباط رامشت الفارسي المؤرخ بعام ٥٢٩ هـ[(4)] .

ويرى محقق كتاب الأزرقي أن الحزورة تقع الآن بين باب أم هانىء وبين باب الوداع الذى هو باب الحزوره[(5)] .

---

(١) الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار جـ ٢ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ وربما أراد الأزرقي بسوق الحناطين ، المكان الذى تباع به الحنطة ، أنظر :
أبو اسحق الحربي : كتاب المناسك وطرق الحج ، تحقيق حمد الجاسر ـ منشورات دار اليمامة بالرياض ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ص ٤٧٧ حاشية (٤) .
(٢) السنجارى : منائح الكرم ورقة ١٠ .
(٣) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٣٨ وأنظر :
ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف الطبعة الثالثة ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ص ٢٠٥ ، ٢٠٨وأنظر:
السنجارى : منائح الكرم ورقة ١٠ .
(٤) محمد فهد الفعر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى ـ رسالة ماجستير ـ طبع مؤسسة تهامة ـ جدة ١٤٠٥ هـ ص ٢٨٤ - ٢٩١ .
(٥) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٩٥ حاشية (١) .

ويشير باسلامه الى أن الحزورة قد دخلت في المسجد الحرام في التوسعة السعودية للمسجد الحرام التي بدأت في عام ١٣٧٥ هـ [١] والصواب أنها دخلت في المسجد الحرام منذ توسعة الخليفة المهدي العباسي الثانية سنة ١٦٧ هـ [٢].

أما موقع مأذنة الحزورة فقد أشار مؤرخوا مكة الى أنها احدى مآذن المسجد الحرام الأربع الواقعة في أركان المسجد وهي التي تلي اجياد [٣].

وقد عرفت مأذنة الحزورة بعدة أسماء تبعا للباب الذي كانت تقع عليه فقد عرف هذا الباب بباب بني حكيم بن حزام وباب بني الزبير بن العوام وباب البقالين الا أن الاسم الذي غلب عليه هو باب الحزامية لأنه يلي الخط الحزامي [٤].

كما عرف بباب الوداع في العصور المتأخرة لأن الناس يخرجون منه عند سفرهم [٥].

أما أول من أنشأ مأذنة باب الحزورة فانه على الرغم من أن الأزرقي لم يشر صراحة الى ذلك الا أنه ذكر أن مآذن المسجد الحرام في عهده كانت أربع [٦] وهي الأربع

---

(١) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧٨.
(٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٨٠ ، ٢٩٥.
(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٩٧ ، وأنظر :
ابن بطوطه : الرحلة جـ ١ ص ٩٣ ، الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٠٤ وأنظر أيضا :
ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٢٠٥ ويلاحظ ان هؤلاء المؤرخين جميعا قد ذكروا أنها في الناحية الغربية من المسجد الحرام الا أن ذلك التحديد ينقصه شيء من الدقة لأن موقعها بركن جياد - كما أشاروا الى ذلك - يقتضي أن تكون في الناحية الجنوبية الغربية وليس في الناحية الغربية فقط.
(٤) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٩١ وأنظر :
أبو اسحق الحربي : كتاب المناسك وطرق الحج ص ٤٧٨.
(٥) الطبري : اتحاف فضلاء الزمن بولاية بني الحسن، مخطوط مصور بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى برقم ١٩٠٣ ، ورقة ١٣٦ ، وأنظر :
عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الاعلام - تحقيق أحمد جمال ، عبد العزيز الرفاعي الطبعة الأولى - مكة المكرمة ١٣٦٩هـ/١٩٥٨م ص ١٢٨ حاشية (٤) ، وأنظر أيضا :
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٣٢ ، ٢٣٥.
(٦) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٩٧.

التى تحدث عنها الفاسي فذكر أن واحدة من هذه الأربع وهي مأذنة باب العمرة أنشأها الخليفة أبو جعفر المنصور سنة ١٤٠ هـ وأن الثلاث الأخر وهي مأذنة باب بني شيبة ومأذنة باب علي ومأذنة باب الحزورة أنشئت في عهد الخليفة المهدى العباسي في عمارتيه الأولى والثانية ١٦٤ هـ ، ١٦٧ هـ.(١)

أما سبب عمارة السلطان الأشرف شعبان لهذه المأذنة فلم يفصح أحد من مؤرخي مكة عن ذلك الا ما ذكره ابن فهد بقوله : " وفى ليلة الاثنين جمادى الأولى سنة احدى وسبعين وسبعمائة سقطت مأذنة باب الحزورة في ليلة مطيرة وكفى الله الناس شرها فلم تضر أحدا من مجاوريها ولا من المارّين فيها ولا من البيوت التى الى جانبها بعد أن خلت تلك الدور من ساكنيها خوفا على أنفسهم منها فسبحان الفعال لما يريد ... ".(٢)

وقد أمر السلطان الأشرف شعبان أمير الحاج على بن محمد بن كلفك بعمارتها وفعلا تمت هذه العمارة في شهر المحرم سنة ٧٧٢ هـ وهو التاريخ الذى اتفق عليه كل من النص موضوع الدراسة ومؤرخوا مكة.(٣)

وكانت عمارة هذه المأذنة بدورين.(٤)

وقد أشار حسين باسلامه الى أن هذه المأذنة باقية على عمارة السلطان الأشرف شعبان حتى عصرنا الحاضر(٥) والصواب أنها رممت سنة ١١١٢ هـ.(٦)

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٠ وأنظر :
قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٥١ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى جـ ٢ ورقة ٩٤ .

(٣) أنظر النص ، السطر الخامس ، وأنظر أيضا :
الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٠ ، ابن الضياء : البحر العميق ورقة ٨٠ ، ابن فهد : اتحاف الورى جـ ٢ ورقة ٩٤ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢٠٥ ويلاحظ أن ابن ظهيرة قد أخطأ في تاريخ هذه العمارة فذكر أنها عمرت في سنة ٧٩١ هـ .

(٤) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٣٥١ ، وأنظر :
عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الأعلام ص ١٣١ .

(٥) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٦٦ .

(٦) الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن بولاية بنى الحسن ورقة ١٣٦ .

وهناك ملاحظة هامة يجب الاشارة اليها فقد سبق أن أشرت عند وصف النص الى أن هذا النص موجود عند باب العمرة مع أنه نص تأسيسي لعمارة مأذنة باب الحزورة الأمر الذى جعلني أقف من ذلك موقف الحيرة لاسيما وأن مؤرخوا مكة لم يشيروا الى شيء يدل على أن النص قد نقل من مكانه الأصلي الى مكانه الحالي الآن هذه الحيرة سرعان ما تبددت عندما وقفت على اشارة أوردها العصامي مفادها أن عمود الرخام المنقوش عليه نص عمارة السلطان شعبان لمأذنة الحزورة قد نقل من مكانه عن غير قصد أثناء عمارة الجانب الغربي بعد احتراقه في عهد السلطان فرج بن برقوق الجركسي سنة ٨٠٤ هـ ووضع تحت منارة باب العمرة .[1]

ونظرا لأهمية ما أورده العصامي فسوف أذكر نصه بالحرف الواحد :

" والعمود المنقور عليه اسمه (أى اسم السلطان شعبان) كان قريبا منها (أى من مأذنة باب الحزورة) فلما وقع الحريق بالمسجد وعمر ذلك الجانب فرج بن برقوق ثاني ملوك الجراكسة نقل لاعن قصد ووضع تحت منارة بني سهم المعروف بباب العمرة فيظن الرائي ذلك التاريخ في العمود أن الاشارة فيه اليها لقرب مكانه منها وانما هو لمنارة الحزورة وهي مؤرخة بعام اثنين وسبعين وسبعمائة ".[2]

أما سبب نقل هذا العمود من مكانه الأصلي الى مكانه الحالي فلم يشر احد من مؤرخي مكة - ممن تيسر لي الاطلاع على مؤلفاتهم - الى ذلك خاصة تقي الدين الفاسي الذى عرف بدقته وايضاحه لكل صغيرة وكبيرة جدّت في المسجد الحرام في عصره وما قبله وهو المؤرخ الذى نقل عنه أكثر مؤرخي مكة ممن جاء بعده بل ان الفاسي نفسه حين تحدث عن أساطين الجانب الغربي من المسجد الحرام ذكر أن جميع أساطين هذا الجانب من الحجارة المنحوتة التى عملها الأمير بيسق سنة ٨٠٤ هـ .[3]

---

(١) عبد الملك العصامي : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي جـ ٤ طبع المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٣٨٠ هـ ص ٢٨ .

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة .

وسوف أقوم بنشر نصوص عمارة الجانب الغربي من المسجد الحرام التى تمت في عهد السلطان فرج بن برقوق على يد الأمير بيسق الشيخي في الصفحات القادمة ان شاء الله . أنظر : ص ١١٢ وما بعدها من هذه الرسالة .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .

وليس أمامنا والحالة هذه الا أن نقرر بأن الأمير بيسق عند ما عمل أساطين الجانب الغربى استعان بهذا العمود المنقوش عليه النص موضوع الدراسة لأن الفاسى حينما تحدث أيضا عن أساطين الجانب الشمالى أشار الى أن هذا الجانب قد عملت أساطينه من الحجارة المنحوتة ماعدا بعض أساطين يسيرة فى مقدمة هذا الجانب فانها رخام مكسّر ملصق بالحديد استعان بها الأمير بيسق[1] فمن باب أولى أن يستعين الأمير بيسق بهذه الاسطوانة التى عليها هذا النقش خاصة وانها سلمت من الكسر .

وقد ورد فى النص بعض الألقاب مثل "مولانا والسلطان والمالك والملك والأشرف وناصرالدنيا والدين " وقد تحدثت عنها فى نصوص سابقة[2] .

أما الألقاب التى وردت فى هذا النص دون غيره من النصوص السابقة فهى لقب : " سيدنا " والسيد فى اللغة المالك والزعيم وقد أطلق كلقب عام على الأجلاء من الرجال واصطلح فى اطلاقه على أبناء على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وكثيرا ما كان يلحق فى هذه الحالة بلقب الشريف فيقال السيد الشريف . ولم يقتصر اطلاق هذا اللقب على المنتسبين الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فحسب بل أطلق أيضا على بعض الولاة والوزراء[3] .

أما لقب " سيدنا " فقد استعمل فى مخاطبة أجل رجال السياسة والعلم والدين فكان يخاطب به الخلفاء حتى كاد أن يقتصر عليهم فى بعض العصور .

وقد عرف هذا اللقب فى العصر المملوكي واستعمل بعدة صيغ مثل " سيدنا " و " السيد " والنسبة منهما " السيدى " وكان يسرى عليهما ما يسرى على اللقب المجرد[4].

ويعتبر السلطان الأشرف شعبان من أوائل سلاطين المماليك الذين أطلق عليهم هذا اللقب فقد أطلق عليه فى نص انشاء مدرسته بالقاهرة مؤرخ بعام ٧٧٠ هـ[5] ، كما أطلق عليه أيضا فى نصنا هذا موضوع الدراسة المؤرخ بعام ٧٧٢ هـ .

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٢٨ .
(٢) أنظر ص ٢٧ ، ٦٩ وما بعدها من هذه الرسالة .
(٣) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ .
(٤) نفس المرجع ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .
(٥) نفس المرجع ص ٣٤٩ .

وورد فى النص لقب المهندس : وهي تعريب لكلمة مهندز.[١]

والمهندس هو المشتغل بالهندسة وهي علم المبانى وبنائها واختلافها والأراضي ومساحتها وشق الأنهار وتنقية القنى واقامة الجسور وغير ذلك .

وقد عنى المسلمون بالهندسة فألفوا عنها كثيرا من الكتب[٢] . كما احتـل المهندسون المسلمون مركزا رفيعا فى الدول الاسلامية المختلفة حتى أن السلطـان المملوكى الظاهر برقوق ٨٠١ هـ تزوج ابنة المهندس شهاب الدين أحمد الطولونى الذى بنى مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق بشارع المعز لدين الله الفاطمى بالقاهرة.[٣]

وورد فى النص لقب " الحاج " :

ويطلق هذا اللقب عرفا على من أدى فريضة الحج الى بيت الله الحرام بمكـة وتعتبر تأدية صاحب اللقب لهذه الفريضة من دواعى اتصافه بالتقوى والصلاح .

وكان لقب الحاج يطلق فى العصر المملوكى على مقدمي الدولة ومهتارية البيـوت وأمثالهم وان لم يكونوا قد حجوا.[٤]

وربما كان هذا النص يعتبر من أوائل النصوص الأثرية المملوكية التى ورد بهـا هذا اللقب .

. . . . . .

---

(١) حسن الباشا : الفنون والوظائف على الآثار العربية ج ٣ ص ١١٥٦ ، ١١٥٧ .
(٢) نفس المرجع والجزء ص ١١٥٧ .
(٣) نفس المرجع والجزء ص ١١٥٨ .
(٤) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

تحليل
نصوص السلطان شعبان التأسيسية
الخاصة بمأذنة باب الحزوره المؤرخة بعام ٧٧٢ هـ
لوحات رقم (٣ ، ٤ ، ٥)

١ - لم يقتصر الخطاط هنا فى توثيق عمارة السلطان شعبان لمأذنة باب الحزوره على نص تأسيسي واحد وانما جعله من ثلاث نسخ اثنتان منهما نقشتا على عمودين من أعمدة الحرم الشريف والثالثة جعلها فى لوحة تأسيسية مستطيلة الشكل وربما كان سبب ذلك هو مدى حرصه على ابراز أهمية العمارة التى قام بها السلطان شعبان بن حسين .

٢ - لقد كان الخطاط دقيقا للغاية فى كتابته لنصي العمودين سواء نص العمود القائم أمام باب العمرة حتى الآن أو النص المنقوش على العمود المحفوظ بمتحف الحرم المكي اذ أنه راعى أن تكون الكلمات والأسطر فى هذين النصين متطابقة سواء من حيث بداية السطر ونهايته أو من حيث عدد الأسطر مما يدل على الدقة فى التنفيذ .

٣ - يبدو أن الخطاط الذى كتب هذه النصوص التأسيسية المؤرخة بعام ٧٧٢هـ هو نفسه الذى كتب نص المرسوم المؤرخ بعام ٧٦٦ هـ لا سيما وأن الفترة التاريخية بين كتابة المرسوم وكتابة هذه النصوص التأسيسية ليست فترة طويلة اذ أنهما لا تتعدى ست سنوات فقط كما أن طريقة تنفيذه لهذه النصوص تشبه الى حد كبير طريقة تنفيذ نص المرسوم فقد نقش نصي العمودين المشار اليهما بطريقة دائرية شأنهما فى ذلك شأن نص المرسوم فالخط الرأسي البارز الذى يفصل بداية النص عن نهايته هي نفس الطريقة التي نفذ بها نص المرسوم كما سبق أن أشرنا الى ذلك وكذلك الخطوط الأفقية التى تفصل بين سطر وآخر كما أن الزخارف النباتية التي وردت فى نص المرسوم منفصلة عن الحروف وردت أيضا فى هذه النصوص التأسيسية موضوع الدراسة مع اختلاف فى بعض أشكالها فقد وردت زخارف نباتية من ثلاث بتلات فوق البسملة فى نص العمود المحفوظ بالمتحف (لوحة ٤) على هذا النحو [زخرفة] كما وردت فوق

" البسملة " أيضا في نص العمود القائم عند باب العمرة الآن (لوحة ٣) على هذا النحو ووردت أيضا فوق كلمة "انهدامها " في السطر الثاني من نصي العمودين القائم عند باب العمرة وكذلك العمود المحفوظ بالمتحف .

وظهرت وريدات ثلاثية بدون فروع نباتية هكذا كما هو الحال في كلمة " آثارها " في السطر الثاني من نص عمود باب العمرة وكذلك كلمة " بمحمد " في نفس النص والتي وردت مائلة نحو اليسار هكذا .

ووردت أيضا وردة ثلاثية البتلات تمثل نهايات لبعض الحروف كما هو الحال في كلمة " الله " في السطر الأول من نص عمود المتحف وكلمة " الشريفة " في السطر الأول أيضا من نفس النص هكذا " " .

كما ظهرت وريدات ذات بتلات متعددة كما هو الحال في كلمة " بعد " في السطر الثاني من نص عمود المتحف هكذا بينما وردت فوق نفس الكلمة في نص عمود باب العمرة بهذا الشكل .

كما وردت زخرفة نباتية شبه مفصصة على غرار تلك التي وردت في نص المرسوم كما هو الحال في الزخرفة الواردة فوق كلمة " سيدنا " في السطر الثاني من نص عمود باب العمرة بينما وردت على هذا النحو فوق كلمة " حسين " في السطر الثاني من نص اللوحة المستطيلة الشكل .

وجاءت زخرفة نباتية ذات رأس مدبب على هذا النحو تنتهي بوريقة نباتية من ثلاث بتلات في أسفلها كما هو الحال في الزخرفة الواردة داخل حرف الكاف في كلمة " المالك " في السطر الأول من نص اللوحة المستطيلة بينما جاءت نفس هذه الزخرفة على هذا النحو في وسط الكاف في كلمة " الملك " في نص عمود المتحف ووردت زخرفة نباتية على هذا النحو فوق كلمة " العبد " في السطر الرابع من نص عمود باب العمرة بينما وردت الزخرفة التي تعلو نفس الكلمة في نص عمود المتحف على هذا النحو أما الزخرفة الواردة فوق الكلمة نفسها في نص اللوحة المستطيلة فقد وردت على هذا الشكل .

وورد ت زخرفة نباتية على هذا النحو " " فوق كلمة " الفقير" في نص عمود المتحف بينما وردت الزخرفة التي تعلو نفس الكلمة في نص عمود باب العمرة على هذا النحو .

مما يدل على وحدة الأسلوب في الخط بين نص المرسوم ونصوص اللوحة التأسيسية .

٤ - يلاحظ أن الخطاط قد بدأ نصي العمودين بالبسملة بينما لم يكتب البسملة في نص اللوحة المستطيلة (لوحة ٥) .

٥ - حدد الخطاط أو النقاش اسم المانذنة التي قام السلطان شعبان بعمارتها وتجديدها بقوله :

" هذه المانذنة المعروفة بحزوره " وذلك في نصي العمودين بينما لم يذكر ذلك في نص اللوحة المستطيلة وانما اكتفى بالقول " هذه المانذنة " دون تحديد لاسمها أو لاسم المكان الواقعة به وذلك أمر طبيعي لأنه يبدو أن نص اللوحة المستطيلة كان ملصقا بالمانذنة مباشرة ولا يحتاج الى تحديد اسم هذه المانذنة أو المكان الذي تقع به على العكس من نصي العمودين واللذين يبدو أنهما كانا بعيدين نسبيا عن حجم المئذنة نفسها ولذلك حدد الخطاط اسم هذه المئذنة التي تم تعميرها لاسيما وأن بالحرم المكي الشريف أكثر من مانذنة واحدة وفي ذلك دليل واضح على مدى دقة الخطاط عند كتابته لنصي العمودين لأن بعض هذه الأعمدة قد نقل فيما بعد من مكانه الأصلي عند باب الحزوره ووضع في مكانه الحالي عند باب العمرة فكان ذكر اسم المانذنة ومكانها في النص على درجة كبيرة من الأهمية في معرفة المكان الأصلي لهذه النصوص وقد سبق أن أشرنا الى نقل بعض هذه الأعمدة أثناء عمارة السلطان فرج بن برقوق للجانب الغربي من المسجد الحرام سنة ٨٠٢ هـ وتمت عمارة هذا الجانب على يد الأمير بيسق سنة ٨٠٤ هـ .

٦ - يلاحظ أن الخطاط قد أشار صراحة الى أن الحاج علي بن الأقباعي هو "المهندس" لعمارة هذه المانذنة وذلك في نص اللوحة التأسيسية المستطيلة الشكل (لوحة ٥) بينما لم يشر الى لقب المهندس في نصي العمودين.

٧ - لقد أضاف الخطاط الى كلمة "وذلك" في السطر الرابع من نصي العمودين حرف ألف فجاءت على هذا النحو "وذالك" والصواب عدم كتابة الألف في مثل هذه الحالة بينما أوردها بطريقة صحيحة بدون ألف في نص اللوحة المستطيلة.

٨ - نسي الخطاط أو النقاش أن يكتب كلمة "سنة" في السطر الأخير من نص اللوحة التأسيسية المستطيلة بينما أثبتها في نصي العمودين .

٩ - يلاحظ أن الخطاط الذى كتب هذه النصوص التأسيسية على دراية بالألقاب التي كثرت وتعددت في العصر المملوكي فقد أورد كثيرا منها في هذه النصوص الحجازية مثل لقب "مولانا" و "السلطان" و "المالك" و "الملك" و "ناصر الدنيا والدين" و "المهندس" و "الحاج" وغير ذلك كما أنه على دراية أيضا بالعبارات الدعائية التي كان يدعى بها للسلاطين في ذلك الوقت مثل "أعز الله أنصاره" و "ضاعف اقتداره" وهكذا .

١٠- ختم الخطاط نصي العمودين بالتاريخ بينما ختم نص اللوحة المستطيلة بالتصلية وذلك على حساب تاريخ النص حيث حذف كلمة "سنة" وقلّص من حجم حرفي الياء والهاء في كلمة "مايه" حيث جعل حجم هذين الحرفين صغير للغاية لا يتناسب مع حجم باقي كلمات النص .

. . . . . .

لوحة رقم (٦)

المكان : متحف آثار الحرم المكي
الرقم : بدون
النوع : لوح من الرخام مستطيل الشكل عبارة عن لوحة تأسيسية لعمارة مقام الحنفية بالحرم المكى .
المقاس : ٨٢ × ٥٠ سم
التاريخ : ٨٠١ هـ
الخط : حجازى لين بارز
عدد الأسطر : أربعة سطور

يوجد بمتحف آثار الحرم المكي لوح من الرخام عبارة عن لوحة تأسيسية لعمارة مقام الحنفية بالمسجد الحرام مؤرخة بعام ٨٠١ هـ بالخط الحجازى اللين البارز .

ويلاحظ انه لم يشر أحد ممن أرخ للمسجد الحرام قديما وحديثا لهذا النص رغم ذكرهم لعمارة السلطان برقوق لمقام الحنفية فى سنة ٨٠١ هـ .

(النص)

١ - بسم الله الرحمن الرحيم ان الصفاوالمرة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح

٢ - عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم[١] صدق الله العظيم ورسوله الكريم

٣ - أمر بتجديد المقام العبد الفقير [ا]لى الله مولانا السلطان الملك الظاهر

٤ - برقوق سلطان الاسلام والمسلمين [عز] نصره بتاريخ شهر شوال سنة احد[ى] وثمان ماية

---

(١) سورة البقرة : آية رقم ١٥٨ .

وقد ورد فى النص اسم السلطان الملك الظاهر برقوق :

وهو الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن آنص الجركسي العثمانى اليلبغاوى أول ملوك الجراكسة بالديار المصرية وهو السلطان الخامس والعشرون من ملوك الترك الذين تولوا السلطنة بعد انقراض دولة بني أيوب.(١)

أخذ من بلاد الجركس صغيرا فاشتراه الخواجا عثمان بن مسافر وجلبه الى القاهرة فاشتراه منه الأمير يلبغا الخاصكي وأعتقه وسماه برقوق بعد أن كان اسمه الطنبغا وذلك لنتوء فى عينيه.(٢)

وقد ترقى فى الخدمة الى أن بويع بالسلطنة لأول مرة ولقب بالملك الظاهر يوم الأربعاء تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة.(٣)

ويعلق ابن اياس على استيلاء برقوق على السلطنه بقوله :

" وكانت سلطنة برقوق بالقوة فانه كان من غير بيت المملكة ولم يكن يستحق لذلك ولكن ساعدته الأقدار على بلوغ الأوطار فقويت شوكته واستضعف أمر بنى قلاوون ونزع

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ٣ ق (٢) تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور طبع دار الكتب المصرية ١٩٧٠م ص ٤٧٦ وما بعدها . وأنظر أيضا :
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٢٢١ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان جـ ١ تحقيق حسن حبشى طبعة دار الكتب المصرية ١٩٧٠م ص ٣٣ ، ٣٤ ، شمس الدين السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع منشورات مكتبة دار الحياة - بيروت جـ ٣ ص ١٠ ، ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ ١ (ق ٢) ص ٣١٨ وما بعدها .

(٢) المقريزى : السلوك جـ ٣ (ق ٢) ص ٤٧٦ وأنظر :
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس جـ ١ ص ٣٣ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ قسم (٢) ص ٣١٩ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ ٣ ص ٤٧٦ ، وأنظر :
ابن حجر : أنباء الغمر بأنباء العمر جـ ١ ص ٢٥٧ ومابعدها ، ابن الصيرفى : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٨ ، السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ١٠ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ (ق ٢) ص ٣١٨ .

أيد يهم من الملك واستقل به وكل مفعول جائز ".[١]

وقد استمرت سلطنة برقوق الأولى الى أن خلع من السلطنة بعد ثورة بعض الأمراء عليه وعلى رأسهم يلبغا الناصرى وأعادوا الى السلطنة بعد خلعه السلطان الملك الصالح أو المنصور حاجي بن الملك الأشرف شعبان وذلك في جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة .[٢]

أما برقوق فقد سجن بالكرك وظل في سجنه الى أن استطاع الخروج من السجن وساعدته الظروف فعاد الى السلطنة مرة أخرى وذلك في شهر صفر سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة[٣] وظل في سلطنته هذه الى أن توفى في الخامس عشر من شوال سنة ٨٠١هـ[٤] بعد أن عهد بالسلطنة لابنه فرج وكانت مدة سلطنته ست عشرة سنة وبضعة أشهر .[٥]

وكان للسلطان برقوق عدة اصلاحات بالحرمين الشريفين منها :

" أنه كان يبعث لأهل الحرمين الشريفين بثلاثة آلاف اردب من القمح يرسلها سنويا كما بعث في سنة ٧٩٣ هـ - وهى سنة الغلاء الذى أصاب أهل الحرمين الشريفين - بأربعين اردب من القمح يوميا يعمل منها ثمانية آلاف رغيف تفرق على فقراء

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ (ق ٢) ص ٣١٩.

(٢) الفاسي : العقد الثمين جـ ٣ ص ٣٥٨ ، وأنظر :
المقريزى : السلوك جـ ٣ (ق ٢) ص ٥٩٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ١١ ص ٣١٩ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان جـ ١ ص ٢٠٧ ومابعدها ، السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ١٠ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ (ق ٢) ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،

(٣) الفاسي : العقد الثمين جـ ٣ ص ٣٥٩ ، وأنظر :
المقريزى : السلوك جـ ٣ (ق ٢) ص ٧٠٤ ومابعدها ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ١٢ ص ١ وما بعدها ، السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ١٢ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ (ق ٢) ص ٤٣٠ وما بعدها .

(٤) الفاسي : العقد جـ ١ ص ٣٦٠ وأنظر :
المقريزى : السلوك جـ ٣ (ق ٢) ص ٩٣٧ ، ابن حجر : أنباء الغمر جـ ٢ ص ٦٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ١٢ ص ١٠٤ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس جـ ١ ص ٤٩٠ ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ (ق ٢) ص ٥٢٦ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين جـ ٣ ص ٣٦٠ ، المقريزى : السلوك جـ ٣ (ق ٢) ص ٩٣٧ ، وأنظر : ابن حجر : أنباء الغمر جـ ٣ ص ٦٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ١٢ ص ١٠٤ ، السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ١٢ .

الحرمين بالاضافة الى ماكان يبعثه فى بعض السنين من مبالغ مالية تعطى للفقراء بحيث يبلغت فى بعض الأحيان خمسين ألف دينار ذهب [(١)] ، ومنها انه أوقف ناحيـــة بهتيت [(٢)] على سحابه [(٣)] تسير مع الحجاج الى مكة تحمل فقراءهم ومايحتاجون اليه مـــن الطعام والماء ذهابا وايابا [(٤)] .

ومنها أنه أنشأ حوضا للسبيل بمكة سنة ٧٨٥ هـ [(٥)] ، ومنها أن بعث بمنـــبر للمسجد الحرام سنة ٧٩٧ هـ [(٦)] وبعث فى نفس السنة بمنبر آخر للمسجد النبـــوى الشريف بدلا من المنبر القديم الذى كان أرسله الظاهر بيبرس والذى ظل يخطـــب

---

(١) الفاسي : العقد الثمين جـ ٣ ص ٣٦٠ ، وأنظر :
المقريزى : السلوك جـ ٣ (ق ٢) ص ٩٤٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٢ ص ١٠٩ ، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٧٩٣ هـ ورقة ١١٥ ، السخاوى : التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة جـ ١ ص ٣٥٥ ، ابن اياس: بدائع الزهور جـ ١ (ق ٢) ص ٥٣١ ، الرشيدى : حسن الصفا والابتهـــاج بذكر من ولي امارة الحاج ص ١٣٧ .

(٢) بهتيت : هى المعروفة الآن باسم بهتيم من المدن المصرية القديمة وكان اسمهـــا المصرى القديم " حتب حيم " والقبطى " بهتيت " وعرفت أيضا باسم بهتين ثم حرفت الى بهتيم وهو اسمها الحالي وهى الآن قرية زراعية من قرى ضواحى القاهرة وتقـــع فى الشمال منها على بعد ١٧ كم ، أنظر:
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٢ ص ١٠٨ حاشية رقم (١) .

(٣) السحابة هى طائفة ترافق الحجاج وتقدم لهم ما يحتاجون اليه ، أنظر :
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٢ ص ١٠٨ حاشية رقم (٢) .

(٤) المقريزى : السلوك جـ ٣ (ق ٢) ص ٩٤٤ ، وأنظر :
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٢ ص ١٠٨ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ (ق ٢) ص ٥٣١ .

(٥) المقريزى : السلوك جـ ٣ (ق ٢) ص ٥١٠ وأنظر: ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٧٨٥ هـ ورقة ١٠٣ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس جـ ١ ص ٨٨ .

(٦) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٠ ، وأنظر :
ابن الضياء : البحر العميق ورقة ٨٠ ب ، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٧٩٧ هـ ورقة ١٢١ .

عليه بالمسجد النبوى مائة واثنتين وثلاثين سنة حتى أصيب بالتلف[(١)].

ويذكر المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) وابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) والسخاوى (ت ٩٠٢ هـ) وابن اياس (ت ٩٣٠ هـ) وقطب الدين الحنفى[(٢)] (ت ٩٨٨ هـ) أن السلطان برقوق قد أرسل الأمير بيسق[(٣)] لعمارة ما تهدم بالمسجد الحرام سنة ٨٠١ هـ دون توضيح للأشياء التى تهدمت وتحتاج الى عمارة .

غير أن الذى عمّر فى هذه السنة وهي سنة ٨٠١ هـ هو مقام الحنفية الوارد فى هذا النص وكذلك تجديد رخام حجر اسماعيل عليه السلام[(٤)].

ورمم فى نفس السنة سطح الكعبة المشرفة[(٥)].

وفى هذه السنة أو التي بعدها طليت عتبة باب الكعبة المشرفة بفضة قدرت بحوالي ألف وثمانمائة درهم[(٦)].

----

(١) ابن حجر : أنباء الغمر جـ ١ ص ٤٩٤ ، وأنظر :
السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٣٥٦ ، السمهودى : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى جـ ٢ ص ٤٠٧ ، أحمد العباسي : عمدة الأخبار فى مدينة المختار ص ١٣٦.

(٢) المقريزى : السلوك جـ ٣ (ق ٢) ص ٩٢٩ وأنظر:
ابن حجر : أنباء الغمر جـ ٢ ص ٤١ ، السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ١٢ ،
ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ (ق ٢) ص ٥٢٠ ، قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٦٨.

(٣) الأمير بيسق سوف أتحدث عنه فى الصفحات القادمة حيث ورد اسمه فى نصوص السلطان فرج برقوق . أنظر ص ١٢٠-١٢٢من هذه الرسالة .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢١٥، ٢١٦ ، حيث أشار الى أن اسم السلطان برقوق مكتوب فى أعلا جدار الحجر وفى فتحته الشرقية ، وأنظر :
ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٠١ هـ ورقة ١٢٥ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكى فى التاريخ المكي ورقة ٧٣ .

(٥) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ١٠٦ ، العقد الثمين جـ ١ ص ٥٣ ، وأنظر:
ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٠١ هـ ورقة ١٢٥ ، باسلامه : تاريخ الكعبة المعظمة ـ الطبعة الثانية ـ طبع تهامة ـ جدة ـ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ٢٣٣، ٢٣٤ .

(٦) الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ١٠٦ حيث أشار الى أن اسم السلطان برقوق واسم ابنه السلطان فرج مكتوبان على عتبة باب الكعبة وأنه أضيف الى كل منهما الأمر بعمل هذه الحلية ، وأنظر: ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٠١ هـ ورقة ١٢٦، باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٣٤ .

وعمّر في هذه السنة أيضا مسجد الرايه[١] وكان القائم على عمارته الأمير قطلبسك الحسامي أمير الحاج[٢] ، وعمّر في هذه السنة أيضا الموضع الذى يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم ولد فيه[٣] وتمت عمارته بعد وفاة السلطان برقوق[٤] ، ومنها تجديد قبة عرفه[٥] ومنها تجديد عقد المروه[٦] ومنها استحداثه طرازا من قصب أصفر فى كسوة الكعبة المشرفة وكان قبل ذلك يعمل من حرير أبيض وقد شمل طرازه هذا الربع الأعلى

---

(١) مسجد الراية هو مسجد بأعلى مكة عند الردم بالقرب من بئر جبير بن مطعم ، يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه وكان به ماذنة ذات دورين يقال لها منارة أبى شامه ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم فتح مكة فى موضع هذا المسجد . أنظر :
الأزرقى : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٠٠ ، الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ، العقد الثمين جـ ١ ص ٩٤ ، ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٣٣١ ، قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٦٨ ، ولا يزال هذا المسجد معروف بهذا الاسم وهو فى أول مدخل المدعى فى المكان المعروف اليوم بالجودرية وقد جدد هذا المسجد فى تواريخ مختلفة آخرها عام ١٤٠٤هـ على نفقة جلالة الملك فهد بن عبد العزيز .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٢٦١ ، العقد الثمين جـ١ ص ٩٥ ، وأنظر : ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٠١ هـ ورقة ١٢٦ .

(٣) مولد النبى صلى الله عليه وسلم : فى دار محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف التى اشتراها من أولاد عقيل بن أبى طالب الذى صارت له بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد جعلتها الخيزران حينما حجت مسجدا وجعلته شارعا على الزقاق المعروف بزقاق المولد بسوق الليل فى الشعب المعروف بشعب بنى هاشم (شعب على) . أنظر : الأزرقى : أخبار مكة جـ ٢ ص ١٩٨ وأنظر : الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٦٩ ، العقد الثمين جـ ١ ص ٩٧ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص٣٢٥ ، ٣٢٧ ، قطب الدين الحنفى الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٥٥ ، ويلاحظ أن موقع المولد الشريف الآن مكتبة مكة المكرمة .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٧٠ ، أنظر : السخاوى : الضوء اللامع جـ٣ص ١٢.

(٥) قبة عرفه : فى المكان الذى يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم وقف فيه يوم عرفه على جبل الرحمة ولا يعرف على وجه التحديد أول من عمل هذه القبة وقد أشار اليها ابن جبير فى رحلته سنة ٥٧٩ هـ وذكر أنها تنسب الى أم سلمه زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم والله أعلم بحقيقة ذلك . أنظر : ابن جبير: الرحلة ص ١٥١ ، أنظر: الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، العقد الثمين جـ ٣ ص٣٥٧ ، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٧٩٩ هـ ورقة ١٢٤ ، السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ١٢ .

(٦) الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٣١٥ ، وأنظر: السخاوى : الضوء اللامع جـ٣ ص ١٢ .

من البيت الشريف [١]. وفى الطراز مكتوب آيات من القرآن الكريم ففى الجانب الشرقـــى قوله تعالى " ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليـــه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين " [٢]، وفى الجانب الغربى " واذ يرفـــع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنــــا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنـــت التواب الرحيم " [٣]، وفى الجانب اليمانى (الجنوبى) " جعل الله الكعبة البيـــت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وأن الله بكل شىء عليم " [٤]. أما الجانب الشامي (الشمالي) فقد كتب فيه اسم صاحب الكسوة وأمره بعملها [٥].

والواقع أنه كان للسلطان برقوق اصلاحات كثيرة بالحرمين الشريفين ويهمنى منها بصفة خاصة هنا ما ورد بالنص من أنه أمر بعمارة مقام الحنفية بالمسجد الحرام سنـــة ٨٠١ هـ .

وقد وصف مؤرخوا مكة عمارة السلطان برقوق للمقام الحنفى وفى مقدمتهم تقى الدين الفاسي (ت ٨٣٢ هـ) فقال : " وأما صفة مقام الحنفى الآن فأربع أساطين من حجارة منحوتة عليها سقف مدهون مزخرف وأعلا السقف مما يلى السماء مدكوك بالآجر مطلـــي بالنورة وبين الاسطوانتين المتقدمتين بناء فيه محراب مرخم وكان ابتداء عمله على هـــذه

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ١٢٣ وأنظر:
القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا جـ ٤ - الطبعة الأميرية - القاهرة ص٥٧،
ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٧٩٩ هـ ورقة ١٢٤ ، ابن الصيرفى : نزهـة النفوس والأبدان جـ ١ ص ٧٤ .
(٢) سورة آل عمران : آية ٩٦ ، ٩٧ .
(٣) سورة البقرة : آية ١٢٧ ، ١٢٨ .
(٤) سورة المائدة : آية ٩٧ .
(٥) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ١٢٣ .

الصفة فى شوال وفى ذى القعدة من سنة احدى وثمانمائة وفرغ منه فى أوائل سنـــة اثنتين وثمانمائة "[١] ويلاحظ أنه لا يوجد تعارض بين تاريخ النص وبين التاريخ الذى أورده الفاسي لأنه من المحتمل جدا أن يكون تاريخ النص هو لبداية العمارة وليس لنهايتها وهو ما يتفق مع التاريخ الذى أورده الفاسي لهذه العمارة .

ويشير الفاسي الى أنه قد وصف العمارة القديمة التى كان عليها المقام الحنفى قبل عمارة السلطان برقوق فى أصل الكتاب[٢] أى أصل كتاب شفاء الغرام - اوالمعروف أن هذا الأصل مفقود ولم يعثر عليه حتى الآن .

ولقد بذلت قصارى الجهد فى سبيل معرفة الهيئة القديمة لهذا المقام قبـل عمارة السلطان برقوق من خلال كتابات المؤرخين والرحالة الذين أشاروا الى هـذه المقامات الموجودة بالحرم المكى فى العصور المختلفة فلم أظفر بشىء الا ما أشار اليه ابن جبير فى رحلته سنة ٥٧٩ هـ عند وصفه لمقام الشافعية حين قال : " وصفة الحطيم خشبتان موصول بينهما بأذرع شبه السّلّم تقابلهما خشبتان على تلك الصفة قد عقدت هذه الخشب على رجلين من الجص غير بائنة الارتفاع واعترض فى أعلى الخشب خشبة مسمّره فيها قد نزلت منها خطاطيف حديد فيها قناديل معلقة من الزجاج . . . "[٣].

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٣ ، وأنظر : العقد الثمين جـ١ ص ٨٨ ، وأنظر : الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة - مخطوط بالمتحف العراقى ببغداد برقم ١٣٨٥ ومصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ٧٢٧ ، وأنظر أيضا :
ابن الضياء الحنفى : البحر العميق ورقة ٨٠ ، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٠١ هـ ورقة ١٢٦ ، ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٢٩٠ ، قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٢٤٥ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكى فى التاريخ المكى ورقة ٧٤ ، وأنظر أيضا :
أحمد الأسدى : أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام - الطبعة الأولى - تحقيق الحافظ غلام مصطفى - طبع ونشر ادارة البحوث الاسلامية والدعوة والافتاء - الجامعة الاسلامية بنارس - الهند ص ١٦٢ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٣ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ص ٧٩ وأنظر : ابن بطوطة : الرحلة ص ٩٩ .

ويضيف ابن جبير أيضا : " وللحنفى بين الرّجلين الجصيتين المنعقدتين على الخشب محراب يصلى فيه ".[1]

وبوصف ابن جبير على هذا النحو يتضح أن مقام الحنفى والشافعى يتشابهان فى عهده الى حد كبير من حيث البناء وان كان مقام الحنفى يتميز بوجود محراب يصلى فيه .

وقد حصل كثير من التجديدات والاصلاحات لمقام الحنفى بعد عمارة السلطان برقوق له وهو ما سنشير اليه فى موضعه من الرسالة حسبما تسمح به النصوص التى بين أيدينا .

أما موقع هذه المقامات : فان مقام الشافعى خلف مقام ابراهيم عليه السلام ومقام الحنفى بين الركنين الشمالي (الشامي) والغربى ومقام المالكي بين الركنين الغربى والجنوبى (اليمانى) ومقام الحنبلى مقابل للحجر الأسود.[2]

أما وقت حدوث هذه المقامات فيذكر باسلامه أنه على الرغم من بحثه الطويل فى كتب الفقه والتاريخ وغيرها لمعرفة أول من أنشأها فانه لم يوفق فى العثور على ذلك ويظن أنها قد أحدثت بين القرن الرابع والخامس الهجريين.[3]

الا أن تقى الدين الفاسي أشار الى أنه رأى ما يدل على وجود مقام الحنفى والمالكي فى سنة سبع وتسعين وأربعمائة.[4]

---

(١) ابن جبير : الرحلة ص ٧٩.
(٢) ابن جبير : الرحلة ، وأنظر : الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٢٤٤ ، ابن الضياء : البحر العميق ورقة ٨١ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٧٤ ، ٧٥ ، الأسدى : أخبار الكرام ص ١٦٠ ، ١٦١ ، باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٦٣ ، ٢٦٤.
(٣) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٥٣.
(٤) الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٢٤٥.

ويذكر الفاسي أيضا انه رأى ما يدل على أن مقام الحنابلة كان موجودا فى عشر الأربعين وخمسمائة[1] دون أن يذكر من أنشأه .

الا أن ابن جبير أشار الى أن مقام الحنابلة هو من انشاء رامشت الفارسي[2] وقد تنبه الفاسي لذلك عند ترجمته لرامشت[3] هذا وأشار الى ما ذكره ابن جبير[4].

أما حكم تعدد المقامات وبالتالى تعدد الأئمة فى الصلاة فقد أورد الزركشي والفاسي كثيرا من آراء الفقهاء بين مؤيد ومعارض[5].

والصواب أن انفراد أصحاب كل مذهب بامام خاص بهم واقامة موضع خاص به يعتبر بدعة لأن ذلك لم يكن معروفا عند السلف الصالح ولم يقل به أحد منهم ، وقد أفتى بذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله :

" صلاة الأئمة بعضهم خلف بعض جائزة كما كان الصحابة والتابعون لهم باحسان ومن بعدهم من الأئمة الأربعة يصلى بعضهم خلف بعض ... ولم يقل أحد من السلف انه لا يصلى بعضهم خلف بعض ومن أنكر ذلك فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة واجماع سلف الأمة وأئمتها . وكان أبو حنيفة وأصحابه والشافعى وغيرهم

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٢٤٦ ، ويلاحظ أن هذا المقام قد نقل من مكانة سنة ١٣٠١ هـ ، أنظر: باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٦٤ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ص ٧٩ .

(٣) هو رامشت بن الحسين بن شيرويه الفارسي المتوفى سنة ٥٣٤ هـ أنظر ترجمته فى العقد الثمين جـ ٤ ص ٣٨٥ وما بعدها ، ورامشت هو الذى أنشأ رباطا بالجانب الغربى من المسجد الحرام سنة ٥٢٩ هـ وقد قمت بنشر النص التأسيسى لهذا الرباط فى رسالتى للماجستير - أنظر :
محمد فهد الفعر : تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى - رسالة ماجستير - طبع تهامه - جدة - ١٤٠٥هـ - ص ٢٨٤ - ٢٩١ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين جـ ٤ ص ٣٨٦ .

(٥) محمد بن عبد الله الزركشي : اعلام الساجد بأحكام المساجد - تحقيق مصطفى المراغى نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - القاهرة ١٣٨٤ هـ ص ٣٦٦ ، وأنظر : الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٥ .

يصلون خلف أئمة أهل المدينة من المالكية وإن كانوا لا يقرأون البسملة لا سرا ولا جهرا ... "(١).

أما سبب ظهور المقامات في المسجد الحرام بصفة خاصة فقد أوضحه الزركشي حين ذكر : أن أمراء مكة كانوا على مذهب الشيعة الزيدية وعامة الناس سنيون وأن أمراء مكة لم يحملوا الناس على اتباع مذهبهم بل سمحوا للناس باتخاذ الأئمة كل على مذهبه واستمر الأمر على ذلك (٢).

وقد ورد في النص لقب " الظاهر " وهو من الظهور والغلبة وهو نعت خاص لبعض الخلفاء والملوك حيث أطلق على كثير منهم (٣).

أما اطلاقه هنا على السلطان برقوق فذلك لأن السلطنة انعقدت له في وقت الظهر والظهر مأخوذ من الظهيرة والظهور وظهر الأمر بعد أن كان خافيا (٤).

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية : الفتاوى الكبرى جـ ٢ - تحقيق حسنين مخلوف - طبع دار المعرفة - بيروت - لبنان ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

(٢) الزركشي : اعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٣٦٦ وأنظر :
القاسم بن يوسف التجيبي : مستفاد الرحلة والاغتراب - تحقيق عبد الحفيظ منصور طبع الدار التونسية - تونس - ليبيا - رجب ١٣٩٥ هـ - يولية ١٩٧٥ م ، ص ٢٩٦ .

(٣) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٨٣ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ ٣ (ق ٢) ص ٤٧٦ ، ٤٧٧ وأنظر :
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٢٢١ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس جـ ١ ص ٣٨ .

تحليل
نص السلطان الظاهر برقوق المؤرخ بعام ٨٠١ هـ
لوحة (٦)

١ - نقش هذا النص بالخط الحجازي اللين البارز من نوع الثلث ولكن خطه غير متقن على الرغم من أنه يعود الى أوائل القرن التاسع الهجرى اذا ما قورن بالنصوص الكتابية التى نقشت في أقاليم أخرى غير الحجاز مثل مصر التى بلغ الخط الثلث فيها فى تلك الفترة أوج ازدهاره ولا غرابة فى ذلك لأنه يبدو من واقع أسلوب هذا النص ونصوص حجازية أخرى أن الحجاز اعتمد فى نقوشه وكتاباته على الخطاطين المحليين فحسب ولا يعنى هذا أن جميع الخطاطين فى الحجاز كانت كتاباتهم أقل مستوى من غيرهم من خطاطي الأقاليم الأخرى ولكن الذى أرجحه هو أن هناك خطاطين حجازيين على مستوى رفيع استفيد من كتاباتهم فى نقش المراسيم السلطانية وبعض اللوحات التأسيسية للمنشآت والاصلاحات المعمارية المملوكيه فى الحجاز كما يوجد مجموعة من الخطاطين كانت كتاباتهم أقل اتقانا وجودة من سابقيهم ومع ذلك أستعين بهم فى كتابة النصوص التأسيسية كما هو الحال فى نصنا هذا المؤرخ بعام ٨٠١ هـ .

٢ - لم يحدد النقاش أو الخطاط أى المقامات التى أمر السلطان برقوق بتجديده لأن بالحرم المكي الشريف عدة مقامات أولها مقام ابراهيم عليه السلام ثم مقامات أئمة المذاهب الأربعة مما جعلنى ألجأ الى المؤلفات التاريخية لتحديد هذا المقام والذى أجمعت هذه المؤلفات على أنه مقام الحنفى على العكس من نص تجديد المقام والحطيم الذى يرجع الى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون المؤرخ بعام ٧٢٩ هـ والذى أورد اشارة يفهم منها أنه مقام ابراهيم عليه السلام بقوله " المقام الشريف " .

٣ - النص هنا مؤرخ بالشهر والسنة شأنه فى ذلك شأن معظم النصوص الحجازية التى ترجع الى العصر المملوكي .

٤ - أغفل هذا النص اسم المباشر أو الشاد الذى أشرف على تجديد المقام وهو أمر قليل الحدوث فى النصوص الحجازية شأنه فى ذلك شأن نص السلطان الناصر

محمد المؤرخ بعام ٧٢٩ هـ الذى سبق لنا دراسته [(١)].

٥ - يلاحظ أن النقاش قد وضع خطوطا بارزة تفصل السطور بعضها عن بعض بحيث تنتظم الكلمات في السطور على نسق واحد دون ميل أو نتوء .

٦ - اقتصرت العبارة الدعائية فى هذا النص على كلمة " نصره " فى السطر الرابع دون أى كلمة أخرى مضافة لها على العكس مما هو وارد فى كثير من النقوش الحجازية أو المصرية والتى عادة ما تأتى عباراتها بلفظ " عز نصره " أو " عز الله أنصاره " .

٧ - تظهر بعض حروف النص منقطه بينما أهملت حروف كثيرة تحتاج الى نقط .

٨ - حاول الخطاط أو النقاش أن يضفى بعض الزخارف النباتية التى تنحصر في نهايات بعض الحروف مثل حرف " الميم " فى كلمة " المقام " فى السطر الثالث حيث وردت على هذا النحو " ... " وحرفي " الهاء والراء " فى كلمة " الظاهر " فى نهاية السطر الثالث بهذا الشكل ... .

٩ - لم يراع الخطاط تناسق الحروف وتناسبها فى هذا النص فظهرت بعض الحروف كبيرة الحجم بحيث لا تتناسب مع المعدل الذى وضعه النقاش لنفسه عند الكتابة مثل حرف " النون " فى كلمة " ان الصفا " فى السطر الأول و " اللام والألف " فى كلمة " البيت " فى السطر الأول و " الراء " فى كلمة " المروة " وكلمة " من " فى السطر الأول وهكذا تبدو فى جميع النص حروف كبيرة جدا وأخرى صغيرة جدا مما يجعل النص غير متوازن الحروف .

١٠ - جاء حرف الألف فى كلمة " البيت " بزيادة سفلي بهذا الشكل " ... " بحيث يشبه حرف الألف في الخط المزوى فى القرون الأولى المبكرة على الرغم من أن هذا النص يعود الى أوائل القرن التاسع الهجرى الذى ازدهر فيه الخط اللين من نوع الثلث ازدهارا كبيرا ووضع له مقننوا الخط مواصفات ومعايير لاسيما فى مصر المملوكية مما يشير الى أن الخطاط الذى نفذ النص هو خطاط حجازى محلي لم يتأثر بالأساليب المصرية المتطورة .

---

(١) أنظر ص ١٢ وما بعدها من هذه الرسالة - لوحة (١) .

١١ - كتب الخطاط كلمة " البيت " فى السطر الأول على هذا النحو " البت " بحيث لم يثبت حرف الياء المتوسطة فى الكلمة وربما حدث ذلك عن طريق الخطأ أوالنسيان .

١٢ - ورد تاريخ النص على هذا النحو " سنة احد وثمانماية " وهو خطأ لأن الياء النهائية فى كلمة " احدى " لم تظهر مع أنه قد سبقتها كلمة " سنة " المؤنثة فلابد أن يطابق العدد هنا المعدود تذكيرا وتأنيثا فيقال على سبيل المثال : " سنة احدى وثمانمائة " أو " عام واحد وثمانمائة " وهي الطريقة الصحيحة فى النطق والكتابة .

١٣ - ورد فى النص عبارة " العبد الفقير " مع أن بعض الباحثين يشير الى أن هذه العبارة لا تأتى فى النقوش المملوكية والسلطان على قيد الحياة [(١)] وانما تأتي اذا كان السلطان قد توفي ولكنها وردت فى هذا النص المؤرخ بعام ٨٠١هـ كما وردت فى نصوص أخرى سوف نتحدث عنها نذكر منها على سبيل المثال نص السلطان برسباى الخاص بمأذنة باب الزيادة المؤرخ بعام ٨٣٨ هـ [(٢)] ، ونصوص السلطان اينال المؤرخة بعام ٨٥٨ هـ [(٣)] .

. . . . . .

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ .
(٢) أنظر ص ١٥٥ من هذه الرسالة .
(٣) أنظر ص ١٧٨، ١٧٩ من هذه الرسالة .

لوحة رقم (٧)

المكان	:	متحف آثار الحرم المكي الشريف
الرقم	:	بدون
النوع	:	لوح من الرخام مستطيل الشكل .
المقاس	:	٨٥ × ٤٠ سم .
الخط	:	حجازى لين بارز من نوع الثلث .
التاريخ	:	٨٠٤ هـ
عدد الأسطر	:	٣ سطور

يوجد بمتحف آثار الحرم المكى الشريف لوح من الرخام مستطيل الشكل عبارة عن لوحة تأسيسية لعمارة باب الحزورة وما احترق من الحرم الشريف سنة ٨٠٢ هـ والنص منقوش بالخط الثلث الحجازى اللين البارز ومؤرخ بعام ٨٠٤ هـ .

" النص "

١ - بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا الباب الشريف وما احترق من

٢ - الحرم الشريف فى سنة اثنين وثمانمائة مولانا السلطان الملك الناصر فرج ابن السلطان

٣ - الشهيد أبا سعيد برقوق عز نصره على يد الراجى عفو ربه بيسق أمير آخور فى سنة أربع وثمانمائة

وقد أشار لهذا النص كل من ابراهيم رفعت(١) وباسلامه(٢) بأنه كان موجودا على باب

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٣٣ .

(٢) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧٩ .

الحزوره[١] فى الجانب الغربي من المسجد الحرام من الداخل على الحائط الفاصل بين منفذى الباب المذكور .

ولم يقرأ ابراهيم رفعت النص قراءة كاملة بل أشار الى اسم السلطان الناصر فرج بن برقوق وتاريخ النص فقط .

أما باسلامه فقد قرأ النص على النحو التالى :

" بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا الباب وثلث الحرم لما احترق سنة ٨٠٢ هـ مولانا السلطان الملك الناصر فرج بن السلطان الملك المالك أبو سعيد برقوق على يد المغفور له بيسق أمير ياخور سنة ٨٠٤ هـ "[٢].

وباطلاعى على قراءة الشيخ باسلامه فان لي بعض الملاحظات على هذه القراءة لأهميتها فى سبيل الوصول الى الفائدة العلمية المرجوة وتتلخص هذه الملاحظات على النحو التالي :

١ - لم يلتزم باسلامه عند قراءته للنص ببداية كل سطر ونهايته وهو امر فى غاية الأهمية عند قراءة النصوص الأثرية حتى تتمشى هذه القراءة مع واقع النص .

٢ - أشارباسلامه الى أن النص قد كتب على حجر مربع والصواب أن النص قد نقش على لوح رخامي مستطيل .

٣ - ورد فى القراءة المذكورة عبارة " وثلث الحرم لما احترق " والصواب أن كلمة " ثلث" لم ترد على الاطلاق فى النص كما ورد فى قراءته عبارة " لما احترق " والصواب " وما احترق " .

---

(١) سبق أن تحدثنا عن الحزورة عند دراسة نص مأذنه باب الحزوره التى جددت فى عهد السلطان شعبان بن حسين سنة ٧٧٢ هـ . أنظر ص ٨٤ وما بعدها من هذه الرسالة.

أما باب الحزورة : وهو الباب الأول من أبواب المسجد الحرام من ناحيته الغربية وكان يعرف فى عهد الأزرقي بباب بنى حكيم بن حزام وباب بنى الزبير بن العوام والغالب عليه باب الحزامية لأنه يلى الخط الحزامي وهو طاقان أو منفذان ، وعرف بعد ذلك بعدة أسماء منها باب البقالين لقربه من سوق البقالين وباب الوداع لأن الناس يخرجون منه عند سفرهم . أنظر : الأزرقي :أخبار مكة جـ ٢ ص ٩١ ، الفاسي: شفاءالغرام جـ ١ ص ٢٣٨ ، باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧٩ .

(٢) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧٩ .

٤ - ورد تاريخ احتراق المسجد فى قراءة باسلامه رقما هكذا " ٨٠٢ هـ " والصواب أن هذا التاريخ ورد كتابة وليس رقما هكذا " اثنتين وثمانمائة ".

٥ - ورد في القراءة المذكورة عبارة " السلطان الملك المالك أبو سعيد برقوق " والصواب " السلطان الشهيد أبا سعيد برقوق ".

٦ - عبارة " عز نصره " لم ترد فى القراءة المشار اليها .

٧ - ورد فى القراءة المذكورة عبارة " المغفور له " والصواب أنها لم ترد فى النص أبدا .

٨ - ورد فى القراءة المذكورة عبارة " أمير ياخور " وهو خطأ صحته " أمير آخور " .

٩ - ورد تاريخ التعمير فى قراءة باسلامه رقما والصواب أن تاريخ التعمير قد ورد كتابة هكذا " أربع وثمانمائة ".

. . . . . .

لوحة رقم (٨)

ويوجد بمتحف آثار الحرم المكي الشريف مجموعة من الألواح الرخامية هي عبارة عن خراطيش مستطيلة مفصصة ورنوك دائرية مفصصة[1] تمثل في مجموعها لوحة تأسيسية أخرى لعمارة باب الحزورة وما احترق من الحرم الشريف سنة ٨٠٢هـ بالاضافة الى البسملة وبعض الآيات الكريمة والعبارات الدعائية وشهادة التوحيد ويمكن تقسيمها من حيث قراءتها على النحو التالي :

١ - الخرطوشة الأولى : وهي مستطيلة الشكل مقاسها ٨٠ × ٣٥ سم .
الخط : حجازى مزوى بارز يجمع بين التضفير والتزهير .
عدد الأسطر : سطر واحد .

" النص "

" بسم الله الرحمن الرحيم "

٢ - رنك كتابي : عبارة عن دائرة مفصصة الشكل قطرها ٣٠ سم .
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث .
عدد الأسطر : ثلاثة سطور يشكل الأوسط منها وهو العريض شطب رنكي ويقرأ الرنك ابتداء من شطبه ثم من أعلاه ثم أسفله .

---

(١) الخراطيش مصطلح غربي كما يعرف في المصطلح العربي باسم الدروع ، وتأتي هذه الخراطيش أو الدروع على أشكال مختلفة بعضها مستطيل وبعضها كمثرى الشكل وبعضها مفصص على العكس من الرنوك التي تأتي في الغالب دائرية الشكل ، ويلاحظ أن هذه الخراطيش انفرد بها السلاطين دون الأمراء بحيث تكتب عليها أسماؤهم وبعض ألقابهم وعبارات دعائية لهم ولكن نلاحظ أن هذه الخراطيش قد نقش عليها الخطاط الحجازى هنا نصا تأسيسيا ولم يقتصر على ذكر اسم السلطان أو العبارات الدعائية له كما جرت العادة في الخراطيش والدروع المصرية وقد ظهرت هذه الخراطيش لأول مرة في المباني باسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون في حائط حوش برد ق بجوار مدرسة السلطان حسن بالقاهرة - لمزيد من التفاصيل عن هذه الخراطيش والفرق بينها وبين الرنوك أنظر : محمد مصطفى : "الرنوك في عصر المماليك" مجلة الرسالة - العدد ٤٠٠ - السنة التاسعة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م وأنظر : أحمد عبد الرازق أحمد : "الرنوك على عصر سلاطين المماليك" مجلة الجمعية التاريخية المصرية مجلد ٢١ سنة ١٩٧٤م ص ٨٩ وأنظر : عبد الغني محمد عبد الله " الرنك الفن القديم المتجدد " مجلة الفيصل - العدد ٩٤ - ربيع الثاني ١٤٠٥هـ ص ١١٥ .

" النص "

٢ - فرج ابن

١ - عز لمولانا السلطان الملك الناصر

٣ - برقوق

٣ - خرطوشه : مستطيلة الشكل مقاسها ٨٠ × ٣٥ سم

خطها : حجازى لين بارز من نوع الثلث

عدد الأسطر : سطر واحد هو عبارة عن عبارات دعائية وآيات قرآنية .

" النص "

" يامبدئ يامعيد " " ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد "[1]

" انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر "[2]

٤ - رنك : عبارة عن دائرة مفصصة مقسمة الى ثلاثة أقسام شطب فى الوسط وقسمان أعلى وأسفل يفصل بين كل منهما عن الشطب خط بارز وقطر الرنك ٢٧ سم ويقرأ نص الرنك ابتداء من الشطب ثم من أسفله الى أعلاه .

" النص "

٣ - رسول الله

١ - لا اله الا الله

٢ - محمد

---

(١) سورة القصص :آية ٨٥ .

(٢) سورة التوبة :آية ١٨ .

٥ - خرطوشه : مستطيلة الشكل مقاسها ١٩٨ × ٣٥ سم
خطها : حجازى لين بارز من نوع الثلث
عدد الأسطر : سطر واحد .

" النص "

" أمر بعمارة هذا الباب الشريف وما احترق بالحرم الشريف فى سنة اثنين وثمانمائة مولانا السلطان الملك الناصر فرج ابن السلطان الشهيد الظاهر أبو سعيد برقوق ".

٦ - رنك : وهو عبارة عن دائرة مفصصة ومقسمة الى ثلاثة أقسام شطب عريض فى الوسط يفصله عن السطرين الأعلى والأسفل خطان بارزان قطره ٢٧ سم .
خطه : حجازى لين بارز من نوع الثلث .
عدد الأسطر : ثلاثة سطور يشكل الأوسط منها وهو العريض شطب رنكى ويقرأ ابتداء من الشطب ثم من أعلاه الى أسفله .

" النص "

٢ - فرج ابن
١ - عز لمولانا السلطان الملك الناصر
٣ - برقوق

٧ - خرطوشه : مستطيلة الشكل مقاسها ٧٣ × ٣٥ سم
خطها : حجازى لين بارز من نوع الثلث .

ولم يظهر من نص هذه الخرطوشة سوى عبارة " على يد . . . " ولا يدل عدم ظهورها في الصور على عدم وجود أصله فى النقش ولكن الغالب

أنه لم يظهر بعد تصويرى له . ويظهر أن بقية النص هي صورة طبق الأصل لنص اللوحة التأسيسية (٧) لأنه عند مقارنتى للنصين لم أجد هناك اختلافا يذكر اللهم الا تغييرات لا تمس جوهر النص وعليه يمكن اكمال هذا النص على ضوء النص الأول (٧) وذلك على النحو التالي :

" الراجى عفو ربه بيسق أمير آخور في سنة أربع وثمانمائة " .

وينحصر الخلاف بين النصين فى قوله " وما احترق من الحرم " التى وردت فى نص اللوحة (٧) وقوله " وما احترق بالحرم " الواردة فى نص الخرطوشة رقم (٥) .

وقد أشار الى نصوص هذه الخراطيش والرنوك كل من ابراهيم رفعت [١] وباسلامه [٢] الا أن ابراهيم رفعت قد أشار اليها اشارة عابرة دون قراءة لأى نص سوى الآيات القرآنية . أما باسلامه فقد أوضح أن هذه النصوص قد وضعت على منفذى باب الحزوره من خارج المسجد الحرام . وأن النص الذى يبدأ بعبارة " يامبدىء يامعيد" والآيات القرآنية قد وضع على المنفذ الأيمن من خارج الباب المذكور بينما وضع النص التأسيسي لهذه العمارة على المنفذ الأيسر من خارج الباب أيضا . [٣]

وقد قرأ باسلامه هذه النصوص التي وضعت على هيئة خراطيش ورنوك على النحو التالي ، وذلك بقوله :

" ومكتوب على المنفذ الأيمن من خارج الباب المذكور : (يامبدىء يامعيد) (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) .

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٣٣ .
(٢) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧٩ .
(٣) المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

وكتب على المنفذ الأيسر من هذا الباب : (أمر بعمارة هذا الباب وما خرب بالحرم الشريف السلطان الملك الناصر فرج بن السلطان الشهيد الظاهر أبي سعيد برقوق في سنة أربع وثمانمائة على يد الراجي عفو ربه بيسق أمير ياخور في سنة ٨٠٤هـ).[(١)]

وبمقارنة هذه القراءة بما هو موجود بالنصوص نلاحظ ما يلي :

١ - أن باسلامه قد أسقط نصوص الخراطيش : الأولى والثانية والرابعة والسادسة ولم يذكر سوى نصوص الخراطيش : الثالثة والخامسة والسابعة فقط .

٢ - ورد في قراءة باسلامه عبارة " وما خرب بالحرم الشريف مولانا السلطان فرج ....". وصوابها " وما احترق بالحرم الشريف في سنة اثنين وثمانمائة مولانا السلطان فرج ...".

٣ - ورد في القراءة المذكورة عبارة " أبي سعيد " وصوابها كما ورد بالنص "أبوسعيد".

وقد ورد في النص اسم السلطان فرج بن برقوق .

وهو السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن السلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق .[(٢)]

بويع بالسلطنة بعهد من أبيه في صبيحة يوم الجمعة الخامس عشر من شوال سنة احدى وثمانمائة .[(٣)] وهو ثاني سلاطين الجراكسة والسادس والعشرون من سلاطين المماليك بمصر .[(٤)] واستمر في سلطنته هذه الى شهر ربيع الأول سنة ٨٠٨ هـ فخلع

---

(١) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧٩ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ ٣ (ق ١) ص ٩٥٩ وأنظر :
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ١٢ ص ١٦٨ ، ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان جـ ٢ ص ٦ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ (ق ٢) ص ٥٣٦ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٢ ص ١٦٨ ، ابن الصيرفي : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة ، ابن اياس : بدائع الزهور : نفس الجزء والصفحة .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٢ ص ١٦٨ وأنظر :
ابن اياس : المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

من السلطنة بعد اختفائه وبويع لأخيه عبد العزيز بن برقوق بدلا منه فى يوم الأحد الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة ٨٠٨ هـ .(١)

الا أن فرج عاد مرة أخرى الى السلطنة وتسلم مقاليد الحكم فى شهر جمادى الآخرة من نفس السنة ولم تستمر سلطنة أخيه أكثر من سبعين يوما .(٢)

وظل فرج فى سلطنته الى أن ثارت الفتنة بينه وبين بعض الأمراء بقيادة شيخ المحمودى الذى أصبح سلطانا منذ شهر شعبان سنة ٨١٥ هـ وقتل الناصر فرج فى شهر صفر سنة ٨١٥ هـ .(٣)

وقد وصفه ابن حجر بأنه أعظم الناس خذلانا لدين الاسلام وأشأمهم طلعة على المسلمين ...(٤)

وورد فى النص اسم الأمير بيسق :

وهو سيف الدين بيسق بن عبد الله الشيخى الظاهرى نسبة الى السلطان الظاهر برقوق ترقى فى الخدمة الى أن وصل الى أمير آخور(٥) كما هو وارد بالنص ثم

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ٤ (ق ١) ص ٨ وأنظر :
ابن حجر : انباء الغمر بأنباء العمر جـ ٢ ص ٣١٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ١٢ ص ٣٢٩ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس جـ ٢ ص ٢١٢ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ (ق ٢) ص ٧٣٥ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ ٤ (ق ١) ص ٩ وأنظر :
ابن حجر : المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٢٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ١٣ ص ٤٦ ، ابن الصيرفى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢١٤ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ (ق ٢) ص ٧٤١ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، نفس الجزء ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، وأنظر :
ابن حجر : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ١٣ ص ١٤٦ ، ابن الصيرفى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ (ق ٢) ص ٨٢٠ ، ٨٢١ .

(٤) ابن حجر : أنباء الغمر جـ ٢ ص ٥١١ .

(٥) سنتحدث عن هذا اللقب فى الصفحات المخصصة للألقاب حيث ورد هنا فى النص الذى ننشره .

ترقى الى امرة طبلخاناه[١] سنة ٧٩٢ هـ[٢] وولي امرة الحاج سنوات عديدة كان أولهـا سنة ٧٩٩ هـ[٣] وتولى بعض العمارات في الحرم المكي الشريف في عهد السلطان برقوق كما سبق أن أشرت الى ذلك عند دراسة نص السلطان الظاهر برقوق المؤرخ بعـام ٨٠١ هـ[٤].

وهو الذى تولى عمارة المسجد الحرام بعد احتراقه في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق سنة ٨٠٤ هـ كما يشير بذلك النص الذى نحن بصدد دراسته.

ويشير ابن تغرى بردى الى أن تقى الدين الفاسي قد ترجم للأمير بيسق هـذا مبينا بعض الأخطاء التى وقع فيها الفاسي حين وصف الأمير بيسق هذا بالأمير الكبير[٥].

وبمراجعتى لكتاب العقد الثمين للفاسي وجدت أن الفاسي لم يترجم له ترجمـة مستقلة وانما أورد طرفا من أخباره عند ترجمته للشريف حسن بن عجلان بن رميثـه بن أبى نمى (ت ٨٢٩ هـ) وجرى لبيسق معه أحداث كثيرة[٦].

ومما يؤيد ما أشرت اليه هنا هو ما أورده السخاوى من أن تقى الدين الفاسي لـم يترجم للأمير بيسق وانما أورد طرفا من أخباره ومباشراته عند ترجمة الشريف حسـن السابق ذكره[٧].

---

(١) عن هذا اللقب أنظر : حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثـار العربية ج ١ ص ٢٣١ وما بعدها.
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١٢ ص ٦٧.
(٣) يلاحظ أن الجزيرى قد ذكر أن الأمير بيسق تولى امرة الحاج منذ سنة ٧٩٢هـ مع أن جميع المصادر التى ترجمت للأمير بيسق أشارت الى أنه تولى امرة الحاج منذ سنة ٧٩٩ هـ - أنظر : الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٣١٤.
(٤) أنظر ص ١٠٢ من هذه الرسالة.
(٥) عن هذا اللقب أنظر : حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ١٨٦ ومابعدها.
(٦) الفاسي : العقد الثمين ج ٤ ص ٨٦ وما بعدها - وأنظر : ابن تغرى بردى : النجوم ج ١٤ ص ١٥٠.
(٧) السخاوى : الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٢.

كما أن ابن تغرى بردى أشار الى أن السلطان برقوق ٨٠١ هـ قد أنعم على الأمير بيسق بامرة طبلخاناه سنة ٧٩٢ هـ[1] بينما لم يشر النص موضوع الدراسة المؤرخ بعام ٨٠٤ هـ الا الى أمير آخور[2] فقط . والأمير بيسق هذا هو الذى أرسله السلطان فرج برسالة الى تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ[3] الا أن السلطان فرج تنكّر له بعد ذلك ونفاه الى بلاد الروم فأقام بها حتى ولي السلطان المؤيد شيخ المحمودى سنة ٨١٥هـ فقدم عليه الا أن السلطان شيخ لم يقبل عليه بل نفاه الى القدس وظل الى أن توفى فى سنة ٨٢١ هـ[4] .

وقد وصفه المؤرخون الذين ترجموا له بأنه كان شرس الخلق كثير الشر جماعـــا للأموال متعصبا للمذهب الحنفي كما كان كثير البر والصدقات[5] .

وكان للسلطان فرج بن برقوق عدة اصلاحات بالحرمين الشريفين منها :

أنه خصص الثمن من ريع أوقافه بمصر لمصالح الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة من وقود وعمارة وفرش وغير ذلك بحسب ما تدعو الحاجة اليه[6] .

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٢ ص ٦٧ .
(٢) أنظر النص ، سطر ٤ .
(٣) المقريزى : السلوك جـ ٣ (ق ٣) ص ١٠٥٤ وأنظر : ابن تغرى بردى : النجوم جـ ١٢ ص ٢٤٩ .
(٤) المقريزى : السلوك جـ ٤ (ق ١) ص ٤٧٤ تحقيق د . سعيد عاشور ، وأنظر : ابن حجر : أنباء الغمر جـ ٣ ص ١٧٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ١٤ ص ١٥٠ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس جـ ٢ ص ٤٣٣ ، ابن فهد : الدر الكمين بذيل العقد الثمين ، مخطوط ورقة ١٢٣ ، السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٢ ، ٢٣ ، ابن أياس : بدائع الزهور جـ ٢ ص ٣٨ .
(٥) المصادر السابقة : نفس الأجزاء ونفس الصفحات .
(٦) حجة وقف السلطان فرج رقم ٦٦ / ١١ مؤرخة بيوم الخميس ٧ محرم ٨١٢ هـ - دار الوثائق القومية بالقاهرة - مجموعة المحكمة .

ومنها عمارته لمقام ابراهيم عليه السلام سنة ٨١٠ هـ بحيث وضع عليه قبّة عالية من خشب على أربعة أعمدة من حجارة منحوتة وزخرفت هذه القبة من الداخل وبيضت من الخارج [(١)].

ومنها تعميره للمقامات الثلاثة - الشافعى والمالكى والحنبلى - أما مقام الحنفى فلم يعمّر لأنه عمّر قبل ذلك فى عهد والده السلطان برقوق كما سبق أن أشرت الى ذلك عند دراسة النص الخاص بهذا المقام [(٢)]. وكانت عمارته لهذه المقامات سنة ٨٠٧ هـ .

وتتلخص عمارته لهذه المقامات بأن جعل كل مقام عبارة عن اسطوانتين من حجارة عليها عقد مشرف من أعلاها وفي العقد خشبة معترضة فيها خطاطيف للقناديل وجعل بين الاسطوانتين فى كل من مقام المالكي والحنبلى بناء فيه محراب أما مقام الشافعى فلم يقم فيه بناء ولا محراب لأن الشافعى يصلي خلف مقام ابراهيم عليه السلام [(٣)].

ومنها تجديد مادنة باب السلام [(٤)] سنة ٨١٠ هـ وتمت عمارتها فى السنة التى

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٠٤ ، العقد الثمين جـ ١ ص ٧٧ وأنظر: ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨١٠ هـ ورقة ١٣٨ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ١٨٥ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٥٠ ، باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٥٤-٢٥٦ .

(٢) أنظر ص ٩٨ وما بعدها من هذه الرسالة .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٣ ، العقد الثمين جـ١ ص ٨٨ وأنظر: ابن الضياء : البحر العميق ورقة ٨٠ ، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٠٧ هـ ورقة ١٣٣ ، الجزيرى : درر الفوائد ص ٣١٧ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢٠٩ ، الأسدى : أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ص ١٦٠ ، الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص ١٣٨ ، ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٢٥ .

(٤) يقع هذا الباب بالجانب الشرقي من المسجد الحرام ويعرف أيضا بباب بنى شيبة كما كان يعرف في الجاهلية وصدر الاسلام بباب بنى عبد شمس بن عبد مناف ، أنظر: الأزرقي : أخبار مكة جـ٢ ص ٨٧ ، الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٢٣٧ ، ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٢١٧ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٤٨ .

بعدها وكانت قد سقطت سنة ٨٠٩ هـ .(١)

ومن اصلاحاته : ابطال تعدد الأئمة فى صلاة المغرب وجعل الشافعى وحده هو الذى يصلي بالناس سنة ٨١١ هـ .(٢)

ومنها تجديد عقد المروة بعد سقوطه سنة ٨١١ هـ .(٣)

ومنها اصلاحه لبعض المواضع فى سطح الكعبة المشرفة بسبب نزول المطر منها وكان ذلك فى سنة ٨١٤ هـ .(٤)

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٤٠ ، وأنظر :
ابن الضياء الحنفي : البحر العميق ورقة ٨٠ ، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨١٠ هـ ورقة ١٣٨ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢٠٥ ، قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٥١ . ويذكر محقق كتاب اعلام العلماء الأعلام لمؤلفه عبد الكريم القطبى وهو مختصر لكتاب قطب الدين الحنفى - الاعلام - أن قطب الدين الحنفى أشار الى أن السلطان فرج عمّر هذه الماذنة سنة ٨١٦ هـ وبمراجعتى لكتاب قطب الدين الحنفى وجدت أنه لم يخطىء كما أشار المحقق وانما حدث خطأ مطبعي بحيث كتبت كلمة " ستة " بدلا من كلمة " سنة ". أنظر : عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١٢٩ حاشية رقم (٣) .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، العقد الثمين ج ١ ص ٨٩ وأنظر :
ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨١١ هـ ورقة ١٤١ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢١٤ . ويلاحظ أن أمر السلطان هذا سرعان ما أبطل وعاد الأئمة الأربعة يصلون جميعا فى صلاة المغرب وغيرها وذلك بأمر استصدروه من السلطان المؤيد شيخ فى ذى الحجة سنة ٨١٦ هـ ، أنظر :
الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٤٥ ، العقد الثمين ج ١ ص ٨٩ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢١٤ .

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨١١ هـ ورقة ١٤٢ وأنظر :
قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ١٧٧ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ١٠١ ، ويلاحظ أنه وقع خطأ يرجح أن يكون مطبعى فى التاريخ حيث ذكر أن هذا الاصلاح كان سنة ٨٢٤ هـ والصواب ٨١٤ هـ وأنظر : العقد الثمين ج ١ ص ٥٠ ، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨١٤ هـ ورقة ١٤٩ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٤٨ ، الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٠ ، ٢١ .

ومن اصلاحاته : احداث جامات في كسوة الجانب الشرقي من الكعبة المشرفة وهذه الجامات نقشت بالحرير الأبيض وكتب بداخلها شهادة التوحيد وكان ذلك في سنة ٨١٠ هـ واستمرت على ذلك الى سنة ٨١٥ هـ [١] وهي السنة التي قتل فيها السلطان فرج .

ومنها تعميره لقبة سقاية العباس بعد سقوط القبة التي كانت عليها [٢].

ومنها تعميره البركة التي بجانب زمزم وكانت قبل ذلك خلوة يقال انها كانت مكان جلوس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وجعل في جدار هذه البركة بزابيز يتوضأ منها الناس وذلك في سنة ٨٠٧ هـ [٣].

ويهمني بصفة خاصة هنا ما عمّره السلطان فرج بن برقوق في المسجد الحرام بعد الحريق الذى أصاب المسجد سنة ٨٠٢ هـ وهو موضوع النص الذى ننشره هنا .

ونظرا لأهمية هذا الحريق وما أحدثه من أضرار بالغة بالمسجد الحرام فقد أشار اليه كثير من المؤرخين مثل الفاسي (ت ٨٣٢ هـ) [٤] والمقريزى (ت ٨٤٥ هـ) [٥] وابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) [٦] وابن فهد (ت ٨٨٥هـ) [٧] وابن الصيرفي (ت ٩٠٠هـ) [٨] وابن اياس (ت ٩٣٠ هـ) [٩] وابن ظهيرة القرشي (ت ٩٥٠ هـ) [١٠] وقطب الدين الحنفي (ت ٩٨٨ هـ) [١١] وكثيرون غيرهم ممن جاء بعدهم .

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ١٢٢، ١٢٣ ، العقد الثمين جـ١ ص ٥٨ ، وأنظر : ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨١٠ هـ ورقة ١٣٩ .
(٢) الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٢٥٩ ، العقد الثمين جـ ١ ص ٩٣ ، وأنظر : ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٢١٥ .
(٣) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٩ - ٢٥١ ، العقد الثمين جـ١ ص ٩١ ، ٩٢ ، وأنظر : ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٠٧ هـ ورقة ١٣٣ ، ١٣٤ .
(٤) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، العقد الثمين جـ ١ ص ٨٤ ، الزهور المقتطفة ورقة ٣٨ .
(٥) المقريزى : السلوك جـ ٣ (ق ٣) ص ١٠١٩ ، ١٠٢٢ .
(٦) ابن حجر : أنباء الغمر جـ ٢ ص ١٠٧ .
(٧) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٠٢ هـ ورقة ١٢٨ .
(٨) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان جـ ٢ ص ٦١ .
(٩) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ (ق ٢) ص ٥٨٨ .
(١٠) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .
(١١) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٧١ .

وسبب هذا الحريق هو اشتعال النار برباط رامشت الملاصق لباب الحـــزورة[١] بالجانب الغربي من المسجد الحرام في ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنـــة ٨٠٢ هـ واتصلت النار بسقوف المسجد بحيث عمّ الحريق جميع الجانب الغربي من المسجد ورواقين من الجانب الشمالي حتى وصل الى باب دار العجلة[٣] وتوقف هناك لسقوط عمودين في هذه الجهة بما عليهما من عقود وسقوف بسبب السيل[٤] الذى كان قد دخل المسجد الحرام في شهر جمادى الأولى من هذه السنة[٥].

---

(١) عن هذا الرباط ومن أنشأه أنظر :
محمد فهد الفعر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى - رسالة ماجستير - طبع مؤسسة تهامة - جدة - ١٤٠٥ هـ ص ٢٨٤ - ٢٩١.

(٢) سبق أن تحدثت عن الحزورة عند دراسة نص مأذنة باب الحزورة المؤرخ بعام ٧٧٢هـ والتى جددت في عهد السلطان شعبان بن حسين. أنظر ص ٨٤ من هذه الرسالة.

(٣) دار العجلة : لا تعرف نسبتها الى العجلة عند مؤرخى مكة ، ويفهم من كـــلام الأزرقي أن هذه الدار بناها يقطين بن موسي الذى كان مشرفا على عمـــارة المسجد الحرام في عصر الخليفة المهدى سنة ١٦٧ هـ ويعرف الباب المجـــاور لها بباب العجلة وهو في الجانب الشمالي من المسجد الحرام كما يعرف بباب الباسطيه نسبة الى الزيني عبد الباسط ناظر الجيوش في عهد السلطان برسبـــاى ٨٤١ هـ وكان قد أنشأ بجوار هذا الباب مدرسة عرفت بالباسطية وعرف البـــاب الذى بجوارها بباب الباسطية وكان انشاؤه لهذه المدرسة سنة ٨٢٦ هـ.أنظر : الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٧٧ ، الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٣٩ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢١٨ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ١٨٦ ، ٣٥٠ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٣٤ ، باسلامه : تاريـــخ عمارة المسجد الحرام ص ١٨٢ ، ١٨٣.

(٤) عن هذا السيل وما أحدثه من أضرار ، أنظر :
الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٦٧ ، المقريزى : السلوك جـ ٣ (ق ٣) ص ٩٩٨ ، ابن حجر : أنباء الغمر جـ ٢ ص ٩٨ ، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنـــة ٨٠٢ هـ ورقة ١٢٧ ، ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان جـ ٢ ص ٤٤.

(٥) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٢٨ ، العقد الثمين جـ ١ ص ٨٤ - الزهـــور المقتطفة ورقة ٣٨ وأنظر :
ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٠٢ هـ ورقة ١٢٨ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢٠٣ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحـــرام ص ١٧١.

وصار ما احترق من المسجد أكواما تتعذر الصلاة فيه كما تتعذر رؤية الكعبة المشرفة [(١)] ، ويشير ابن الصيرفي الى أن موضع الحريق كان في الجانب الشمالي من المسجد الحرام [(٢)] وهو يخالف بذلك ما أجمع عليه المؤرخون الذين أشرت اليهم من أن الحريق كان في الجانب الغربي . وقد قدّرت المساحة التى أصابها الحريق عند بعض المؤرخين بحوالي ثلث الحرم الشريف [(٣)] . وبلغ مجموع الأعمدة التى أصابها الحريق حوالي ١٣٠ عمودا [(٤)] .

ويورد ابن اياس خبرا غريبا مفاده أن السلطان فرج لما سمع بهذا الحريق عيّن التاجر الكارمي برهان الدين المحلي لعمارة ما احترق من المسجد الحرام وبعث معه عشرة آلاف دينار [(٥)] وهو يخالف بذلك ما ورد في النص من أن الذى قام بالعمارة هو الأمير بيسق وهو ما أيده جميع المؤرخين الذين سبق أن أشرت اليهم عند ترجمة الأمير بيسق بل ان ابن اياس نفسه أشار الى أن الأمير بيسق هو الذى قام بالعمارة وذلك في موضع آخر من كتابه [(٦)] .

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٢٨ ، أنظر :
ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٠٢ هـ ورقة ١٢٨ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢٤٠ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٧١ .

(٢) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٦١ .

(٣) المقريزي : السلوك ج ٣ (ق ٣) ص ١١٤٨ حين أشار الى أن الحريق أصاب جزءا من المسجد الحرام يتراوح بين النصف والثلث ، أنظر :
ابن حجر العسقلاني : أنباء الغمر ج ٢ ص ١٠٧ ، ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ (ق ٢) ص ٥٩٠ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٧٢ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٧ ص ١٣ .

(٤) ابن حجر : أنباء الغمر ج ٢ ص ١٠٧ ، وأنظر :
ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ١٢٨ ، ابن الصيرفي : نزهة النفوس ج ٢ ص ٦١ ، ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ (ق ٢) ص ٥٩١ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٧٢ .

(٥) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ (ق ٢) ص ٥٩١ .

(٦) المصدر السابق : نفس الجزء ص ٦٢٩ .

ووصل الأمير بيسق فى موسم حج سنة ٨٠٣ هـ مكة المكرمة لعمارة ما احترق من المسجد الحرام وبدأ بالعمارة فعلا بعد رحيل الحجاج [١].

وعلى الرغم من أن مؤرخي مكة قد تحدثوا عن هذه العمارة مثل الفاسي [٢] وابن فهد [٣] وابن ظهيره [٤] الا أن حديثهم كان مقتضبا جدا على العكس مما أورده قطب الدين الحنفي [٥] الذى تحدث بشيء من التفصيل عن مراحل هذه العمارة والتى تتلخص فى أن الأمير بيسق شرع فى تنظيف المسجد من بقايا الحريق وكشف عن أساس الجانب الغربي وبعض الجانب الشمالي فوجد أن هذا الأساس على هيئة تقاطع الصليب تحت كل اسطوانه فجعلها على هيئة بيوت الشطرنج ورفعها حتى ظهرت على وجه الأرض ثم قطع أحجارا من جبل الشبيكة [٦] ونحتها بحيث صارت على هيئة أنصاف دوائر وألصق كل نصف بآخر بحيث تشكل دائرة كاملة يبلغ سمكها حوالى ثلثى ذراع ووضع بين كل دائرتين أسياخا من حديد وصب عليها الرصاص حتى بلغت أطوالها طول أعمدة باقي المسجد ثم وضع فى أعلاها حجارة من المرمر على هيئة قواعد تقوم عليها أطراف العقود وبنى مابين العقود الى أن ألصقه بالسقف واستمر على هذه الحال الى أن أتم الجانب الغربي ومعظم الجانب الشمالي سوى أساطين يسيرة فى مقدمة الجانب الشمالي فانها من الرخام الذى أصيب ببعض كسور طفيفة فأصلحها وذلك بأن صفحها بالحديد [٧].

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٢٢٨ ، العقد الثمين جـ١ ص ٨٤ ، الزهور المقتطفة ورقة ٣٨ ، وأنظر : ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٠٢ هـ ورقة ١٢٨ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢٠٤ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٢٨ ، العقد الثمين جـ١ ص ٨٤ ، الزهور المقتطفة ورقة ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) ابن فهد : نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٤) ابن ظهيرة : نفس المصدر والصفحة .

(٥) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٧٢ ، ١٧٣ وأنظر : باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٨٥ - ٨٨ .

(٦) جبل الشبيكة : على يمين الداخل الى مكة من حارة الباب ويعرف الآن باسم جبل الكعبة . أنظر : باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٨٦ .

(٧) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

وتمت هذه العمارة فى شعبان سنة ٨٠٤ هـ الا أنها لم تسقف بسبب تعذر وجود الأخشاب المناسبة لذلك فتوقف العمل الى سنة ٨٠٧ هـ وسقف المسجد بأخشاب العرعر[1] التى توجد بكثرة بالطائف كما أصلح مواضع أخرى من المسجد كانت تحتاج الى ترميم وتجديد[2] .

وقد ورد فى النص لقب " أمير آخور " وهو من أسماء الوظائف المتفرعة من لفظة أمير وهو اسم مركب من لفظة أمير العربية ولفظة آخور الفارسية ومعناها العلف وكان هذا الاسم يطلق على القائم على أمر الدواب من خيل وبغال وابل وغيرها من الاصطبلات السلطانية فى الدول التركية مثل دولة خوارزم شاه والسلاجقة والمماليك .

وانتقلت هذه الوظيفة من الأيوبيين الى دولة المماليك وأصبح ترتيبها الوظيفة السادسة من الوظائف العسكرية الكبرى بقصر السلطان المملوكي وأصبحت وظيفته من الوظائف الخطيرة لأن عليه أن يكون متأهبا لسفر السلطان ومواكبه وعليه النظر فى جميع ما يتعلق بالاصطبلات السلطانية وخيل البريد[3] وكثيرا ماكان يكلف أمير آخور بمهام أخرى تختلف عن مهمته الرئيسية مثل مباشرة العمائر والاشراف عليها كما هو الحال فى نصنا هذا موضوع الدراسة .

. . . . . .

---

(١) خشب العرعر : لا يزال معروفا الى الآن وينمو فى كثير من جبال الطائف وخاصة منطقة الشفا والهدا وهو خشب قوى صلب يستخدمه السكان الى عهد قريب فى تسقيف منازلهم كما يستخدمونه كعريش لأشجار العنب نظرا لصلابته ومقاومته لظروف البيئة .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٨٨ ، العقد الثمين جـ ١ ص ٨٤ ، الزهور المقتطفة ورقة ٣٨ ، ٣٩ وأنظر أيضا :
ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٢٠٤ ، قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، الأسدى : اخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ص ١٥٥ وما بعدها .

(٣) حسن الباشا : الفنون والوظائف على الآثار العربية جـ ١ ص ١٧٤ وما بعدها .

لوحة رقم (٩)

المكان	:	متحف آثار الحرم المكي الشريف
الرقم	:	بدون
النوع	:	لوح من الرخام دائرى الشكل
المقاس	:	القطر : ٣٨ سم وعرض الخطين البارزين الفاصلين للشطب عن بقية الرنك ٣ سم .
الخط	:	حجازى لين بارز من نوع الثلث .
التاريخ	:	بدون.
عدد الأسطر	:	ثلاثة أسطر تقرأ ابتداء من الشطب في الوسط ثم من أعلى الى أسفل على هذا النحو :

الشطب في الوسط	:	١ - عز لمولانا السلطان الملك الناصر
القسم الأعلى	:	٢ - فرج ابن
القسم الأسفل	:	برقوق

وقد نقش اسم السلطان فرج في القسم الأعلى واسم والده برقوق في القسم الأسفل من الرنك على أرضية نباتية بينما يخلو الشطب في الوسط من أية زخارف ويختلف هذا الرنك من حيث صيغة الكتابة عن بقية الرنوك والتى جرت العادة أن يكتب في الشطب الأوسط منها عبارة " عز لمولانا السلطان . . . " ويكتب في القسم الأعلى اسم السلطان وكنيته ويكتب في القسم الأسفل من الرنك عبارة " عز نصره " وسوف نرى ذلك عند دراسة نص رنك السلطان قايتباى الذى كان ملصقا على باب مدرستة بالناحية الشرقية من المسجد الحرام - لوحة (١٩) في الصفحات القادمة . ولم يشر أحد من المؤرخين قديما وحديثا الى نص هذا الرنك أو موقعه مما يجعل تحديد المكان الذى كان ملصقا به على وجه الدقة يعتمد على التخمين والترجيح فحسب لاسيما وأن عمارة السلطان فرج للمسجد الحرام شملت الجانب الغربي من المسجد بأكمله وبعض الجانب الشمالي منه اثر الحريق الذى أصابه سنة ٨٠٢ هـ .

وربما ألصق هذا الرنك في أعلى أحد أبواب المسجد الحرام التى شملتها هذه العمارة وخاصة باب الحزوره الذى ورد اسمه في النصوص التى سبق لنا دراستها قبل دراسة نص هذا الرنك مباشرة والمؤرخة بسنة ٨٠٤ هـ ، وبناء على ذلك فانه يبدو أن هذا الرنك قد كتب في سنة ٨٠٤ هـ .

تحليل
نصوص السلطان فرج بن برقوق المؤرخة بعـــام ٨٠٤هـ
لوحات (٧ ، ٨ ، ٩)

سبق أن تحدثنا عن نصوص السلطان فرج بن برقوق المحفوظة بمتحف آثـــار الحرم المكي وهي :

١ - النص المنقوش على مجموعة من الألواح الرخامية على هيئة خراطيش مستطيلـــة ومفصصة ويحتوى على البسملة التى نقشت بالخط المزوى المعروف بالمضفور علـى الخرطوشة الأولى منه كما تحتوى بقية الخراطيش على عبارات دعائية وآيـــات قرآنية ونص تأسيسي لعمارة باب الحزوره وما احترق من الحرم المكي الشريـف سنة ٨٠٤ هـ وكذلك اسم السلطان فرج بن برقوق الامر بهذه العمارة وشهادة التوحيد وجزء من النص الذى لم يظهر به هنا فى الصور اسم المباشر للعمـــل وتاريخ العمارة والذى يحتمل وجوده على الطبيعة وأصبح من المتعذر اعادة تصويره .

ويلاحظ أن هذه الخراطيش ابتداء من الخرطوشة الثانية وحتى نهايـــة النص قد نقش نصها بالخط الحجازى اللين البارز من نوع الثلث .

٢ - النص المنقوش على لوحة مستطيلة الشكل تتألف من ثلاثة سطور (لوحة ٧) نقشت بالخط الحجازى اللين البارز من نوع الثلث وتبدأ بالبسملة وهى نسخـة ثانية لنص الخراطيش التأسيسي وورد بها اسم المباشر للعمل وتاريخ العمارة وهو سنة ٨٠٤ هـ ولهذا فان النص التأسيسي المنقوش على الخراطيش الذى سبقت الاشارة اليه وكذلك نص هذه اللوحة المستطيلة كلاهما نقش لعمـــارة واحدة وتاريخهما واحد وهو سنة ٨٠٤ هـ فى عهد السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق الذى سبق أن أوردنا ترجمته .

٣ - رنك كتابي دائرى الشكل باسم السلطان فرج بن برقوق (لوحة ٩).

وسوف نقوم بتحليل هذه النصوص دفعة واحدة سواء النص المنقوش علـــى خراطيـــش أو النص المنقوش على لوحة مستطيلة الشكل أو نص الرنك الدائرى الشكل

لأن تاريخها واحد هو سنة ٨٠٤ هـ .

١ - لم يقتصر الخطاط الحجازى هنا فى توثيق عمارة السلطان فرج بن برقوق لباب الحزوره والجزء المحترق من الحرم المكي الشريف سنة ٨٠٤ هـ على نص تأسيسي واحد وانما قام بكتابة ونقش نصين تأسيسيين أحدهما على هيئة خراطيش مستطيلة ومفصصة وثانيهما عبارة عن لوحة تأسيسية مستطيلة الشكل تتألف من ثلاثة سطور ويدل ذلك على حرص الخطاط الحجازى على ابراز أهمية هذه العمارة التى قام بها السلطان فرج بن برقوق للحرم المكى سنة ٨٠٤ هـ والتى تعتبر بحق من أهم الاصلاحات المعمارية التى شهدها الحرم المكي الشريف فى العصر المملوكي .

والواقع أن حرص الخطاط الحجازى على توثيق العمائر والاصلاحات السلطانية بأكثر من نص تأسيسي واحد لم تقتصر على نصوص السلطان فرج بن برقوق موضوع الدراسة فحسب وانما ظهر ذلك فى نصوص السلطان شعبان بن حسين من قبل والتى سبق لنا دراستها وسوف يظهر أيضا فى نصوص حجازية أخرى كثيرة سوف نتحدث عنها مثل نصوص السلطان اينال المؤرخة بعام ٨٥٨ هـ ونصوص السلطان قايتباى الخاصة بتعمير عين عرفات المؤرخة بعام ٨٧٥ هـ ونصوص السلطان قانصوه الغورى المؤرخ أحدها بعام ٩١٥ هـ .

٢ - يلاحظ هنا التنوع فى طرق تنفيذ كتابة نصوص السلطان فرج بن برقوق التأسيسية فقد نقش أحد هذين النصين على هيئة خراطيش مستطيلة ومفصصة بينما نقش النص الآخر على هيئة لوحة تأسيسية مستطيلة الشكل وهذا دليل على المستوى الرفيع الذى بلغه الخطاطون فى الحجاز كما يدل على خصوبة فى طرق التنفيذ وتمرس فى أنواع الكتابة المختلفة وطرق التنفيذ المتعددة . وقد لاحظنا ذلك فى نماذج سابقة كما هو الحال فى نصوص السلطان شعبان المؤرخة بعامى ٧٦٦ هـ ، ٧٧٢ هـ على التوالي وسوف نلاحظ أيضا فى نصوص لاحقة مدى ما بلغه الخطاط الحجازى من درجة عالية فى طريقة تنفيذ النصوص وكتابتها وخاصة فى نصوص السلطان اينال المؤرخة بعام ٨٥٨ هـ والتى نفذ بعضها بطريقة أفقية بينما نفذ البعض الآخر بطريقة رأسية من أعلى الى أسفل ومن أسفل الى أعلى مما يجعل هذه النماذج الحجازية ربما تكون فريدة فى نوعها ومتميزة

عن النقوش والكتابات التى نفذت فى نفس الفترة فى أقاليم أخرى من العالم الاسلامي غير الحجاز وخاصة مصر التى قطع الخط الثلث فيها شوطا بعيدا من العناية والتجويد والاتقان .

٣ - النص التأسيسي الذى نقش على هيئة خراطيش لم يقتصر الخطاط فيه على نوع واحد من الخط وانما نقشت الخرطوشة الأولى منه التى تحتوى على البسملة وعبارة " وبه نستعين " بخط حجازى مزوى مضفور من نوع الخط المعروف بالكوفى المضفور حيث ظهر التضفير واضحا فى مدّات الألفات واللامات ويؤلف هذا التضفير فى نفس الوقت أشكالا زخرفية على هيئة جامات .

ولم يقتصر نص البسملة على التضفير فقط بل جمع بين التضفير والتزهير حيث خرجت من بدايات الحروف ونهاياتها زخارف نباتية على هيئة زهور ووريدات تتصل ببدايات هذه الحروف ونهاياتها وهي ذات أوراق مدببة من عدة بتلات على درجة عالية من الدقة والجمال .

ويلاحظ أن استخدام الخط المزوى فى الحجاز فى هذه الفترة قد اقتصر على الناحية الزخرفية فقط لأن الخط الثلث اللين كان قد ازدهر وأصبح هو الخط الرسمي فى مختلف الكتابات والنقوش ، واستخدام الخط المزوى كعنصر زخرفي فى الحجاز فى العصر المملوكي يدل على أن خطاطي الحجاز كانوا على دراية تامة بأساليب الخط وزخارفه لأنه كان من المعتقد أن استخدام الخط الكوفي كعنصر زخرفي فى العصر المملوكي قد اقتصر على مصر باعتبارها مركز الثقل السياسي والحضارى للدولة المملوكية ولكن وجود نماذج خطية مزواة تنتمي الى مدرسة الحجاز فى نفس الفترة يجعلنا نؤكد أن خطاطي الحجاز لم يكونوا أقل شأنا من غيرهم من خطاطي أقاليم العالم الاسلامي وخاصة الخطاط المملوكي فى مصر فى معرفة أساليب الخط وأنواعه وسوف نذكر بتفصيل أكثر خصائص ومميزات هذا النوع من الخط الزخرفي فى الحجاز عن مثيله فى مصر عند الدراسة المقارنة لهذه النصوص .

٤ - على الرغم من أن الخطاط الذى نقش نص الخراطيش قد استخدم الخط الثلث اللين البارز فى جميع الخراطيش عدا الخرطوشة الأولى فانه قام بتنويع هذه الخراطيش فلم يجعلها جميعا مستطيلة كما أنه لم يجعلها مفصصة فقط وانما

جعل الخر طوشة الثانية التي تلي خرطوشة البسملة مفصصة على هيئة رنك كتابي خاص بالسلطان فرج بن برقوق يتألف من شطب في الوسط وقسمان أعلى وأسفل ثم خرطوشة ثالثة مستطيلة نقشت بها عبارات دعائية ثم الآية الكريمة ابتداء من قوله تعالى " انما يعمر مساجد الله " الى قوله تعالى " واليوم الآخر " ثم خرطوشة رابعة مفصصة قسمت الى شطب في الوسط وقسمان أعلى وأسفل نقش عليها شهادة التوحيد والرسالة المحمدية ثم خرطوشة خامسة مستطيلة نقش بها النص التأسيسي للعمارة حتى قوله " أبو سعيد برقوق " ثم خرطوشة سادسة مفصصة على هيئة رنك كتابي مماثل لرنك الخرطوشة الثانية المفصصة ثم خرطوشة سابعة مستطيلة لم يظهر منها في الصور سوى عبارة " على يد " .

٥ - نقش نص الخراطيش المستطيلة والمفصصة - عدا نص الخرطوشة الأولى - بخط حجازى لين بارز من نوع الثلث المحقق الذى بذل الخطاط جهدا كبيرا في سبيل الاتقان والجودة سواء في أسلوب الخط أو في طريقة التنفيذ مما يشير الى أن هناك مجموعة من الخطاطين الحجازيين قد تمرست في كتابة نقوش اللوحات التأسيسية .

٦ - لقد أضفى الخطاط أو النقاش على النص التأسيسي المنقوش داخل خراطيش بعض الزخارف النباتية التى جاء بعضها منفصلا عن الحروف بحيث تؤلف أشكالا زخرفية على هيئة جامات أو مراوح نخيلية كما هو الحال في تلك الزخرفة التى تعلو كلمة " اليوم " في نص الخرطوشة الثالثة على هذا النحو وكلمة " أبو سعيد " في نص الخرطوشة الخامسة على هذا النحو كما جاءت على هذا النحو بحيث ظهرت على هيئة أغصان صغيرة تنتهى بوريقات بحيث أتت بطريقة متدابرة الرؤوس متقابلة السيقان كما هو الحال في الزخرفة التى تعلو كلمة " ميعاد " في نص الخرطوشة الثالثة وكلمة " الشريف " في نص الخرطوشة الخامسة . كما ظهرت زخرفة صغيرة الحجم بشكل مفصص على هذا النحو كما هي الزخرفة التى تعلو كلمة " يامبدىء " في أول الخرطوشة الثالثة .

وظهرت أيضا زخارف نباتية متفرعة من نفس الاطار العلوى الذى يحيط بالخرطوشة الخامسة على هيئة فرع نباتي ينتهى بوريقة ذات رأس مدبب تعلو

كلمة " فرج " وربما رسم الخطاط أو النقاش هذا الفرع النباتى فوق اسم السلطان بالذات ليلفت انتباه القارىء الى اسم السلطان الذى أمر بهذه العمارة .

وجاءت زخارف نباتية متصلة ببعض حروف نص الخراطيش حيث ظهرت هذه الزخارف من الأطراف العليا لوسط الحروف كما هو الحال فى الزخرفة المتفرعة من وسط حرف " الدال " فى كلمة " ميعاد " فى الخرطوشة على هذا النحو بحيث تظهر على هيئة فرع نباتي ينتهى بأوراق من ثلاث بتلات .

كما ظهر فرع نباتي من الحافة العليا للشرطة التى تعلو كلمة " الله " فى الخرطوشة الثالثة على هذا النحو بحيث يشكل فرعا نباتيا يتفرع من جوانبه وريدات صغيرة وينتهى هذا الفرع بزهرة من خمس بتلات مدببة الرؤوس .

كما ظهر فرع نباتي من الحافة العليا لحرف الراء فى كلمة " الآخر " فى الخرطوشة الثالثة أيضا على هذا النحو وهو عبارة عن فرع نباتى تتفرع منه وريدات صغيرة بعضها مفلطحة الشكل والبعض الآخر مدببة .

٧ - يلاحظ التزاحم الشديد فى حروف نص هذه الخراطيش خاصة المستطيلة منها بحيث أدى هذا التزاحم الى تقاطع الحروف بعضها مع بعض سواء الحروف الرأسية كالألفات واللامات أو الأفقية التى تمثل بقية الحروف على العكس من حروف نص اللوحة التأسيسية المستطيلة المؤلفة من ثلاثة سطور حيث يقل فيها تقاطع الحروف نسبيا .

٨ - بدء الخطاط أو النقاش النص المنقوش على الخراطيش بالبسملة ثم عبارات دعائية وآيات قرآنية ثم النص التأسيسي بينما اكتفى فى نص اللوحة التأسيسية المؤلفة من ثلاثة سطور بالبسملة والنص التأسيسي فقط دون عبارات دعائية أو آيات قرآنية .

٩ - وردت البسملة فى اللوحة المستطيلة المكونة من ثلاثة سطور أكبر حجما من بقية النص كما أن السطر الأول من هذا النص يتميز بكبر حجم حروفه وقلة عددها بالنسبة للسطرين الثاني والثالث حيث صغر حجم الكلمات وكثر عددها .

١٠ - عدم وجود زخارف فى هذا النص المؤلف من ثلاثة سطور سوى زخرفة صغيرة على هيئة وريدة ظهرت فوق البسملة على هذا النحو .

١١ - وضع الخطاط أو النقاش خطوطا بارزه تفصل السطور عن بعضها في اللوحة التأسيسية المستطيلة المؤلفة من ثلاثة سطور بحيث تنتظم الكلمات في السطر الواحد على نسق واحد دون نشاز كما حدد النص باطار يحدد أبعاده من جميع الجوانب .

١٢ - ورد في النصين التأسيسيين سواء النص المنقوش على هيئة خراطيش أو النص المستطيل المؤلف من ثلاثة أسطر اسم المباشر للعمل وهو الأمير بيسق أمير آخور .

١٣ - ورد في النصين التأسيسيين المشار اليهما تاريخان بدلا من تاريخ واحد الأول تاريخ احتراق جزء من المسجد الحرام سنة ٨٠٢ هـ والثاني تاريخ الانتهاء من العمارة سنة ٨٠٤ هـ ويلاحظ أن هذه التواريخ قد اقتصرت على ذكر السنين فقط دون الاشارة الى الأيام أو الأشهر سواء التي احترق فيها جزء من المسجد أو التي تمت فيها العمارة .

١٤ - يلاحظ أن نص الخرطوشتين الثانية والسادسة ورد على هيئة رنك كتابي خاص بالسلطان فرج كما ورد رنك آخر دائرى الشكل (لوحة ٩) حيث جاءت جميعها على هيئة شطب في الوسط وقسمان أعلى وأسفل تكون قراءتها ابتداء من الشطب في الوسط ثم من أعلى الى أسفل على النحو التالي :

١) عز لمولانا السلطان الملك الناصر

٢) فرج ابن

٣) برقوق

وهذه الرنوك المنقوشة في الحجاز تختلف عن الرنوك المملوكية التي كتبت في مصر لأن الرنوك المصرية كتبت نصوصها على النحو التالي :

١) الشطب في الوسط : عبارات دعائية للسلطان وبعض ألقابه

٢) القسم الأعلى : اسم السلطان

٣) القسم الأسفل : عبارة " عز نصره "(١) .

---

(١) سبق أن تحدثنا عن الرنوك والخراطيش وما أطلق عليها من تسميات وتاريخ ظهورها عند دراسة النص . أنظر ص ١١٥ من هذه الرسالة .

ولذلك نلاحظ أن رنوك السلطان فرج التى نقشت فى الحجاز لم تذكر عبارة " عز نصره " فى الهامش الأسفل وانما استبدلت هذه العبارة باسم والد السلطان .

١٥ - يلاحظ أن القسمين الأعلى والأسفل من الرنك الدائرى الشكل اللذان نقش بهما اسم السلطان فرج واسم والده برقوق قد زينا بالزخارف النباتية حيث تشكل أرضية نباتية للكتابة وهي عبارة عن فروع نباتية ملتوية يتفرع من رؤوسها وجوانبها ونهاياتها وريقات وزهور صغيرة .

١٦ - لقد كتب الخطاط كلمة " ابن " فى نصوص الرنوك سواء المفصصة أو الدائرية بزيادة ألف فجاء اسم السلطان فيها على هذا النحو : " فرج ابن برقوق " والصواب عدم وضع الألف لكلمة " ابن " لأنها جاءت هنا بين اسمين علمين فالصواب عدم اضافة حرف الألف حتى ولو جاء الاسمان مجزءان بين الهامشين وتكون كتابتها صحيحة بهذا الشكل : " فرج بن

. . . . . .

برقوق

١٧ - لقد قام الخطاط أو النقاش الحجازى هنا بكتابة بعض الحروف على هيئة الضفائر التى عرفت فى الخط المزوى المضفور على الرغم من أن هذه النصوص قد كتبت بخط الثلث اللين ولم يعرف التضفير الا فى الخط المزوى الذى عرف بالكوفي حتى أصبح الخط الكوفي المضفور أحد فروع الخط المزوى الزخرفي الرئيسية .

وكتابة بعض حروف الخط الثلث اللين البارز بطريقة مضفورة ربما كان أمرا نادر الوجود فى غير النصوص الحجازية مما يدل على مهارة الخطاط الحجازى وقدرته الفائقة على كتابة الحروف بطرق مبتكرة كما هو الحال فى حرف "اللام ألف" الأولى فى كلمة " لا اله الا الله " فى نص الخرطوشة المفصصة الرابعة من هذه الخراطيش حيث كتب حرف اللام على هذا النحو بحيث تبدو اللام مجدولة دون الألف " " .

. . . . . .

لوحة رقم (١٠)

المكان : متحف آثار الحرم المكى
الرقم : بدون
النوع : لوح من الرخام مستطيل الشكل عبارة عن لوحة تأسيسية لعمارة باب النبى صلى الله عليه وسلم بالمسجد الحرام .
المقاس : ١٦٠ × ٥٠ سم .
التاريخ : ذو القعدة سنة ٨٢٥ هـ .
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث .
عدد الأسطر : ثلاثة سطور .

يوجد بمتحف آثار الحرم المكى لوح من الرخام مستطيل الشكل عبارة عن لوحة تأسيسية لعمارة باب النبى صلى الله عليه وسلم بالمسجد الحرام مؤرخة بشهر ذى القعدة سنة ٨٢٥ هـ .

" النص "

١ - بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة [١] أمر بتجديد هذا الباب الشريف باب النبى صلى الله عليه وسلم
٢ - سيدنا ومولانا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباى خادم الحرمين الشريفين قسيم أمير المؤمنين أعز الله أنصاره .
٣ - على يد الفقير الى الله تعالى زين الدين مقبل قديدى السيفى الملكى الأشرفى بتاريخ ذى القعدة الحرام أحد شهور سنة خمس وعشرين وثمان مايه .

---

(١) سورة التوبة : آية ١٨

وقد أشار الفاسي لهذا النص بقوله " وكتب بسبب هذه العمارة في لوح من رخام أن ذلك عمّر في سنة خمس وعشرين وثمانمائة في ذي القعدة بأمر صاحب مصر الملك الأشرف برسباي على يد الأمير زين الدين مقبل القديدي صاحبنا ..."(١) الا أن الملاحظ أن الفاسي لم يحدد المكان الذي وضع فيه هذا النص .

أما باسلامه فقد أشار الى أن هذا النص قد وضع بين عقدي(٢) باب النبي صلى الله عليه وسلم(٣) الا أن الملاحظ أن وصف باسلامه لهذه اللوحة التأسيسية يفتقد الى الدقة فقد أشار مرة الى أن هذا النص بقوله " قد كتب على حجر بالخط البارز بخط مستقيم متراص بعض الأسطر على بعض "(٤) وأشار مرة أخرى الى أن هذا النص قد كتب نقرا على الحجارة داخل دائرة مستطيلة(٥) .

والواقع أن هذا النص قد كتب على لوح رخام مستطيل الشكل ولم يكتب على حجر أو حجارة كما يذكر باسلامه .

وقد قرأ باسلامه هذا النص في موضعين من كتابه(٦) فجاءت قراءته على النحو التالي :

" بسم الله الرحمن الرحيم - انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة . أمر بتجديد الباب الشريف للنبي صلى الله عليه وسلم سيدنا ومولانا المقام الشريف السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباي خادم الحرم الشريف وأمير المؤمنين اللهم أعز نصره على يد الفقير الى الله تعالى الوزير المقدم مقبل القديدي المكي الأشرفي بتاريخ ذي القعدة الحرام أحد شهور سنة ٨٢٥ هـ" .

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٢٩ ، العقد الثمين ج ١ ص ٨٥ .
(٢) سوف نتحدث عن منافذ وعقود هذا الباب في الصفحات القادمة عند الكلام على عمارة السلطان برسباي لهذا الباب وما قام به مقبل القديدي من اصلاحات .
(٣) سوف نتحدث في الصفحات القادمة عن هذا الباب وسمياته المختلفة على مر العصور .
(٤) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١١٠ .
(٥) باسلامه : المرجع نفسه ص ١٧٢ .
(٦) باسلامه : المرجع نفسه ص ١١٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

ويلاحظ أنه حدث في قراءة باسلامه هذه عدة أخطاء نوردها على النحو التالي :

١ - جاء في قراءة باسلامه قوله : " أمر بتجديد الباب " والصواب " أمر بتجديد هذا الباب " .

٢ - ورد في قراءة باسلامه قوله: " الباب الشريف للنبي صلى الله عليه وسلم " والصواب " الباب الشريف باب النبي صلى الله عليه وسلم " .

٣ - ورد في قراءة باسلامه قوله : " السلطان الملك " والصواب " السلطان المالك الملك " .

٤ - " خادم الحرم الشريف " والصواب " خادم الحرمين الشريفين " .

٥ - ورد في قراءة باسلامه قوله : " وأمير المؤمنين " والصواب " قسيم أمير المؤمنين " .

٦ - ورد في قراءة باسلامه قوله: " اللهم أعز نصره " والصواب " أعز الله أنصاره " .

٧ - ورد في قراءة باسلامه قوله : " الوزير المقدم مقبل القديدي المكي " والصواب " زين الدين مقبل قديدي السيفي الملكي " .

٨ - ورد التاريخ في قراءة باسلامه رقما مرة[(١)] كما ورد كتابة في المرة الأخرى[(٢)] والصواب أن يرد كتابة في كلا الحالتين كما هو في النص .

وقد ورد في النص اسم " السلطان الملك الأشرف برسباي " .

وهو السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري الجركسي[(٣)] وهو الثامن من ملوك الجراكسة بويع بالسلطنة بعد خلع الملك الصالح محمد

---

(١) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١١٠ .
(٢) باسلامه : المرجع نفسه ص ١٧٢ .
(٣) المقريزي : السلوك ج ٤ ق (٢) ص ٦٠٧ وأنظر:
ابن حجر العسقلاني : أنباء الغمر ج ٣ ص ٢٧٠ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ٢٤٢ ، ابن فهد : الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين - مخطوط - مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم (٢٥١) عن مخطوط مكتبة رضا رامبور رقم ٣٦١٣ ترجمة برسباي ورقة ٤١ ، ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ج ٣ ص ٥ ، السخاوي: الضوء اللامع ج ٣ ص ٨ ، ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ٢ ص ٨١ .

بن ططر فى يوم الأربعاء الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ٨٢٥ هـ .[١]

وظل فى سلطنته الى أن توفي فى عصر يوم السبت الثالث عشر من ذى الحجة سنة ٨٤١ هـ بعد أن عهد بالسلطنة لابنه العزيز جمال يوسف وقد بلغ من العمر نيفا وستين سنة .[٢]

والسلطان برسباى هو أول من أخذ المكوس من التجار الوافدين الى ثغر جدّة منذ سنة ٨٢٨ هـ ،[٣] وقد أبدى المقريزى أسفه الشديد لما أحدثه السلطان برسباى من أخذ هذه المكوس واحتكار التجارة وذلك بقوله : " وصار نظر جدّه وظيفة سلطانية يخلع على متوليها ويتوجه فى كل سنة الى مكة فى أوان ورود مراكب الهند الى جدّة ويأخذ ما على التجار ويحضر به الى القاهرة ويلغ ماحمل الى الخزانة من ذلك زيادة على سبعين ألف دينار سوى مالم يحمل فجاء للناس مالا عهد لهم بمثله فان العادة لم تزل من قديم الدهر في الجاهلية والاسلام تحمل الأموال الجزيلة الى مكة لتفرق فى أشرافها ومجاويها فانعكست الحقائق وصار المال يحمل من مكة ويلزم أشرافها بحمله ومع ذلك فمنع التجار أن يسيروا فى الأرض يبتغون من فضل الله وكلفوا أن يأتوا الى القاهرة حتى تؤخذ منهم المكوس على أموالهم . . . " .[٤]

وقد ورد فى النص اسم " زين الدين مقبل القديدى " .

ولم يورد له المؤرخون أى ترجمة تكشف لنا عن بعض جوانب حياته على حد علمي ولقد بذلت قصارى الجهد فى سبيل الوصول الى شىء من ذلك الا أنى لم أعثر

---

(١) المقريزى : السلوك ج ٤ ق (٢) ص ٦٠٧ وأنظر :
ابن حجر العسقلانى : أنباء الغمر ج ٣ ص ٢٧٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ٢٤٢ ، ابن الصيرفي : نزهة النفوس ج ٣ ص ٦ ، السخاوى : الضوء اللامع ج ٣ ص ٨ ، ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٨١ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق ص ١٠٤٧ ، ١٠٦٥ ، وأنظر :
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١٠٦ ، ابن الصيرفي : المصدر السابق ج ٣ ص ٤١٣ ، ٤٢١ ، السخاوى : الضوء اللامع ج ٣ ص ٩ ، ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٨٨ .

(٣) المقريزى : السلوك ج ٤ ص ٦٨٠ - ٦٨٢ ، وأنظر :
ابن حجر : أنباء الغمر ج ٣ ص ٤٢٣ ، ابن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ص ١٤ ، ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٨١ .

(٤) المقريزى : السلوك ج ٤ ق (٢) ص ٧٠٧ ، ٧٠٨ .

للأسف على شيء من سيرة حياته اللهم الا ما أشار اليه ابن حجر من أن السلطان برسباى قد بعثه الى مكة فى شهر جمادى الآخرة سنة ٨٢٥ هـ لاصلاح المسجد الحرام[1] أو ما أشار اليه مؤرخوا مكة عند حديثهم عن الاصلاحات التي قام بها مقبل القديدى أثناء وجوده فى مكة وهو ما سوف أوضحه فى الصفحات التالية عند الكلام عن اصلاحات السلطان برسباى .

وللسلطان برسباى اصلاحات ومآثر بالحرمين الشريفين أشار المؤرخون اليها منها :

ترميم سقف الكعبة واصلاح جدرانها وأخشابها ورخامها

وكانت هذه الاصلاحات قد تمت فى أواخر سنة ٨٢٥ هـ وأوائل سنة ٨٢٦ هـ على يد مقبل القديدى[2] الذى ورد اسمه فى هذا النص وقد نقش ذلك فى لوحة تأسيسية رخامية وضعت فى الجدار الغربي من داخل الكعبة المشرفة[3].

---

(١) ابن حجر : انباء الغمر جـ ٣ ص ٢٧١ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ١٠٢ ، العقد الثمين جـ ١ ص ٥٠ ، الزهور المقتطفة ورقة ١٦ وأنظر :
ابن حجر : أنباء الغمر جـ ٣ ص ٢٥١ ، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٢٥ هـ ، ٨٢٦ هـ ورقة ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ابن فهد : الدر الكمين بذيل العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين - ترجمة برسباى - ورقة ٤١ ، الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٣٢١ ، ٣٢٣ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٨٣ ، عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ٨٩ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكي فى التاريخ المكي ورقة ٦٤ .

(٣) أشار الفاسي الى هذا النص فى شفاء الغرام وذكر أن هذا اللوح قد وضع فى الحائط المقابل لباب الكعبة من الداخل ويقصد بذلك الناحية الغربية بينما يذكر الفاسي نفسه في العقد الثمين أن هذا اللوح وضع فى الحائط اليمانى (الجنوبى) للكعبة المشرفة والواقع أنه وضع فى جدار الكعبة الداخلى الغربى لأن بعض المؤرخين المحدثين رأى هذا النص وقرأه مثل البتنونى وابراهيم رفعت وحسين باسلامه ومحمد طاهر الكردى وجميعهم متفقون على انه بالحائط الغربى من داخل الكعبة المشرفة - أنظر :
شفاء الغرام جـ ١ ص ١٠٢ ، العقد الثمين جـ ١ ص ٥١ ، ٥٢ ، الرحلة الحجازية ص ١٠٧ ، مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٦٦ ، تاريخ الكعبة المعظمة الطبعة الثانية ص ١٤١ . وأنظر أيضا :
التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم جـ ٣ ص ٢٤٩ .

وقام مقبل القديدى أيضا باصلاح وترميم رخام حجر اسماعيل عليه السلام سنة ٨٢٦ هـ [(١)].

ومن هذه الاصلاحات تجديد بعض العقود في الجانب الشمالي من المسجد الحرام وهي ثمانية عقود وتمت عمارتها في شعبان سنة ٨٣٠ هـ [(٢)].

وفي هذه السنة أيضا بيّض مقام ابراهيم عليه السلام والمقامات الأربعة وعقد الصفا وفرش المسجد بالحصباء وعمل لأبواب المسجد درجا يمنع دخول السيل الى المسجد [(٣)].

ومن اصلاحات السلطان برسباى تعميره لعين حنين [(٤)] عدة مرات في سنوات ٨٣٠هـ و ٨٣١ هـ ، ٨٣٢ هـ [(٥)] ومنها أنه خصص جزءا من ريع أوقافه بمصر لعمارة الحرمين الشريفين بمكة والمدينة وترميمها [(٦)]. كما خصص جزءا آخر من ريع أوقافه أيضا لشراء

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢١٦ وأنظر : ابن فهد اتحاف الورى حوادث سنة ٨٢٦ هـ ورقة ١٨٦ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص١٨٣، ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٢٨ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين جـ١ ص ٨٥ وأنظر : ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٣٠ هـ ورقة ١٩٧ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ١٨٦ .

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٣٠ هـ ورقة ١٩٧ .

(٤) عين حنين وتعرف أيضا بعين زبيدة وعين بازان وتنبع هذه العين من جبل شاهق يقال له (طاد) على الطريق القديم بين مكة والطائف ويعرف هذا الجبل بهذا الاسم حتى اليوم وأول من أجرى هذه العين الى مكة السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد سنة ١٩٤ هـ - أنظر :
الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار جـ ٢ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ، رشدى الصالح ملحس : ملحق (٤) من كتاب الأزرقي - أخبار مكة - جـ ٢ ص٣٢٧ ، عاتق بن غيث البلادى : معجم معالم الحجاز جـ ٦ طبع دار مكة للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م ص ٢٠٥ .

(٥) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٣٠ هـ ، ٨٣١ هـ ، ٨٣٢ هـ وأنظر : الدر الكمين - ترجمة برسباى ورقة ٤١ .

(٦) وثيقة السلطان برسباى رقم ١٧٣ / محكمه / موجودة بدار الوثائق القومية بالقاهرة ومؤرخة بشهر جمادى الآخرة سنة ٨٢٧ هـ وهي عبارة عن كتاب مجلد يتألف من ٣٠٠ صفحة - أنظر الفصل الثالث من هذا المجلد ص ١١٢ ، ١١٣ .

مائة قميص لفقراء الحرمين الشريفين[١] .

وخصص جزءا آخر أيضا لقراء المصحف الشريف بمكة والمدينة[٢] .

وجعل ثلاثة أسهم من أصل أربعة وعشرين سهما من ريع أوقافه لصرفها على مصالح البيمارستان بمكة[٣] كما خصص ثلاثة أسهم أخرى تصرف لعمارة عين بازان بمكة المكرمة[٤] .

ومن اصلاحاته أنه بعث في سنة ٨٣١ هـ بخمسة آلاف دينار تصدق بها على فقراء الحرمين الشريفين[٥]

ويشير ابن فضل الله الطبرى (ت ١١٧٣ هـ) الى أن السلطان برسباى قد بعث في سنة ٨٣٣ هـ بباب للكعبة المشرفة[٦] والملاحظ أن هذا الخبر قد انفرد به ابن فضل الله الطبرى دون غيره ولم يشر أحد من المؤرخين المعاصرين الى أن السلطان برسباى قد بعث بباب للكعبة المشرفة .

ومن اصلاحات السلطان برسباى أنه جدد الرواقين اللذين عمّرهما السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالمسجد النبوى الشريف كما جدد بعض السقف الشمالي من المسجد المذكور وكان هذا التجديد سنة ٨٣١ هـ على يد مقبل القديدى[٧] الوارد اسمه في النص .

ومنها : أنه أمر بحفر آبار على طول طريق الحجاج بين مكة والقاهرة وخاصة في

---

(١) وثيقة السلطان برسباى ص ١١٣ .
(٢) نفس المصدر ص ١١٣ .
(٣) نفس المصدر ص ١١٤ .
(٤) نفس المصدر ص ١١٥ .
(٥) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٣١ هـ ورقة ٢٠٤ .
(٦) ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٣٤ .
(٧) السخاوى : التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة جـ ٢ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ وقد أشرت الى تعمير السلطان الناصر محمد بن قلاوون لهذين الرواقين عند دراسة النص الخاص بالسلطان الناصر محمد المؤرخ بعام ٧٢٩ هـ أنظر ص ٢٠ من هذه الرسالة .

منطقة عيون القصب(١) وكان ذلك في سنة ٨٣٤ هـ.(٢)

ومن اصلاحاته عمارة مقام الحنفية سنة ٨٣٦ هـ على يد الأمير سودون المحمدى(٣) وجعل عليه قبّة من خشب مبيضة بالجص وفرش أرضه وأسفل جوانبه بالحجارة المنحوتة.(٤)

ومن اصلاحات السلطان برسباى تغيير سقف الكعبة على يد سودون المحمدى سنة ٨٣٨ هـ(٥) ومنها تجديد الحجر على يد سودون المحمدى سنة ٨٣٨ هـ واستقدم

---

(١) عيون القصب سبق أن تحدثت عنها عند دراسة نص السلطان شعبان الخاص بابطال المكوس المؤرخ بعام ٧٦٦ هـ - أنظر ص ٤٣ من هذه الرسالة حاشية رقم (٦).

(٢) المقريزى : السلوك جـ ٤ ق (٢) ص ٨٥٣، ٨٥٩ وأنظر:
ابن حجر : أنباء الغمر جـ ٣ ص ٤٥٥، ٤٥٦، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٤ ص ٣٥٥، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٢ ص ١٣٩، ١٤٠.

(٣) سودون المحمدى : قام بكثير من العمارات والاصلاحات في عصر السلطان برسباى وكذلك في عصر السلطان جقمق ٨٥٧ هـ وكان أول وصوله الى مكة سنة ٨٣٦هـ وتولى نظارة الحرم المكي منذ سنة ٨٣٧ هـ وتوفي سنة ٨٥٠ هـ وورد له ذكر - في كثير من المؤلفات التاريخية - أنظر:
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٥ ص ٥١٦، ابن فهد : الدر الكمين - ترجمة سودون المحمدى ورقة ٧٢، السخاوى : التبر المسبوك فى ذيل السلوك - طبعة بولاق ١٨٩٦ م ص ١٥٢، السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٢٠٧، السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٨٥، ٢٨٦، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٢ ص ٢٥٤.

(٤) ابن الضياء الحنفي : البحر العميق ورقة ٨١ وأنظر:
ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٣٦ هـ ورقة ٢١٣، الدر الكمين - ترجمة سودون المحمدى - ورقة ٧٢، ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٢١٠، الأسدى : اخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ص ١٦٣، محي الدين الطبرى : الأرج المسكي في التاريخ المكي ورقة ٧٤، الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي امارة الحاج ص ١٤٢.

(٥) المقريزى : السلوك جـ ٤ ق (٢) ص ٩٣٤ وأنظر:
ابن حجر : انباء الغمر جـ ٣ ص ٥٣٦، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٥ ص ٥١٦، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٣٨هـ ورقة ٢١٦، الدر الكمين ورقة ٧٢، ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان جـ ٣ ص ٣٠٨، السخاوى : التبر المسبوك فى ذيل السلوك ص ١٥٢، ١٥٣، الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٨٥، ٢٨٦، الجزيرى : درر الفوائد ص ٢١، ويلاحظ أن قطب الدين الحنفي قد أرخ تغيير (=)

لذلك ستون ذراعا[1] من الرخام وخمسون حملا[2] من الجبس لتبييض أروقة الحرم المكي الشريف[3].

ومن اصلاحات السلطان برسباى عمارته لماذنة باب الزيادة وهو ماسوف نتحدث عنه بالتفصيل عند دراسة النص الخاص بعمارة هذه الماذنة والمؤرخ بسنة ٨٣٨ هـ في الصفحات القادمة[4].

ويهمنى هنا بصفة خاصة ماقام به السلطان برسباى من عمارة لباب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أبواب المسجد الحرام كما هو وارد بالنص.

ويقع هذا الباب في الجانب الشرقي من المسجد الحرام وسمي بذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل الى المسجد ويخرج منه الى منزله بدار خديجة رضي الله عنها وقد عرفه الأزرقي (ت حوالي سنة ٢٥٠ هـ) بهذا الاسم[5] وهو موافق

(=) سقف الكعبة المشرفة سنة ٨٤٣ هـ والصواب أن ذلك حدث سنة ٨٣٨هـ كما أجمعت على ذلك المصادر ولأن التاريخ الذى أورده قطب الدين الحنفى لا يقع في فترة حكم السلطان برسباى المتوفى سنة ٨٤١ هـ - أنظر:
قطب الدين الحنفي: الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٩٠.

(١) الذراع المشار اليه هو ذراع العمل لأنه المستعمل غالبا في العمائر وهو يساوى ٥٦,٦ سم - أنظر:
د. صالح لمعي مصطفى: التراث المعمارى الاسلامي في مصر- طبعة بيروت - ١٩٧٥م ص ١١٩.

(٢) سبق أن أشرنا الى الحمل وهو حمل الجمل عند دراسة نص السلطان شعبان الخاص بابطال المكوس سنة ٧٦٦ هـ أنظر ص ٦٨ من هذه الرسالة.

(٣) المقريزى: السلوك ج ٤ ق (٢) ص ٩٣٤ - أنظر:
ابن حجر: أنباء الغمر ج ٣ ص ٥٣٦، ابن فهد اتحاف الورى حوادث سنة ٨٣٨ هـ ورقة ٢١٦، قطب الدين الحنفى: الاعلام ص ١٩٠، الرشيدى: حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي امارة الحاج ص ١٤٣.

(٤) أنظر ص ١٥٥ من هذه الرسالة.

(٥) الأزرقي: أخبار مكة ج ٢ ص ٨٧، ٨٨.

لما ورد بالنص ، وكان هذا الباب فى عهد الأ زرقي يتألف من طاق واحد.[١]

وقد أشار لهذا الباب كل من ابن جبير وابن بطوطه وعرفاه بنفس الاسم وذكرا أنه يتألف من فتحتين[٢] مما يدل على أنه قد عمّر بعد عهد الأزرقي وجعل فتحتان بعد أن كان فتحة واحدة يؤكد ذلك ما أشار اليه الفاسي عندما تحدث عن أبواب المسجد الحرام وأوضح أن هذا الباب فى عهده يتألف من طاقين وأنه لا يعرف التاريخ والوقت الذى صار فيه هذا الباب طاقين وسمّاه أيضا بباب الجنائز لأن الجنائز فى عصره كانت تخرج منه فى الغالب.[٣]

أما قطب الدين الحنفي (ت ٩٨٨ هـ) فقد أطلق على هذا الباب عدة أسماء منها باب الحريريين لأن باعة الحرير كانوا يبيعون الحرير بالقرب منه وباب القفص لأن الصواغ كانوا يبيعون الحلي[٤] بالقرب منه أيضا.[٥]

وعلى الرغم من تعدد أسماء هذا الباب فى مختلف العصور الا أنه اشتهر باسم باب النبى صلى الله عليه وسلم حتى عصرنا الحاضر.[٦]

----

(١) الطاق : يقصد به المنفذ أو المدخل أو الفتحة وقد عرف الفاسي الطاقات بالعقود - أنظر: الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٣٥ ، صالح لمعي مصطفى : التراث المعمارى الاسلامي فى مصر - طبعة بيروت - ص ١٢١.

(٢) ابن جبير: الرحلة ص ٨٢ - وأنظر ابن بطوطه : الرحلة ص ٨٥.

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٣٧، ٢٣٨.

(٤) يلاحظ أن وضع الحلي فى أقفاص قد عرف أيضا فى مصر اذ يشير المقريزى الى سوق القفيصات جمع قفيص وهو مكان معد لجلوس اناس على تخوت ... وفوق تلك التخوت أقفاص صغار من حديد شبكت فيها كثير من الخواتيم والفصوص وأساور النساء وخلاخيلهن ويشير المقريزى أيضا الى أن الأماكن التى تشغلها هذه الأقفاص كانت بأجرة يدفعها أصحاب هذه الأقفاص. وأود أن أضيف الى أن وضع الحلي فى أقفاص يشير الى أن كثيرا من العادات كانت متشابهة ومشتركة بين الحجاز ومصر - أنظر: المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢ - طبعة بولاق - ١٢٧٠ هـ ص ٩٧.

(٥) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ١٨٦، ٣٤٩ وأنظر: باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧٢، رشدى ملحس : حاشية رقم (١) من كتاب الأزرقي - أخبار مكة ج ٢ ص ٨٨.

(٦) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧٢.

وقد قام مقبل القديدى بعمارة هذا الباب بسبب سقوط أجزاء منه فقام بهدم الأجزاء الباقية والحاجز القائم بين فتحتى الباب وانتهى بالهدم الى رباط المراغي[(١)] ثم عمّر هذا الباب بحجارة منحوته[(٢)].

وقام باصلاح عدة عقود بالجانب الشرقي من المسجد الحرام ورمم ماكان تالفا من سقوف المسجد وبيّض سطحه بالنورة وجعل بعض أبواب المسجد التى تفتح وتغلق من الحديد مثل باب الجنائز وباب العباس[(٣)] وباب علي[(٤)] والباب الأوسط من

---

(١) رباط المراغي : كان يقع في الجانب الشرقي من المسجد الحرام وينسب الى القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المراغي أوقفه سنة ٥٧٥ هـ ، عن هذا الرباط وموقعه والنقش الذى كان على بابه أنظر :
محمد فهد الفعر : تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى - طبع تهامه ص٢٩٦-٣٠٢ لوحة ٥٦

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، العقد الثمين ج ١ ص ٨٤ ، ٨٥ ، الزهور المقتطفة ورقة ٣٩ وأنظر :
ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٢٦ هـ ورقة ١٨٦ . ويلاحظ أن ابن فهد قد أرخ عمارة هذا الباب بسنة ٨٢٦ هـ والصواب أنه عمّر سنة ٨٢٥ هـ كما هو وارد بالنص موضوع الدراسة وأنظر أيضا :
قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٨٣ ، ١٨٦ وأنظر أيضا :
ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٢٨ .

(٣) باب العباس : يقع فى الجانب الشرقي من المسجد الحرام وقد عرفه الأزرقي بهذا الاسم لأنه كان يقابل دار العباس رضي الله عنه التي كانت بالمسعى أنظر :
أخبار مكة ج ٢ ص ٨٨ ، وأنظر :
الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٣٨ .

(٤) باب علي : وهو الباب الرابع من أبواب الناحية الشرقية من المسجد الحرام وعرفه الأزرقي بباب بنى هاشم وباب البطحاء بينما عرفه كل من ابن جبير والفاسي بباب علي - أنظر :
الأزرقي : أخبار مكة ج ٢ ص ٨٨ وأنظر :
ابن جبير : الرحلة ص ٨٢ وأنظر أيضا :
الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٣٨ .

أبواب الصفا[١] وباب العجلة[٢] وباب زيادة دار الندوة[٣] وغير ذلك من الأماكن .

وقد ورد فى النص عدة ألقاب سبق أن تحدثنا عن بعضها فى النصوص السابقة وبعضها نتحدث عنه هنا مثل لقب " قسيم أمير المؤمنين " .

وقسيم بمعنى مقاسم وكان يضاف الى اللفظ بعض كلمات لتكوين ألقاب مركبة مثل قسيم أمير المؤمنين وقسيم الدولة[٤] .

وقسيم أمير المؤمنين من الألقاب الرفيعة المضافة الى أمير المؤمنين ومعناه مقاسم أمير المؤمنين فى سلطانه وقد عرف هذا اللقب منذ العصر العباسي وفى العصر الأيوبي كما ظهر فى العصر المملوكي منذ أن أحييت الخلافة العباسية فى القاهرة على يد بيبرس سنة ٦٥٩ هـ وأصبح هذا اللقب لقبا عاما على سلاطين المماليك البحرية[٥] .

---

(١) باب الصفا : وهو الباب الثالث من أبواب المسجد الحرام من الناحية الجنوبية ويتألف من خمسة عقود أو منافذ وعرفه الأزرقي بباب بنى عدى بن كعب وباب بنى مخزوم - أنظر :
أخبار مكة جـ ٢ ص ٨٩، ٩٠ ، الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٣٨ ويوجد على هذا الباب أربعة نقوش أحدها مؤرخ بعام ١٦٧ هـ تمثل لوحات تأسيسية لعمارة هذا الباب فى عهد الخليفة المهدى العباسي ١٥٨ هـ - ١٦٩هـ وقد قمت بنشر هذه النصوص فى رسالتى للماجستير - أنظر : محمد فهد الفعر : تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى - طبع تهامه، ص ٢٠٢ - ٢١١ لوحة ٣٠-٣٢

(٢) باب العجلة نسبة الى دار العجلة التى أشرت اليها عند دراسة نصوص السلطان فرج بن برقوق المؤرخة بعام ٨٠٤ هـ أنظر ص ١٢٦ من هذه الرسالة .
أما هذا الباب فهو الثانى من أبواب المسجد الحرام من الناحية الشمالية وعرفه قطب الدين بباب الباسطية نسبة الى مدرسة الزينى عبد الباسط ناظر الجيش فى عهد السلطان ططر ٨٢٤ هـ والسلطان برسباى - أنظر :
قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ١٨٨، ١٨٩ ، ٣٥٠ .

(٣) تقع هذه الزيادة فى الجانب الشمالي من المسجد الحرام وهي الزيادة التى أضيفت الى المسجد الحرام بأمر الخليفة المعتضد بالله العباسي سنة ٢٨٤هـ أنظر : الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٢٦، ٢٢٧ .

(٤) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ص ٤٣٠، ٤٣١ .

(٥) المرجع نفسه ص ٢٠٥، ٢٠٦ .

أما فى عصر المماليك الجراكسة أو البرجية فقد تدهورت قيمة الخلفاء وأصبح سلاطين الجراكسة يربون بأنفسهم عن التلقب بهذا اللقب وذلك لاستبدادهم بالملك استبدادا كليا [(١)] وعلى الرغم من ذلك فان هذا اللقب ظل يطلق على سلاطين المماليك الجراكسة كما هو الحال هنا فى هذا النص حيث أطلق على السلطان برسباى كما أطلق على السلطان الأشرف قايتباى على شمعدان من النحاس فى مسجد بالفيوم بمصر [(٢)].

وورد فى النص لقب : " زين الدين " والزين فى اللغة نقيض الشين وقد دخل النفظ فى تكوين كثير من الألقاب المركبة فى عصر المماليك مثل زين الاسلام والمسلمين وزين الأعيان وزين الأكابر وزين المجاهدين وغير ذلك [(٣)].

ويلاحظ أن هناك صلة وثيقة بين الألقاب المضافة الى الدين وبين أسماء الملقبين من الطوائف المختلفة فالقلقشندى يرى أن لقب " زين الدين " كان قبل عصره خاصا بكل من اسمه أبا بكر وعبد الرحمن اذا كان قاضيا أو من العلماء [(٤)].

وهناك رأى آخر مفاده أن لقب زين الدين يطلق فى معظم الأحيان على رجال الادارة المملوكية من غير العسكريين بينما يطلق لقب " سيف الدين " خاصة على العسكريين من المماليك [(٥)].

وورد فى النص لقب " الملكي " وهو مشتق من لقب الملك ثم أضيف اليه ياء النسبة وقد استعمل لقب " الملكي " فى العصر المملوكي شأنه فى ذلك شأن الألقاب الأخرى التى تلحقها ياء النسبة وكان أحيانا يأتى ضمن ألقاب السلطان وفى هذه الحالة يلحق بالنعت الخاص بالسلطان مضافا الى ياء النسب فيقال " بالأمر

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٢٠٦ ، ٢٠٧.
(٢) المرجع نفسه ص ٢٠٧.
(٣) المرجع نفسه ص ٣١٣.
(٤) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٨٩.
(٥) حسن الباشا : المرجع السابق ص ٣١٤.

الشريف السلطاني الملكي الناصري الزيني " أي " رسم بأمر السلطان الملك الناصر زين الدين " كما كان يطلق أحيانا على اسم الملقب أو وظيفته في النقوش ثم يتبع بنعت السلطان الخاص مضافا الى ياء النسب وفي هذه الحالة يشير الى أن صاحب اللقب من أتباع السلطان المذكور وأن هذا النص قد كتب في الوقت الذي لا يزال فيه السلطان قائما في السلطنة وعلى العكس من ذلك حين يذكر النعت الخاص دون ذكر لقب " الملكي " فان ذلك وان كان يشير الى أن صاحب اللقب من اتباع السلطان فهو لا يدل على أن السلطان كان قائما في السلطنة أو على قيد الحياة أثناء كتابة النص.(١)

ويلاحظ أن نصنا هذا قد كتب والسلطان لازال قائما في السلطنة وعلى ذلك يمكن أن نقول ان هذه القاعدة التى أشرنا اليها من أن لقب " الملكي " يكتب في حالة وجود السلطان وقيامه في السلطنة تنطبق على نصنا هذا المؤرخ بسنة ٨٢٥هـ.

. . . . . .

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٥٠١ ، ٥٠٢ .

تحليل
نص السلطان الأشرف برسباى
الخاص بتجديد باب النبي صلى الله عليه وسلم المؤرخ بعام ٨٢٥ هـ
لوحة (١٠)

١ - نقش هذا النص بالخط الحجازى اللين البارز من نوع الثلث ويلاحظ أن خطه جيد الى حد كبير اذا ما قورن بنص السلطان الناصر محمد بن قلاوون المؤرخ بعام ٧٢٩ هـ (لوحة ١) أو نص السلطان أبو سعيد برقوق المؤرخ بعام ٨٠١ هـ (لوحة ٦) كما أنه أقل جودة اذا ما قورن بنصوص السلطان شعبان المؤرخة بعام ٧٦٦ هـ ، ٧٧٢ هـ أو نصوص السلطان فرج بن برقوق المؤرخ بعام ٨٠٤ هـ وهذا ما يؤكد أن هناك مجموعة من الخطاطين الحجازيين قد بلغت خطوطهم درجة كبيرة من الجودة والاتقان وأستفيد منهم فى نقش كثير من النصوص التأسيسية والمراسيم السلطانية كما أن هناك مجموعة أخرى من الخطاطين كانت كتاباتهم أقل جودة واتقانا من غيرهم ومع ذلك أستعين بهم فى نقش بعض النصوص التأسيسية ومنها نصنا هذا المؤرخ بعام ٨٢٥هـ مما يدل على أن الحجاز قد اعتمد فى تنفيذ نقوشه وكتاباته بمختلف أنواعها على الخطاطين المحليين ولم يستعن بأى خطاطين من خارج الحجاز .

ويلاحظ أن الخطاطين الحجازيين ابتداء من النصف الأول من القرن التاسع الهجرى (١٥ م) بدأت كتاباتهم تميل نحو الاستقرار والاتقان بصفة عامة ولم نعد نجد تلك النماذج القليلة الجودة على نحو ماكنا نراه فى النقوش الحجازية منذ القرن الثامن الهجرى لأن جميع النصوص التى نقشت بعد نصنا هذا موضوع الدراسة بلغت درجة كبيرة من الاتقان والجودة ابتداء من نص برسباى المؤرخ بعام ٨٣٨ هـ والذى سوف نتحدث عنه وكذلك نص السلطان جقمق المؤرخ بعام ٨٥٢ هـ ثم نقوش السلطان اينال المؤرخة بعام ٨٥٨هـ ونقوش السلطان قايتباى المؤرخة بعام ٨٧٥ هـ ونقش مسجد الاجابة المؤرخ بعام ٨٩٨ هـ وأخيرا نقوش السلطان قانصوة الغورى المؤرخة بعام ٩١٥ هـ .

٢ - يلاحظ أن الخطاط هنا قد جعل أسطر هذا النص عبارة عن أشرطة كتابية

كل شريط منها داخل اطار أشبه ما يكون بخرطوشة مستطيلة الشكل مما يدل على مدى قدرة الخطاط الحجازى وتمرسه فى تنويع تنفيذ النصوص الكتابية .

٣ - حدد الخطاط هنا اسم الباب الذى جدده السلطان برسباى وهو باب النبى صلى الله عليه وسلم الذى يقع فى الجهة الشرقية من المسجد الحرام وقد تحدثنا عن هذا الباب وما أطلق عليه من تسميات فى الصفحات السابقة .

٤ - ورد فى النص لقب " خادم الحرمين الشريفين " ولقب " قسيم أمير المؤمنين" وذلك لتأكيد سلطة السلطان برسباى الدينية باعتباره خادم الحرمين الشريفين الذى يستمد سلطانه من تأييد أمير المؤمنين ومباركته .

٥ - ورد فى النص اسم المباشر للعمل وهو زين الدين مقبل القديدى .

٦ - يلاحظ أن النص مؤرخ بالشهر والسنة شأنه فى ذلك شأن كثير من النصوص الحجازية فى العصر المملوكي .

٧ - على الرغم من أن خط النص جيد الى حد كبير الا أن الخطاط هنا لم يوفق كل التوفيق فى توزيع الكلمات فى السطر الواحد توزيعا جيدا الأمر الذى أدى الى تزاحم الكلمات والحروف تزاحما شديدا مما يجعل قراءة النص تتميز بشىء من الصعوبة اذا ما قورن بالنصوص الكتابية التي نقشت فى نفس الفترة لا سيما فى مصر مما يدل على أن الحجاز قد اعتمد فى تنفيذ نصوصه على الخطاطين المحليين .

٨ - حاول الخطاط أن يضفى على النص شيئا من الزخرفة والتى تظهر على هيئة فروع نباتية تنتهى بوريقات مثل تلك التى ظهرت فى حرف الألف فى كلمة "بالله" فى السطر الأول حيث ظهرت على هذا النحو " " وحرف الألف فى كلمة " الآخر " فى السطر الأول أيضا هكذا " " وحرف الميم فى كلمة " أقام " فى السطر الأول أيضا هكذا " " وحرف الألف فى كلمة " الشريف " فى السطر الأول أيضا هكذا " " وحرف " الألف " فى كلمة " مولانا " هكذا " " وكذلك اللام ألف فى نفس الكلمة هكذا " " وحرف الفاء فى كلمة " الشريف " فى السطر الثانى هكذا " " وحرف الياء فى كلمة " برسباى " فى السطر الثاني أيضا هكذا " " وحرف الألف

فى كلمة " الى " فى السطر الثالث هكذا " " واللام الوسطى فى كلمة " الله " فى السطر الثالث هكذا " " وحرف " الهاء " فى كلمة " مايه " فى نهاية النص هكذا " " .

والواقع أن الخطاط الحجازى كان دائما شديد الحرص على زخرفة نصوصه وتنويع هذه الزخرفة سواء كانت متصلة بالحروف أو منفصلة عنها كما شاهدنا ذلك فى النصوص السابقة أو فى نصوص لاحقة سوف ندرسها .

. . . . . .

لوحة رقم (١١)

المكان : متحف آثار الحرم المكي
الرقم : بدون
النوع : لوح بازلتي مستطيل الشكل عبارة عن لوحة تأسيسية
المقاس : ٧٨ × ٤٧ سم
عدد الأسطر : خمسة سطور
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث

يوجد بمتحف آثار الحرم المكي لوح بازلتي مستطيل الشكل عبارة عن لوحة تأسيسية لاحدى مآذن المسجد الحرام عمرها السلطان برسباى سنة ٨٣٨ هـ .

" النص "

١ - أمر بانشاء هذه المأذنة الأشرف
٢ - العبد الفقير الى الله تعالى مولانا
٣ - السلطان الملك الأشرف أبو النصر
٤ - بر [سبا] ى خادم الحرمين الشريفين عز نصره
٥ - [سنة ثما] ن [و]ثلا [ثين] وثمانماية [من] الهـ [جر] ة

وقد أشار لهذا النص كل من قطب الدين الحنفى[١] (ت ٩٨٨ هـ) وحسين باسلامه[٢] دون قراءة للنص وأوردا تاريخه صحيحا وهو سنة ٨٣٨ هـ كما هو مذكور بالنص أما ابراهيم رفعت فقد أشار الى تجديد السلطان برسباى لهذه المأذنة الا أنه أخطأ فى تاريخ التجديد فقد ذكر أن ذلك كان فى سنة ٨٢٦ هـ[٣] والصواب أن انشاء المأذنة كان فى سنة ٨٣٨ هـ كما هو وارد بالنص .

---

(١) قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٥١ .
(٢) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٦٧ .
(٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٣٥ .

ويذكر ابن فهد في حوادث سنة ٨٣٨ هـ (١٤٣٤م) أن الأمير سودون المحمدي " شرع في هدم مأذنة باب سويقة وبناها بناء عاليا ".(١)

أما هذه المئذنة التي جددها السلطان برسباي فهي مئذنة باب الزيادة نسبة الى الزيادة التي أضيفت الى المسجد الحرام في عهد الخليفة المعتضد بالله العباسي سنة ٢٨٤هـ والواقعة في الناحية الشمالية من المسجد الحرام والتي تعرف بزيادة دار الندوة .(٢)

ويصف قطب الدين الحنفي هذه المنارة بقوله " منارة باب الزيادة وهي قديمة بدورين بناها المعتضد العباسي لما بنى زيادة دار الندوة ثم سقطت وأنشأها الأشرف برسباي عام ثمان وثلاثين وثمانمائة كما هو في حجر بجنب المأذنة ".(٣) ويطلق على هذه المأذنة أيضا مأذنة باب سويقة .(٤)

وقد أشار المقريزي في حوادث سنة ٨٣٨ هـ الى عمارة السلطان برسباي لهذه المأذنة الا أنه أخطأ في تسمية الباب الذي تقع عليه هذه المأذنة حيث يتضح هذا الخطأ عند قوله :

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٣٨ هـ ورقة ٢١٦ ويلاحظ أن تقي الدين الفاسي لم يذكر شيئا عن بناء هذه المئذنة لأنه توفي سنة ٨٣٢ هـ أي قبل تعميرها بست سنوات .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ١٠٩ وما بعدها ـ وأنظر : الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠ ، العقد الثمين جـ ١ ص ٨٤ ، ٨٨ وأنظر أيضا : ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٢٠٢ وأنظر أيضا : قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٢٤ وأنظر أيضا : عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الأعلام ص ٧٧ - ٨٠ ، ١٣١ وأنظر أيضا : الأسدي : أخبار الكرام ص ١٥٢ ، ١٥٣ وأنظر أيضا : محي الدين الطبري : الأرج المسكي في التاريخ المكي ورقة ٧٨.

(٣) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٣٥١ .

(٤) ابن حجر : أنباء الغمر جـ ٣ ص ٣٥٦ ، أنظر أيضا : ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٣٨ هـ ورقة ٢١٦ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢١٧ وأنظر أيضا : الأسدي : أخبار الكرام ص ٢٦٧ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٣٤ ، باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٦٧.

والسويقه هي سوق كانت بين المروة وقعيقعان وقد ذكرها الأزرقي مما يدل على أن هذه المنطقة سميت بالسويقة منذ عهد قديم ـ أنظر: الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٣٨ ، ٢٨٤.

" وشرع - أى سودون المحمدى الذى سبق أن أشرنا اليه[(١)] - فى هدم المنارة التى على باب اليمني من المسجد الحرام "[(٢)].

والواقع أنها تسمية خاطئة لأنه لا يعرف أن هناك بابا بالمسجد الحرام سمي بهذا الاسم ولم يذكر أحد من مؤرخي مكة قديما وحديثا أن بابا بالمسجد الحرام كان يسمى بهذا الاسم كما أنه لا يعرف المصدر الذى أخذ عنه المقريزى هذه التسمية .

ويشير ابن حجر الى أن سودون المحمدى قد وجد مالا بهذه المأذنة حين هدمها[(٣)] .

ويلاحظ أن المؤرخين المعاصرين لعمارة هذه المأذنة مثل المقريزى (ت ٨٤٥هـ) وابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) وابن فهد (ت ٨٨٥هـ) وابن الصيرفي (ت ٩٠٠ هـ) قد أشاروا الى أن سودون المحمدى هدم هذه المأذنة وأعاد بناءها[(٤)] بينما يذكر كل من قطب الدين الحنفي (ت ٩٨٨ هـ) وعبد الكريم القطبى (ت ١٠١٤هـ)أن هذه

---

(١) سبق أن أشرنا الى ماقام به سودون المحمدى من عمائر واصلاحات فى عهد السلطان برسباى - أنظر ص ١٤٥ من هذه الرسالة . كما قام سودون هذا بأعمال معمارية أخرى فى عهد السلطان جقمق (ت٨٥٧هـ) سنتحدث عنها فى الصفحات القادمة .

(٢) المقريزى : السلوك جـ ٤ ق (٢) ص ٩٣٤ .

(٣) ابن حجر : انباء الغمر جـ ٣ ص ٥٣٦ والواقع أن المعماريين المسلمين قد جرت عادتهم على وضع مجموعات من النقود من الدنانير الذهبية فى أساس المآذن حتى اذا ما سقطت المأذنة أمكن تعميرها واصلاحها بمال من عمّرها أول مرة وقد وجدت أمثلة لذلك فى المآذن المصرية مثل مأذنة جامع كافور الزمام بحارة الديلم بالقاهرة والذى انتهى من بنائه سنة ٨٢٩ هـ حيث عثرت لجنة حفظ الآثار العربية عند اصلاحها لهذا الجامع فى عامي ١٩١٢م/١٩١٤م على مجموعة كبيرة من الدنانير الأيوبية بلغ عددها ٤٥٥ دينارا وتم ايداعها بمتحف الفن الاسلامي سنة ١٩٦٣م وقام بنشرها الدكتور عبد الرحمن فهمي لأول مرة كملحق لكتاب كشف الأسرار العلمية - أنظر :
ابن بعره الكاملي : كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية - تحقيق :دكتور عبد الرحمن فهمي - القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م ص ٤٢ .

(٤) المقريزى : السلوك جـ ٤ ق (٢) ص ٩٣٤ وأنظر : ابن حجر : انباء الغمر جـ٣ ص ٥٣٦ ، ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٣٨ هـ ورقة ٢١٦ ، ابن الصيرفي : نزهة النفوس جـ ٣ ص ٣٠٨ .

المأذنة قد سقطت وقام سودون المحمدى ببنائها.(١)

ولم يشر أحد من مؤرخي مكة الى الهيئة التى كانت عليها هذه المأذنة اللهم الا ما ذكره قطب الدين الحنفي من أنها كانت تتألف قبل سقوطها من دوريـــن وأن هذه هي هيئتها التى بنيت عليها فى عهد الخليفة المعتضد بالله العباســي كما سبق أن أشرت.(٢)

. . . . . .

---

(١) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٥١ وأنظر: عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١٣١ .

(٢) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٥١ وأنظر: عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الأعلام ص ١٣١ .

تحليل
نص السلطان برسباى
الخاص بتجديد مأذنة باب الزيارة بالمسجد الحرام المؤرخ بعام ٨٣٨ هـ لوحة (١١)

١ - نقش هذا النص بالخط الحجازى اللين البارز من نوع الثلث ويتميز خطه بأنه على قدر كبير من الجودة والاتقان اذا ما قورن بنص السلطان برسباى المؤرخ بعام ٨٢٥ هـ الذى سبق لنا دراسته بحيث يعتبر من النماذج الخطية المتميزة والمتطورة جدا مما يدل على أن هناك مجموعة من الخطاطين الحجازيين قد تمرست فى كتابة اللوحات التأسيسية فجاءت نقوش هؤلاء الخطاطين على درجة كبيرة من الجودة والجمال وأصبح للخطاط الحجازى طابعه المميز فى تنفيذ نقوشه وكتاباته بالرغم من الوحدة الفنية الاسلامية التى عرفتها مصر فى العصر الاسلامي عقب الغزو الصليبى والمغولي وهجرة الفنانين الى القاهرة حيث الأمن والسلامة وأدت هذه الوحدة الفنية الى ازدهار الفنون الاسلامية وعلى رأسها الخط الثلث .

٢ - لقد وفق الخطاط هنا الى حد بعيد فى توزيع الكلمات والحروف فى السطر الواحد بحيث تميزت حروف النص وكلماته بالوضوح والاتقان مما أدى بالتالى الى قراءة النص بكل يسر وسهولة كما وضع خطوطا بارزة تفصل السطور بعضها عن بعض وأدى ذلك الى تناسق السطور .

٣ - لم يشر الخطاط هنا الى اسم المباشر للعمل وهو أمر قليل الحدوث فى النقوش الحجازية التى نقشت فى الحجاز فى العصر المملوكي .

٤ - يلاحظ أن الخطاط هنا قد كتب كلمة " أمر بانشاء " فى السطر الأول ولم يكتب كلمة " أمر بتجديد " ليؤكد بذلك أن السلطان برسباى قد عمّر هذه المأذنة عمارة شاملة ولم يقم بتجديدها أو ترميمها فقط ولكي يؤكد ذلك أيضا نجد أنه كتب لقب السلطان مرتين وهو لقب " الأشرف " حيث كتبه مرة بعد عبارة الانشاء مباشرة فى السطر الأول ثم كتبها مرة ثانية فى السطر الثالث ضمن ألقاب السلطان كما جرت العادة فى كتابة النقوش .

٥ - يلاحظ أنه ورد في النص عبارة " العبد الفقير " مع أن بعض الباحثين يشير الى أن هذه العبارة لا تأتي في النقوش المملوكية ضمن ألقاب السلطان الذى لا يزال قائما على سلطانه[1] ولكنها وردت في هذا النص الحجازى المؤرخ بعام ٨٣٨ هـ والسلطان برسباى لا زال على قيد الحياة وهو السلطان القائم مما يجعل هذا النص على درجة كبيرة من الأهمية اذ صحح بعض الأخطاء التى وقع فيها هؤلاء الباحثون .

٦ - ورد تاريخ النص هنا بالسنة فقط دون اشارة الى الشهر أو اليوم الذى تم فيه بناء المأذنة .

٧ - قام الخطاط هنا أو النقاش برسم بعض العناصر الزخرفية التي ظهرت على هيئة فروع نباتية تنتهى بوريقات مختلفة الأشكال بعضها متصل بالحروف والبعض منفصل عنها بينما البعض الآخر يخرج من أطراف الخطوط البارزة الفاصلة بين السطور .

فقد ظهرت متصلة بالحروف فى كلمة " الله " فى السطر الثانى على هذا النحو " " وكلمة " أبو " فى السطر الثالث على هذا النحو " " وكلمة " خادم " فى السطر الرابع على هذا النحو " " وكلمة " نصره " فى السطر الرابع أيضا على هذا النحو " " .

كما ظهرت زخارف نباتية منفصلة عن الحروف على هيئة وريدات صغيرة مختلفة الأشكال فوق وتحت كثير من كلمات النص وحروفه .

أما الزخارف التى ظهرت من أطراف الخطوط البارزة التى تفصل بين السطور فهي مختلفة الأشكال فظهرت على هذا النحو " " من طرف الخط البارز الفاصل بين السطرين الأول والثاني وكذلك الخط البارز الذى يفصل بين السطرين الثالث والرابع كما ظهرت على هذا النحو " " بينما ظهرت على هيئة وريدة صغيرة ذات رأس مدبب من طرف الخط البارز الفاصل بين السطرين الثاني والثالث على هذا النحو .

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

لوحة رقم (١٢)

المكان	:	متحف آثار الحرم المكي
الرقم	:	بدون
النوع	:	لوح بازلتي مستطيل الشكل الا أنه جوانبه غير تامة الاستقامة وهو عبارة عن لوحة تأسيسية .
المقاس	:	٦١ × ٢٥ سم
التاريخ	:	شهر رجب سنة ٨٥٢ هـ .
عدد الأسطر	:	ثمانية سطور بالخط الحجازى اللين البارز وتتزاحم كلمات النص بعضها مع بعض مما أدى الى سوء توزيع الكلمات بين سطر وآخر ، ويظهر فى النص بعض علامات الاعراب كالشدّة والفتحة والسكون وينتهى النص فى السطر الثامن بزخرفة نباتية عبارة عن وريده من خمس بتلات تتصل بجزء من ساق نباتية وتشبه هذه الوريدة النباتية أوراق البرسيم الى حد كبير. ويفصل بين كل سطر وآخر خط بارز كما يحيط بالنص من جوانبه الأربعة اطار عريض مستطيل الشكل .

" النص "

١ - بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - أمر بعمارة هذا الجدار من البترة

٣ - الى مقابلها غربا ومن أعلاه الى أسفله

٤ - مولانا السلطان المالك الملك

٥ - السلطان أبو سعيد جقمق خلد الله ملكه

٦ - على يد الجناب السيفي بيرم خجا ناظر الحرم

٧ - الشريف أعز الله أنصاره في شهر

٨ - رجب سنة اثنين وخمسين وثمان مايه

وقد ورد فى النص اسم : " السلطان أبو سعيد جقمق " :

وهو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي الظاهرى الجركسي وهو السلطان العاشر من ملوك الجراكسة والرابع والثلاثون من سلاطين المماليك عامة

بمصر بويع بالسلطنة بعد خلع الملك العزيز يوسف بن السلطان الملك الأشرف برسباى وكان ذلك فى يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وأصله جركسي الجنس سبي صغيرا وجلب الى القاهرة وقدم للسلطان الظاهر برقوق فأعتقه وصار من المماليك السلطانية وتدرج فى عهد السلطان فرج بن برقوق والسلطان المؤيد شيخ وابنه السلطان المظفر أحمد والظاهر ططر والأشرف برسباى فى عدة وظائف حتى تولى السلطنة.(١)

وظل فى السلطنة الى أن خلع نفسه منها وعهد بها لابنه المنصور عثمان فى يوم الخميس الحادى والعشرين من محرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة وتوفي فى الثالث من شهر صفر من نفس السنة فكانت مدة حكمه أربعة عشر عاما وعشرة أشهر ويومين.(٢)

وورد فى النص اسم " بيرم خجا " :

وهو السيفي بيرم خجا بن فشندى أو قشندى أصلى الأشرفي الفقيه تولى نظر المسجد الحرام منذ أواخر سنة ٨٥٠ هـ حتى سنة ٨٥٤ هـ وقد توفى بيرم

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ٤ ق (٣) ص ١٠٨٦ وما بعدها وأنظر :
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٥ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ وأنظر أيضا :
ابن تغرى بردى : حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور طبعة كاليفورنيا ١٩٣٢ م ص ٣٤٩ وأنظر أيضا :
ابن فهد : الدرر الكمين بذيل العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين - ترجمة السلطان جقمق - ورقة ٥٢ وأنظر أيضا : السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ٧١، ٧٢،
ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٢ ص ١٩٨ وما بعدها ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٧ ص ٢٩١ وأنظر أيضا :
د . أحمد السيد دراج : المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) طبعة دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٦١م ص ٤٥ وما بعدها .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٥ ص ٤٥٢ وما بعدها ، حوادث الدهور ص ٣٤٩ وأنظر :
ابن فهد : المصدر السابق نفس الورقة ، السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ٧١ ، ٧٢ ، التبر المسبوك ص ٢٢٣ ، ٣٢٠ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ٢ ص ٢٩٩ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٧ ص ٢٩١ .

خجا في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر صفر سنة ٨٦٠ هـ.[١]

وقد قام بيرم خجا بعدد من الاصلاحات في الحرم المكي ومكة المكرمة سوف نذكرها عند الحديث عن اصلاحات السلطان جقمق في الصفحات التالية.

ويلاحظ أن السنجاري[٢] قد أخطأ حين وصف بيرم خجا "بناظر الحرمين" والصواب أن بيرم خجا عيّن ناظرا للحرم المكي الشريف فقط فقد آشار النص موضوع الدراسة الى ذلك صراحة بقوله "ناظر الحرم" وليس ناظر الحرمين ويؤيد ذلك ما ذكره كل من ابن فهد والسخاوي من أن بيرم خجا قد تولى نظر المسجد الحرام فقط ولم يشيرا الى أنه تولى نظر الحرمين الشريفين.[٣]

وكان للسلطان جقمق عدة اصلاحات بالحرمين الشريفين اذ يذكر كل من ابن فهد وقطب الدين الحنفي أن السلطان جقمق أول ما تولى السلطنة التفت الى مكة المشرفة وأرسل خلعا ومراسيم للسيد بركات بن حسن بن عجلان بولاية مكة وأرسل اليه سودون المحمّدي[٤] ليكون أميرا على خمسين فارسا من الترك مقيما بمكة وشادا للعمائر بها.[٥]

وقام سودون المحمدي الذي عينه السلطان جقمق أيضا ناظرا للحرم بدوره باصلاح عدة أماكن بسطح الكعبة المشرفة سنة ٨٤٣ هـ بسبب خروج الماء منها فقلع رخام السطح وأبدله برخام جديد ثم جرد الكعبة المشرفة من ثيابها في شهر

---

(١) ابن تغري بردي : حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ص ٨٢ وأنظر: ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٥٠ هـ ، ٨٥٤ هـ ، ٨٦٠ هـ ورقة ٢٦٣ ، ٢٧٢ ، ٢٨٧ ، السخاوي : الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٢ .

(٢) السنجاري : منائح الكرم ورقة ٢١١ ب .

(٣) ابن فهد : المصدر السابق حوادث ٨٥٠ هـ ، ٨٦٠ هـ ورقة ٢٦٣ ، ٢٨٧ - وأنظر: السخاوي : الضوء اللامع نفس الجزء والصفحة .

(٤) سبق أن أشرنا الى سودون المحمدي هذا عند دراسة نص السلطان برسباي الخاص بباب النبي صلى الله عليه وسلم المؤرخ بعام ٨٢٥ هـ وذلك عند حديثنا عن اصلاحات السلطان برسباي أنظر ص ١٤٥ حاشية ٣ من هذه الرسالة .

(٥) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٤٢ هـ ورقة ٢٢٥ ، ٢٢٦ وأنظر: قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٩٠ .

صفر من نفس السنة لاصلاح الخشب الذى تشد به كسوة الكعبة المشرفة كما أصلح خشب الروازن[(١)] بسبب تآكله واستمرت الكعبة المشرفة مجردة من الثياب مدة يومين وليلتين الى أن تمت جميع الاصلاحات واستبدل الأخشاب التالفة بأخشاب جديدة وأصلح رخام حجر اسماعيل عليه السلام[(٢)].

ثم أصلح مأذنة باب علي بأن نقض أسفلها ورممه ترميما محكما وبيّض مأذنة باب السلام ومأذنة باب العمرة والحزورة والجزء الأعلى من مقام ابراهيم ومقام الحنفية[(٣)] ثم جدّد الأميال[(٤)] التى بالمسعى وقبّة باب ابراهيم وجعل على كل ميل من أميال المسعى قنديلا يضاء فى ليالي شهر رجب وشعبان ورمضان وبعض أيام من ذى الحجة كما وضع قناديل للاضاءة على كل من الصفا والمروة[(٥)].

---

(١) والروازن جمع روزنه وهي الخرق فى الجدار أو السقف يدخل منه الضوء والهواء أنظر:
الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار جـ ١ ص ٢٩٣.

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٤٣ ورقة ٢٣٠ وأنظر:
ابن فهد : الدر الكمين بتكميل العقد الثمين - ترجمة سودون المحمدى ورقة ٧٤ وأنظر أيضا : قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ١٩٠ ، عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ٩١ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٠٨ ، ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٣٥.

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٤٣ هـ ورقة ٢٣٠ وأنظر : قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ١٩٠ ، عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الأعلام ص ٩١ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٠٨.

(٤) الأميال : يقصد بها الأعلام أو العلامات الخضر التى يهرول الساعي بين الصفا والمروة بينهما عند السعي وكان أحد هذه الأميال أو الاعلام موجود عند باب دار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه من خارج المسجد والآخر على باب الجنائز والثالث كان عند دار ابن عباد وأما الرابع فهو ملاصق لمنارة باب على رضي الله عنه وبين هذه الأميال تكون الهرولة للساعي بين الصفا والمروة وقد اعتمد الأزرقي فى ذرعه لعرض المسعى على المسافة القائمة بين هذه الأميال . أنظر : الأزرقي : أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار جـ ٢ ص ١١٩ ، الفاسي :شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٠.

(٥) ابن فهد : المصدر السابق حوادث سنة ٨٤٣ هـ ورقة ٢٣٠ وأنظر: قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ١٩٠ ، عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ٩١ وأنظر: السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٠٨ ، ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٣٥.

ويذكر ابن فهد أن الأمير تنم (ورد اسمه عند ابن فهد بلفظ قثم) عمّر سقف الرواق الغربي وأماكن أخرى من الحرم المكي الشريف وكذلك أرض حجر اسماعيل عليه السلام وكان ذلك في سنتي ٨٤٦ هـ ، ٨٤٧ هـ[١] وفي سنة ٨٤٨ هـ أكمل تنوير بقية سطح المسجد (ربما يقصد بذلك دهانه بالنّورة) وعمّر بعض الأماكن بالمسجد ونزع رخام الحجر خلا الرخامة الخضراء[٢] ثم أصلحه .[٣]

وفي سنة ٨٥٠ هـ وصل بيرم خجا ناظرا على المسجد الحرام وبني بالمصلاة سبيلا وحوضا ينتفع بهما الناس والبهائم .[٤]

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٤٦ هـ ، ٨٤٧ هـ ورقة ٢٤٥ ، ٢٥١ .

(٢) الرخامه الخضراء : هي في الواقع ليست رخامة واحدة وانما هي رخامتين خضراويين أشار اليهما الأزرقي وقد تحدث عن هاتين الرخامتين بعض المؤرخين والرحالة مثل الأزرقي وابن جبير والتجيبي كما تحدث عنها بعض الباحثين في العصر الحديث مثل باسلامه ومحمد طاهر كردى وأوردا مقاساتهما وقد تعددت الآراء في سبب وضعهما فقيل انهما علامة على موضع قبر اسماعيل عليه السلام وأمه هاجر حيث دفنا في الحجر والراجح هو ما أورده الأزرقي من أن هاتين الرخامتين أهداهما عبد الله بن عبيد الله بن عباس الهاشمي عوضا عن لوح الرخام الذى أمر أن يقلع له من أرض الحجر ليسجد عليه فوضعت احدى الرخامتين الخضراويين التى أحداهما على سطح جدار الحجر ووضعت الأخرى تحت ميزاب الكعبة المشرفة ثم قلعت الرخامة التى وضعت على سطح جدار الحجر سنة ٢٨٣ هـ ووضعت تحت الميزاب لمزيد من التفاصيل عن هاتين الرخامتين أنظر :
الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار جـ ١ ص ٣١٧ وأنظر :
ابن جبير : الرحلة ص ٦٥ وأنظر أيضا :
القاسم بن يوسف التجيبي : مستفاد الرحلة والاغتراب ص ٢٨١ وأنظر أيضا :
باسلامه : تاريخ الكعبة المعظمة - طبع تهامة - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ص ١٧٠ وما بعدها وأنظر أيضا :
محمد طاهر كردى : مقام ابراهيم ص ١٣٩ ، التاريخ القويم جـ ٣ ص ١٢٠ وما بعدها .

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٤٨ هـ ورقة ٢٥١ .

(٤) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٥٤ هـ ورقة ٢٧٢ وأنظر :
قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ١٩١ .

وقد أورد السخاوى خبرا مفاده أن السلطان جقمق قد بعث فى سنة ٨٤٧ هـ بمنبر للمسجد الحرام وأن هذا المنبر ركب فى المسجد فى يوم الثلاثاء العاشر من ذى القعدة من نفس السنة .[١]

وفى سنة ٨٥١ هـ أمر السلطان جقمق بتحلية باب الكعبة المشرفة[٢] وبلغ مقدار ما حلّي به الباب الشريف حوالي ١٦٠٠ درهما و ٧٠ دينارا فلوريا .[٣]

ومن اصلاحات السلطان جقمق تعمير عين حنين وعين عرفه واصلاح بعض البرك بعرفات لينتفع بها الحجاج وذلك فى سنوات ٨٥١ هـ ، ٨٥٢ هـ ، ٨٥٣ هـ على يد بيرم خجا الوارد اسمه فى النص[٤] . كما قام بيرم خجا بتعمير مسجد نمره بعرفه ومسجد الخيف بمنى سنة ٨٥٣ هـ .[٥]

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك ص ٧٥ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٥١ هـ ورقة ٢٦٧ .

(٣) الافلورى : نسبة الى فلورنسا احدى المدن الايطالية التى ضربت نقودها الذهبية منذ سنة ١٢٥٢ م كما ضربت البندقية وهي احدى المدن الايطالية أيضا نقودا ذهبية عرفت بالبندقية أو الدوكات وذلك عندما قرر مجلس شيوخ البندقية ضرب هذه النقود منذ سنة ١٢٨٤ م وقد وصف مؤرخوا مصر المملوكية هذه النقود باسم المشخصه لوجود صور القديسين على أحد وجهيها وقد اكتسبت هذه النقود الذهبية رواجا كبيرا فى أسواق مصر وبقية البلاد العربية منذ سنة ٨٠٠ هـ وأصبحت هي النقد المرغوب فيه فى التجارة بصفة عامة وتجارة الشرق بصفة خاصة الى أن بدأ الاصلاح النقدى المملوكي على يد السلطان برسباى (ت ٨٤١ هـ) حينما ضرب نقودا ذهبية غاية فى الجودة منذ سنة ٨٢٩ هـ - أنظر:
د . عبد الرحمن فهمي محمد : النقود العربية ماضيها وحاضرها ص ٩٥ وما بعدها .

(٤) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٥١ هـ - ٨٥٣ هـ ورقة ٢٦٧ ، ٢٧٠ - وأنظر : السخاوى : التبر المسبوك ص ٢٦٦ ، قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٩٢ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢١١ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٧ ص ٢٩١ ، ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٣٦ .

(٥) الواقع أن سودون المحمدى الذى سبقت الاشارة اليه كان قد قام ببعض الاصلاحات والترميمات فى كل من مسجد نمره بعرفه ومسجد الخيف بمنى ومسجد مزدلفة سنة ٨٤٣ هـ كما قام سودون نفسه بقطع أشجار السّلم والشوك التى كانت بين (=)

وكان السلطان جقمق قد بعث بكسوة لحجر اسماعيل عليه السلام سنة ٨٥٢ هـ ولم يكن أحد قبله من الملوك أو السلاطين قد بعث بكسوة للحجر ولم توضع هذه الكسوة على الحجر الا فى ذى الحجة سنة ٨٥٣ هـ بعد أن مكثت عاما كاملا داخل الكعبة المشرفة .(١)

ومن اصلاحات السلطان جقمق تخصيصه لجزء من ربع أوقافه بمصر لشراء قمح يرسل الى مكة والمدينة ليعمل منه دشيشة(٢) للفقراء والمساكين بهما .

(=) المأزمين (المضيق بين مزدلفة وعرفات) فى طريق عرفات لأن السراق كانت تكمن تحت هذه الأشجار وتنهب جميع ما تظفر به من الحجاج - أنظر :
ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٤٤ هـ ، ٨٥٣ هـ ورقة ٢٣٤، ٢٧٠ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٩٠، ١٩٢ ، عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الاعلام ص ٩٢ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٠٨ .

(١) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ١٩٢ .

(٢) الدشيشة أو الجشيشة هي حساء يتخذ من قمح مجروش أو مرضوض ويطبخ بزيت أو دهن طيب على حد تعبير بعض الوثائق ومن أشهر سلاطين المماليك الذين قرروا هذه الدشيشة السلطان جقمق ٨٥٧ هـ وقايتباى ٩٠١ هـ وقانصوه الغورى ٩٢٢ هـ وعرفت باسم الدشيشة الكبرى تمييزا لها عن الدشائش التى قررها السلاطين العثمانيون وسوف نتحدث عن الدشائش أو الدشيشة بأكثر من هذا عند دراسة النصوص الخاصة بالسلطان قايتباى والغورى وسلاطين آل عثمان الذين قررت فى عهدهم دشائش ولعل من المهم هنا أن نذكر أن دشيشة السلطان جقمق لم تكن مشهورة كغيرها من الدشائش التى جاءت بعدها ولعل السبب فى ذلك أن كمية القمح الذى تعمل منه دشيشة السلطان جقمق وكذلك وقف هذه الدشيشة أقل بكثير من الدشائش الأخرى التى جاءت بعدها .
ولعل أول اشارة لهذه الدشيشة قد وردت فى وثيقة السلطان جقمق المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة وهى تحمل رقم ١٠٨/١٧ من وثائق المحكمة الشرعية ومؤرخة بتواريخ أولها شهر ربيع الأول سنة ٨٥٣ هـ ويوجد منها نسخة بدار الكتب المصرية بقسم المحفوظات - أنظر :
العز بن فهد : بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى مخطوط - مكتبة الحرم المكي - رقم ورقة ٢٥ وأنظر : حسين أفندى الروزنامجي : " ترتيب الديار المصرية " - تحقيق محمد شفيق غربال - مجلة كلية آداب القاهرة مجلد ٤ جـ ١ مايو ١٩٣٦م ص ٤٦ ، حاشية (١) ، محمد صادق باشا : دليل الحج للوارد الى مكة والمدينة من كل فج - طبع الأميرية بالقاهرة ص ٥٩ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ٢ص ٣١٠، عبد اللطيف ابراهيم علي : " وثائق الوقف على الأماكن المقدسة" مصادر تاريخ الجزيرة العربية جـ ٢ الطبعة الأولى - جامعة الرياض ١٣٩٩هـ ص ٢٥٢ ، مصطفى محمد رمضان : " وثائق مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر ابان العصر العثمانى " مصادر تاريخ الجزيرة العربية جـ ٢ ص ٢٦٦ .

ويهمنى بصفة خاصة هنا عمارة الجدار الوارد ذكره فى النص .

وهذا الجدار هو جزء من جدار المسجد الحرام الشرقي وقد قام بيرم ناظر المسجد الحرام بعمارة هذا الجدار الذى يقع فيه باب رباط السدرة[(١)] وشباك الخلوة المنسوبة للشيخ عبدالله بن أسعد اليافعى[(٢)] وكذلك شباك الخلوة المنسوبة للشيخ جمال الدين محمد بن ابراهيم المرشدى[(٣)] .

وقد سبق أن ذكرنا أن السلطان الأشرف برسباى قد جدد باب النبى صلى الله عليه وسلم سنة ٨٢٥ هـ[(٤)] الذى كان الباب الثانى فى الجدار الشرقي من المسجد الحرام وذلك لانهدام بعضه كما أشار الى ذلك تقى الدين الفاسي[(٥)] .

ويذكر قطب الدين الحنفى أن باب السلام فى زمنه هو الباب الأول من جهة الشمال فيالجدار الشرقي للمسجد " لم يجدد فيه شيء لكونه عامرا محكم البناء"[(٦)].

ويضيف قطب الدين الحنفى أنه لم يجدد فى باب النبى صلى الله عليه وسلم آنذاك غير الشرفات[(٧)].

---

(١) رباط السدرة سبق أن أشرنا اليه ـ أنظر ص ٤٧ من هذه الرسالة ، وكان يقع الى يسار الداخل الى المسجد الحرام من باب بنى شيبه الذى عرف فيما بعد بباب السلام كما يذكر الفاسي . أنظر:
شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٠ وقد استبدل رباط السدرة برباط آخر هو رباط السلطان قايتباى ومدرسته وسوف نتحدث عن ذلك عند دراسة نصوص السلطان قايتباى (ت ٩٠١ هـ) أنظر ص ٢٤٤ من هذه الرسالة .

(٢) عبد الله بن أسعد اليافعي اليمنى توفى سنة ٧٦٨ هـ أنظر ترجمته عند الفاسي : العقد الثمين جـ ٥ ترجمة رقم ١٤٨٦ ص ١٠٤ - ١١٠ .

(٣) جمال الدين المرشدى توفي سنة ٨٣٩ هـ أنظر ترجمته عند السخاوى : الضوء اللامع جـ ٦ ترجمة رقم ٨٤٨ ص ٢٤١ .

(٤) أنظر ص١٣٨ وما بعدها من هذه الرسالة .

(٥) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٠ .

(٦) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٤٨ .

(٧) المصدر نفسه نفس الصفحة .

لذلك فانه من المؤكد أن هذا الجزء الذى عمّره بيرم خجا من جدار المسجد الشرقي كان يقع بين باب السلام وباب النبى وهو ما يشير اليه النص فى الكلمة الأخيرة من السطر الأول بـ " البترة " وهى الجزء المبنى بين منفذى الباب كما يحدد النص فى سطره الثاني نهاية قطعة الجدار المجددة بقوله " الى مقابلها غربا " ولابد أن هذه القطعة أو الجزء من الجدار كان من الارتفاع والعرض ما دعا الى اعادة تعميره وتسجيل ذلك فى النص مؤكدا أن هذا الجزء قد جدد من أعلاه الى أسفله .

ويلاحظ أن الباحثين المحدثين وخاصة ابراهيم رفعت وباسلامه لم يذكرا شيئا عن تعمير هذا الجدار لأن الجدار المذكور كان قد هدم فى عمارة السلطان سليم الثانى (ت ٩٨٢ هـ) ١٥٧٢ م وعثر على هذا اللوح الذى ننشره هنا بين أنقاض البناية ولم يصب بأى أذى حتى نقل الى متحف آثار الحرم المكي حتى أتيحت لى الفرصة أن أقوم بتصويره ودراسته هنا .

ولما عمّر بيرم خجا هذا الجدار جعل على باب رباط السدرة المذكورة وشباكي الخلوتين المذكورتين عقدا بدلا من الخشب الذى كانت مسقفة به لأن خشب سقف المسجد فى هذه الناحية قد أصيب بالتلف كما عمّر فى الرواق الأول من الجانب الشمالي من المسجد الحرام سبعة عقود وقد بدأت جميع هذه العمائر والترميمات فى شهر رجب وانتهت فى أواخر شهر شعبان من سنة ٨٥٢ هـ .[١]

وقد ورد فى النص بعض الألقاب مثل لقب " الجناب " :

والجناب فى اللغة الفناء أو ما قرب من محلة القوم ويجمع على أجنبه كمكان وأمكنة وعلى جنبات كجماد وجمادات وهو من الألقاب الأصول التى بدأ استعمالها

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٥٢ هـ ورقة ٢٦٨ وأنظر :
قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٩١ ، ١٩٢ وأنظر أيضا :
عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الأعلام ص ٩٢ وأنظر أيضا :
ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٣٦ .

فى المكاتبات اذ أنه كان يعبر عن الرجل بفنائه وما قرب من محلته من بـــــــاب التعظيم .[١]

وقد عرف هذا اللقب فى العصر المملوكي واستقر مصطلح ديوان الانشاء فـــى عصر المماليك البحرية على تدرج مراتب لقب الجناب حسب ما يلحقه من ألقـــاب متفرعة عليه وبذلك قسم الى " الجناب الكريم العالي " ودونه " الجناب العالى " ثم زاد الكتّاب فى درجاته فقسمت الى " الجناب الشريف العالى " و " الجناب الكريم العالى " و " الجناب العالي ".

وقد جرت العادة أن يطلق لقب الجناب على كبار الأمراء من المماليك مثـــل نائب السلطنة ونائب الشام وغيرهما واستمر استعمال هذا اللقب فى عصر المماليك الجراكسة فكان يطلق على كبار أمراء المماليك وقد ورد لفظ الجناب مفردا دون اضافة ألقاب أخرى فى بعض الأحيان فجاء بلفظ الجناب فقط .[٢]

أما لقب " الجناب السيفى " الوارد فى النص فلم يرد له مثيلا عند د. حسن الباشا فى الألقاب التى أوردها[٣] مما يجعل هذا النص موضوع الدراسة ذا أهمية خاصة اذ أمدنا بوثيقة لقبية ربما لم تكن معروفة من قبل .

وورد فى النص لقب " ناظر الحرم الشريف " :

وقد أورد الدكتور حسن الباشا هذا اللقب بصيغة " ناظر الحرمين الشريفين " كمثال للقيام بالنظر على حرم المسجد الأقصى بالقدس الشريف وحرم مسجد الخليل ابراهيم عليه السلام بمدينة الخليل[٤] بفلسطين .

ولذلك فان هذا النص موضوع الدراسة المؤرخ بعام ٨٥٢ هـ يعتبر على جانـــب كبير من الأهمية حيث ورد به لقب " ناظر الحرم الشريف " كمثال على من يقوم بنظر

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٢٤١ .
(٢) المرجع نفسه ص ٢٤٧ .
(٣) المرجع نفسه ص ٢٤١ - ٢٤٧ .
(٤) حسن الباشا : الفنون والوظائف على الآثار العربية ج ٣ ص ١١٩٩ وما بعدها .

المسجد الحرام بمكة المكرمة وربما كان هذا النص من أوائل النصوص التى وردت بها وظيفة ناظر الحرم لمن قام بخدمة ونظر الحرم المكي الشريف ولم أعثر حتى الآن على نص يسبقه قد أورد هذا اللقب .

والجدير بالذكر أن نظر المسجد الحرام كوظيفة مستقلة قد ظهرت منذ العصر المملوكي وذلك حينما استحدث السلطان الناصر محمد بن قلاوون هذه الوظيفة منذ سنة ٧٤١ هـ .[١]

وأود أن أشير الى أن وظيفة ناظر الحرم كانت - منذ القدم - من اختصاص قاضي القضاة الشافعية بمكة الى أن عين السلطان برسباى (٨٢٥ هـ - ٨٤١ هـ) لهذه الوظيفة أحد التجار وهو داود الكيلانى سنة ٨٣٨ هـ بعد أن بذل هذا التاجر للسلطان مبلغا من المال نظير تعيينه ناظرا للمسجد الحرام بمكة .[٢]

وما حدث بالنسبة لوظيفة النظر بالمسجد الحرام حدث أيضا بالنسبة لنظر المسجد النبوى الشريف فقد كانت وظيفة نظر المسجد النبوى الشريف بيد فتيان من الأحباش - يطلق عليهم الطواشية - اشتراهم السلطان صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٩ هـ وأوقف عليهم أوقافا بمصر تكفيهم المؤونة .[٣]

الا أن السلطان برسباى قد أخلّ بنظام وظيفة ناظر الحرم النبوى حينما عهد الى أحد ندمائه وجلسائه ومضحكيه وهو ولي الدين ابن قاسم بن عبد الرحمن الشيشني المحلي بوظيفة ناظر الحرم النبوى منذ سنة ٨٣٩ هـ وقد عبّر المقريزى عن الخلل الذى أصاب وظيفة ناظر الحرم فى عهد السلطان برسباى بقوله :

" ولم نعهد مشيخة المسجد النبوى يليها دائما منذ عهد صلاح الدين يوسف بن أيوب الا الخدام الطواشية فكانت ولاية ابن قاسم هذا حدثا من الأحداث وبليّة تساق الى أهل الحرمين ".[٤]

---

(١) علي بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ص ١٢٧ .

(٢) المقريزى : السلوك ج ٤ تحقيق د . سعيد عاشور ق (٢) ص ٩٣٠ وأنظر :
ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٣٧ هـ ورقة ٢١٤ وأنظر أيضا :
ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ج ٣ ص ٣٠٣ .

(٣) المقريزى : السلوك ج ٤ ق (٢) ص ٩٦١ وأنظر :
السخاوى : التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة ج ١ ص ٤٩ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق نفس الجزء والقسم والصفحة .

تحليل

نص السلطان الظاهر أبو سعيد جقمق الخاص بالجدار الذى عمّره بالمسجد الحرام المؤرخ بشهر رجب سنة ٨٥٢ هـ - لوحة (١٢)

١ - نقش هذا النص بالخط الحجازى اللين البارز من نوع الثلث الذى ازدهر فى العصر المملوكي وخطه جيّد اذا ما قورن ببعض النصوص الحجازية التى سبق دراستها كنقش السلطان الناصر محمد بن قلاوون المؤرخ ٧٢٩ هـ ونقش السلطان برقوق المؤرخ بعام ٨٠١ هـ ونقش السلطان برسباى الخاص بعمارة باب النبى صلى الله عليه وسلم المؤرخ بعام ٨٢٥ هـ مما يدل على أن هناك مجموعة من الخطاطين الحجازيين تمرست فى كتابة الخط الثلث وظهر أثر ذلك واضحا فى كتابة المراسيم السلطانية مثل مرسوم السلطان شعبان بن حسين المؤرخ بعام ٧٦٦ هـ واللوحات التأسيسية مثل نصوص السلطان شعبان الخاصة بعمارة مادنة باب الحزورة المؤرخة بسنة ٧٧٢ هـ ونقوش السلطان فرج بن برقوق المؤرخة بسنة ٨٠٤ هـ ونص السلطان برسباى المؤرخ بسنة ٨٣٨ هـ بينما يوجد مجموعة من هؤلاء الخطاطين أقل جودة فى كتاباتهم من غيرهم وظهر أثر ذلك واضحا فى بعض النصوص الحجازية مثل نص السلطان الناصر محمد المؤرخ بعام ٧٢٩ هـ ونص السلطان برقوق المؤرخ بعام ٨٠١ هـ ونص السلطان برسباى المؤرخ ٨٢٥ هـ .

والواقع أن الخط الثلث الذى عرفته مصر المملوكية وازدهر فيها ازدهارا كبيرا قد اتخذ طابعا معينا بحيث يصعب أن نجد فوارق كتابية واضحة فى مصر من عصر سلطان الى آخر واذا كان هناك ثمة فوارق فقد ظهرت على مستوى العصر الأمر الذى أدى الى الوحدة الفنية الاسلامية فى مصر بينما نجد أن هناك تفاوتا فى مستوى جودة النقوش والكتابات الحجازية بين نص وآخر بحيث يمكن أن نقرر أن الحجاز قد اعتمد فى تنفيذ نصوصه على الخطاطين المحليين دون الاستعانة بأى خطاط من خارج منطقة الحجاز .

والجدير بالملاحظة هو ماسبق أن أشرنا اليه عند تحليل نصوص السلطان برسباى من أن النقوش الحجازية بدأت تأخذ طابع الاتقان والجودة بصفة عامة

منذ النصف الأول من القرن التاسع الهجرى ولم نجد بعد هذا التاريخ نصوصا ضعيفة الكتابة .

٢ - يتميز النص بسمك حروفه وقصرها على العكس من النصوص المصرية التى تتميز برشاقة حروفها وطولها وجاءت متمشية الى حد كبير مع ما وضعه مقننوا الخط من نسبة فاضلة تحدث عنها القلقشندى[1] بالتفصيل مما يشير الى استقلالية الخطاط الحجازى وعدم تأثره بتلك القواعد التى عرفها الخطاط المملوكي فى مصر وأصبحت قرمطة الحروف وغلظتها احدى خصائص مدرسة الحجاز الكتابية فى العصر المملوكي .

٣ - على الرغم من أن خط النص يتصف بالجودة بصفة عامة الا أن الخطاط هنا لم يلتزم بمعدل معين من حيث حجم الكلمات فجاءت بعض الكلمات صغيرة الحجم ولا تتناسب مع بقية النص مثل كلمة " الرحيم " فى السطر الأول وكلمة " البترة " فى آخر السطر الثاني وكلمة " الملك " فى آخر السطر الرابع وعبارة " خلد الله ملكه " فى السطر الخامس وكلمة " بيرم خجا " فى السطر السادس . كما جاءت كلمات السطرين الأخيرين من النص أكبر حجما من سائر كلمات النص بصفة عامة .

٤ - يلاحظ أن حرفي " الطاء والظاء " فى هذا النص جاءت شبيهة بحرف الكاف حيث ظهرت المدّه العليا لهذين الحرفين مائلة نحو اليمين بهذا الشكل " ط " وهو ما يذكرنا بشكل الطاء والظاء فى النقوش العربية المبكرة التى تأثرت بالشكل النبطى ولم تظهر هذه المدّة مستقيمة هنا الا فى كلمة واحدة هى كلمة " ناظر " فى السطر السادس مما يؤكد استقلالية مدرسة الحجاز الكتابية واعتمادها على الخطاطين المحليين الذين لم يتمثلوا أساليب الكتابة فى مصر المملوكية .

٥ - يتميز النص بأن معظم حروفه التى تحتاج الى اعجام قد جاءت معجمة مما يسّر بالتالي قراءة النص .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٥٨ وما بعدها .

٦ - يلاحظ أن الخطاط هنا قد حدد مسافات الجدار الذى أمر بعمارته السلطان جقمق سنة ٨٥٢ هـ بقوله : " من هذه البترة الى مقابلها غربا " ثم أكّـد بعد ذلك أن عمارة هذا الجدار كانت عمارة شاملة بحيث شملت جميع أبعاد هذا الجدار بقوله : " ومن أعلاه الى أسفله " .

٧ - ورد تاريخ النص هنا بالشهر والسنة شأنه في ذلك شأن كثير من نصوص العصر المملوكي الحجازية .

٨ - ورد فى النص عبارة " خلّد الله ملكه " كعبارة دعائية للسلطان جقمق بينما وردت عبارة "عز الله أنصاره" كعبارة دعائية "لبيرم خجا ناظر الحرم المكي الشريف " مع انه قد جرت العادة على تخصيص هذه العبارة للسلاطين دون سواهم الا أن ورودها هنا كعبارة دعائية لناظر الحرم ربما كان دليلا على مدى ما تمتع به بيرم خجا هذا من نفوذ .

٩ - ورد فى النص اسم المباشر للعمل وهو " السيفي بيرم خجا " كما ورد فى النص اسم الوظيفة التى كان يشغلها وهي وظيفة ناظر الحرم الشريف بمكة .

١٠- ربما كان هذا النص أول نص يرد فيه لقب " ناظر الحرم الشريف " كاسم وظيفة لمن تقلد نظارة الحرم المكى الشريف .

١١- اقتصر الخطاط أو النقاش فى زخرفة النص على البسملة فقط حيث ظهرت زخرفة نباتية متصلة بحرف الألف فى كلمة " الله " على هذا النحو " " .

كما ظهرت زخرفة نباتية عبارة عن وريدة من خمس بتلات منفصلة عن النص وتمثل نهاية له على هذا النحو " " .

١٢- وردت كلمة " ثمانمائة " فى هذا النص مجزأة على هذا النحو " ثمان مايـة " والصواب أن تأتي متصلة على هذا النحو " ثمانماية " .

.. .. ..

يوجد بمتحف آثار الحرم المكي الشريف المقصورة[١] الخشبية القديمة التى كانت مقامة على مقام الخليل ابراهيم عليه السلام وعلى أعمدة هذه المقصورة[٢] أربعة نصوص يرجع تاريخها الى عهد السلطان الأشرف اينال أحد سلاطين المماليك الجراكسة (٨٥٧ هـ - ٨٦٥ هـ) كما يوجد نصوص أخرى ترجع الى عهد السلطان قانصوه الغورى (٩٠٦ هـ - ٩٢٢ هـ) والسلطان العثماني سليمان القانونى (٩٢٦هـ- ٩٧٤ هـ) .

وسوف نتحدث هنا عن النصوص الأربعة الخاصة بالسلطان اينال مرجئين الحديث عن النصوص الأخرى فى مكانها وفق الترتيب التاريخى لهذه النصوص.[٣]

---

(١) سبق أن تحدثنا عن مقصورة المقام وما حدث بها من تغييرات وتجديدات وما استقر عليه شكل هذه المقصورة فى عمارة السلطان فرج بن برقوق سنة ٨١٠ هـ ، وذلك عند دراسة نص المقام والحطيم الذى يرجع الى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون والمؤرخ بعام ٧٢٩ هـ أنظر : ص ١٢ ومابعدها من هذه الرسالة، وكذلك عند دراسة نصوص السلطان فرج بن برقوق الخاصة بتعمير الحرم المكي بعد احتراقه والمؤرخة بعام ٨٠٤ هـ أنظر : ص ١١٢ ومابعدها من هذه الرسالة .

(٢) يلاحظ أن المؤرخين والرحالة المسلمين قد أطلقوا على مقصورة المقام أسماء كثيرة جدا ، فقد أطلق عليها ابن جبير الذى حج سنة ٥٧٩ هـ اسم " القبو ، والقبه الخشب والقبه الحديد " ، وأطلق الفاسي عليها اسم " قبه خشب وقبه حديد " أنظر :

ابن جبير : الرحلة ص ٦٢ ، ٦٣ ، الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٠٤ .

أما عبد الكريم القطبى المتوفى سنة (١٠١٤هـ) فقد أطلق عليها " صندوق خشب وقفص من الحديد " - أنظر :

أعلام العلماء الأعلام ص ١٣٥ .

وفى العصر الحديث أطلق عليها محمد لبيب البتنونى لفظ " مقصورة نحاسية " أنظر: الرحلة الحجازية ص ١٢٤ .

أما ابراهيم رفعت فقد سماها " مقصورة " فقط - أنظر: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٤٦ .

أما باسلامه فقد أطلق عليها عدة أسماء مثل " المقام وبيت المقام والتابوت" وغيرها - أنظر: تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٠٨ بينما أطلق عليها محمد طاهر كردى اسم " المقصورة والتابوت " أنظر: التاريخ القويم جـ ٤ ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) أنظر ص ٢٧٤ ، ٣٦٠ من هذه الرسالة .

ويلاحظ أن النصين الأول والثاني من نصوص السلطان اينال غير مؤرخة .
أما النصان الثالث والرابع فهما مؤرخان بشهر جمادى الآولى سنة ٨٥٨هـ وتفصيل هذه النصوص ودراستها على النحو التالي :

لوحة رقم (١٣)

النص الأول :

المكان : متحف آثار الحرم المكي الشريف
الرقم : بدون
المقاس : ١٥٠ × ٢٠
النوع : لوح من الرخام مستطيل الشكل ملصق بواجهة العمود الأيمن من واجهة مقصورة المقام الشرقية وهو عبارة عن لوحة تأسيسية لتجديد المقام تقتصر على اسم السلطان اينال وبعض ألقابه والدعاء له دون تاريخ .
التاريخ : بدون
عدد الأسطر : سطر واحد تسير فيه الكتابة من أعلى الى أسفل بطريقة رأسية .
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث نقش على أرضية نباتية منفصلة عن حروف النص .

" النص "

" [١] لمقام الشريف سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر اينال خادم الحرمين الشريفين عز نصره " .

لوحة رقم (١٤)

النص الثاني :

المكان	:	متحف آثار الحرم المكي الشريف
الرقم	:	بدون
المقاس	:	٢١٠ × ١٥ سم
النوع	:	لوح من الرخام مستطيل الشكل ملصق بواجهة العمود الأيسر من واجهة مقصورة المقام الشرقية عبارة عن لوحة تأسيسية تقتصر على اسم السلطان اينال وألقابه وبعض العبارات الدعائية له دون ذكر للتجديد أو التاريخ .
التاريخ	:	بدون
عدد الأسطر	:	سطر واحد تسير فيه الكتابة من أسفل الى أعلى بطريقة رأسية أيضا بالاضافة الى هامشين أحدهما مربع صغير والآخر مستطيل الشكل .

ويلاحظ هنا صعوبة تنفيذ النصين الأول والثاني وهما مثبتان على العمودين الحجريين وخاصة هذا النص لأن النص الأول كتب من أعلى الى أسفل بينما النص الثاني هنا كتب من أسفل الى أعلى وربما نقشا قبل تثبيتهما ثم ألصقا ليشكلا واجهات منقوشة لأعمدة المقام الحجرية .

الخط	:	حجازى لين بارز من نوع الثلث وقد نقش النص الرئيسى لهذه اللوحة دون الهامشين الصغيرين على أرضية نباتية .

" النص "

" صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان الملك الأشرف أبو النصر اينال عز الله أنصاره وختم بالصالحات أعماله " .

وكتب فى المربع الصغير المحصور بين النص الرئيسي والهامش المستطيل مايلى :

" السلطان الأشرف أبو النصر اينال عز نصره " .

وكتب فى المستطيل الذى يعلو المربع الصغير النص التالي :

" وصلى الله على سيدنا محمد وآلـ[ـه] " .

لوحة رقم (١٥)

النص الثالث :

المكان : متحف آثار الحرم المكي الشريف
الرقم : بدون
المقاس : ٢١٠ × ٢٠ سم
عدد الأسطر : ١٢ سطرا أفقيا متوازيا
التاريخ : جمادى الأولى سنة ٨٥٨ هـ
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث
النوع : لوح من الرخام مستطيل الشكل ملصق بالجانب الظاهر من العمود الخلفى الأيسر من أعمدة مقصورة مقام ابراهيم الخشبية المحفوظة بمتحف آثار الحرم المكي الشريف عبارة عن لوحة تأسيسية لتجديد مقام ابراهيم فى عهد السلطان اينال تتألف من اثنى عشر سطرا أفقيا وبها اسم الجمالي يوسف ناظر الجيوش والخواص الشريفة فى عهد السلطان اينال .

" النص "

"١ - اللهم سلم من الحسود تسليما
٢ - أمر بتجديد هذا المقام المبارك
٣ - الفقير الى الله تعالى
٤ - الملك الأشرف أبو النصر اينال
٥ - عز نصره على يد الفقير الى الله تعالى
٦ - الصاحبى المشيرى الجمالى يوسف ناظر
٧ - الجيوش المنصورة والخواص الشريفة
٨ - غفر الله له ولمن (أفضا ؟) آعان على (...)
٩ - وللمسلمين أجمعين بتاريخ جمادى
١٠ - الأول سنة ثمان وخمسين ونمايه (١)

---

(١) يلاحظ أن عبارة (ثما) فى العدد ثمانمائة غير موجودة وانما اكتفى الخطاط أو النقاش بكتابتها فى بداية العدد " ثمان وخمسين" مرة واحدة دون تكرارها فى كلمة "ثمانمائة" وعلى القارىء أن يتنبه لذلك فيقرؤها مرتين مرة فى ثمان وخمسين ومرة فى ثمانمائة حتى يستقيم تاريخ النص ويظهر أن الخطاط قد لجأ لذلك تحت ضغط المساحة المحدودة المراد نقش النص فيها أو أنه لم يحسب حساب حجم العبارة المراد نقشها بطريقة جيدة فلجأ الى هذا الحل .

١١ - من الهجرة النبوية على صاحبها

١٢ - أفضل الصلاة وأفضل السلام " .

لوحة رقم (١٦)

النص الرابع :

المكان : متحف آثار الحرم المكي
الرقم : بدون
المقاس : ٢١٠ × ٢٠ سم
التاريخ : جمادى الأولى سنة ٨٥٨ هـ
عدد الاسطر : ١٢ سطرا أفقيا
النوع : لوح من الرخام مستطيل الشكل ملصق بالجانب الظاهر من العمود الخلفي الأيمن من أعمدة مقصورة مقام ابراهيم الخشبية القديمة المحفوظة بمتحف آثار الحرم المكي الشريف وهو عبارة عن لوحة تأسيسية لتجديد المقام فى عهد السلطان اينال تتألف من اثنى عشر سطرا أفقيا وبها اسم المباشر لهذا التجديد وهو طوغان شيخ المحمدى .
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث

" النص "

١ - اللهم اختم بالخيرات ياكريم

٢ - أمر بتجديد هذا المقام المبارك

٣ - الجليل الفقير الى الله تعالى

٤ - مولانا السلطان الملك ا

٥ - الأشرف أبو النصر اينال عز نصره

٦ - بمباشرة الفقير الى الله تعالى طوغان شيخ

٧ - المحمدى الأشرفى ناظر الحرم

٨ - الشريف والحسبه الشريفه بمكة ا

٩ - المشرفة لطف الله به وبالمسلم [ين]

١٠ - ومن ترحم عليه ومن يقول آمين

١١ - بتاريخ جمادى الأول سنة

١٢ - ثمان وخمسين وثمان مابة . . .

وقد ورد فى النصوص اسم " السلطان الملك الأشرف اينال "

وهو السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر اينال العلائى الظاهرى وهو السلطان السادس والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بمصر والثانى عشر من ملوك الجراكسة . وكان فى الأصل من مماليك الظاهر برقوق وترقى فى الخدمة الى أن بويع بالسلطنة بعد خلع الملك المنصور عثمان بن السلطان الظاهر جقمق فى يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وتلقب بالملك الأشرف[(١)] وظل فى السلطنة الى أن توفي فى يوم الخميس خامس عشر جمادى الأولى سنة ٨٦٥هـ بعد أن عهد بالسلطنة لابنه الشهابي أحمد فكانت مدة حكم السلطان اينال ثمان سنين وشهرين وستة أيام[(٢)] .

وقد ورد فى النص الثالث اسم " الجمالي يوسف " ناظر الجيوش المنصورة والخواص الشريفة

وهو جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركه المصرى المعروف بابن كاتب جكم ترقى فى الوظائف منذ عهد السلطان برسباى ٨٢٥ هـ - ٨٤١ هـ فتولى الوزارة فى سنة ٨٣٨ هـ ثم أسند اليه نظر الخاص فى سنة ٨٤١ هـ بعد وفاة أخيه سعد الدين ابراهيم بن كاتب جكم ثم أضيف اليه نظر الجيش فى سنة ٨٥٦ هـ وخدم خمسة سلاطين هم السلطان برسباى (ت ٨٤١ هـ) وابنه العزيز ، والظاهر جقمق (ت ٨٥٧ هـ) وابنه المنصور عثمان (ت ٨٥٧ هـ) ثم الأشرف اينال (٨٥٧هـ - ٨٦٥ هـ) وعظم أمره عند هؤلاء السلاطين حتى توفى فى يوم

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٦ ص ٥٧ وما بعدها ، وحوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور ص ٥٥٨ وأنظر :
السخاوى : التبر المسبوك ص ٤٥٦ ومابعدها ، الضوء اللامع جـ ٢ ص ٣٢٨ ومما بعدها ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٦ ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، حوادث الدهور ص ٥٥٨ وما بعدها وأنظر : السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٢ ص ٣٦٧ وما بعدها .

الخميس الثامن والعشرين من ذى الحجة سنة اثنتين وستين وثمانمائه [(١)].

وكان الجمالي يوسف هذا صديقا حميما لابن تغرى بردى المؤرخ ت ٨٧٤ هـ ، ولذلك نجد أن ابن تغرى بردى قد أفاض كثيرا فى ترجمته لدرجة أنه كان شديد الاعجاب به [(٢)] وقد أشار بعض المؤرخين الى مآثره بمكة ومنها :

أنه هدم رباط رامشت بن الحسين الفارسي (ت ٥٣٤هـ) الواقع بالجانب الغربى من المسجد الحرام وأنشأ بدلا منه مدرسة ورباطا عرف باسم رباط ناظر الخاص وكان انشاؤه للمدرسة والرباط فى سنة ٨٥٥ هـ وجعل على المدرسة والرباط أوقافا قريبة منهما [(٣)] وقد هدم بعض أوقاف الجمالي يوسف هذه السلطان قانصوه الغورى حينما أنشأ قصره المعروف على باب ابراهيم بالجانب الغربى من المسجد الحرام سنة ٩١٩ هـ [(٤)].

ومن مآثره أيضا حفر بعض الآبار على طريق الحاج بين مكة والقاهرة [(٥)].

وتشير احدى حجج الوقف الخاصة به أنه خصص خمسين دينارا من الذهب الظاهرى [(٦)] لملء البرك بعرفة بالماء العذب لسقاية الحجاج فى يوم عرفه واذا تعذر

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٥ ص ٥٤ ومابعدها و جـ١٦ص ١٩٧ وما بعدها ، وحوادث الدهور ص ٣٨٣ وما بعدها - وأنظر :
السخاوى : التبرالمسبوك ص ٦ ، ٧ ، ابن اياس: بدائع الزهور جـ ٢ ص ٣٥٠.

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٦ ص ١٩٧ ومابعدها ، وحوادث الدهور ص ٣٨٣ وما بعدها .

(٣) السخاوى : التبر المسبوك ص ٣٥٤ ، العز بن فهد : بلوغ القرى ورقة ٦١ ، ٢٢٠- وأنظر : محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٢٤ .

(٤) العز بن فهد : بلوغ القرى ورقة ٢٢١ .

(٥) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ص ٣٧٧ .

(٦) الذهب الظاهرى نسبة الى الظاهر جقمق (٨٤٢هـ - ٨٥٧ هـ) الذى كانت دنانيره من أجود الدنانير الذهبية لأنه سار على نفس سياسة اصلاح الذهب التى كان قد بدأها السلطان برسباى فيما بين سنتى ٨٢٩هـ ، ٨٣١ هـ اذ أن السلطان برسباى أبطل التعامل بالدوكات البندقية والافلورية التى تعرف بالمشخصة وضرب دنانير ذهبية في غاية الجودة وكان وزن الدينار منها (٣٫٤٥ جرام) - أنظر :
عبد الرحمن فهمي محمد : النقود العربية ماضيها وحاضرها ص ٩٩ ، ١٠٠ .

ملء هذه البرك فانه يشترى بهذا المبلغ ماء وينقل ليعم به النفع جميع الحجاج [١].

<u>وورد في النص الرابع اسم " طوغان شيخ المحمدى "</u>

وقد تولى طوغان شيخ نظر المسجد الحرام والحسبة بمكة المشرفة سنة ٨٥٧ هـ ثم عزل عن نظر المسجد الحرام سنة ٨٥٩ هـ ببرهان الدين ابراهيم بن على بن ظهيره القرشي خطيب المسجد الحرام [٢] ثم تولى طوغان شيخ امرة العساكر السلطانية [٣] المقيمين بمكة منذ سنة ٨٦٤ هـ [٤] الى أن عين أميرا على العساكر بالمدينة المنورة سنة ٨٧٢ هـ [٥].

وفى سنة ٨٧٣ هـ عاد طوغان شيخ الى امرة العساكر بمكة وظل كذلك الى أن عزل فى سنة ٨٧٤ هـ وتوجه الى القاهرة [٦] وتوفي بها سنة احدى وثمانين وثمانمائة بعد أن بلغ من العمر بضعا وثمانين سنة [٧].

وقد وصفه السخاوى بقوله : " وكان يتفقه ويزاحم الفقهاء مع بلاده وعدم معرفة وأظهر مؤلفا أعين فيه عارض فيه السيد السمهودى في امتهان البسط المكتوب عليها وعدم احترامها كتب له عليه جماعة " [٨].

---

(١) حجة وقف الجمالي يوسف ناظر الخواص الشريفة المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة رقم ١٠٥ محفظة ١٦ب مؤرخة بالثانى من شهر ذى القعدة سنة ٨٤٩ هـ.
(٢) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٥٧ هـ ورقة ٢٨٠ وحوادث سنة ٨٥٩ هـ ورقة ٢٨٤ وأنظر: السخاوى : التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة جـ ٢ ص ٢٦٧ والضوء اللامع جـ ٤ ص ١٠ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢١١.
(٣) عن هذه الوظيفة أنظر: حسن الباشا : الفنون والوظائف على الآثار العربية جـ ١ ص ٢٩٣ لقب باش العساكر.
(٤) ابن فهد : المصدر السابق حوادث سنة ٨٦٤ هـ ورقة ٣٠٠ وحوادث سنة ٨٦٥ هـ ورقة ٣٠٢ وأنظر: ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٢ ص ٣٦١.
(٥) ابن فهد : المصدر السابق حوادث سنة ٨٧٢ هـ ورقة ٣١٩ وأنظر: السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٢٦٧.
(٦) ابن فهد : المصدر نفسه حوادث سنة ٨٧٤ هـ ورقة ٣٢٦.
(٧) السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٢٦٧ والضوء اللامع جـ ٤ ص ١٠ وأنظر : ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٢٣.
(٨) السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٢٦٧ والضوء اللامع جـ ٤ ص ١٠.

ويلاحظ أن السخاوى قد لقبه بالأحمدى والصواب المحمدى حيث ورد ذلك بالنص .

والجدير بالملاحظة أنه لم يشر أحد من المؤرخين قديما أو حديثا الى نقوش السلطان اينال هذه والتى ننشرها هنا لأول مرة خاصة ابراهيم رفعت الذى أشار الى نصوص بعض الكتابات والنقوش الموجودة داخل الحرم المكي الشريف وخارجه من جهات مكة المختلفة .

وكذلك حسين باسلامه الذى أورد نصوص بعض الكتابات والنقوش المنتشرة بالحرم المكي الشريف .

واذا كان محمد طاهر الكردى الخطاط قد ذكر أنه رأى على أحد أعمدة المقام كتابة تدل على تجديد عمارة المقام سنة ٨٥٨ هـ (١) فان ما أورده لا يتصف بالكمال لأنه لم يأت بقراءة النص قراءة كاملة ولم يورد اسم السلطان الذى أمر بتجديد هذه العمارة بالاضافة الى أنه لم يشر الا الى نص واحد فقط مع أن نصوص السلطان اينال هذه أربعة نصوص وليست نصا واحدا وبذلك يمكن القول ان الكتابات الموجودة بالحرم المكي الشريف رغم اشارة المؤرخين الى بعضها فانها لم تكن تسترعي انتباه هؤلاء المؤرخين رغم أهميتها وربما كان ذلك بسبب عدم تذوق فن الكتابة العربية من جهة أو عدم ادراك أهميتها من جهة أخرى .

واذا كان باسلامه أو غيره من المؤرخين قديما وحديثا قد أوردوا بعض نصوص هذه الكتابات والنقوش فانما أوردوها للفت انتباه القارىء فحسب ولا غرابة فى ذلك لأن الملاحظ عند المؤرخين فى كتابة التاريخ الاسلامي بصفة عامة هو عدم وجود الصلة بين كتاباتهم وبين ماهو منقوش على العمائر الاسلامية وكأن مصادر التاريخ عند مؤرخينا لا تتجاوز ما فى كتب التاريخ والأدب من سير وأحداث ، أما الكتابات التاريخية المنقوشة على العمائر الاسلامية عامة والمساجد بصفة خاصة فهم لا يظنون أن لهذه النصوص شأنا عظيما فى تأييد أقوال المؤرخين أو اثبات خطئها مع أن هذه الكتابات تكشف لنا فى كثير من الأحيان عن حقائق لا تعرض لها كتب المؤرخين وربما كانت

---

(١) محمد طاهر كردى : مقام ابراهيم ص ١٢٩ والتاريخ القويم جـ ٤ ص ٤٩ .

نقوش السلطان اينال موضوع الدراسة أوضح دليل على عدم ادراك المؤرخين لأهمية هذه النقوش ، وقد أدرك المستشرقون للأسف أهمية الكتابات والنقوش العربية مما جعلهم يعنون عناية وافرة بجمع هذه النقوش وتنظيمها والتعليق عليها بل منهم من وقف جزءا كبيرا من حياته على هذه المهمة الأثرية الشاقة.(١)

أما بالنسبة لعدم اشارة مؤرخي مكة لنقوش السلطان اينال موضوع الدراسة فربما كان ذلك ظنا منهم أن هذه النصوص لا تعد و أن تكون زخرفة بحتة لا يقصد بها الا الزخرفة دون ادراك لما تحتويه من نصوص تسجيلية لتجديد المقام فى عهد السلطان اينال خاصة وأن هذه النصوص قد نقش بعضها على أرضية نباتية اختلطت فيها النصوص التأسيسية مع الزخارف النباتية كما هو الحال بالنسبة للنصين الأول والثاني من هذه النصوص كما أن هذه قد ألصقت على أعمدة مقام ابراهيم بطريقة رأسية حيث ألصق بعضها من أعلى الى أسفل مثل النص الأول من هذه النصوص وألصق البعض الآخر من أسفل الى أعلى مثل النص الثاني من هذه النصوص فلو كان عند هؤلاء المؤرخين أدنى تذوق للنقوش والكتابات العربية لتنبهوا لما تحتويه هذه الزخارف من نصوص كتابية وفاتهم أن الكتابات والنقوش العربية رغم أهميتها التسجيلية فانها تعتبر أهم عنصر زخرفي يزين العمل المعمارى الاسلامي فى مختلف العمائر الاسلامية على مر العصور .

وربما كانت اشارة محمد طاهر الكردى الى أحد هذه النقوش وما يحتويه من تاريخ دون غيره كما سبق أن أشرنا يرجع أساسا الى أن الكردى كان خطاطا والخطاط بطبعه أكثر الناس تذوقا لفن الخط وأكثرهم معرفة بأساليبه مهما غطيت أرضياته وحروفه ومداته بالزخارف.

ومما يؤيد وجهة نظرنا من أن المؤرخين قد اعتبروا هذه النصوص التأسيسية مجرد زخرفة هو أن قبة مقام ابراهيم التى تقوم على هذه الأعمدة الملصقة بها هذه النصوص كانت هي الأخرى مزينة بالزخارف فظن هؤلاء المؤرخون أن النصوص الملصقة على

---

(١) محمد فهد عبد الله القعر : (علاقة الخط العربى بالمسجد) مجلة رسالة المسجد - مجلد (١) العدد الثانى - ربيع الأول ١٣٩٩ هـ ص ٧٩ وما بعدها .

الأعمدة لا تعد وكونها زخرفة تماثل الزخرفة الموجودة على القبّة من الداخل ويتضح ذلك من وصف الفاسي المتوفي سنة ٨٣٢ هـ لقبة المقام وأعمدته التى أنشئت فـي عهد الناصر فرج سنة ٨١٠ هـ والتى ألصقت نصوص السلطان اينال هذه على أعمدة هذه القبة فيما بعد وذلك بقوله :

" أما صفة الموضع المشار اليه - أى موضع المقام - فانه الآن قبّة عاليـة من خشب ثابتة قائمة على أربعة أعمدة دقاق حجارة منحوتة بينهما أربعة شبابيـك من حديد من الجهات الأربعة ومن الجهة الشرقية يدخل الى المقام والقبّة مايلى المقام منقوشه مزخرفة بالذهب ومما يلي السماء مبيضه بالنورة . . . "(١).

وقد سبق أن تحدثنا عن قبّة المقام بتفصيل أكثر وذلك عند دراسة نص ترخيم المقام والحطيم فى عهد السلطان الناصر محمد المؤرخ بعام ٧٢٩ هـ وذكرنا وصـف المؤرخين والرحالة للمقام والقباب التي وضعت عليه (٢).

وأود أن أضيف هنا أن الزخرفة فى قبّة المقام قد عرفت فى القباب السابقة لقبّة السلطان الناصر فرج والتى سبق وصف الفاسي لها اذ أن ابن جبير الـذى كان قد حج سنة ٥٧٩ هـ أشار الى أن قبة المقام فى عهده كانت مزخرفة وذلـك بقوله :

" وعليه - أى على المقام - قبّة خشب فى مقدار القامه أو أزيد مركّنـة محدّده بديعة النقش "(٣).

والأمر الجدير بالملاحظة هو معرفة نوع القوائم أو الأعمدة التى كانت تقـوم عليها قباب المقام قبل قبّة الناصر فرج التى عملها سنة ٨١٠ هـ والتى سبـق أن وصفها الفاسي بأن أعمدتها من حجارة منحوتة فالراجح أن جميع هذه القبـاب سواء التى وصفها ابن جبير أو قبّة الملك المسعود صاحب مكة واليمن (ت ٦٢٦هـ) والتى أشار اليها كل من أبى شامه(٤) والفاسي كانت جميعها تقوم على قوائم خشبيـة

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٠٤ .
(٢) أنظر ص ١٢ وما بعدها من هذه الرسالة .
(٣) ابن جبير : الرحلة ص ٦٢ .
(٤) أبو شامه : ذيل الروضتين - طبع دار الجيل - بيروت ١٩٧٤م ص ١٥٨ .

لأنه لا يوجد أى اشارة عند هؤلاء المؤرخين والرحالة تفيد أن القوائم التى تقوم عليها القبة الخشبية تختلف عن القبة نفسها .

ومما يؤكد ذلك أن نص السلطان الناصر محمد بن قلاوون المؤرخ بعام ٧٢٩هـ الذى نقش بسبب ترخيم المقام والحطيم والذى سبق أن تحدثنا عنه (١) لم يوضع على أحد هذه القوائم الخشبية لأن الخشب مهما كانت قوته وصلابته فهو معرض للتلف وانما ألصق على الشباك الحديدى من الناحية الشرقية ولو كانت هذه القوائم من حجارة أو رخام لما وضع نص السلطان الناصر محمد على الشباك الشرقي المشار اليه خاصة وأن قبة المقام وقوائمه أصبحت ثابتة غير متحركة كما كانت فى السابق على عهد ابن جبير لأن الفاسي يقرر أن الملك المسعود صاحب مكة واليمن (٦١٩ هـ - ٦٢٦ هـ) (١٢٢٢ م - ١٢٢٨ م) هو أول من بنى هذه القبّة الخشبية التى فوق قبّة الحديد وجعلها ثابتة (٢) .

وبقى أن نشير الى أن هذه القوائم الخشبية القائمة عليها قبة المقام والتى أصبحت ثابتة منذ عمارة الملك المسعود لا يمكن أن تبقى دون تجديد منذ عمارتها فى عهد الملك المسعود وحتى عهد الفاسي (ت ٨٣٢ هـ) الذى تم فى عهده عمارة جديدة لقبة المقام جعلت قوائمها من الحجارة المنحوتة وهي مدة زمنية تقدر بحوالى قرنين من الزمان بالاضافة الى ما يتعرض له الخشب من ظروف مناخية أو آفات أرضية .

واذا كان المؤرخون لم يشيروا الى تجديد هذه القوائم خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة فان ذلك لا يمنع أن تكون قد جددت فعلا لأن يد الاصلاح والتعمير لم تتوقف طوال هذه الفترة سواء كان من جانب السلاطين والملوك أو من جانب بعض الأفراد الموسرين .

وربما كان أوضح دليل أيضا على أن هذه القوائم كانت خشبية هو أنها قد أستبدلت بأعمدة من حجارة دقاق منحوتة فى عمارة السلطان فرج سنة ٨١٠هـ وذلك ضمانا لبقائها وقوتها ومقاومتها للظروف البيئيّة والمناخ .

---

(١) أنظر ص ١٢ وما بعدها من هذه الرسالة .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٠٤ ، جـ ٢ ص ١٣٥ وأنظر : العقد الثمين جـ ٧ ص ٤٩٥ .

والواقع أن استبدال القوائم الخشبية بأعمدة من حجارة منحوتة يعتبر على جانب كبير من الأهمية فبالاضافة الى صلابة هذه الأعمدة الحجرية وقوتها فانه قد فتح بابا للاستفادة من هذه الأعمدة حيث نقشت النصوص التأسيسية لعمارات المقام التى حدثت فيما بعد على ألواح من الرخام وألصقت بواجهات هذه الأعمدة الحجرية نظرا لما يتميز به وضع هذه النصوص الرخامية على هذه الأعمدة من وضوح .

والأمر الذى لا شك فيه هو أن الأعمدة الدقاق التى وصفها الفاسي (ت ٨٣٢هـ) هي نفسها التى نقش عليها السلطان اينال نقوشه سنة ٨٥٨ هـ أى بعد ستة وعشرين عاما من وفاة الفاسي .

ونلاحظ أن هذه الأعمدة كانت خالية من أى نقش قبل عصر السلطان اينال والا لذكر الفاسي ذلك لاعتماده دائما على النقوش والنصوص التأسيسية فى كتاباته التاريخية وهذه الأعمدة الدقيقة هي بذاتها التى نقش السلطان قانصوه الغورى نصوصه على عمودين منها بعد أكثر من نصف قرن كما سنوضحه فى الصفحات القادمة من هذه الرسالة.[1] وهى الأعمدة نفسها التى نقش السلطان سليمان ٩٢٦هـ - ٩٧هـ على العمودين الأماميين منها - بعض نقوشه سنة ٩٤٩ هـ[2] أى بعد ما يقرب من قرن من الزمان .

وهذه الأعمدة هي التى بقيت حتى التوسعة السعودية الحالية ثم نقلت وحفظت بمتحف الحرم المكي حتى هيأ الله تعالى لنا الفرصة للقيام بتصويرها ودراستها ونشرها هنا فى هذه الرسالة .

وما دمنا بصدد الحديث عن نقوش السلطان اينال وما لقيته هذه النقوش من جانب المؤرخين من اهمال فاننا نود أن نشير الى أن بقاء كثير من النقوش والكتابات العربية بالحرم المكي الشريف رغم العمارات المتكررة التى حدثت بالحرم الشريف على مدى العصور الاسلامية يقوم دليلا على مدى ما تحظى به هذه النقوش والكتابات من تقدير عند الخلفاء والملوك والسلاطين بحيث لم يحاول أحد منهم طمسها أو ازالتها

----

(١) أنظر ص ٢٧٤ وما بعدها من هذه الرسالة .
(٢) أنظر ص ٣٦٠ وما بعدها من هذه الرسالة .

أو تغييرها اذ لا تزال كثير من النقوش قائمة فى أماكنها الأصلية وكأنها نقشت بالأمس القريب فهاهي نقوش الخليفة المهدى العباسي (ت ١٦٩هـ) والمؤرخ أحدها بسنة ١٦٧ هـ قائمة لم تصب بأذى بل ان القائمين على خدمة المسجد الحرام فى عصرنا الحاضر لا يزالون يتعهدون هذه النقوش بالتنظيف والطلاء من حين لآخر ، وما يقال عن نقوش المهدى يقال أيضا عن نقوش أخرى ترجع الى العصرين المملوكي والعثماني .

أما النقوش والكتابات التى اقتضت المصلحة العامة ازالة المباني القائمة عليها فقد نقلت بكل حرص وعناية الى متحف أنشىء خصيصا لهذا الغرض بالدور الأرضي من الحرم المكي حيث قمنا بتصويرها ودراستها .

أما ماقام به السلطان اينال من اصلاحات بالحرمين الشريفين فلم يشر المؤرخون الى أى اصلاحات معمارية جرت فى عهده سوى ما ذكره ابن تغرى بردى (ت٨٧٤هـ) وابن اياس (ت ٩٣٠ هـ) من أن السلطان اينال أرسل فى سنة ٨٥٩ هـ كسوة للحجرة النبوية الشريفة وكان المشرف على صنع هذه الكسوة الجمالي يوسف ناظر الخاص الذى سبق أن أشرنا الى ترجمته[1] .

كما أن نجم الدين بن فهد وهو المؤرخ المكي المعاصر (٨١٢ هـ - ٨٨٥ هـ) لحكم السلطان اينال لم يذكر أى اصلاحات حدثت فى عهده .

بل ان قطب الدين الحنفى (ت ٩٨٨هـ) قد ذكر صراحة أنه لم تجر فى عهد السلطان اينال أى اصلاحات أو عمارة وذلك بقوله :

" ولم يقع في أيام الأشرف (يقصد السلطان اينال) عمارة للحرم المكي الشريف[2]".

الا أننى عثرت فى كتاب البحر العميق لابن الضياء الحنفى (ت٨٥٤هـ) على عبارة قصيرة تفيد أن طوغان شيخ المحمدى قد جدد دهان سقف المقام وزخرفه

---

(١) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ص ٢٤٣ وأنظر :
ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٢ ص ٣٣٠ .

(٢) قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

بأحسن من زخرفته الأولى وذلك في سنة ٨٥٨ هـ (١) مع العلم أن ابن الضياء قد توفى قبل هذا التجديد بأربع سنوات والراجح أن ورود خبر هذا التجديد من وضع نساخ هذا المخطوط وليس من كلام ابن الضياء المتوفى سنة ٨٥٤ هـ (٢) .

ومن المهم أن نذكر أن أحد النصوص موضوع الدراسة وهو النص الرابع قد أشار الى أن تجديد المقام قد تم على يدى طوغان شيخ المحمدى ناظر الحرم بينما يذكر النص الثالث أن التجديد قد تم على يدى الجمالي يوسف ناظر الخواص الشريفه والجيوش المنصورة مع أن جميع المصادر التى عرضت لها لم تذكر أن الجمالي يوسف هذا قد كان موجودا بمكة في هذه السنة حتى يرد اسمه فى النص . الا أن الذى أرجحه هو أن تجديد المقام في هذه السنة وهي سنة ٨٥٨ هـ كان بأمر منه لاسيما وأنه كان الآمر الناهي في دولة السلطان اينال كما سبق أن أشرنا الى ذلك عند ترجمته خاصة وأنه المتولي لكل ما يخص السلطان اينال أو أن هذا التجديد كان على نفقته ومن ماله الخاص لأنه كان ذا مآثر لا تنكر أشرنا الى بعضها عند ترجمته .

ووردفى هذه النصوص عدة ألقاب فجاء فى النص الثانى لقب " صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية "

ولفظ الصاحب بدأ استعماله كنعت شخصي ثم استخدم كلقب فخرى عام كما أصبح اسما لوظيفة وردت في كثير من الكتابات والنقوش العربية (٣) .

أما لقب " صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية " فقد جاء بصيغ مختلفه مثل " صاحب الأقطار الحجازية " (٤) و " صاحب الديار المصرية " و" صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية " و " صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والقلاع السواحلية والأقطار الحجازية " (٥) .

---

(١) ابن الضياء الحنفي : البحر العميق ورقة ٨١ .
(٢) عن ترجمة ابن الضياء الحنفي وتاريخ وفاته ـ أنظر :
السخاوى : الضوء اللامع جـ ٧ ص ٨٥ ترجمة رقم ١٧٢ .
(٣) حسن الباشا : الفنون والوظائف على الآثار العربية جـ ٢ ص ٦٥٠ .
(٤) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٦٩ .
(٥) المرجع نفسه ص ٣٧٢ .

أما ورود لقب " صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية " على هذه الصيغة الواردة في النص فربما لم يرد له مثال سابق مما يزيد من أهمية هذا النص موضوع الدراسة .

كما ورد بالنص الثاني لقب " ملك البرين والبحرين ".

وقد سبق أن تحدثنا عن لقب " الملك "(١) أما لقب " ملك البرين والبحرين " فالراجح أنه قد ظهر على النقوش منذ النصف الأول من القرن السابع الهجرى حينما ورد على نص انشاء مؤرخ بعام ٦٤٧ هـ في قلعة بصرى كما أطلق على السلطان قلاوون في نقش مدرسته سنة ٦٨٣ هـ .(٢)

أما المقصود " بالبرين " فهما برّ آسيا وبرّ افريقيا كما يقصد " بالبحرين " البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر .(٣)

وورد في النص الثالث لقب " الصاحبى "

وهو مأخوذ من لفظ الصاحب ثم أضيفت اليه ياء النسبة وقد استعملت هذه النسبة وهي " الصاحبى " كلقب منذ العصر الأيوبى حينما أطلقه كتاب الأيوبيين على وزراء بني العباس مضافا الى بعض الألقاب الأخرى مثل " المجلس الصاحبى " كما عرف لقب الصاحبى في العصر المملوكي فأطلق على الجمالي يوسف الوارد اسمه في النص موضوع الدراسة وذلك في نص منقوش على مدرسة السلطان اينال بالقاهرة مؤرخ بشهر ربيع الأول سنة ٨٦٠ هـ .(٤)

والملاحظ أن لقب الصاحبى قد أطلق على الجمالي يوسف نفسه قبل سنة ٨٦٠ هـ وهي السنة التى أشار اليها الدكتور حسن الباشا بدليل وروده في نصنا هذا موضوع الدراسة المؤرخ بشهر جمادى الأولى سنة ٨٥٨ هـ .

---

(١) أنظر ص ٢٨ من هذه الرسالة .
(٢) حسن الباشا : المرجع السابق ص ٥٠٣ .
(٣) المرجع نفسه ، نفس الصفحة .
(٤) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

ورد في النص الثالث أيضا موضوع الدراسة لقب " المشيرى "

والمشيرى مأخوذ من المشير وهو الناصح الذى يؤخذ رأيه وقد ورد استعماله كلقب عند اضافته الى ياء النسب فقيل " المشيرى " وهو من ألقاب الوزراء وأكابر الأمراء من مقدمي الألوف ونظرا لدلالته على أصالة الرأى والحكمة غلب استعماله كلقب للمدنيين.(١)

وقد أشار الدكتور حسن الباشا الى أن لقب " المشيرى " قد غلب استعماله فى المكاتبات دون النقوش.(٢)

الا أنه فى الواقع قد استعمل فى النقوش أيضا بدليل وروده فى نصنا هذا المؤرخ بشهر جمادى الأولى سنة ٨٥٨ هـ .

ورد فى النص الثالث أيضا لقب " ناظر الجيوش المنصورة "

ونظر الجيش وظيفة موضوعها التحدث فى أمر الاقطاعات بمصر والشام والكتابة بالكشف عنها ومشاورة السلطان عليها وهي وظيفة جليلة القدر رفيعة المقدار وديوانها أول ديوان وضع فى الاسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٣) (١٣ هـ - ٢٣ هـ).

وكان ناظر الجيش يشبه وزير الدفاع فى العصر الحاضر وكان لوظيفة ناظر الجيش شأن كبير فى العصر المملوكي لأن صاحبها كان يشرف على الجيوش وما يتعلق بها فى ذلك الحين فى وقت كان للجندية مكانها الرفيع.(٤)

وربما جمع بين نظر الجيش وغيره من الوظائف لشخص واحد فى العصر المملوكي كما هو الواقع بالنسبة للجمالي يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخواص الشريفة والصاحبى أيضا.(٥)

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٤٧١ وأنظر: الفنون والوظائف جـ ٣ ص ١٠٩٧ وما بعدها.
(٢) حسن الباشا: الألقاب الاسلامية ص ٤٧١.
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٣٠ ، ٣١.
(٤) على ابراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية ص ٣٤٢ ولمزيد من التفاصيل عن وظيفة ناظر الجيوش المنصورة أنظر: ابن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ١٠٢ وما بعدها.
(٥) حسن الباشا : الفنون والوظائف جـ ٣ ص ١١٩٥ ، ١١٩٦.

وقد أورد الدكتور حسن الباشا لقب ناظر الجيوش المنصورة على الجمالي يوسف في نص انشاء مدرسة السلطان اينال المؤرخ بعام ٨٦٠ هـ[(١)] الا أن نصنا هذا موضوع الدراسة المؤرخ بعام ٨٥٨ هـ يكون سابقا لنص مدرسة السلطان اينال من حيث ورود هذا اللقب .

ورد في النص الثالث أيضا لقب " ناظر الخواص الشريفة "

وقد عرفت وظيفة ناظر الخواص أو الخاص منذ عهد الدولة الفاطمية الا أن صاحب هذه الوظيفة لم يبلغ من جلالة القدر ما بلغه أيام المماليك ذلك أن الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١ هـ) لما أبطل الوزارة جعل ناظر الخاص متحدثا في كل ما يتعلق بأموال السلطان وأصبح السلطان يستشيره ويأخذ رأيه في كل أمر وأصبح ناظر الخاص كأنه هو الوزير لقربه من السلطان[(٢)] .

ووظيفة ناظر الخاص من الوظائف الديوانية الجليلة التى كان يشغلها مدنيون[(٣)] .

وكان لناظر الخاص التحدث في أمور الخزانة السلطانية وكانت بقلعة الجبل كما كانت كبيرة الوضع لأنها مستودع أموال المملكة وكان نظر الخزانة منصبا جليلا أيضا الى أن استحدثت وظيفة نظر الخاص فضعف أمر الخزانة التى كانت تسمى الخزانة الكبرى فأصبح اسما أكبر من مسمّاه وصار نظر الخزانة مضافا الى نظر الخاص[(٤)] .

ويلاحظ أنه ربما أضيفت الى ناظر الخاص وظائف أخرى مثل وظيفة الاستادار[(٥)] أو وظيفة نظر الجيش كما هو بالنسبة للجمالي يوسف ناظر الخواص الشريفة الوارد اسمه هنا في هذا النص موضوع الدراسة المؤرخ بعام ٨٥٨ هـ .

---

(١) حسن الباشا : الفنون والوظائف جـ ٣ ص ١١٩٦ .
(٢) المقريزى : الخطط جـ ٢ طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ ص ٢٢٧ .
(٣) حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف جـ ٣ ص ١٢٠٧ وما بعدها .
(٤) المقريزى : المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .
(٥) حسن الباشا : المرجع السابق جـ ٣ ص ١٢٠٩ ، ١٢١٠ .

ووردفى النص الرابع من نصوص هذه الدراسة لقب " ناظر الحسبة الشريفه "

وناظر الحسبة هو المحتسب وكان يقال له أيضا والي الحسبة أو متولى الحسبة .[١]

وكان المحتسب موظفا دينيا يسند اليه القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويقال له صاحب الحسبة أيضا .[٢]

وعلى الرغم من أن مصطلح المحتسب والحسبة لم يعرف الا فى العصر العباسي فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعتبر أول من وضع نظام الحسبة .[٣]

وقد أصبحت وظيفة المحتسب فى العصر المملوكي من حيث الترتيب الوظيفة الخامسة من الوظائف الدينية رفيعة الشأن وكان لصاحبها مجلس بحضرة السلطان بدار العدل .[٤]

. . . . . .

---

(١) حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف جـ ٣ ص ١٢٠١ .
(٢) المرجع نفسه ، نفس الجزء ص ١٠٢٧ .
(٣) المرجع نفسه ، نفس الجزء ص ١٠٢٨ .
(٤) المرجع نفسه ، نفس الجزء ص ١٠٣٦ .

تحليل
نصوص السلطان الأشرف اينـــال
الخاصة بتجديد مقام ابراهيم عليه السلام
المؤرخة بشهر جمادى الأولى سنة ٨٥٨ هـ لوحات (١٣ - ١٦)

١ - نقشت نصوص السلطان اينال الأربعة بالخط الحجازى اللين البارز من نـــوع الثلث ويعتبر خطها من أجود النماذج الخطية الحجازية في العصر المملوكي اذا ماقورنت بكثير من النصوص التى سبق لنا دراستها مثل نص السلطان الناصر محمد بن قلاوون المؤرخ بعام ٧٢٩ هـ أو نص السلطان برقوق المؤرخ بعـــام ٨٠١ هـ أو نص السلطان برسباى المؤرخ بعام ٨٢٥ هـ بل ربما تفوقت هـــذه النصوص موضوع الدراسة فى جودة الخط واتقانه على نصوص السلطان شعبـــان المؤرخة بعامي ٧٦٦ هـ ، ٧٧٢ هـ أو نصوص السلطان فرج بن برقوق المؤرخـــة بعام ٨٠٤ هـ أو نص السلطان برسباى المؤرخ بعام ٨٣٨ هـ أو نص السلطان جقمق المؤرخ بعام ٨٥٢ هـ مما يؤكد لنا أن هناك مجموعة من الخطاطـــين الحجازيين تميزت كتاباتهم بالجودة والاتقان بينما يوجد مجموعة أخرى مـــن الخطاطين الحجازيين أقل جودة واتقانا فى كتاباتهم من غيرهم وهذا التفاوت فى مستوى جودة الخط فى الحجاز ربما كان دليلا على اعتماد الحجاز على الخطاطين المحليين اعتمادا كليا بحيث لم يستقدم أى خطاط من خارج منطقة الحجـــاز وأصبح هذا التفاوت فى المستويات بشكل طابعا خاصا يميز مدرسة الحجـــاز الكتابية عن غيرها من المدارس الكتابية فى العالم الاسلامي وخاصة مصر الـــتى ازدهر فيها الخط الثلث وتطور تطورا كبيرا ولم تتأثر مدرسة الحجاز الكتابيـــة بهذا التطور الذى حدث للكتابة فى مصر فى العصر المملوكي .

والجدير بالملاحظة أن هذا التفاوت في مستوى الكتابة فى الحجاز بـــدأ يتلاشي ويختفى شيئا فشيئا منذ النصف الأول من القرن التاسع الهجرى حـــتى اذا ما بدأ النصف الثانى من هذا القرن فاننا نجد أن جميع النصوص الحجازية أصبحت على درجة كبيرة جدا من الجودة والاتقان بل ربما تفوقت هذه النصـــوص التى ترجع الى هذه الفترة على غيرها من النصوص الكتابية فى خارج الحجـــاز

ولا نقول ذلك مجازفة وانما من واقع النقوش الحجازية التى تمثل نقوش السلطان اينال هذه جزءا منها .

٢ - لقد نفذ الخطاط هذه النصوص بطرق متنوعة فبينما نقش النصين الثالث والرابع (لوحة ١٥،١٦) بالطريقة المعتادة التى تسير فيها أسطر الكتابة بطريقة أفقية نجد أن النص الأول (لوحة ١٣) قد كتب بطريقة رأسية من أعلى الى أسفل وكتب النص الثانى (لوحة ١٤) بطريقة رأسية أيضا ولكن من أسفل الى أعلى وتنفيذ النصين بهاتين الطريقة وخاصة النص المكتوب من أسفل الى أعلى يدل على صعوبة بالغة فى طريقة التنفيذ لا يستطيع أن يقوم بها الا خطاط متمكن لاسيما اذا كان هذان النصان قد نقشا وهما مثبتان على العمودين الحجريين من أعمدة المقام ويحتمل أيضا أن يكون النصان قد نقشا قبل تثبيتهما على العمودين ثم ألصقا بعد الكتابة ليشكلا واجهات منقوشة لأعمدة المقام الحجرية.

ولم يكتف الخطاط بكتابة النص الثاني من أسفل الى أعلى بل ترك أيضا مساحة قسمها الى قسمين جعل فى القسم الأول هامش صغير مربع الشكل حصره بين النص الرئيسي المنقوش من أسفل الى أعلى وبين هامش آخر مستطيل الشكل وضعه فى نهاية اللوح الرخامي وربما كان تنفيذ هذين النصين الأول والثاني بطريقة رأسية من أعلى الى أسفل ومن أسفل الى أعلى يعتبر من خصائص مدرسة الحجاز الكتابية لأنه لم يعثر حتى الآن - على حد علمي - على أى نصوص منقوشه بهذه الطريقة خارج منطقة الحجاز وخاصة مصر التى شهدت ازدهار الخط الثلث من ناحية وتنوع طرق تنفيذ الكتابة من ناحية أخرى .

٣ - نقش النصان الأول والثاني غير المؤرخين على أرضية نباتية بينما نجد أن النصين الثالث والرابع المؤرخين عاريين من الزخرفة .

٤ - لم يبدأ الخطاط بكتابة البسملة في أى نص من هذه النصوص الأربعة وهو أمر قليل الحدوث ليس فى الكتابات الحجازية فقط بل فى سائر الكتابات والنصوص العربية فى العالم الاسلامي وانما بدأ النص الأول بعبارة " المقام الشريف " وبدأ النص الثاني بعبارة " صاحب الديار المصرية " وبدأ النص الثالث بعبارة " اللهم سلم من الحسود تسليما " وبدأ النص الرابع بعبارة " اللهم اختم بالخيرات ياكريم ".

ويبدو أن أول نص بدأ الخطاط بكتابته هو النص الثالث حسب ترتيبه هنا في هذه الدراسة الذى يبدأ بعبارة " اللهم سلم " كما يبدو أيضا أن آخر نص كتبه الخطاط هو النص الرابع حسب ترتيبه في هذه الدراسة الذى يبدأ بعبارة " اللهم اختم بالخيرات ياكريم ".

٥ - يلاحظ أن اثنين من هذه النصوص مؤرخين بالشهر والسنة بينما لم يؤرخ النصان الآخران .

٦ - لقد وفق الخطاط الحجازى الذى نقش هذه النصوص الى حد كبير في توزيع الكلمات والحروف في السطر الواحد سواء بالنسبة للنصوص المكتوبة بطريقة رأسية أو النصوص المكتوبة بطريقة أفقية اذ تميزت حروف النصوص وكلماتها بالوضوح والاتقان بالرغم من المساحات الضيّقة التى خصصت لكتابة هذه النصوص ولم يخطئ في تقديره لهذه المساحات الا في كلمة واحدة هي كلمة " ثمانمائة " في السطر العاشر من النص الثالث حيث لم يستطع كتابة كلمة " ثمان" في العدد " ثمانمائة " وانما اكتفى بكتابتها في بداية العدد في كلمة " ثمان وخمسين " دون تكرارها في كلمة " ثمانمائة " ويحتمل أيضا أنه لم يحسب حساب حجم العبارة المراد نقشها فلجأ الى هذا الحل وترك للقارئ مهمة الانتباه للقراءة الصحيحة لتاريخ النص .

٧ - اقتصر النص الثاني من هذه النصوص على ذكر ألقاب السلطان واسمه وبعض العبارات الدعائية له والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم دون اشارة الى تجديد المقام أو تاريخ هذا التجديد .

٨ - ورد في النصين الثالث والرابع من هذه النصوص عبارة " الفقير الى الله تعالى " وقد سبق أن أشرنا عند دراسة نص السلطان برقوق المؤرخ بعام ٨٠١ هـ الى أن بعض الباحثين أشار الى أنها لاترد والسلطان لايزال على قيد الحياة الا أن ورودها هنا في أكثر من نص حجازى يصحح ما ذكره هؤلاء الباحثون .

٩ - يلاحظ اختلاف اسم المباشر الذى أشرف على تجديد مقام ابراهيم عليه السلام في عهد السلطان اينال بالرغم من أن هذا التجديد قد تم في فترة زمنية محددة هي شهر جمادى الأولى سنة ٨٥٨ هـ فقد ورد في النص الثالث اسم " الجمالي

يوسف ناظر الخواص الشريفة والجيوش المنصورة " في عهد السلطان اينال بينما ورد في النص الرابع اسم " طوغان شيخ المحمدى" ناظر الحرم الشريف والراجح أن الذى كان مباشرا للعمل هو ناظر الحرم طوغان شيخ المحمدى بحكم وظيفته وأن تجديد المقام قد تم بأمر الجمالي يوسف لا سيما وأنه كان الآمر الناهي في دولة السلطان اينال كما كان صاحب مآثر بالحرمين الشريفين سبق أن أشرنا الى بعضها عند دراسة هذه النصوص .

١٠- ورد في النص الأول لقب " خادم الحرمين الشريفين " كلقب للسلطان اينال المملوكي ليؤكد بذلك سلطة السلطان اينال الدينية باعتباره خادم الحرمين الشريفين الذى يجب طاعته وامتثال أمره ويلاحظ أن تلقب المماليك بهذا اللقب انما أريد به اخفاء أصلهم باعتبارهم عبيدا أرقاء أعتقوا وترقوا في الخدمة الى أن وصلوا الى سدة الحكم .

كما ورد في النص الثاني لقب " صاحب المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية " وهذا اللقب ورد له أمثلة مشابهة سبق أن أشرنا اليها عند دراسة ألقاب السلطان ولكن يلاحظ أن وروده بهذه الصيغة ليس له مماثل فيما ورد من ألقاب ذكرها المؤرخون والباحثون مما يجعل لهذا النص أهمية كبيرة اذ أمدنا بصيغة لقبية ربما لم تكن معروفة من قبل . كما أن ورود لقب خادم الحرمين الشريفين وصاحب الأقطار الحجازية يوحي بأن سلطة السلطان هنا لا تقتصر على الحرمين الشريفين فقط وانما تمتد الى سائر الحجاز .

. . . . . .

لوحة رقم (١٧)

المكان : جبل الرحمة بمنطقة عرفات "والنص محفوظ الآن بالمعسكر الكشفي بمكة" .
الرقم : بدون
النوع : لوح من البازلت مستطيل الشكل يمثل لوحة تأسيسية لعمارة عين عرفة في عهد السلطان قايتباى (٨٧٢ هـ - ٩٠١ هـ) مؤرخ بعام ٨٧٥ هـ وقد ظهرت بهذا اللوح بعض التجاويف أثناء تهيئة هذا اللوح للكتابة .
المقاس : الطول ٩٣ سم وعرضه في المتوسط ٣٠ سم .
عدد الأسطر : ١٩ سطرا + هامش سفلي داخل مستطيل .
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث ويفصل بين كل سطر وآخر خط بارز أما البسملة فقد نقشت على أرضية من الزخارف النباتية لا تتصل حروفها بهذه الزخارف وذلك داخل عقد شبه مفصص ويتدلى من أعلى العقد رسم زخرفي على هيئة مشكاه .

وقد قمت بتصوير هذا اللوح حين كان موجودا في مكانه الأصلي بأسفل جبل الرحمة [(١)] بعرفات بالقرب من قناة عين عرفة والبرك الموجودة بأسفل الجبل مع مجموعة

---

(١) يلاحظ أن الدكتور أنور شكرى قد أشار الى هذا اللوح أثناء نشره لنص لوح آخر مماثل لهذا اللوح الذى أنشره هنا وذكر أن هذا اللوح الذى أقوم بنشره هنا موجود أمام جبل الرحمة والصواب أنه موجود أسفل جبل الرحمة وليس أمامه ، أنظر : محمد أنور شكرى : لوحان أثريان للسلطان قايتباى والسلطان سليمان القانونى - منشورات كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة ص ٢٩ .
كما أشار لهذا اللوح الأستاذ اسماعيل أحمد اسماعيل في مقال نشره بعنوان : " مدرسة السلطان قايتباى بالمسجد الحرام" وذكر ان هذا اللوح موجود بأعلى جبل الرحمة والصحيح انه بأسفل الجبل بالقرب من البرك والأحواض التى بأسفل جبل الرحمة ، ووجود اللوح فى هذا المكان لا يخلو من مغزى وذلك ليطلع عليه كل من أراد الشرب من هذه البرك والأحواض لاسيما فى موسم الحج ليعلم منه الحجاج وغيرهم أن السلطان قايتباى قد قام بتعمير عين عرفه وايصالها الى هذا المكان الذى يشربون منه ، ولا معنى لأن يوضع نص تأسيسي لعمارة عين عرفة بأعلى الجبل بعيدا عن هذه الأحواض والبرك ، أنظر : اسماعيل أحمد اسماعيل : " مدرسة السلطان قايتباى بالمسجد الحرام" مجلة العرب ، عدد يوليو ١٩٧٩ ص ٨٦ حاشية (١) .

أخرى من اللوحات التأسيسية المنقوشة والتي قمت بنشر بعضها في رسالتي للماجستير،[(١)] وقد نقلت هذه الألواح جميعها الى المعسكر الكشفي الدائم التابع لادارة التعليم بمكة المكرمة والواقع بحي العزيزية .

وقد أشار لهذا النص وقرأه ابراهيم رفعت[(٢)] كما أشار اليه الدكتور محمد أنور شكري[(٣)] عند دراسته لنص مماثل لهذا النص تقريبا سوف أقوم باعادة نشره ودراسته بعد دراسة هذا النص[(٤)] مباشرة غير أنه بعد الاطلاع على ما نشره ابراهيم رفعت فاني قد وجدت أخطاء كثيرة في هذا النشر وحين أنشر هذا النص فان ذلك لا يعني بأي حال الاستهانة أو التقليل من شأن الجهود التي سبقتني وانما أردت مراعاة النشر الصحيح لهذا النص لكي تتحقق الفائدة العلمية المرجوة من نشر هذه النصوص ، وسوف أشير لهذه الأخطاء بعد قراءة النص وان كان في الحقيقة يشكر على ما بذله من جهد في سبيل تعريفنا بنص في غاية الأهمية .

" النص "

١ - بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

٢ - الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبمنته وفضله تكمل المسرات

٣ - وبتوفيقه تجرى الخيرات على يد من اختار من أهل السعادات وصلى الله وسلم

٤ - على سيدنا محمد الذي نبع الماء من بين أصابعه في الأزمات وفتح الله تعالى به أعينا عميا وآذانا

٥ - صما وقلوبا غلفا وختم ببعثته الرسالات صلى الله وسلم عليه وآله وصحبه أولي الصبر والصلات

٦ - أزكى السلام وأفضل الصلاة وبعد فان عين عرفه المشرفه كانت قد محي اسمها وتعطل

---

(١) محمد فهد الفعر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري - طبع تهامه للنشر - جده ١٤٠٥ هـ ص ٣٠٢ - ٣١٧ .

(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٣) محمد أنور شكري : لوحان أثريان ص ٢٩ وما بعدها .

(٤) أنظر ص ٢١٠ وما بعدها من هذه الرسالة .

٧ - رسمها وعفا أثرها ولم يبق الا خبرها وهمّ كثير من الملوك والسلاطين بعمارتها فلم تساعدهم

٨ - القدرة على مقاومتها ومضى على ذلك دهور ويئس منها لما أتى عليها من العصور فلما منّ الله

٩ - على العباد بولاية من صلحت به الرعية والبلاد وانحسمت بوجوده مواد الجسور والفساد هو مولانا السلطان

١٠- الأعظم مالك رقاب الأمم حاوى فضيلتى السيف والقلم ظل الله تعالى الممدود على العالم سلطان

١١- الاسلام والمسلمين قامع الكفرة والمشركين محي مآثر الخلفاء الراشدين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين

١٢- الشريفين السلطان المالك الملك الأشرف ابو النصر قايتباى نصره الله نصرا عزيزا وفتح له فتحا قريبا .

١٣- بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم برز أمره الشريف باجرائها بتلك الأماكن المشرفة لوفد الله تعالى

١٤- وأضيافه المباهي بهم الملائكة قربة الى الله تعالى لا رياء فيها ولا امترا يجد ثوابها يوم تجد كل نفس ماعملت

١٥- من خير محضرا فجرت بحمد [ا] لله تعالى وتوفيقه في أسرع مدة يقارب احصاؤها أشهر العدّه مع تنظيف قعرها وبناء

١٦- مصانعها وبركها وعمل مشرعتها لنفع أهل الشريعة وبناء قناتها المحيطة بجبل رحمة الله الوسيعة فالله يجدد لمولانا

١٧- السلطان فى كل لحظة عزا ونصرا ويجرى له على ما أجرى في الدارين أجرا وذلك على يد الجنابين العاليين الأميرين

١٨- الكبيرين شاهين الجمالي الأشرفي وشقيقه المباشر للعمل السيفي سنقر الجمالي الأشرفي أجزل الله تعالى ثوابهما وأحسن أملهما في [مدة] (١)

---

(١) كلمة " مدة " لم تظهر فى هذا النص ولعلها قد محيت وقد أثبتها من النص الأخر الذى نشره الدكتور أنور شكرى والموجود بمتحف قسم الحضارة والنظم الاسلامية بكلية الشريعة بمكة المكرمة .

١٩- أولها شهر ربيع الآخر وآخرها شهر رجب الفرد الحرام عام خمسة وسبعين وثماني
مايه وصلى الله على س[يد]نا محمد وال[ـه]
٢٠- وصحبه وسلم

أما الأخطاء التي وردت عند ابراهيم رفعت فهي على النحو التالي :

١ - يذكر ابراهيم رفعت أنه قد رأى خطبة[1] نقشت في لوح من الحجر والواقع انها ليست خطبة كما يذكر بل هي لوحة تأسيسية شأنها في ذلك شأن بقية اللوحات التأسيسية التي تزين العمائر الاسلامية والتي تبدأ عادة بالبسملة والتحميد أو الشهادتين والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وبعض العبارات الدعائية التي تسبق النص التأسيسي .

٢ - ذكر في العنوان الذي وضعه في أعلى الصورة[2] أن هذا النص هو نقش قايتباي لتعمير عين زبيدة والصواب أنه نص تأسيسي لعمارة عين عرفه وليست عين زبيدة .

٣ - كما أشار في العنوان أن هذه العمارة كانت بمباشرة سنقر الجمالي شقيق السلطان والصواب أن سنقر هو شقيق شاهين الجمالي الذي ورد اسمه أيضا في هذا النص وليس شقيق السلطان وسوف أترجم لكل من شاهين وشقيقه سنقر من واقع المصادر المعاصرة لهما التي ترجمت لكل منهما .[3]

ولعل السبب في وقوعه في هذا الخطأ أنه استطاع أن يقرأ اسم سنقر الجمالي ولم يستطع قراءة اسم " شاهين الجمالي" على وجهها الصحيح فقد قرأها " سلطاننا الحالي " فظن أن سنقر هو شقيق " سلطاننا الحالي " كما ورد في قراءته .[4]

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢١٦ ، ٢١٧
(٢) المرجع نفسه : ص ٢١٧
(٣) أنظر ص ٢٣٣ - ٢٣٦ من هذه الرسالة .
(٤) ابراهيم رفعت : المرجع السابق ص ٢١٧ سطر ١٨ من النص الوارد عند ابراهيم رفعت .

٤ - وردت أسطر النص في قراءة ابراهيم رفعت ١٩ سطرا والصواب أنها ٢٠ سطرا لأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الواردة في آخر النص وردت مجزأة بين آخر السطر التاسع عشر وسطر آخر جديد هو سطر الهامش الذى يكمل به النص تمام العشرين سطرا .

٥ - يلاحظ أن الصورة الفوتوغرافية التى أوردها لهذا النص هي صورة غير واضحة ولا يستفاد منها عند قراءة النص أو مراجعته .

٦ - يذكر أن هذا اللوح لوثته الدماء مما جعله يعتمد على النسخة المنقولة بيد علي بدوى الذى نقل النص بخطه واعتمد ابراهيم رفعت على هذا النقل[1] دون الاعتماد على النص الأساسي وهو الأمر الذى حدث بسببه كثير من الأخطاء في قراء النص ومن هذه الأخطاء ما يلى :

(١) ورد في قراءة ابراهيم رفعت عبارة " ويمنه وفضله تكمل المبرات " والصواب هو " ويمنته وفضله تكمل المسرات " في السطر الأول .

(٢) ورد في قراءته أيضا عبارة " نبع الماء من بين أصابعه في الآيات " في السطر الرابع والصواب " نبع الماء من بين أصابعه في الأزمات " .

(٣) وردت في قراءته عبارة " فلم يساعدهم القدر " في السطر السابع وأول السطر الثامن والصواب " فلم تساعدهم القدرة " .

(٤) لم ترد كلمة " تعالى " في السطر العاشر في قراءة ابراهيم رفعت والصواب اثباتها حيث وردت العبارة في النص على هذا النحو " ظل الله تعالى الممدود " .

(٥) وردت في قراءة ابراهيم رفعت عبارة " مالك البرين والبحرين " في السطر الحادى عشر والصواب " ملك البرين والبحرين " .

(٦) ورد في السطر الثاني عشر عبارة " السلطان الملك الأشرف " والصواب " السلطان المالك الملك الأشرف " .

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢١٧ .

(٧) لم ترد كلمة " وآله " في السطر الثالث عشر والصواب اثباتها لأنهـــا موجودة بالنص فعلا .

(٨) وردت في القراءة المذكورة كلمة " وعمّ أمره " في السطر الثالث عشـــر أيضا والصواب " برز " .

(٩) ورد في السطر الثالث عشر أيضا عبارة " لوفد بيت الله تعالى " والصواب " لوفد الله تعالى " .

(١٠) ورد في القراءة المذكورة عبارة " رسل الله تعالى " والصواب " قربه الـــى الله تعالى " .

(١١) ورد في السطر الرابع عشر أيضا عبارة " ولا أميرا " والصواب " ولا امترا " .

وقد ذكر الدكتور أنور شكرى[1] أن ابراهيم رفعت قد قرأ هذه الكلمة " ولا امترا " كما هي بالنص والصواب أن ابراهيم رفعت قد أخطأ فقرأهـا " ولا أميرا " كما هو واضح من قراءته .

(١٢) ورد في قراءة ابراهيم رفعت عبارة " فجرت بحمد الله " في السطـــر الخامس عشر والصواب أن الألف في كلمة " الله " غير موجودة في النـــص والصواب عند اضافتها هو وضعها بين قوسين هكذا [ا] كما أنـــه لم يثبت كلمة " تعالى " الواردة في عبارة " فجرت بحمد الله تعالى " فـي السطر الخامس عشر أيضا ويلاحظ أن الدكتور أنور شكرى لم يتنبه لذلـك عند ما أورد هذه العبارة في الحاشية[2] .

(١٣) وردت في قراءة ابراهيم رفعت في آخر السطر الخامس عشر وأول السطـر السادس عشر عبارة " وبناء أساسها " والصواب " وبناء مصانعها " .

(١٤) ورد في السطر السادس عشر في قراءة ابراهيم رفعت كلمة " شرعتهـــا " والصواب " مشرعتها " وورد في نفس السطر عبارة " بجبل الرحمة رحمـــة الله الواسعة " والصواب " بجبل رحمة الله الوسيعة " .

---

(١) محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ص ٣٢ حاشية (٤) .
(٢) المرجع نفسه : نفس الصفحة حاشية (٥) .

(١٥) ورد في قراءة ابراهيم رفعت عبارة " وسلطاننا وكل محيطيه " والصواب " السلطان في كل لحظة ".

(١٦) ورد في السطر السابع عشر أيضا عبارة " الجنابين العاليين الأشرفين" والصواب" الجنابين العاليين الأميرين ".

(١٧) ورد في القراءة المذكورة عبارة " سلطاننا الحالي" والصواب" شاهين الجمالي " في أول السطر الثامن عشر .

(١٨) ورد في قراءة ابراهيم رفعت في آخر السطر الثامن عشر عبارة " أجزل الله تعالى ثوابها وأحيا مجدها" والصواب" ثوابهما وأحسن أملهما في مدة " ويلاحظ أن الدكتور أنور شكري لم يستطع قراءتها فجعل موضعها نقطا هكذا " . . . . . ".[1]

(١٩) ورد في قراءة ابراهيم رفعت كلمة " ابتداؤها " في أول السطر التاسع عشر والصواب" أولها " ويلاحظ أن الدكتور أنور شكري ذكر أن هذه الكلمة غير واضحة في هذا النص[2] والحقيقة أنها واضحة .

(٢٠) ورد في قراءة ابراهيم رفعت عبارة " وثمنمائة سنة ٨٧٥ هـ " والصواب " ثماني مائة " في السطر التاسع عشر أيضا .

(٢١) ورد في قراءة ابراهيم رفعت عبارة " سيدنا محمد وآله " كاملة في السطر التاسع عشر أيضا والحقيقة أن حرف " الدال " في كلمة " سيدنا" غير واضح ويجب وضعه بين قوسين هكذا سيـ [د] نا وكذلك الهاء في كلمة وآله فيجب وضعها هكذا آلـ [ـه] ويلاحظ أن الدكتور أنور شكري لم يشر الى كلمة " سيدنا " في هذا النص مع أنها موجودة.[3]

(٢٢) وردت عبارة " وصحبه وسلم " في قراءة ابراهيم رفعت على أنها تمثل نهاية السطر التاسع عشر والصواب انها وردت في هامش مستقل سفلي بحيث يكتمل النص عشرين سطرا هكذا ٢٠ - " وصحبه وسلم " .

---

(١) أنور شكري : المرجع السابق ص ٣٤ حاشية (٢) .
(٢) المرجع نفسه : نفس الصفحة حاشية (٣) ، (٤) .
(٣) المرجع نفسه : نفس الصفحة حاشية (٧) .

وقد أشار الدكتور أنور شكرى الى هذا اللوح الذى أنشره هنا كما سبق أن أشرت مبينا بعض أوصافه من ناحية وبعض عباراته فى الحواشى[(١)] عند حديثه عن النص الآخر المماثل الذى قام بنشره والذى سوف أعيد نشره بعد الحديث عن نصنا هذا كما أشار الى قراءة ابراهيم رفعت له الا أن الدكتور الفاضل قد وقع هو الآخر فى أخطاء يتصل بعضها بوصف النص والبعض الآخر بالقراءة وقد أشرت الى بعض هذه الأخطاء فى الصفحات السابقة . أما الأخطاء الأخرى فهى على النحو التالى :

١ - يذكر أن البسملة فى أعلى النص قد نقشت بخط نسخى مورق[(٢)] والصواب أنه لا يعرف بين المشتغلين بالآثار الاسلامية بصفة عامة وعلماء الكتابات بصفة خاصة خط نسخى مورق لأن التوريق فى مصطلح علماء الكتابات العربية هو زخرفة تشبه أوراق الأشجار وأغصانها تنمو وتنبعث من حروف الكتابة القائمة والمستلقية أو تنمو من الحافة العليا لشريط الكتابة حيث تعطى هذا الشريط صفة زخرفية ، وقد انحصر التوريق في الكتابات الجافة ذات الزوايا والتى يطلق عليها الخط الكوفي المورق وهو ما أطلق عليه الغربيون اسم[(٣)] Foliated Kufic Inscription وهو مالا يتوفر فى وصف الدكتور أنور شكرى والصواب أن هذه البسملة قد نقشت على أرضية من الزخارف النباتية التى تنفصل عن حروف الكتابة وتشكل خلفيتها وحسب .

٢ - يذكر الدكتور أنور شكرى أن ابراهيم رفعت قد أضاف الى كلمة " الماء " همزة مفردة[(٤)] والواردة فى السطر الرابع والواقع أن ما أضافه ابراهيم رفعت هو عين الصواب لكي يستقيم النص ولأن هذه الكلمة لا يمكن أن تقرأ على غير هذا الوجه .

---

(١) محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٢٩ .

(٣) محمد فهد الفعر : تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى ص ٤٦ .

(٤) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ٣١ حاشية (٦) .

وربما كان السبب فى ذلك هو أن الدكتور أنور شكرى يظن أن نشر النصوص والكتابات العربية يتم على غرار نشر النصوص المصرية القديمة المكتوبة بالخط الهيروغليفى والذى يعتمد على نقل كلمات النص نقلا حرفيا ، والواقع أن نشر النصوص والكتابات العربية يختلف عن النصوص المصرية القديمة اذ يمكن للباحث أن يضيف لهذه النصوص بعض حركات الاعجام والاعراب لكي يقرأ النص قراءة سليمة خاصة اذا تأكد الباحث أن هذه الاضافات تساعد على توضيح النص وعدم الاخلال به كما يمكنه اضافة بعض الحروف الناقصة ووضعها بين قوسين والاشارة اليها اذا اقتضى الأمر .

٣ - ورد فى قراءة الدكتور الفاضل عبارة " عليها مر " الواردة فى السطر الثامن والصواب " عليها من " ويذكر أيضا أن ابراهيم رفعت أوردها " عليها من" والواقع أن ما ورد فى قراءة ابراهيم رفعت هو عين الصواب ولم يخطىء كما توهم الدكتور أنور.(١)

٤ - ورد فى قراءة الدكتور أنور عبارة " فلما من الله تعالى " فى آخر السطر الثامن وأول السطر التاسع والصواب أن كلمة " تعالى " لم ترد فى لوح عرفه هذا أساسا وما ذكره من أن ابراهيم رفعت لم يورد كلمة " تعالى " فالواقع أن ابراهيم رفعت لم يخطىء لأنها غير موجودة فى النص أبدا .(٢)

٥ - يذكر أنور شكرى أن كلمة " مواد " الواردة فى السطر التاسع غير واضحة فى لوح عرفة هذا والصواب أنها واضحة تماما فى النص ولم ترد " بواد " كما ذكر ، كما أن ابراهيم رفعت قد قرأها صحيحة وليس كما يذكر الدكتور أنور من أنه قد قرأها خطأ " مواد " بسبب عدم وضوحها .(٣)

---

(١) أنور شكرى : لوحان أثريان ص ٣٢ حاشية رقم (٣) .
(٢) المرجع نفسه : نفس الصفحة حاشية (٤) .
(٣) المرجع نفسه : نفس الصفحة حاشية (٥) .

٦ - يلاحظ أنه قرأ كلمة " مآثر الخلفاء" في السطر الحادى عشر بهذا الشكل " مـار الحلفا " على نحو ما قرأه في النص الذى قام بنشرة مما يجعل هناك مجـــالا لتعدد القراءة لهذه الكلمة وبالتالي يتسرب اليها التحريف عن طريق تعدد القراءات كما ينتقد الدكتور أنور شكرى قراءة ابراهيم رفعت لأنه أضاف اليها همزة[١] والصواب أن الهمزة التى وضعها ابراهيم رفعت ضرورية جدا حتى لا تحتمـــل العبارة أكثر من معنى عند قراءتها لاسيما وأننا نعلم مدى ما بذله المسلمون من جهود فى سبيل ضبط الكتابة العربية بالنقط والاعجام حتى لا تتعرض للتحريف أو التصحيف عند القراءة .

٧ - ورد فى قراءة الدكتور أنور شكرى عبارة " فتحا قرينا "[٢] فى آخر السطر الثانى عشر من هذا النص والصواب " فتحا قريبا " لأنها لا يمكن أن تقرأ غير ذلك فقد وردت فى القرآن الكريم بهذه الصيغة فى قوله تعالى " وأخرى تحبونها نصر من اللـــه وفتح قريب "[٣] ، وقوله تعالى أيضا : " فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا "[٤] وغير ذلك من الآيات الكريمة وكان من الواجب على الدكتور الفاضل العودة الـى آيات القرآن الكريم ليستطيع تصحيح ذلك ويذكر الدكتور أنور ان ابراهيم رفعت قد قرأها " قريبا " وقراءة ابراهيم صحيحة واذا كان النقاش أو الخطاط قد كتبها على هذا النحو فانما أراد بذلك أن لا تختلط نقطة الباء بنقطتى حرف اليـــاء الملاصق لحرف الباء كما أن كلمة " قريبا " كتبت فى هذا النص فى آخر السطر فى مساحة ضيقة جعلت الخطاط يلجأ لهذا الحل وهو وضع النقطة فوق الحرف بدلا من أسفله .

وقد استشهد الدكتور أنور شكرى بما هو موجود فى النص الذى نشـره هو وبأن الكلمة هى " قرينا "[٥] وليست " قريبا " والصواب أنه لا مجال للاستشهاد

---

(١) أنور شكرى : لوحان أثريان ص ٣٢ حاشية (٧) .
(٢) المرجع نفسه : نفس الصفحة حاشية (٩) .
(٣) سورة الصف : آية ١٣ .
(٤) سورة الفتح : آية ١٨ .
(٥) أنور شكرى : المرجع السابق ص ٣٢ حاشية (٩) .

على ذلك لأن كلمة " قريبا " فى اللوح الذى نشره جاءت فى وسط السطر الحادى عشر تقريبا وقد أهمل الخطاط نقطة الباء وجعل هذه النقطة لكلمة " بمحمد " الآتية بعدها مباشرة أو أنه جعل نقطة واحدة ليستخدمها فى باء كلمة " قريبا " وباء كلمة " بمحمد ".

٨ - يلاحظ أنه قرأ كلمة " باجرائها "(١) فى السطر الثالث عشر وكلمة " الملائكة "(٢) فى السطر الرابع عشر بدون نقط ولا همزات هكذا " باجراسها " و " الملاىكه " فكان من الواجب عليه أن يضبطها بالنقط والاعجام حتى تستقيم القراءة على هذا النحو " باجرائها " و " الملائكة " كما فعل ابراهيم رفعت الذى يذكر الدكتور أنورشكرى أن ابراهيم رفعت قرأ كلمة الملائكة خطأ ، وبالرجوع الى قراءة ابراهيم رفعت فقد وجدت أنها قراءة صحيحة وليس كما يذكر الدكتور الفاضل .

٩ - يذكر الدكتور أنور أن ابراهيم رفعت قد قرأ كلمة " امترا "(٣) فى السطر الرابع عشر على هذا النحو والصواب أن ابراهيم رفعت أخطأ فى قراءتها فقد قرأها " ولا أميرا ".

١٠- لم ترد فى قراءة الدكتور أنور كلمة " تعالى "(٤) فى السطر الخامس عشر والواقع ان هذه الكلمة وردت فى النص فعلا .

١١- ورد فى القراءة المذكورة كلمة " احصاوها "(٥) فى السطر الخامس عشر أيضا بدون اضافة همزة فوق الواو مشيرا الى أن ابراهيم رفعت قد قرأها " احصاؤها " والواقع أن ابراهيم رفعت قد قرأها قراءة سليمة وأدرك أهمية النقط والاعجام ولا مجال للانتقاد عليه هنا .

والواقع أن الدكتور أنور شكرى حين أهمل النقط والاعجام فى كثير من كلمات النص فانه قد غفل عن شىء هام جدا وهو أن عدم نقطها واعجامها يجعل

---

(١) أنور شكرى : لوحان أثريان ص ٣٢ حاشية (١٣) .
(٢) المرجع نفسه ص ٣٣ حاشية (٢) .
(٣) المرجع نفسه : نفس الصفحة حاشية (٤) .
(٤) المرجع نفسه : نفس الصفحة حاشية (٥) .
(٥) المرجع نفسه : نفس الصفحة حاشية (٦) .

هذه الكلمات تخضع لتفسيرات وقراءات متعددة مما يحدث أخطاء جسيمة في قراءة النصوص وليس أمامنا والحالة هذه الا اعادة نشر النصوص من جديد نشرا علميا صحيحا حتى تتحقق الفائدة العلمية المرجوة من نشر هذه النصوص .

١٢- يذكر الدكتور أنور شكرى أن الاسم الوارد في السطر الثامن عشر يبدو[١] أنه شاهين الجمالي وأن هذا الاسم غير واضح في لوح عرفه الذى أنشره هنا . والحقيقة أن اسم " شاهين الجمالي " واضح كل الوضوح في نص عرفه بالذات على عكس الاسم الوارد في النص الذى نشره هو اذ فقد الجزء الأول من اسم " شاهين " وكان بامكانه أن يتأكد من ذلك في نص عرفه كما كان بامكانه أن يرجع الى المصادر المعاصرة التى أوردت ترجمة لشاهين هذا وهو ما فعلته هنا[٢] .

١٣- ورد في قراءة الدكتور أنور عبارة " أجزل الله تعالى . . . " دون تكملة لبقية الجملة الواردة في السطر الثامن عشر مشيرا الى أن بقية الجملة غير واضحة[٣] والصواب أن الجملة واضحة حيث وردت على النحو التالى : " أجزل الله تعالى ثوابهما وأحسن أملهما ".

١٤- ورد في نص عرفة في آخر السطر الثامن عشر وأول السطر التاسع عشر عبارة " في مدة أولها " وهى واضحة في النص ماعدا كلمة " مدة " والتى لجأت الى اكمالها من النص الذى نشره الدكتور أنور شكرى وان كان الدكتور الفاضل يذكر أن الكتابة جميعها غير واضحة في نص عرفه[٤] والصواب ما أثبته هنا .

١٥- يلاحظ أن جملة " شهر ربيع الآخر " الواردة في أول السطر التاسع عشر واضحة بمالا يقبل الشك على العكس مما ذكره الدكتور أنور من أنها غير واضحة[٥] .

١٦- يذكر الدكتور أنور أن كلمة " سيدنا " في السطر التاسع عشر قد وردت في قراءة ابراهيم رفعت فقط والواقع أنها وردت أيضا في النص الأصلى .

---

(١) أنور شكرى : لوحان أثريان ص ٣٤ حاشية (١) .
(٢) أنظر ص ٢٢٣، ٢٣٤ من هذه الرسالة .
(٣) أنور شكرى : المرجع السابق ص ٣٤ حاشية (٢) .
(٤) المرجع نفسه ص ٣٤ حاشية (٣) .
(٥) المرجع نفسه : نفس الصفحة حاشية (٤) .

لوحة رقم (١٨)

المكان	:	متحف قسم الحضارة والنظم الاسلامية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة وقد حصل عليه المتحف عن طريق الشراء فى عام ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
الرقم	:	بدون
النوع	:	لوح من البازلت غير منتظم الشكل بسبب ما أصابه من كسور قسمته الى ثلاث قطع وفقدت قطعة رابعة من أعلاه .
المقاس	:	٧٥ × ٣٥ سم على وجه التقريب بسبب فقدان بعض أجزائه وانفصال الأجزاء الأخرى بعضها عن البعض .
عدد الأسطر	:	ثمانية عشر سطرا منها ستة عشر سطرا أفقيا وسطران فى هامش اللوح الأيمن تتجه الكتابة فيهما من أعلى الى أسفل .
الخط	:	حجازى لين بارز من نوع الثلث .

وقد قام الدكتور محمد أنور شكرى الذى كان أستاذا بقسم التاريخ الاسلامى بكلية الشريعة بنشر هذا اللوح مع لوح آخر للسلطان سليمان القانونى مؤرخ بعام ٩٣٥هـ فى كتيب خاص بعنوان : " لوحان أثريان للسلطان قايتباى والسلطان سليمان القانونى فى قسم التاريخ والحضارة الاسلامية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ".(١)

وباطلاعى على هذا النشر وعلى لوح عرفة الذى تحدثت عنه فى الصفحات السابقة والذى يعتبر نسخة أخرى للوح المتحف ، وكذلك اطلاعي على هذا اللوح وعلى ما اعتمده الدكتور أنور من مصادر ومراجع أثناء بحثه وعلى التعليقات التى أوردها فانى أرى أنه من الواجب اعادة نشر هذا النص مرة أخرى نشرا علميا سليما خاصة وأن الدكتور أنور اعتمد فى نشره على نص ناقص فقدت بعض كلماته بسبب ما تعرض له من كسور مع علمه واطلاعه على لوح آخر مماثل هو لوح عرفه الذى تحدثت عنه فى الصفحات السابقة والذى لا يزال سليما ولم يفقد منه شىء فكان من الأفضل نشر نص اللوحين

---

(١) طبع بمطابع دار الثقافة بمكة المكرمة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

دفعة واحدة (لوح عرفة ولوح المتحف) أو اكمال الكلمات الناقصة فى النص الـــذى نشره على الأقل من واقع نص عرفه ووضعها بين أقواس فى المتن ثم الاشارة الى مواضع الاختلاف بين النصين فى الحواشي والتى تعتبر فى الواقع اختلافات طفيفة ، وسوف أقوم بنشره هنا بنفس هذه الطريقة التى أشرت اليها ، وبالاضافة الى ذلك فهنـاك ملاحظات أخرى يمكن تلخيصها على النحو التالى :

١ - أشار الدكتور أنور الى أن هذا اللوح من حجر أشهب[١] والصواب أنه حجر بازلتى أسود من النوع البركاني الذى تتميز به صخور الحجاز .

٢ - يلاحظ أن الدكتور أنور شكرى قد أخذ مقاس كل قطعة من اللوح على حده[٢] مع أنه من الأفضل أن يأخذ متوسط مقاس اللوح فقط خاصة وأن هذا اللوح غيرمنتظم الشكل وحتى لا يحدث ارباكا للقارىء بسبب كثرة المقاسات .

٣ - يذكر أن الألواح الخمسة المثبتة على يسار الصاعد الى جبل عرفه " تكاد نقـوش أعلى هذه الألواح[٣] تماثل هذا النقش الذى قام بنشره والمؤرخ بعام ٨٧٥هـ مع أن ثلاثة من هذه النقوش ترجع الى أواخر القرن السادس الهجرى أى قبـل عصر السلطان قايتباى صاحب هذا النقش بحوالي ثلثمائة سنة لأن أحدها مؤرخ بعامي ٥٨٣هـ/ ٥٨٤ هـ واثنان منها مؤرخان بسنة ٥٩٤ هـ وقد قمت بدراسة هذه الألواح ونشرها فى رسالتى للماجستير[٤] ، واللوح الرابع يرجع الى القـرن الحادى عشر وسوف أقوم بنشره ضمن النصوص العثمانية[٥] .

٤ - يشير الدكتور أنور الى أن هذا النص ربما كان نسخة أولى للوح عرفه لم يــرض عنها المباشر للعمل فأهملت فى مكان ما وتراكمت عليها الأقذار والأتربة الـــى

---

(١) أنور شكرى : لوحان أثريان ص ٢٨ .
(٢) نفس المرجع والصفحة .
(٣) نفس المرجع ص ٢٩ .
(٤) محمد فهد الفعر : تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى ص ٣٠٢ - ٣١٨ .
(٥) أنظر ص ٤٣١ وما بعدها من هذه الرسالة .

أن عثر عليها [1] ، والحقيقة أن العمائر الاسلامية ـ فى كثير من الأحيان ـ تزين بأكثر من نص تأسيسى لخليفة أو ملك أو سلطان واحد والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر على سبيل المثال نقشي مسجد البيعة فكلاهما يرجع إلى عهد الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ) والمؤرخ أحدهما بعام ١٤٤ هـ [2] ونقوش الخليفة المهدى (١٥٨ هـ - ١٦٩ هـ) بالمسجد الحرام المؤرخ أحدها بعام ١٦٧ هـ [3] بل ونقوش عرفه الثلاثة التى أشرت اليها والتى ترجع جميعها الى عصر الخليفة أحمد الناصر لدين الله (٥٧٥هـ - ٦٢٢ هـ) والتى قمت بنشرها جميعا [4] ، ولا يبعد أن يكون هذا اللوح قد ألصق بجانب الألواح الأخرى بعرفة ثم أزيل بعد ذلك أثناء الاصلاحات المتوالية التى حدثت لقنوات عين عرفه وأنه أخرج من مكانه نتيجة لما أصابه من كسور وظل ملقى على الأرض فتداولته الأيدى الى أن امتلكه متحف قسم الحضارة عن طريق الشراء .

٥ - التزم الدكتور أنور شكرى فى نشره لهذا النص نقل كلمات النص وحروفه نقلا حرفيا على غرار نشر النصوص الأثرية المصرية القديمة المنقوشة بالخط الهيروغليفى باعتباره أحد المتخصصين فى دراسة الآثار المصرية القديمة.

٦ - يلاحظ أن الدكتور أنور قد اعتمد عند نشره لهذا النص على بعض المؤلفات التاريخية غير المعاصرة ، فقد اعتمد اعتمادا يكاد يكون كليا على كتاب "الاعلام باعلام بيت الله الحرام" لقطب الدين الحنفى المتوفى سنة ٩٨٨ هـ وكتاب "سمط النجوم العوالي" لعبد الملك العصامي المتوفى سنة ١١١١هـ بالاضافة

---

(١) أنور شكرى : المرجع السابق ص ٢٩ .
(٢) محمد فهد الفعر : المرجع السابق ص ١٨٩ - ١٩٦ .
(٣) المرجع نفسه ص ٢٠٢ - ٢١٢ .
(٤) المرجع نفسه ص ٣٠٢ - ٣١٨ .

الى بعض المراجع الحديثة مثل " مرآة الحرمين " لابراهيم رفعت و " تاريخ عمارة المسجد الحرام " "وتاريخ الكعبة المعظمة " لحسين باسلامه و " الرحلة الحجازية " لمحمد لبيب البتنوني وغير ذلك مع أن هناك مصادر معاصرة في غاية الأهمية مثل كتاب " اتحاف الورى " لنجم الدين بن فهد المتوفى سنة ٨٨٥ هـ وكتابى " الضوء اللامع " و " التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة" لشمس الدين السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢ هـ وكتاب " وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى " لنور الدين السمهودى المتوفى سنة ٩١١ هـ وكتاب " بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى " لعبد العزيز بن نجم الدين بن فهد المتوفى سنة ٩٢٢ هـ وغير ذلك .

٧ - اعتمد الدكتور أنور شكرى في تصحيح بعض الأسماء الواردة في النص على بعض المؤلفات التاريخية مع أن العكس صحيح لأن النصوص الأثرية غالبا ما تكون هى المصدر الأول لمعرفة الاسم الصحيح أو التاريخ الصحيح كما هو الحال عند اشارته لاسم شاهين الجمالي واسم سنقر الجمالي[(١)] .

٨ - ذكر الدكتور أنور شكري أن السطرين الأخيرين من النص رأسيان يمضيان على غير المعتاد من أعلى الى أسفل بما لا يترك أثرا جميلا في النفس ولا يتفق وما كان لصاحب اللوح من شأن[(٢)] والحقيقة أن المساحة التى هيئها النقاش لكتابة النص اضطرته لوضع السطرين الأخيرين على هيئة هوامش لاسيما وأن شكل اللوح غير متساوى فهو متسع في أعلاه ضيق في أسفله وكتابة الهوامش على هذه الصفة أمر مألوف عند الخطاطين والنقاشين المسلمين خاصة في الحجاز بل ان ذلك يعتبر غاية في الفن والدقة بحيث استطاع النقاش أو الخطاط المسلم استغلال أقل مساحة ممكنة لكتابة النصوص ولا غرابة في ذلك فقد ظهرت الهوامش في كثير من النقوش الأثرية خاصة في نقوش الحجاز الذى يعتبر هذا النقش

---

(١) أنور شكرى : لوحان أثريان ص ٣٤ حاشية (١)
(٢) المرجع نفسه : ص ٢٩ .

أحدها فقد ظهرت الهوامش فى أعلى النصوص وفى أسفلها وفى جوانبها اليمنى أو اليسرى منذ النصف الأول من القرن الثالث الهجرى كما هو الحال بالنسبة لنقوش مبارك المكي المؤرخة بعامي ٢٤٣ هـ ، ٢٤٦ هـ على التوالي والتى قمت بنشرها فى رسالتي للماجستير.[١] كما ظهرت فى نقوش عرفة المؤرخ أحدها بعامي ٥٨٣ هـ / ٥٨٤ هـ واثنان منها مؤرخة بعام ٥٩٤ هـ[٢] ونقش مدرسة زين الدين صاحب اربل المؤرخ بعام ٦٠٥ هـ[٣] ونقش دار السلامي والهمدانى المؤرخ بعام ٦١٤ هـ[٤] وجميعها نقوش حجازية مكيّه بخط عبد الرحمن بن أبى حرمي خطاط مكة الشهير.[٥]

وقبل أن أتحدث عن الأخطاء التى وردت فى قراءة الدكتور أنور شكرى لنص المتحف هذا فانى أرى من الأفضل أن أورد قراءته للنص كما هى دون زيادة أو نقصان ثم أعقبها بالقراءة الصحيحة للنص نفسه لكي يتضح للقارىء الكريم مدى الفرق بين القراءتين .

قراءة الدكتور أنور شكرى لنص المتحف[٦]

١ - بسم الله ا . . . على محمد واله وسلم

٢ - . . . له الذى بنعمته تتم الصالحات . . . المسرات وبتوفقه تحرى الخيرات على يد من

٣ - . . . . . . السعادات وصلى الله وس . . . . دى سبع المامن بين أصابعه فى الازمات وفتح

٤ - الله تعالى به عي . . . وادانا . . . اوقل . . . علفا وختم ببعثه الرسالات صلى الله وسلم عليه وعلى اله و

---

(١) محمد فهد الفعر : تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى ص ٢١٩ - ٢٣٢ .
(٢) المرجع نفسه : ص ٣٠٢ - ٣١٨ .
(٣) المرجع نفسه : ص ٣٢٣ - ٣٢٨ .
(٤) المرجع نفسه : ص ٣٢٩ - ٣٣٢ .
(٥) المرجع نفسه : ص ٣١٣ - ٣١٤ .
(٦) أنور شكرى : لوحان أثريان ص ٣١ - ٣٤ .

٥ - صحبه اولي البر والصلات اركى واقصل الصلاه وبعد فان عين عرفه المسرفه كانت قد محى اسمها وتعطل

٦ - رسمها وعفا اثرها ولم يبق الا خبرها وهم كثر من الملوك والسلاطين بعمارتها فلم تساعدهم القدرة على

٧ - مقاومتها ومضى على ذلك دهور وبئس منها لما اتى عليها مر العصور فلما من الله تعالى على العباد بولايه من

٨ - صلحت به الرعيه والبلاد وانحسمت بوجوده مواد الجور والفساد هو مولانا السلطان الاعظم مالك رقاب الامم وحاوى فضلى السيف و

٩ - القلم ظل الله تعالى الممدود على العالم سلطان الاسلام والمسلمين قامع الكفره والمسركين محى مآثر الخلفا

١٠- الراشدين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين السريفين السلطان المالك الملك الاشرف ابو النصر قايتبا نصره الله

١١- نصراً عزيزاً وفتح له فتحا قريبا بمحمد واله وبرز امره الشرف باجرائها بتلك الأماكن المسرفه المباركه لوفد

١٢- الله واضيافه المباهى بهم الملائكة قربه الى الله تعالى لا ريا فيها ولا امرا تجد ثوابها يوم تجد كل نفس ما عملت

١٣- من خير محضرا فجرت بحمد لله وبوفقه فى اسرع مده تقارب احصاوها اشهر العده مع بد . . .ها وبنا مص . . .

١٤- وبرلها وعمل مسرعتها لنفع اهل الشريعه وساقاتها المحيطه بجبل رحمه الله تعالى الوسيعة فالله تعا . . .

١٥- يجدد لمولانا السلطان فى كل لحظه عزا ونصرا ويجرى له على ما اجرى فى الدارين

١٦- اجرا وذلك على يد الجنابين العاليين الاميرين الكبيرين

١٧- . . . اهين الجمالى الاسرفى وشقيقه الماشر للعمل السيفى سنقر الجمالى الاسرفى اجزل ثوابهما واجر ماسها فى مده اولها

١٨- . . .ع الاخر واخرها سهر رجب سنه خمس وسبعين وثمانى مائه وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم

أما القراءة الصحيحة لهذا النص فهي تقوم على ما ورد بالنص فعلا واكمال النقص من واقع لوح عرفه الذى سبق نشره فى الصفحات السابقة وذلك على النحو التالى :

١ - بسم الله ا [لرحمن الرحيم] [وصلى الله على سي] د نا محمد وآله وسلم (١)

٢ - [الحمد ل] له الذى بنعمته تتم الصالحات [وبمنته وفضله تكمل ا] لمسرات وبتوفيقه تجرى الخيرات على يد من

٣ - [اختار من أهـ] ل السعادات وصلى الله وس [لم] [على سيد نا محمد ال] ذى [نـ] بع الماء من بين أصابعه فى الأزمات وفتح

٤ - الله تعالى به [أ] [عيـ] [نا] [عميا] [واذانا صمّا] وق [لوبا] غلفـا [و] ختم ببعثته الرسالات صلى الله وسلم عليه وعلى آله و

٥ - صحبه أولي البر والصلات أزكى السلام و[ا] فضل [ا] [ل] صلاة وبعد فان عين عرفه المشرفه كانت قد محي اسمها وتعطل

٦ - رسمها وعفا اثرها ولم يبق الا خبرها وهم كثير من [ا] لملوك والسلاطين بعمارتها فلم تساعدهم القدرة على

٧ - مقاومتها ومضى على ذلك دهور ويئس منها لما أتى علـ [يها] من العصور فلما من الله تعالى على العباد بولاية من

٨ - صلحت به الرعية والبلاد وانحسمت بوجوده مواد (٢) الجور والفساد هو [مـ] ولانا السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم حاوى فضيلتى السيف و

---

(١) هذه التكملة جاءت وفقا لما يقتضيه سياق الجملة أما فى لوح عرفة فقد جاءت البسملة دون تصليه بل جاء بدلا منها كلمة " وبه ثقتى ".

(٢) يلاحظ ان الدكتور أنور شكرى قد قرأها " بواد " مشيرا الى أنها فى لوح عرفه الذى نشرته فى الصفحات السابقة غير واضحة والصواب أنها واضحة فى لوح عرفه بلفظ " مواد " وليست " بواد " وهى وان كانت غير واضحة فى هذا النص فانه لا يمكن المجازفه بأنها " بواد " والراجح أنها " مواد " بدليل ورودها فى لوح عرفه كذلك .

٩ - القلم ظل الله تعالى الممدود على العالم سلطان الاسلا[م] والمسلمين قامع الكفرة والمشركين محي مآثر الخلفاء

١٠ - الراشدين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان الما[] لك الملك الأشرف أبو النصر قايتبا [ى] نصره الله

١١ - نصرا عزيزا وفتح له فتحا قريبا بمحمد وآله و [سلـ]م[1] برز أمره المشريف باجرائهـا[] [بـ] تلك الأماكن المشرفه المباركه لوفد

١٢ - الله واضيافه المباهى بهم الملائكة قربة الى الله تعالى لا رياء فيها ولا ا [ـ]ترا يجد ثوابها يوم تجد كل نفس ماعملت

١٣ - من خير محضرا فجرت بحمد [ا] لله وتوفيقه فى أسرع مدة يقارب احصاؤهـا أشهر العده مـ[ع] تـ[ظيف] قعرها وبناء مصانعها

١٤ - وبركها وعمل مشرعتها لنفع أهل الشريعه وبناء قناتها المحيطه بجبل رحمة الله الوسيعة فالله تـ[ـ]ـعا [لى]

١٥ - يجدد لمولانا السلطان في كل لحظة عزا ونصرا ويجرى له على ما اجرى فى الدارين

١٦ - [ا]جرا وذلك على يد الجنابين العاليين الأميرين الكبيرين

١٧ - [شـ]ـاهين الجمالي الأشرفي وشقيقه المباشر للعمل السيفى سنقر الجمالي أجزل [ا] لله[2] ثوابهما واحسن أملهما في مدة اولهـا

١٨ - [شهر ربيـ]ـع الآخر وآخرها شهر رجب سنة خمس وسبعين وثماني ماية وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) ورد فى قراءة الدكتور أنور " وبرز " والصواب أن الواو هى بداية لكلمة " وسلم" التى محى منها حرفي السين واللام وبقيت الواو والميم كما أن كلمة " وسلم "وردت أيضا فى لوح عرفه .

(٢) كلمة "الله" وردت فى النص صغيرة جدا بسبب ضيق المساحة ووضعت فوق كلمة " أجزل " بدون ألف ويلاحظ أن الدكتور أنور لم يثبتها فى قراءته أصلا .

أما الأخطاء الواردة فى قراءة الدكتور أنور شكرى فيمكن تلخيصها على النحو الآتى :

١ - ظهرت كلمة " على " فى السطر الأول فى قراءة الدكتور أنور كاملة مع أنها غير ظاهرة بالنص أبدا فكان من المستحسن وضعها بين قوسين والاشارة الى ذلك اذا اقتضى الأمر .

٢ - لم تظهر كلمة " سيدنا " فى السطر الأول مع أنها ظاهرة فى النص .

٣ - ظهرت فى النص بقية كلمة " الله " فى جملة " الحمد لله " فى السطر الثانى هكذا ل[له] بينما أوردها الدكتور أنور شكرى بهذا الشكل " له " .

٤ - يذكر أن الياء النهائية فى " على " الواردة فى جملة " على يد من " فى آخر السطر الثانى ناقصه مع أن الخطاط لم ينس أن يستفيد من المساحة الضيقة المخصصة لكتابة الكلمة فجعل الياء تقرأ على وجهين بحيث تقرأ ياء فى " على " و " راء " فى " الخيرات " فوردت بهذا الشكل " الخيرعلىات "

٥ - الألف واللام فى كلمة " تعالى " فى أول السطر الرابع ظهرت كاملة فى قراءة الدكتور أنور شكرى مع أنها ظهرت فى النص ناقصة من أعلا فيجب اثباتها بهذا الشكل تعـ[ا][لى] .

٦ - ظهرت كلمة " واذانا " فى السطر الرابع كاملة فى قراءة الدكتور أنور مع أنهما ظهرت ناقصة فى النص وتثبت بهذا الشكل [واذانا] .

٧ - وردت فى قراءة الدكتور كلمة " قلوبا " فى السطر الرابع أيضا بهذا الشكل " وقل " مع أن الذى ظهر فى النص هو رأس القاف ورأس اللام فقط هكذا " قـ[ا] " أما الواو فقد ظهرت فعلا فى النص .

٨ - وردت كلمة "غلفا " كاملة فى قراءة الدكتور أنور مع أن رأس اللام والألف لم تظهر فى النص فيجب اكمالها بين قوسين كبيرين بهذا الشكل غـ[لـ]ـفـ[ا] ، وكذلك الحال بالنسبة " للواو " فى كلمة "وختم" فانه لم يظهر منها سوى الجزء الأخير فقط هكذا [و] بينما أثبتها الدكتور كاملة .

٩ - ورد في قراءة الدكتور كلمة " ببعثه " في السطر الرابع أيضا والصواب أنها وردت في النص بلفظ " ببعثته " كما هو الحال في نص عرفه أيضا .

١٠ - ورد في قراءة الدكتور أنور عبارة " عليها مر العصور " في السطر السابع والصواب " عليها من العصور " لأن الراء والنون كثيرا ما ترد متشابهة اذا كانت في آخر الكلمة وذلك من التأثيرات النبطيه التي مازالت ملازمة للكتابة العربية حتى هذه العصور المتأخرة .

١١ - جاءت كلمة " مولانا " في السطر الثامن كاملة في قراءة الدكتور أنور مع أنها قطعت بسبب كسر اللوح فكان من الواجب اثباتها بهذا الشكل مـ[ـ]ـولانا بحيث يوضع الجزء المقطوع بين قوسين وقد وردت جميع الكلمات المقطوعة كاملة في قراءته والصواب اكمالها بين أقواس .

١٢ - جاء في القراءة المذكورة عبارة " وحاوى فضلي " في السطر الثامن أيضا والصواب " حاوى " بدون واو في أولها و " فضيلتي " بدلا من " فضلي " .

١٣ - وردت كلمة " مآثر الخلفا " في السطر التاسع بدون نقط ولا اعجام في القراءة المذكورة هكذا " ماىر الحلفا " مما يجعلها تحتمل أكثر من قراءة .

١٤ - ورد اسم السلطان قايتباى ناقصا في القراءة المذكورة في السطر العاشر مع أنه اسم مشهور كان يقتضى اكماله هكذا قايتبا [ى] خاصة وأنه قد ورد في لوح عرفه كاملا .

١٥ - قرأ في السطر الحادى عشر كلمة " قرينا " والصواب " قريبا " كما سبق أن أشرت عند دراسة لوح عرفه .

١٦ - اسم " شاهين الجمالى " الوارد في آخر السطر السابع عشر لم يستطع الدكتور أنور في قراءته التحقق منه بل ذكر أن هذا الاسم يبدو أنه شاهين مع أن شاهين الجمالى معروف عند مؤرخى مكة وغيرهم من المؤرخين الذين أوردوا له ترجمة سوف أذكرها في القسم الخاص بذلك[1].

---

(١) أنظر ص ٢٣٣، ٢٣٤ من هذه الرسالة .

١٧ - ورد في قراءة الدكتور أنور عبارة " احرل توابها واحر ما بها " والصواب " أجزل الله ثوابهما وأحسن أملهما ".

١٨ - لم يشر الدكتور أنور الى كلمة " شهر " في أول السطر الثامن عشر وكذلك كلمة " ربيع " مع أن الواجب اثباتها بين قوسين كبيرين هكذا [شهر ربيـ]ع خاصة وانها قد وردت واضحة في نص عرفه المماثل .

وقد ورد في النصين اسم السلطان قايتباى :

وهو السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبوالنصر قايتباى بن عبد الله المحمودى الظاهرى الجركسي ولد تقريبا في سنة ست وعشرين وثمانمائة وجلبه الخواجا محمود بن رستم في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة فاشتراه السلطان الأشرف برسباى (٨٢٥ هـ - ٨٤١ هـ) وترقى في الخدمة الى أن بويع بالسلطنة قبل ظهر يوم الاثنين الثالث أو السادس من شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة .

وهو السلطان الخامس عشر من ملوك الجراكسة (١) والحادى والأربعون من ملوك الترك بالديار المصرية (٢).

---

(١) يذكر اسماعيل أحمد اسماعيل في مقاله الذى نشره عن مدرسة السلطان قايتباى بالمسجد الحرام أن السلطان قايتباى يعد الملك الثامن من ملوك الجراكسة والسادس عشر من سلاطين المماليك البحرية والجراكسة وهو خطأ واضح ولا يعرف المصدر الذى استقى منه هذه المعلومات ولكن يظهر أنه لم يرجع الى ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٣ حيث يذكر أنه السلطان الخامس عشر من ملوك الجراكسة بمصر ، أنظر : اسماعيل أحمد اسماعيل : " مدرسة السلطان قايتباى بالمسجد الحرام " مجلة العرب عدد يوليو ١٩٧٩م ص ٨٣ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٦ تحقيق : فهيم محمد شلتوت ص ٣٩٤ وما بعدها ، وانظر :
ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٧٢ هـ ورقة ٣١٨ ، ٣١٩ ، وأنظر أيضا :
السخاوى : الضوء اللامع جـ ٦ ص ٢٠١ وأنظر أيضا :
ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٣ وأنظر أيضا :
العيدروسي : تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر - تحقيق محمد رشيد الصفار - بغداد ١٩٣٤م ص ١٣ وأنظر أيضا :
نجم الدين الغزى : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة جـ ١ تحقيق جبرائيل سليمان جبور - منشورات دار الآفاق الجديدة - الطبعة الثانية ١٩٧٩م ص ٢٩٧ وأنظر أيضا : محي الدين الطبرى : الأرج المسكي في التاريخ المكي ورقة ١٣٢ ، وأنظر أيضا : السنجارى : منائح الكرم ، ورقة ٢١٣ .

وكان أول شيء فعله السلطان قايتباى لأهل الحرمين الشريفين عند توليه السلطنة هو أن بعث فى رابع رمضان سنة ٨٧٢ هـ بمرسوم أبطل بموجبه المكوس بمكة[(١)] كما أبطل المكوس بالمدينة المنورة[(٢)] .

وهذا دليل آخر على ماسبق أن أشرنا اليه عند دراسة نص مرسوم السلطان شعبان بن حسين المؤرخ بعام ٧٦٦ هـ الذى أبطل فيه المكوس من أن المكوس كثيرا ما ألغاها أو عمل على الغائها السلاطين والحكام الصالحون ولكنها سرعان ما تعود ولو بعد فترة من الزمن[(٣)] .

وفى سنة ٨٨٤ هـ حج السلطان قايتباى وزار المدينة المنورة وقد أفاض المؤرخون فى ذكر هذه الحجة والزيارة نظرا لما كان لها من عميق الأثر على أهل الحرمين الشريفين وذلك بما شملهم به من الصدقات . ويصف ابن اياس (ت ٩٣٠هـ) خروج السلطان قايتباى من مصر الى الحج وسفره بقوله :

" ونزل من القلعة فى يوم الخميس ثالث عشرين شوال ولم يشعر بسفره أحد من الناس فخرج على حين غفلة وسافر معه بعض أمراء[(٤)] عشرات منهم يشبك الجمالى الزردكاش وآخرون من الأمراء من أخصائه وعدة وافرة من الخاصكية والمماليك السلطانية وجماعة من المباشرين . . . وغير ذلك من الأعيان منهم برهان الدين الكركي الامام فخرج السلطان من بين الترب وسافر بعد صلاة الظهر . . . ولم يتوجه معه أحد من الأمراء المقدمين[(٥)] فعد سفره على هذا الوجه من النوادر . . . ووقع منه تواضع وخضوع

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٧٢ هـ ورقة ٣١٩ ، وأنظر : قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٩٦ ، العصامى : سمط النجوم جـ ٤ ص ٤٣ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢١٣ ، أحمد بن زينى دحلان : خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام نشر مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ص ٤٤ .

(٢) السمهودى : وفاء الوفاء جـ ٢ ص ٧١٤ .

(٣) أنظر ص ٥٩ من هذه الرسالة .

(٤) أنظر عن هذا اللقب حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية جـ ١ - طبع دار النهضة العربية ١٩٦٥م ص ٢٣٧ .

(٥) أنظر عن هذا اللقب حسن الباشا : المرجع نفسه ص ٢٤٩ .

الى الغاية وكان بطول الطريق لا يتكلم فى شيء يتعلق بالأحكام بين الناس وفعل فى الطريق أشياء كثيرة من وجوه البر والمعروف ".[1]

أما السخاوى (ت ٩٠٢ هـ) فيشير الى أن السلطان قايتباى حج فى طائفة قليلة تأسيا بمن كان قبله من الملوك كالظاهر بيبرس (ت ٦٧٦ هـ) والناظر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١ هـ) وأنه وهب وتصدق وأظهر من التواضع والخشوع فى طوافه وعباداته ما عدّ من حسناته[2] .

وكان السلطان قايتباى قد توجه الى المدينة المنورة أولا لزيارة المسجد النبوى الشريف حسب ما ذكره كل من ابن فهد[3] (ت ٨٨٥ هـ) والسمهودى[4] (ت ٩١١ هـ) وقطب الدين الحنفى[5] (ت ٩٨٨ هـ) بينما يذكر ابن اياس[6] وابن طولون[7] (ت ٩٥٣هـ) أن السلطان توجه الى مكة للحج ثم سافر بعد ذلك الى المدينة .

وقد وصف نور الدين السمهودى مؤرخ المدينة دخول السلطان قايتباى المدينة وزيارته للنبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضى الله عنهما بالتفصيل وذلك بقوله :

" فقدمها طلوع الفجر من يوم الجمعة الميمون الثانى والعشرين من ذى القعدة الحرام فلبس لدخولها حلل التواضع والخشوع وتحلى بما يجب لتلك الحضرة النبوية من الهيبة والخضوع فترجل عن جواده عند باب سورها ومشى على أقدامه بين رباعها ودورها حتى وقف بين يدى الجناب الرفيع الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم وناجاه بالتسليم

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٦٠ ، ١٦١ .
(٢) السخاوى : الضوء اللامع جـ ٦ ص ٢٠٦ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٨٤ هـ ورقة ٣٧١ .
(٤) السمهودى: وفاء الوفا بأخبار جـ ٢ ص ٧١٠ ، ٧١١ طبعة دار احياء التراث العربى - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .
(٥) قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٢٠١ .
(٦) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٦٠ ، ١٦١ .
(٧) ابن طولون: مفاكهة الخلان جـ ١ ص ٦ ، ١٠ تحقيق محمد مصطفى - طبع عيسى البابى الحلبى وشركاه - القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م .

وفاز من ذلك بالحظ الجسيم ثم ثنى بضجيعيه رضى الله تعالى عنهما بعد أن صلى بالروضة الشريفة التحية ... وعرض عليه الدخول الى المقصورة المستديرة حول القبور الشريفة المعروفة اليوم بالحجرة النبوية المنيفه فتعاظم ذلك وقال : لو أمكننى أن أقف فى أبعد من هذا الموقف وقفت فالجناب عظيم ومن ذا الذى يقوم بما يجب له من التعظيم ؟ ثم صلى يوم الجمعة فى الصف الأول بين فقراء الروضة عند اسطوانة المهاجرين بالقرب من مصلاى كان بينى وبينه امامه شيخ الشيوخ(١) الامام العلامة نادرة الزمان وعين الأعيان برهان الدين الكركي "(٢).

وتوجه السلطان قايتباى بعد ذلك لزيارة شهداء أحد رضوان الله عليهم فمشى مترجلا كعادته حتى خرج من باب المدينة ولم يزل ذلك دأبه فلم يركب جوادا حتى خرج منها الى مكة(٣). ويصف السمهودى أيضا اللقاء الذى جرى بينه وبين السلطان قايتباى وما كان بينهما من حديث قائلا :

" فلما كان وقت صلاة الجمعة حضر - أى السلطان - فى ذلك المصلى فكان بينى وبينه امامه المشار اليه ثم قرأ شخص على شيخ المحدثين ابن شيخنا أبى الفرج العثمانى مجلس ختم البخارى وكأن الامام المشار اليه تفرّس فىّ الاتصاف بطلب العلم ففاتحنى الكلام فى بعض المسائل العلمية المتعلقة بذلك فجاريته فيها ... ثم قام الامام المشار اليه واستمر السلطان جالسا ثم بدأنا بالملاطفة وشرفنا بالمحادثة وخاض فى شىء من العلم فرأيت من تواضعه وحلمه وثقوب فهمه مافاق الوصف ... وأنهيت اليه أمر الطابق

---

(١) عن هذا اللقب أنظر حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٦٦.

(٢) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٧١١.

(٣) المصدر نفسه نفس الجزء ونفس الصفحة.

المذكور[(١)] وقلت في نفسي لعل الله أرسل هذا السلطان المسعود وجمعني به من غير قصد ليفوز بتنزيه الحضرة الشريفة من ذلك ويكون ذلك في صحائفه"[(٢)].

وقد التقى السمهودى بالسلطان مرة أخرى وقت صلاة المغرب من ذلك اليوم وتحدث معه وسأله السلطان عن الآية القرآنية الشريفة المنقوشة على المحراب وهي قوله تعالى : (قد نرى تقلب وجهك في السماء . . . الآية)[(٣)] ، هل نزلت قبل المعراج وفرض الصلاة أم بعد ذلك وكيف كان الاستقبال ؟ فأجابه السمهودى عن كل ما سأل عنه[(٤)].

وقد فرق السلطان أثناء وجوده بالمدينة مبلغا من المال اختلف المؤرخون في مقداره ، فالسمهودى يذكر أن ما أنفقه السلطان بلغ ستة آلاف دينار أو أكثر[(٥)] بينما يذكر ابن اياس أن جملة ما تصدق به السلطان وهو بالمدينة المنورة بلغ خمسة آلاف دينار فقط[(٦)].

---

(١) يقصد بالطابق المذكور : الطابق الذى كان بالرواق القبلي من أروقة المسجد النبوى الشريف وهو بالقرب من دار حفصه بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ) قد أدخلها في المسجد النبوى عند توسعته التي تمت بأمر الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك ٨٦هـ/٩٦هـ بعد أن اتفق مع آل عمر رضى الله عنهم على أن يجعل لهم بدلا من هذه الدار بابا في جدار قبلة المسجد يدخلون منه ويخرجون . ولما عمل الخليفة العباسى المهدى ١٥٨-١٦٩هـ المقصورة على ذلك الرواق منع آل عمر من الدخول من هذا الباب فاعترض آل عمر على ذلك وانتهى الأمر بأن اتفقوا على أن يسد هذا الباب من أعلاه ويجعل لهم بابا سفليا على هيئة سرداب يخرجون منه ويدخلون الى المسجد وبمرور الزمن كثرت الأكاذيب من المزورين وزعموا أن هذا الباب يتوصل منه الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم أو بيت فاطمة على سبيل التبرك بذلك وأصبح المزورون يمنعون كل أحد من الدخول من هذا السرداب الا بمقابل أموال يدفعها لهم الحجاج وغيرهم هي أشبه ماتكون بالمكوس. أنظر ذلك بالتفصيل عند السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص٧٠٦ و ٧١٠ .

(٢) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٧١١ ، ٧١٢

(٣) سورة البقرة : الآية رقم ١٤٤ .

(٤) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٧١٢ ، ٧١٣.

(٥) المصدر نفسه : نفس الجزء ص ٧١٣ ، وأنظر : قطب الدين الحنفي : الاعلام ص٢٠٣ .

(٦) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٦١ .

ثم توجه السلطان قايتباى من المدينة المنورة الى مكة لآداء فريضة الحج في الرابع والعشرين من ذى القعدة وكان السمهودى من جملة من خرج لوداع السلطان حيث وصف خروجه بقوله : " ثم توجه فى الرابع والعشرين من الشهر المذكور مصحوبا بالسلامة الى مكة المشرفة ماشيا على أقدامه بين فقراء المدينة وفقهائها حتى خرج من باب المدينة فوقف هناك وقرأنا له الفاتحة ثم ركب جواده ... " (١) .

أما خروج السلطان قايتباى من المدينة ووصوله الى مكة فقد تحدث عنه بالتفصيل كل من ابن فهد (٢) (ت ٨٨٥هـ) وقطب الدين الحنفى (٣) وقد ذكر قطب الدين أنه نقل ذلك عن العز بن فهد ابن نجم الدين بن فهد المتوفى سنة ٩٢٢ هـ وبمراجعتى لتاريخ العز بن فهد المسمى بلوغ القرى (٤) الذى جعله ذيلا لتاريخ والده نجم الدين المعروف باتحاف الورى فانى لم أجده أتى بأى شىء عن حجة السلطان قايتباى لأنه بدأ تاريخه بحوادث سنة ٨٨٥ هـ التى توفى فيها والده نجم الدين وأكمل هو تاريخ والده ، كما أن حجة السلطان قايتباى كانت فى سنة ٨٨٤ هـ .

والصواب أن الذى تحدث عن حجة السلطان قايتباى هو نجم الدين بن فهد صاحب اتحاف الورى وليس ابنه العز بن فهد صاحب بلوغ القرى كما يذكر قطب الدين الحنفى ، فقد ذكر نجم الدين بن فهد هذه الحجة بالتفصيل واليك ماقاله عن خروج السلطان قايتباى من المدينة ووصوله الى مكة المكرمة :

" فلما كان ظهر يوم الأحد سابع عشر الشهر توجه صاحب مكة السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات وولده هيزع وقاضي القضاة الشافعي برهان الدين بن ظهيرة

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٧١٣ .
(٢) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٨٤ هـ ورقة ٢٧١ - ٢٧٣ .
(٣) قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٢٠٣ .
(٤) العز بن فهد : بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى ، مخطوط بمكتبة الحرم المكى الشريف رقم (١) .

وابنه وأخوه الى لقاء السلطان فتوجهوا فسمعوا به أنه توجه لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم فقصدوه الى أن وصلوا بدرا فأقاموا بها الى أن سمعوا باقباله فلاقوه الى الصفراء أو قربها وسلموا عليه وعادوا معه الى بدر فخلع على السيد الشريف وولده هيزع والقاضى برهان الدين بن ظهيرة وولده جمال الدين . . . ثم فارقوه من بدر ولما وصلوا الى بطن مر[1] أقاموا به . . . وخرج الى الوادى بقية القضاة والخطباء والتجار فلما كان صبح يوم الأحد مستهل ذى الحجة وصل السلطان وجماعته الى قرب الخيم بالوادى فسلّم عليه القادمون ومشوا أمامه الى الخيم وانصرفوا . . . فلما كان فى ليلة الاثنين ثانى الشهر بعد صلاة العشاء دخل السلطان الى مكة المشرفة ومعه القاضى الشافعى برهان الدين بن ظهيرة وابنه وأخوه وامام السلطان برهان الدين الكركى . . . "[2].

ويستطرد ابن فهد قائلا :

" فلما كان بالسوق وأراد الدخول من عقبه العطارين[3] جفلت فرسه فسقطت سقطة خفيفة فبقى لحظة مكشوف الرأس الى أن جاء المهتار رمضان فرفعها وناولها له[4]

---

(١) بطن مرّ : بفتح الميم وتشديد الراء من نواحي مكة عنده يجتمع وادى النخلتين الشامية واليمانية فيصيران واديا واحدا . أنظر: ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٤٤٩ طبعة دار صادر بيروت .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٨٤ هـ ورقة ٣٧١ ، ٣٧٢ ، وأنظر : قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٢٠٣ وما بعدها .

(٣) عقبة العطارين : هى المكان الذى يصعد وينزل منه الى زقاق العطارين وهو الزقاق الذى يسلك منه الى بيت خديجة رضى الله عنها ويسمى الآن بزقاق الحجر. أنظر : الأزرقى : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار جـ ٢ ص ٧٨، ص ١٩٩ حاشية (٥) .

(٤) يذكر بعض الباحثين أن قطب الدين الحنفى قد انفرد بايراد قصة سقوط فرس السلطان قايتباى وسقوط عمامته وأن السلطان استمر راكبا الى أن دخل من باب السلام أحد أبواب المسجد الحرام من ناحيته الشرقية والصواب أن الذى أورد قصة سقوط فرس السلطان هو نجم الدين بن فهد وعنه نقل قطب الدين الحنفى على الأرجح وقد أشرنا الى ذلك فى المتن ويلاحظ أن ابن فهد لم يذكر أن السلطان استمر راكبا حتى دخل المسجد الحرام كما انه لم يذكر أن فرس السلطان قد جفلت أو سقطت عند باب السلام كما يشير الباحث وانما ذكر أن ذلك حدث بالسوق بالقرب من عقبة العطارين . أنظر: ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٨٤ هـ ورقة ٣٧١ وأنظر أيضا : قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٢٠٤ .

ثم لما نزل بباب السلام قرأ بعض القراء بمجمع رباطه (لقد صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون . . . الآية)[1] وطوفه القاضي برهان الدين بن ظهيرة وسعاه وهما ماشيان ودعى له على قبة زمزم وهو فى الطواف فلما فرغ من سعيه عاد الى الزاهر وبات به "[2].

ويصف ابن فهد دخول السلطان قايتباى الى مكة بقوله :

" وكانت أبهة عظيمة ويوما مشهودا ولم يتخلف أحد من الرجال ولا من النساء من الفرجة فى ذلك اليوم واستمر الراكبون أمامه الى أن وصل الى مدرسته[3] التى بناها فترجلوا ووقفوا الى أن وصل ونزل وطلع الى مدرسته وتوجه كل أحد الى بيته . . . "[4].

أما ابن طولون فيشير الى أن السلطان قايتباى وصل الى مكة وحج واجتمع بمحمد بن بركات سلطان مكة المشرفة وأقبل عليه السلطان وتسالما على الأرض وأن السلطان ضيف محمد بن بركات[5].

ويشير كل من ابن فهد وقطب الدين الحنفى الى أن السلطان استمر بمدرسته لم يره أحد بمكة فى النهار أثناء وجوده بمكة الا مرتين مرة ذهب لعرفه ومرة ذهب لطريق اليمن لرؤية ما قدم له الشريف من الخيل والابل وأما الليل فكان يقضيه فى الطواف وانه أمر بصدقة كبيرة[6].

---

(١) سورة الفتح : آية ٢٧.

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٨٤ هـ ورقة ٣٧١، ٣٧٢ وأنظر : قطب الدين الحنفى ص ٢٠٤.

(٣) سوف أتحدث عن هذه المدرسة عند الكلام عن اصلاحات السلطان قايتباى بالحرمين الشريفين. أنظر ص ٢٤٤، ٢٤٥ من هذه الرسالة .

(٤) ابن فهد : المصدر السابق ورقة ٣٧٢.

(٥) ابن طولون : مفاكهة الخلان جـ ١ ص ٦.

(٦) ابن فهد : المصدر السابق ورقة ٣٧٢ ، وأنظر : قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٢٠٤.

ويعلق ابن فهد على الصدقة التى أمر السلطان بها بقوله : " وأمر بصدقة كبيرة فرقت على أعيان الناس وقليل من الفقراء والغرباء ولم يحصل لجماعة من أهل الحرم الدرهم الواحد لاستيلاء الخواجا شمس الدين بن الزمن (١) وجماعة السلطان عليها وفرقوها كما أحبوا . . . " (٢).

وقد اختلف المؤرخون فى مقدار المبلغ الذى تصدق به السلطان وهو فى مكة فابن فهد وغيره من مؤرخى مكة لم يذكروا مقدار هذه الصدقة ، أما ابن اياس فيشير الى أن السلطان تصدق بمبلغ خمسة آلاف دينار (٣) بينما يذكر ابن طولون أن ما تصدق به السلطان بلغ ثمانية آلاف دينار (٤).

والراجح هو ما ذكره ابن طولون بدليل ما أورده السمهودى حين قال :
" ثم قدمت مكة صحبة الحاج الشامي فوجدته - أى السلطان قايتباى - قد سلك بها مسلك التواضع أيضا وتصدق بمال جزيل أكثر مما تصدق بالمدينة الشريفة (٥) " ، والسمهودى نفسه هو الذى ذكر أن السلطان قد تصدق بالمدينة المنورة بستة آلاف دينار كما سبق أن أشرنا .

ويلاحظ أن ابن فهد لم يذكر شيئا عن وقوف السلطان قايتباى بعرفه والمشاعر وقضاء بقية مناسك الحج سوى أنه أشار فى عبارة قصيرة جدا الى أن الوقوف بعرفه كان يوم الاثنين وأن السلطان لم ينحر شيئا من البدن وانه تأخر عن السفر يومين بعد سفر الحاج (٦).

---

(١) أنظر ترجمة ابن الزمن عند السخاوى : الضوء اللامع جـ ٨ ص ٢٦٠-٢٦٢.
(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٣٧٢.
(٣) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٦١.
(٤) ابن طولون : مفاكهة الخلان جـ ١ ص ٦ .
(٥) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٧١٣.
(٦) ابن فهد : المصدر السابق ورقة ٣٧٢.

ويشير ابن طولون الى أن الوقفة كانت يوم الاثنين وأن السلطان زار المدينة الشريفة وأرسل لأمير الحاج الشامي أن يتأخر يومين الى أن يزور السلطان ويسافر ثم يدخل الركب الشامي وأنه حصل لهم بذلك شدة ودعوا على السلطان وان السلطان وقف بهم بعرفه وسعى بين الصفا والمروة ماشيا حافيا وطاف مع الناس الخاص والعام وسافر على الهجن متوجها الى القاهرة لأجل أمر بلغه ورافقه صاحب ينبع حتى العقبة.(١)

ويضيف قطب الدين الحنفي بقوله : " ووقف - أى السلطان قايتباى - بجبل الرحمه متضرعا الى الله تعالى سائلا من رحمته القبول وكانت الوقفه يوم الاثنين فأفاض مع الناس وأتم حجه وفرق الأضاحى غنما كثيرة وأهدى شيئا كثيرا وكان المناسب أن ينحر شيئا من البدن فما أشار عليه أحد بذلك وعاد بعد أيام التشريق الى مكة وتوجه الركب المصرى وتأخر هو بمكة أياما ... ".(٢)

وقد جرى لقاء آخر بين السلطان قايتباى وبين السمهودى غير اللقاء الذى كان بينهما فى المدينة فقد كان هذا اللقاء بمنى فى اليوم الأول من أيام التشريق وفى هذا اللقاء التمس السمهودى من السلطان أن يشمل بقية فقراء المدينة بصدقاته .(٣)

ولم يشر المؤرخون الذين تحدثوا عن حج السلطان قايتباى مثل السخاوى (ت ٩٠٢ هـ) وابن اياس (ت ٩٣٠ هـ) وابن طولون (ت ٩٥٣ هـ) وغيرهم الى ما فعله السلطان قايتباى أثناء اقامته بمكة بعد أن حج وهو ما انفرد بذكره كل من ابن فهد (ت ٨٨٥ هـ) وقطب الدين الحنفى (ت ٩٨٨ هـ) اذ يذكر ابن فهد أن السلطان قايتباى قد تأخر بمكة يومين وقرر عدد المدرسين بمدرسته التى أنشأها بمكة وهم القضاة الأربعة وأربعين طالبا وستة قراء وخادما للمصحف وقارئا لصحيح البخارى وثلاثة مؤذنين ومسبلا لسبيله الذى أنشأه أيضا وعشرة أيتام ومؤدبا لهم وناظرا

---

(١) ابن طولون : مفاكهة الخلان جـ ١ ص ١٠ .
(٢) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٢٠٥ .
(٣) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٧١٤ .

للرباط الذى أنشأه بجانب مدرسته وهو فخر الدين أبو بكر ابن ظهيره شقيق قاضى القضاة الشافعى برهان الدين بن ظهيره وشيخا للرباط وهو الشيخ شمس الدين المسيرى وغير ذلك [1].

أما قطب الدين الحنفى فيضيف أن السلطان قد جعل لكل واحد من هؤلاء كفايته من القمح والدراهم والزيت وكتب بذلك وقفية أشهد على نفسه بذلك وعمل من الخيرات مالم يسبق اليه [2].

ويصف ابن فهد مجلس السلطان قايتباى الذى عقده بمدرسته بمكة بعد أن حج وحضره القضاه والأعيان والأمراء بقوله : " وحضر المذكورون والمدعوون والأعيان وغيرهم بالمدرسة المذكورة صبح يوم الجمعة ثالث عشر ذى الحجة والسلطان حاضر جالس بطرف الايوان القبلى والقاضى الشافعى بصدر الايوان وقدامه المصحف على الكرسى الموضوع عنده وفرق على الحاضرين أجزاء وأخذ السلطان أيضا جزءا وختم القاضى الشافعى ولم يؤخذ من السلطان الجزء حتى وضعه من نفسه ومدّ للحاضرين سماطا [3] حلوى بدور المدرسة على سعتها ونزل السلطان وجلس مع القضاه والناس ثم أسقوا شكرا وسوبيه [4] وانصرفوا ... " [5].

ويشير كل من ابن فهد وقطب الدين الحنفى أنه لما كان يوم السبت رابع عشر

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٨٤ هـ ورقة ٣٧٢ ، ٣٧٣.

(٢) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٢٠٥.

(٣) السّماط وجمعه السّمط وهى الصفوف ويقصد بالسّماط هنا المائدة ، أنظر : محمد بن عبد الله بن مالك الجيانى : اكمال الأعلام بتثليث الكلام - تحقيق ودراسة حمدان الغامدى ج ٢ ص ٣١٣ ، منشورات مركز البحث العلمى - جامعة أم القرى - الطبعة الأولى - ١٤٠٤ هـ .

(٤) السوبيه : شراب يتخذ من الشعير مضافا اليه بعض السكر وهو معروف الى يومنا هذا .

(٥) ابن فهد : المصدر السابق ورقة ٣٧٢ ، ٣٧٣.

ذى الحجة وهو يوم سفر السلطان أمر السلطان أن يهدم سبيل السيدة أم الحسين بنت القاضى شهاب الدين الطبرى[1] الكائن بالمسعى المعظم بالقرب من المروة على يمين الذاهب الى المروة وذلك باشارة الخواجا شمس الدين بن الزمن والمهندس الذى عمّر المدرسة فانه اشترى السلطان الدار المعروفة بالعلقمية[2] بالمروة وما حواليها من الدور وأمر بهدمها لكي تظهر عمارة السلطان ثم سافر فى ظهر اليوم نفسه بعد أن طاف طواف الوداع وخرج معه الشريف وأولاده والقاضي الشافعى وغيرهم الى الزاهر[3] ثم سافر السلطان بعد أن أمرهم بالرجوع[4].

---

(١) سبيل السيدة أم الحسين بنت شهاب الدين الطبرى كان يقع بالمسعى عند سوق الجزارين والخرازين بالقرب من المروة على يمين الذاهب الى المروة من الصفا، أنظر: الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٧ وأنظر: ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٨٤ هـ ورقة ٣٧٣ ويلاحظ أن قطب الدين الحنفى ذكر أن هذا السبيل هو للقاضي شهاب الدين الطبرى والصواب أنه لابنته أم الحسين كما أشار الفاسي وابن فهد وليس كما ذكر قطب الدين الحنفى فى الاعلام ص ٢٠٥.

(٢) العلقمية : هى دار كانت بالقرب من المروة بناها أشراف مكة من بنى عجلان لتكون سجنا لخصومهم ، أنظر: عاتق بن غيث البلادى : معجم معالم الحجاز جـ ١٠ ص ١٠٠، ١٠١.

(٣) الزاهر : هو أحد أحياء مكة حاليا ويعرف بالزاهر والشهداء وكان يسمى فخ وهو أحد أودية مكة المشهورة بينها وبين التنعيم وفخ هذا هو الذى ذكره بلال بن رباح رضى الله عنه فى شعره بقوله :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بفخ وحولي اذخر وجليل

وفخ هو المكان الذى خرج منه أحد العلويين وهو الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ثائرا على الدولة العباسية فى عهد الخليفة موسى الهادى سنة ١٦٩ هـ وقتل بفخ ، أنظر:
أبو اسحق الحربى : كتاب المناسك وطرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ص ٤٦٧، ٥٢٠ وأنظر أيضا :
الأزرقى : أخبار مكة جـ ١ ص ١٩١ حاشية (١) جـ ٢ ص ٢٨٢، ٢٩٨ وأنظر أيضا :
الفاسي : العقد الثمين جـ ٦ ص ٢٢٠، ٢٢١.

(٤) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٨٤ هـ ورقة ٣٧٢، ٣٧٣ وأنظر :
قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٢٠٥.

ويضيف قطب الدين الحنفي أن السلطان عند خروجه من الحرم الشريف مشى القهقرى الى أن خرج من باب الحزورة [(١)] .

ويختلف المؤرخون في وصول السلطان قايتباى الى القاهرة بعد أن حج فبينما نرى ابن اياس يشير الى أن السلطان قايتباى قد دخل القاهرة في الثاني عشر من محرم سنة ٨٨٥ هـ قبل دخول الحاج بثمانية أيام [(٢)] ، نرى أيضا أن ابن طولون يذكر أن السلطان قايتباى قد رجع من مكة الى القاهرة صحبة الحاج [(٣)] .

ويصف ابن اياس في حديث طويل وصول السلطان قايتباى القاهرة في الثاني عشر من محرم وأن زوجته وأمراؤه استقبلوه استقبالا حافلا وعدّت حجة السلطان قايتباى هذه من النوادر ودخل عليه من الهدايا من أمير مكة وأمير المدينة وقضاتهما وتجارهما وغيرهم ما يعادل مائتي ألف دينار ونظم الشعراء عدة قصائد [(٤)] .

ويعلق السمهودى على حجة السلطان قايتباى هذه بقوله : " فان ذلك لم يقع لأحد من ملوك مصر من نحو مائة وخمسين سنة وكان آخر من حج منهم الملك الناصر محمد بن قلاوون ... ولم يحج أحد بعد ذلك من سلاطين مصر [(٥)] " .

وظل قايتباى في سلطنته الى أن توفي يوم الأحد السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ٩٠١ هـ وله من العمر حوالي أربعا وثمانين سنة وكانت مدة ملكه تسعا وعشرين

---

(١) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
(٢) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٦٢ .
(٣) ابن طولون : مفاكهة الخلان جـ ١ ص ٦ .
(٤) ابن اياس : المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .
(٥) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٧١٦ ، ٧١٧ .

سنة وأربعة أشهر وواحد وعشرين يوما .[(١)]

وقد ورد في النصين اسم : شا هين الجمالي :

وهو الأمير شجاع الدين الرومي ثم القاهري الجمالي الحنفي أصله من مماليك الجمالي يوسف بن كاتب جكم[(٢)] ناظر الخواص الذي سبق أن تحدثنا عنه عند دراسة نصوص السلطان اينال.[(٣)]

ولد في حوالي سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة واشتراه الجمالي يوسف في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة وتعلم القراءة والكتابة وترقى في الخدمة الى أن عين في سنة ٨٧٢ هـ ناظرا على جدة[(٤)] وفي سنة ٨٧٤ هـ أصبح أحد أمراء العشرات[(٥)] وظل ناظرا على جده الى أن عزل ٨٧٩ هـ[(٦)] كما تولى مشيخة الحرم النبوي الشريف منذ

---

(١) ابن اياس : المصدر السابق نفس الجزء ص ٣٢٤ ومابعدها وأنظر :
الديار بكرى : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس جـ ٢ ص ٣٨٨ طبع المطبعة الوهبية - مصر ١٢٨٣ هـ وأنظر :
الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٣٤٧ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٠٦، ٢٠٧ ، العيدروسي : تاريخ النور السافر ص ١٣ ، نجم الدين الغزى : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة جـ ١ ص ٣٠٠ ، ويلاحظ أنه ذكر أن السلطان قايتباى توفي يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذى القعدة ، وأنظر أيضا:
محى الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ١٣٢ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٨ ص ٦ وما بعدها .

(٢) السخاوى : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة جـ ٢ ص ٢١٠ ، الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٩٣ وما بعدها وأنظر : ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ٤٠٢ .

(٣) أنظر ص ١٨٠-١٨٢ من الرسالة .

(٤) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٧٢ هـ ورقة ٣١٩ وأنظر :
السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٢١١ ، الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٩٣ وأنظر أيضا :
ابن اياس: بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٠ .

(٥) ابن فهد : المصدر السابق حوادث سنة ٨٧٤ هـ ورقة ٣٢٥ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ٣٢ .

(٦) ابن اياس : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٠٠ .

سنة ٨٩١ هـ أو ٨٩٢ هـ[1] وظل بها الى أن عزل سنة ٨٩٥ هـ[2] كما تولى امرة الركب الأول للحجاج فى سنتى ٨٨٤ هـ[3] ، ٨٩٦ هـ[4] وظل شاهين الجمالى خلال هذه المدة بين عزل وولاية الى أن توفى فى شهر رجب سنة ٩٢٠ هـ[5] .

وقام فى أثناء توليه لنظر جدّه ومشيخة الحرم النبوى الشريف بالاشراف على كثير من عمائر السلطان قايتباى بالمدينتين المقدستين وهو ما سوف نشير اليه عند الحديث عن اصلاحات السلطان قايتباى وعمائره بالحرمين الشريفين[6] .

وقد ترجم له السخاوى فى كل من التحفة اللطيفه فى تاريخ المدينة الشريفة[7] والضوء اللامع[8] باعتباره أحد أصدقائه ترجمة طويلة جدا ووصفه فيها بكثير الصفات الحسنة نذكر منها ما يلى :

" وعظم شأنه - يعنى شاهين الجمالي - بالأقطار الحجازية عند أمرائها وأشرافها وقضاتها وعربها وقبائلها ... وبالجملة فهو نادر فى أبناء جنسه وحسنة من حسنات الدهر ومحاضرته جيده وأدبه كثير وعقله شهير وأهل طيبة مسرورون به "[9] .

---

(١) السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٢١٢ ، الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٩٣ ، وأنظر : العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث ٨٩١ هـ ورقة ٣١ ، وأنظر أيضا : ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٢٢٦ .

(٢) السخاوى : التحفة جـ ٢ ص ٢١١ ، ٢١٢ ، وأنظر : العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٨٩٥ هـ ورقة ٤٨ ؛ ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٢٧٠ .

(٣) ابن اياس : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٥٨ .

(٤) السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٩٣ ، وأنظر : الجزيرى : درر الفوائد ص ٣٤٣ .

(٥) ابن اياس : المصدر السابق جـ ٤ ص ٤٠٢ .

(٦) أنظر ص ٢٣٧ وما بعدها من هذه الرسالة .

(٧) السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٢١٠ - ٢١٤ .

(٨) السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٩) السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

وورد في النصين اسم سنقر الجمالي :

وهو أبو السعادات الزيني سنقر الجمالي مملوك ناظر الخواص الجمالي يوسف وشقيق شاهين الجمالي وهو أكبرهما [(١)] وترقى في الخدمة الى أن أصبح نائبا لأخيه شاهين وشادا على عمائر السلطان قايتباى بمكة منذ سنة ٨٧٤ هـ [(٢)] ثم أضيفت اليه الحسبه بمكة منذ سنة ٨٨٣ هـ [(٣)] .

ولما احترق المسجد النبوى الشريف في سنة ٨٨٦ هـ أمره السلطان قايتباى بالتوجه الى المدينة شادا على عمارة المسجد [(٤)] .

وسوف نتحدث عن هذه الوظائف التى تقلدها سنقر الجمالي بمكة وهي وظيفة شاد العمائر ونظر الحسبة عند دراسة نص مسجد الاجابة الذى عمره سنقر الجمالي سنة ٨٩٨ هـ ووردت به هاتين الوظيفتين وذلك بعد دراسة نصوص السلطان قايتباى مباشرة [(٥)]

وظل سنقر الجمالي شادا على العمائر السلطانية بمكة ومحتسبا الى أن توفى في ليلة الخميس السادس من جمادى الآخرة سنة ٩٠٢ هـ [(٦)] وصلي عليه صلاة الصبح عند باب الكعبة المشرفه ودفن بالمعلاه [(٧)] .

---

(١) السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ١٩٧ ، الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٧٣ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٧٤ هـ ورقة ٣٢٥ وأنظر :
السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ١٩٧ ، الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٧٣ ، ويلاحظ أن السخاوى يذكر أنه أصبح شادا على العمائر منذ سنة ٨٨٨ هـ مع أن ابن فهد أشار الى أنه كان نائبا لأخيه شاهين ومشرفا على عمائر السلطان منذ سنة ٨٧٤هـ.

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٨٣ هـ ورقة ٣٦٩ ويرى السخاوى أنه أضيفت له الحسبة منذ سنة ٨٨٨ هـ ، أنظر :
السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ١٩٧ ، الضوء جـ ٣ ص ٢٧٣ .

(٤) السخاوى : التحفة جـ ٢ ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، الضوء جـ ٣ ص ٢٧٣ وأنظر :
العز ابن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٨٨٦هـ ورقة ٥ ، وأنظر أيضا :
السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٣٩ .

(٥) أنظر ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ من هذه الرسالة .

(٦) السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ١٩٨ ، الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٧٣ .

(٧) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩٠٢ هـ ورقة ٩٤ .

وسيرد ذكره كثيرا عن الحديث عن اصلاحات السلطان قايتباى وعمائره بمكة والمدينة .[1] وقد ترجم له السخاوى بترجمة ضافية اثنى عليه فيها نذكر منها ما يلى :

" كل ذلك مع عقل وأدب وتأنى وتواضع وتودد ومداراة واحتمال بحيث أكثر من التردد الى مكة وغيرها وسمع مني المسلسل وحديث زهير العشارى وصفته فى ثبت ولده محمد بالأميرى الكبيرى المشيرى الفاضلى الكاملي الأوحدى الأمجدى حبيب العلماء والصالحين ... ".[2]

ويضيف السخاوى بقوله : " وسمعت من يقول من أعيان مكة انه لم يقم عند نا تركي مثله ولكنه ينسب الى تقصير فى الحسبة والكلام طويل ... ".[3]

......

---

(١) أنظر ص ٢٣٧ وما بعدها من هذه الرسالة .
(٢) السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ١٩٨ ، الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٧٣ .
(٣) السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٧٣ .

وكان للسلطان قايتباى من الاصلاحات بالحرمين الشريفين ما تفوق به على كل من سبقه من سلاطين المماليك لدرجة جعلت بعض المؤرخين يصرح بذلك مثل السمهودى بقوله : " فان الله قد أجرى على يديه من الخيرات مالم يجتمع لأحد من الملوك مثله"[1] وكذلك ما ذكره السخاوى بقوله : " واجتهد فى بناء المشاعر العظام وأسعد بما لم يتفق لغيره من الانتظام "[2].

ومن هذه الاصلاحات : اصلاح سطح المسجد الحرام واستبدال خشب سقوفه التالفة بأخشاب جديدة وتبييض كافة المسجد والمقامات الأربعة وترخيم حجر اسماعيل وجدار بئر زمزم كل ذلك على يد شاهين الجمالي فى شهر رجب سنة ٨٧٣ هـ[3].

ومن اصلاحاته : عمارة مسجد الخيف بمنى حيث بدأت عمارته فى يوم الأحد سابع عشر ذى الحجة سنة ٨٧٣ هـ وانتهت فى عاشر ذى القعدة سنة ٨٧٤هـ وبنى بالحجر والنورة والجص فجعل أربع بوائك[4] بالجهة القبلية وأنشأ قبّة عالية مثمنة الشكل فوق المصلى النبوى الشريف كما بنى محرابا بجدار القبلة من الرخام الأخضر وكتب فى أعلا المحراب اسم السلطان قايتباى بتاريخ مذهب وجعل فوقه قبة مرتفعة وضع فى أعلاها هلال من النحاس وجعل للمسجد بابان من ناحيتيه الشرقية واليمانية (الجنوبية) وبنى بأعلى الباب الشرقي مأذنة من ثلاثة أدوار بمقرنصات[5] وأنشأ بجانب

---

(١) السمهودى : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - ج ٢ طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ص ٧١٥.

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٠٦.

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٧٣ هـ ورقة ٣٢١ وأنظر: السخاوى : المصدر السابق ج ٦ ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، العيدروسي : تاريخ النور السافر ص ١٤.

(٤) البوائك : هي سلسلة أى صفوف من العقود المحمولة على أعمدة - أى أساطين أو دعائم - ويسمى السقف أو المسافة المحصورة بين كل صفين من البوائك بلاطة ، أنظر: صالح لمعي مصطفى : التراث المعمارى الاسلامي فى مصر ص ١١٧.

(٥) المقرنصات : هي قوصرات صغيرة بعضها فوق بعض ويسمى المقرنص حسب مصدره وشكله ويستعمل كعنصر معمارى وزخرفي . أنظر: صالح لمعي : المرجع نفسه ص ١٢٣.

الباب المذكور على يمين الداخل للمسجد سبيلا وصهريجالخزن الماء وعمّر بئرا كانت مطموره مقابل باب المسجد وبلغ مجموع ما صرف على هذه العمارة ثلاثة آلاف ومائتان وثلاثون دينارا تقريبا كما عين له اماما ومؤذنا [١] وبنى دارا ملاصقة للمسجد المذكور وجعلها سكنا لأمراء الحج [٢].

ويصف قطب الدين الحنفي مسجد الخيف في زمنه بقوله " وقد غلب عليه الدثور عمّر الله من عمّره أو تسبب في تعميره " [٣].

ومن الاصلاحات التي أمر بها السلطان قايتباى عمارته لمسجد نمره بعرفة اذ أنشأ به رواقين من ناحية القبلة ووسع بقية المسجد بسبب ماكان يقاسيه الحجّاج من شدة الحر أثناء آداء الصلاة في يوم عرفه وكذلك مسجد مزدلفة وبيضهما وقد بدىء العمل في ذلك كله في الخامس عشر من شهر شعبان سنة ٨٧٤ هـ وأنشأ بوسط مسجد عرفه صهريجا لحفظ الماء ورمم علمي عرفه وانتهى العمل منها جميعا في شهر ذى القعدة من نفس السنة وبلغ ماصرف على هذه الاصلاحات حوالي ألفين وخمسمائة وخمسين دينارا [٤].

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٧٤ هـ ورقة ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، وأنظر: السخاوى: الضوء اللامع جـ ٦ ص ٢٠٦ ، السمهودى : وفاء الوفاء جـ ٢ ص ٧١٦ ، الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٣٣٦ ويلاحظ أن الجزيرى ذكر أن هذه العمارة حدثت سنة ٨٧٣ هـ مخالفا بذلك ما آجمعت عليه المصادر ، وأنظر أيضا : قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٩٦ ، عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ٩٣ ، العيدروسي: تاريخ النور السافر ص ١٤ ، ١٩٦ ، الغزى : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ص ٢٩٩ ، محي الدين الطبرى: الأرج المسكى ورقة ١٣٢ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢١٣ .

(٢) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ١٩٦ .

(٣) قطب الدين الحنفى : المرجع نفسه نفس الصفحة .

(٤) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٧٤هـ ورقة ٣٢٦ ، ٣٢٧ وأنظر : السخاوى : الضوء اللامع جـ ٦ ص ٢٠٦ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٧١٦ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس جـ ٢ ص ٣٨٨ ، الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٣٣٦ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ١٩٦ ، العيدروسي: تاريخ النور السافر ص ١٤ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ١٣٢ ، العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٤٣ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٣ .

ومن اصلاحات السلطان قايتباى عمارة عين خليص[1] بالقرب من مكة نظرا لأهميتهـا للحجاج فهي من أحسن مناهل الحج وأعذبها ولذلك أدرك السلطان قايتبـاى أهمية هذه العين فأمر باصلاحها فى سنة ٨٧٤ هـ كما عمّر مسجد خليص[2] .

وفى سنة ٨٧٥ هـ تمت عمارة عين عرفه وهو ما يهمنا هنا حيث ورد ذكرها فى هذا النص الذى ننشره .

وكان السبب فى عمارتها هو ماكان يلاقيه الحجاج فى يوم عرفه من شدة بسبب قلـة الماء حتى أن السمهورى كان قد رأى الفقراء من الحجاج لا يسألون عن شيء فى ذلك اليوم سوى الماء[3] .

ويلاحظ أن ابن فهد[4] (ت ٨٨٥هـ) والسخاوى[5] (ت ٩٠٢ هـ) وابن اياس[6] (ت ٩٣٠ هـ) وقطب الدين الحنفي[7] (ت ٩٨٨ هـ) قد أشاروا الى أن عين عرفه قد انقطعت عـن الجريان منذ حوالي قرن أو قرن ونصف الى أن عمّرها السلطان قايتباى هذه العمارة التى نحن بصددها مع أن ابن فهد نفسه يذكر فى حوادث سنة ٨٥٣هـ أن السلطـان جقمق (٨٤١ هـ - ٨٥٧ هـ) قد عمّر جانبا كبيرا من عين عرفه على يدى بيرم خجـا[8] الذى سبق أن أشرنا اليه عند دراسة نص السلطان جقمق المؤرخ بعام ٨٥٢ هـ[9] .

---

(١) خليص : واد كثير الماء والزرع به عين ماء غزيرة ويتميز بكثرة نخيله وأشجاره وهو يبعد عن مكة حوالي ١٠٠كم الى الشمال منها على الطريق بين مكة والمدينة ويبلغ عـدد سكانها الآن ما يقرب من ٣٠ ألف نسمة ومعظم سكانه يرجعون الى قبيلة حـرب الشهيرة ونظرا لغزارة ماء عين خليص فقد اشترتها الحكومة السعودية وأمـدت بمياهها مدينة جدّة - أنظر :
الحربي : كتاب المناسك وطرق الحج ومعالم الجزيرة - تحقيق حمد الجاسر ص٤٦٠ ، ٤٦١ ، البلادى : معجم معالم الحجاز ج ٣ ص ١٤٩ وما بعدها .

(٢) الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٣٣٦ .

(٣) السمهودى : وفاء الوفاء ج ٢ ص ٧١٦ .

(٤) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٧٥ هـ ورقة ٣٢٩ .

(٥) السخاوى : الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٠٧ .

(٦) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٧) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٨) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٥٣ هـ ورقة ٢٧٠ .

(٩) انظر ص ١٦٦ من هذه الرسالة .

ويذكر ابن فهد أيضا : أن سنقر الجمالي قد بدأ في عمارة عين عرفة في أحد الربيعين (أي ربيع الأول أو ربيع الثاني) أو قبل ذلك[1] والصواب أن ابتداء العمارة على وجه التحديد كان في شهر ربيع الآخر ، حسب ما ورد في النص موضوع الدراسة[2].

وقد بدأ العمل في هذه العين من أسفل جبل الرحمه بمنطقة عرفه صعودا حتى وصل الى وادي نعمان[3] فظهر الماء بغزارة واقتصر سنقر الجمالي على ذلك ولم يصل بالتعمير الى منابع[4] هذه العين وجرى الماء من وادي نعمان الى أن وصل الى عرفات في يوم السبت الثاني عشر من رجب سنة ٨٧٥ هـ[5] وأصلحت البرك[6] التي بأرض عرفه

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٧٥ هـ ورقة ٣٣٠.
(٢) أنظر سطر ١٩ من هذا النص موضوع الدراسة .
(٣) وادي نعمان : بالفتح والسكون ويسمى نعمان الآراك لأنه ينبت به وهو واد لهذيل بين مكة والطائف ويبعد عن مكة المكرمة بحوالي ٢٥ كم في طريق الطائف مكة الجديد ويتجه هذا الوادي غربا حتى يلتقي بوادي عرنه في جنوب عرفه وهو معروف بهذا الاسم حتى اليوم - أنظر :
أبو اسحق الحربي : كتاب المناسك وطرق الحج ومعالم الجزيرة - تحقيق حمد الجاسر ص ٥٠٩ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ - طبعة دار صادر - بيروت ص ٢٩٣ ، عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز جـ ٩ ص ٧٥.
(٤) تنبع عين عرفة من ذيل جبل كرا وهو جبل شامخ صعب المرتقى تقع في أعلاه منطقة الهدأه المصيف المعروف وتنحدر سيوله نحو وادي نعمان وكان صعود هذا الجبل من أكبر المشكلات التي تواجه الذاهبين والقادمين من مكة الى الطائف أو من الطائف الى مكة حتى استطاعت الدولة السعودية الزاهرة شق طريق يخترق هذا الجبل الذي يبلغ طوله حوالي ٢٢ كم ، وافتتح هذا الطريق في عهد المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله سنة ١٣٨٥ هـ . أنظر:
قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٨٢. وأنظر:
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢١٠. وأنظر:
عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز جـ ٧ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨.
(٥) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٧٥ هـ ورقة ٣٣٠.
(٦) يلاحظ أن أول من بنى البرك والأحواض بعرفه هو عبد الله بن عامر بن كريز ابن خال الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه المتوفى سنة ٥٧ هـ - أنظر :
ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٣ طبعة القاهرة ص ٢٨٨ ، محمد فهد عبد الله الفعر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز - الطبعة الأولى - نشر تهامة - جدة - ١٤٠٥ هـ ص ٣٠٦.

ووجدت برك أخرى مطموره تحت الأرض فأصلحت أيضا[١].

ويشير كل من ابن فهد والسمهودى وابن اياس وقطب الدين الحنفي وغيرهم الى أن اجراء عين عرفه هذا الذى تم سنة ٨٧٥ هـ كان به غاية النفع للحجاج وغيرهم من أهل مكة بل انه من أعظم خيرات السلطان قايتباى التى فعلها فى مكة المكرمة[٢].

ويلاحظ أن عين عرفه قد توقفت عن الجريان بعد ذلك بدليل ما انفرد بذكره كل من العزبن فهد (ت ٩٢٢ هـ) فى حوادث سنة ٨٨٩ هـ[٣] وابن اياس فى حوادث شهر رجب سنة ٨٩٠ هـ[٤] وان كنت أرجح التاريخ الذى أورده العز بن فهد، فالى جانب أنه معاصر للأحداث فهو مؤرخ مكة القريب من هذه الأحداث على العكس من ابن اياس الذى كتب فى القاهرة عن بعد، كما أن العز بن فهد قد تحدث عن هذه العمارة الثانية بشىء من الايضاح بينما أشار ابن اياس الى انقطاع العين فقط دون خبر تعميرها.

ويستفاد مما ذكره العز بن فهد أن سنقر الجمالي أرسل بأمر من السلطان قايتباى مائة عامل لاصلاح عين عرفه وأعطى لكل عامل ثلاثة دنانير[٥] أشرفية[٦].

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٧٥ هـ ورقة ٣٣٠، وأنظر: السخاوى : الضوء اللامع جـ ٦ ص ٢٠٧، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٧١٦، الجزيرى : درر الفوائد ص ٣٣٦، قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ١٩٧.

(٢) ابن فهد : المصدر السابق نفس الورقة - وأنظر: السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٧١٦، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٥٦، ٥٧، قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ١٩٧.

(٣) العز ابن فهد : بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى حوادث سنة ٨٨٩ هـ ورقة ٢٣.

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٢١٨، ٢١٩.

(٥) العز بن فهد : المصدر السابق نفس الورقة.

(٦) الدنانير الأشرفية نسبة الى السلطان الأشرف برسباى الذى قام باصلاح شامل للنقود الذهبية المملوكية منذ عام ٨٢٩ هـ كاجراء وقائي ضد تدفق الدنانير البندقية التى ضربتها مدينة البندقية بايطاليا وعرفت باسم الدوكات وكذلك الدنانير الفلورية التى ضربتها مدينة فلورنسا الايطالية وجعل السلطان برسباى وزن هذه الدنانير بنفس وزن الدنانير البندقية (٣ر٤٥) جرام فكانت هذه الدنانير من أحسن المعاملات لأنها من الذهب الخالص وبلغت ثقة الناس بها حتى عهد متأخر من عصر المماليك الجراكسة، أنظر: د. عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ماضيها وحاضرها ص ٩٥ وما بعدها.

ولكن يلاحظ أن العز بن فهد لم يقدم تفصيلا لمراحل هذه العمارة الثانية لعين عرفات ولم يشر الى المكان الذى بدأ منه العمل ولا الى أين انتهى واقتصر على القول بأن عين عرفه قد وصل ماؤها الى المزدلفة وذلك عند اشارته الى خطاب كان قد بعثه قاضي القضاة بمكة برهان الدين بن ظهيرة يخبر فيه السلطان قايتباى بأن ماء عين عرفه قد وصل الى المزدلفة .[1]

ومن اصلاحات السلطان قايتباى أمره بفرش المسجد الحرام بالحصباء واصلاح المقصورة الحديدية القائمة على مقام ابراهيم عليه السلام سنة ٨٧٥ هـ .[2]

ولا نجد أيضاحا عند المؤرخين لنوعيّة الاصلاح الذين حدث لمقصورة المقام الا ما أشار اليه ابن فهد من أن هذا الاصلاح كان لذيل القبّة الحديد[3] فقط مما يدل أن هذا الاصلاح قد اقتصر على الترميم .

ومن هذه الاصلاحات : ارسالة لمنبر من الخشب للمسجد الحرام فى ذى القعدة سنة ٨٧٩ هـ[4] ، ويشير كل من ابن فهد وقطب الدين الحنفى الى أن هذا المنبر قد وصل الى مكة المكرمة مفككا كل قطعة على حده وكان وصوله فى يوم الأحد الخامس والعشرين من ذى القعدة وبدىء فى تركيبه أمام باب السلام بالمسجد الحرام يوم

---

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى حوادث سنة ٨٩٠ ورقة ٢٧ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٧٥ هـ ورقة ٣٣٠ - وأنظر :
السخاوى : الضوء اللامع جـ ٦ ص ٢٠٧ ، العيدروسى : تاريخ النور السافر ص ١٤ ، محي الدين الطبرى : الأرج المكى ورقة ١٣٢ .

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٧٥ هـ ورقة ٣٣٠ .

(٤) ابن فهد : المصدر السابق حوادث سنة ٨٧٩ هـ ورقة ٣٤٨ وأنظر :
السخاوى : الضوء اللامع جـ ٦ ص ٢٠٧ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس جـ ٢ ص ٣٨٨ ، الجزيرى : درر الفوائد ص ٣٦٧ ، محي الدين الطبرى : الأرج المكى ورقة ١٣٢ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٨ ص ٦ ، ٧ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢١٣ ، كما أشار الى هذا المنبر أحمد الرشيدى الا أنه أخطأ فى تاريخ ارساله فذكر أن ذلك كان سنة ٨٧٦ هـ والصواب ما ذكرناه أعلاه حسب ما أجمعت عليه المصادر - أنظر :
أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص ١٤٦ .

الاثنين والثلاثاء السادس والعشرين والسابع والعشرين من نفس الشهر ثم جرّ على عجل الى قرب المطاف حيث استقر فى مكانه وخطب عليه لأول مرة يوم الجمعة آخر ذى القعدة أو أول ذى الحجة من السنة نفسها[(١)].

وقد أشار السخاوى الى هذا المنبر الذى أرسله السلطان قايتباى بقوله :
" وجهز فى سنة تسع وسبعين للمسجد الحرام منبرا عظيما مستقيما ونصب فى ذى القعدة منها وقرّت به أعين النبهاء"[(٢)].

ومن اصلاحات السلطان قايتباى بالحرم المكي تجديد رخام حجر اسماعيل من الداخل والخارج فى أوائل سنة ٨٨١ هـ فقد أمر بقلع جميع رخام الحجر واستبداله برخام جديد كما أصلحت الشقوق التى ظهرت بأرض المطاف وأحكمت بالرصاص وأصلح فى نفس السنة خشب سقف المسجد من ناحيته الشرقية[(٣)].

ويلاحظ أن قطب الدين الحنفى قد ذكر أن هذا الترصيص كان بداخل الكعبة المشرفة[(٤)] مع أن ابن فهد يذكر أن هذا الترصيص كان لأحجار المطاف[(٥)] ولم يذكر انه كان بداخل البيت الشريف .

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٧٩ هـ ورقة ٣٤٨ وأنظر : قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ١٩٧ .
(٢) السخاوى : الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٠٧ .
(٣) ابن فهد : حوادث سنة ٨٨١ هـ ورقة ٣٥٥ وأنظر :قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ١٩٧ .
(٤) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ١٩٧ والواقع أن هذا الاصلاح الذى أجراه السلطان قايتباى بداخل الكعبة هو تجديد رخامها سنة ٨٨٤ هـ كما هو منقوش فى لوح حجرى بداخل الكعبة المشرفة من الناحية الشرقية ومؤرخ بعام ٨٨٤ هـ وليس ٨٨١ هـ كما يشير قطب الدين الحنفى وهذا اللوح التأسيسى رآه وأورد نصه بعض الباحثين المحدثين الذين اتيحت لهم الفرصة أن يدخلوا الكعبة المشرفة ويروا هذا النص ويقرأوه مثل البتنوني وابراهيم رفعت وباسلامه ثم محمد طاهر كردى نقلا عن البتنوني وسوف أشير الى هذا النص عند الحديث عن اصلاحات السلطان قايتباى التى تمت سنة ٨٨٤ هـ - أنظر :
محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية - الطبعة الثالثة - ص ١٠٧ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٦٦ ، باسلامه : تاريخ الكعبة المعظمة - الطبعة الثانية ص ١٣٨ ، محمد طاهر كردى : التاريخ القويم ج ٤ ص ١١٤ .
(٥) ابن فهد : اتحاف الورى حوادث سنة ٨٨١ هـ ورقة ٣٥٥ .

وفي سنة ٨٨٢ هـ أمر السلطان قايتباى وكيله وتاجره الخواجا شمس الدين محمد بن عمر المعروف بابن الزمن[١] أن يشترى له موضعا مشرفا على الحرم المكي الشريف ليبنى لهمدرسة تدرس فيها العلوم الشرعية على المذاهب الأربعة ورباطا يسكنه الفقراء وسبيلا وميضأة ومكتبا للأيتام فاشترى ابن الزمن رباط السدرة[٢] ورباط المراغي ودار للشريفة شمسية احدى شريفات مكة بالجانب الشرقي من المسجد الحرام كما استأجر بن الزمن ميضأة السلطان شعبان التي بالمسعى[٣] وأربعة دكاكين بجانبها ثم هدم ذلك كله في أواخر سنة ٨٨٢ هـ وأوائل سنة ٨٨٣ هـ وعين سنقر الجمالي شادا لهذه العمائر وبدأت العمارة في نفس السنة فعمّر رباط المراغي وجزء من رباط السدرة مدرسة وسبيلا والجزء الباقي من رباط السدرة جعل رباطا يتألف من اثنتين وسبعين خلوه وميضأة ومنزلا وتمت عمارة المدرسة وغالب الرباط في سنة ٨٨٣ هـ كما تمت بقية العمارة في سنة ٨٨٤ هـ وزينت المدرسة بالرخام الملون والسقف المذهب[٤] وقرر السلطان قايتباى لهذه المدرسة المدرسين والطلاب وغيرهم وأرسل لها مجموعة من الكتب وجعل لها خازنا[٥].

وقد تحدثنا عما قرره السلطان قايتباى بمدرسته بمكة عند الكلام عن حجة السلطان قايتباى سنة ٨٨٤ هـ[٦].

---

(١) أنظر ترجمة ابن الزمن في الضوء اللامع جـ ٨ ص ٢٦٠.
(٢) عن رباط السدرة - أنظر: ص٤٧، ١٦٨ من هذه الرسالة.
(٣) عن هذه الميضأة أنظر ص ٤٧ من هذه الرسالة.
(٤) ابن فهد: اتحاف الورى حوادث سنة ٨٨٢ هـ - ٨٨٤ هـ ورقة ٣٦٠ - ٣٧١ وأنظر: السخاوى: الضوء اللامع جـ ٦ ص ٢٠٧، السمهودى: وفاء الوفا جـ ٢ ص ٧١٦، ابن اياس: بدائع الزهور جـ ٣ ص ٣٢٩، قطب الدين الحنفي: الاعلام ص ١٠٠، ١٠١، ١٩٧، محي الدين الطبرى: الأرج المسكى ورقة ٢٥، ٢٦.
(٥) قطب الدين الحنفي: المصدر السابق ص ١٩٧.
(٦) أنظر ص٢٢٩-٢٣٠ من هذه الرسالة.

وأود أن أضيف أن مرتبات المدرسين بهذه المدرسة كانت تدفع ذهبا من ريع وقفه الذى أنشأه برأس زقاق العطارين ومن ريع أوقافه بمصر وكان يتحصل من ريع وقفه بمكة حوالي ألفي دينار ذهب بينما تدفع مرتبات الطلاب والأيتام والفقراء من القمح الذى كان يرسله سنويا ويصنع لهم منه دشيشه[1].

وقد أشار باسلامه الى الكتابات والنقوش التى على باب مدرسة السلطان قايتباى هذه وذكر أن هذا الباب ينفذ من المسجد الحرام الى شارع المسعى[2].

ويلاحظ أن قطب الدين الحنفى هو أكثر من تحدث بالتفصيل عن هذه المدرسة والميضأة والرباط والمأذنة[3] وغيرها مما أوقفه السلطان قايتباى كما يصف ما آلت اليه هذه المدرسة وما أصابها من اهمال بقوله : " وصارت المدرسة سكنا لأمراء الحج أيام الموسم وسكنا لغيرهم من الأمراء اذا وصلوا الى مكة فى وسط السنة وصارت أوقافها

---

(١) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ١٩٨ ، وأنظر :
محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٣٣ .

(٢) أنظر نصوص هذه الكتابات عند باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧١ وقد قام بعض الباحثين وهو الأستاذ اسماعيل أحمد اسماعيل بنشر مقال عن هذه المدرسة والكتابات الموجودة على بابها محاولا وصف المدرسة الا أن هذا الوصف يفتقد الى الدقة لأن حديثه عن المدرسة وما بها من كتابات ونقوش كان حديثا وصفيا دون اثبات مستندات فتوغرافية لهذه النقوش والزخارف ودون وضع رسم تخطيطى لشكل المدرسة (كروكى) ومحتوياتها خاصة الواجهة الحجرية لهذه المدرسة من الخارج والتى أشار الى ما بها من زخارف نباتية وأطباق نجمية وكان من الأفضل اثباتها بالصور الفتوغرافية أو عن طريق رسوم مفرغة مأخوذة عن الصور الأصلية كما فاته أن يقوم بدراسة مقارنة للعناصر المعمارية فى هذه المدرسة وغيرها من عمائر السلطان قايتباى بمصر والشام وأرجو أن تتاح لي الفرصة للاطلاع على هذه الواجهة الحجرية والكتابات والزخارف التى بها ودراستها دراسة علمية أنظر : اسماعيل أحمد اسماعيل :"مدرسة السلطان قايتباى بالمسجد الحرام " مجلة العرب - عدد يوليو ١٩٧٩م ص ٩١ - ٩٣ .

(٣) مأذنة السلطان قايتباى هذه أنشأها على عقد باب المدرسة من ناحية المسعى وتتكون من ثلاثة أدوار وهي على يسار الداخل الى المسجد من باب السلام وظلت هذه المأذنة قائمة حتى هدمت فى التوسعة السعودية للمسجد الحرام التى بدأت فى سنة ١٣٧٥ هـ - أنظر : قطب الدين الحنفي :الاعلام ص ٣٥١ ،عبدالكريم القطبى : اعلام العلماء الأعلام ص ١٣١ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج١ ص ٢٣٥ ، باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٦٧ .

مأكلة للنظار عمّر الله من عمّرها وأحيا من أحياها "(١).

والواقع ان هذه المدرسة بقيت سكنا لأمراء الحج وغيرهم من أمراء مكة حتى العصر الحديث بدليل ما أورده ابراهيم رفعت بقوله : " فنقلوها من دار علم الى دار ضيافة كان ينزل فيها أمراء الحج المصرى ثم سار يسكنها بعض أشراف مكة بني غالب "(٢) وقد أزيلت هذه المدرسة وغيرها من المدارس والرباطات والمياضىء في التوسعة السعودية الضخمة للمسجد الحرام.

أما بالنسبة للكتب والمصاحف التي أوقفها السلطان قايتباى على هذه المدرسة فلم يكن مصيرها أحسن من مصير المدرسة بدليل ما أشار اليه قطب الدين الحنفي المتوفى سنة ٩٨٨ هـ بقوله " وقد استولت عليها أيدى المستعيرين وضيعوا منها جانبا كبيرا وبقى منها ثلثمائة مجلد وهي تحت تكلم مؤلف هذا الكتاب صنتها وكمّلت بعض مافاتها وجلّدت ما يحتاج الى التجليد واستخلصت بعض ما وجدته وأعدته الى الوقف . . . "(٣).

ومن اصلاحات السلطان قايتباى تجديده لرخام الكعبة المشرفة سنة ٨٨٤ هـ ويلاحظ أن المؤرخين المعاصرين لم يشيروا الى هذا الترخيم وانما استفدنا ذلك مما أورده بعض المؤرخين في العصر الحديث الذين أتيحت لهم فرصة دخول الكعبة المشرفة ورأوا وقرأوا نصا على لوح رخامي بالجانب الشرقي من داخل الكعبة منقوش فيه أمر السلطان قايتباى بتجديد رخام الكعبة المشرفة في شهر رجب سنة ٨٨٤ هـ . مثل محمد لبيب البتنوني الذى أورد النص على النحو التالي :

" أمر بتجديد داخل البيت السلطان الملك أبو النصر قايتباى خلد الله ملكه يارب العالمين عام أربع وثمانمائة من الهجرة "(٤).

ويلاحظ أن تاريخ النص الذى أورده البتنوني غير صحيح لأنه لا يدخل أصلا في فترة حكم السلطان قايتباى كما أن قراءة البتنوني ليس فيها ما يشير الى ترخيم الكعبة

---

(١) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ١٩٨ .
(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٤٢ .
(٣) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ص ١٩٧ .
(٤) محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ص ١٠٧ .

المشرفة وانما أورد عبارة " داخل البيت فقط " وسقطت من قراءة البتنوني بعض العبارات التي وردت في قراءة باسلامه الآتي ذكرها وهذه العبارات هي " ترخيم ، مولانا ، الأشرف ، بتاريخ مستهل رجب الفرد ، ثمانين " وقد نقل محمد طاهر الكردي هذا النص عن البتنوني نقلا حرفيا دون الانتباه لما وقع فيه البتنوني من أخطاء[1] أما ابراهيم رفعت فلم يورد النص ايرادا كاملا وانما أشار اليه فقط وانه مؤرخ بسنة ٨٨٤ هـ[2] ويذكر باسلامه أن هذا اللوح الرخامي ملصق في الجدار الشرقي مما يلي جهة الباب على يمين الداخل ولذلك نرى أن باسلامه هو المؤرخ الوحيد الذي حدد مكان النقش على وجه الدقة وأورد نصه على النحو التالي :

" أمر بتجديد ترخيم داخل البيت مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى خلد الله ملكه يارب العالمين بتاريخ مستهل رجب الفرد عام أربع وثمانين وثمانمائة من الهجرة "[3].

ومن أهم ما التفت اليه السلطان قايتباى هو أنه لما حج في سنة ٨٨٤هـ رأى ما فيه أهل المدينة المنورة من الفاقة الزائدة والفقر المدقع فنذر أن يفعل لهم خيرا يكون مستمرا من بعده فأخرج ستين ألف دينار واشترى بها عدة أماكن بالقاهرة مثل باب النصر[4]

---

(١) محمد طاهر الكردي : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ج ٤ ص ١١٤ .

(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٦٦ .

(٣) باسلامه : تاريخ الكعبة المعظمة ص ١٣٨ .

(٤) باب النصر : انشأ هذا الباب في الأصل جوهر الصقلي في سور القاهرة الشمالي سنة ٣٥٨ هـ ولما وسع بدر الجمالي أمير الجيوش في عهد الخليفة المستنصر الفاطمي مساحة القاهرة سنة ٤٨٠ هـ - ٤٨٥ هـ نقل أبواب السور الشمالي مسافة ١٥٠ م تقريبا الى الشمال ومنها باب النصر ولا يزال على هذا الباب نص انشاء مؤرخ بعام ٤٨٠ هـ .

ويذكر المقريزي أنه مكتوب على هذا الباب بالخط الكوفي " لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله صلوات الله عليهما " - أنظر :

المقريزي : الخطط ج ١ - طبعة بولاق ص ٣٨١ .

وقد نشر هذا النص الذي يظهر عليه معتقد الشيعة فان برشم Van-Berchem أنظر :

أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ج ١ - طبعة دار المعارف بمصر - ١٩٦٥ م ص ٢٤ وما بعدها .

والبند قانيين[1] والخشابين[2] وعمرها وجعلها وقفا على فقراء المدينة المنورة يشترى لهم من ريعها قمحا يعمل منه خبزا ودشيشه تفرق عليهم أسوة بما فعله السلطان نفسه بمدينة الخليل عليه السلام بفلسطين ، كما قرر لأعيان المدينة كميات من القمح تبلغ سبعة آلاف وخمسمائة ارد ب وأمر بانشاء فرن وطاحون ومطبخ لصنع هذه الدشيشة.[3]

والواقع ان ارسال القمح الى الحجاز من قبل سلاطين المماليك ومنهم السلطان قايتباى قد ورد ذكره في كثير من وثائق الوقف المملوكية التى تشير الى هذا القمح وانه يعمل منه دشيشه للفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والغرباء وغيرهم بحيث تطبخ بزيت طيب أو دهن على حد تعبير هذه الوثائق كما تشير الى تخصيص مراكب أو سفن خاصة مهمتها نقل هذا القمح وغيره مما يحتاج اليه عند طبخ الدشيشة.[4]

---

(١) البند قانيين : أحد أسواق القاهرة الشهيرة وكان يعرف قديما بسوق بئر زويلة وهي بئر قديمة خاصة باصطبل الجميزه الذى كانت فيه خيول الخلفاء الفاطميين فلما زالت دولة الفاطميين اختط موضع اصطبل الجميزه وعرف بالبند قانيين لأن به عدد كبير من صناع قسي البندق ويذكر المقريزى أن بهذا السوق كثير من أرباب المعاش المعدين لبيع المأكولات من الشواء والطعام المطبوخ وأنواع الأجبان والألبان وخلافها وقد تعرض هذا السوق لحريق شامل في شهر صفر سنة ٧٥١هـ ثم اختل أمر هذا السوق اختلالا كبيرا وتلاشى أمره بعد الفتن التى حدثت منذ سنة ٨٠٦ هـ في عهد السلطان فرج بن برقوق - أنظر : المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥ .

(٢) الخشابين : أطلقت قديما على سوق الخلعيين وعرف أيضا بالزقيق تصغير زقاق كما عرف بسوق الخلعيين والخلعي هو الذى كان يتعاطي بيع الثياب الخليع وهي الثياب التى قد لبست وهذا المصطلح عرف منذ عهد المقريزى وكان من الأسواق العامرة جدا بمدينة القاهرة لكثرة ما يباع به من ملابس أهل الدولة وغيرهم - أنظر: المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٠٤ .

(٣) السخاوى : الضوء اللامع جـ ٦ ص ٢٠٧ وأنظر: السمهودى : وفاء الوفا جـ ٤ ص ٦٤٤ ٧١٤ وأنظر: ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٦٤، ١٦٥، ٣٢٩، وأنظر أيضا : قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٠٠، العيد روسي :تاريخ النور السافر ص ١٤، ١٥ .

(٤) عبد اللطيف ابراهيم : "وثائق الوقف على الأماكن المقدسة" مصادر تاريخ الجزيرة جـ ٢ ص ٢٥٢ الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ وأنظر: عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغورى - رسالة دكتوراة - مخطوطه - جامعة القاهرة ص ١٣٨ .

ونظرا لأهمية هذه الدشيشة التي قررها السلطان قايتباى لكل من أهل المدينة المنورة ومكة المكرمة فقد كان يعين لها ناظرا خاصا يسمى ناظر الدشائش بدليل ما أورده العز بن فهد فى حوادث سنة ٨٨٩ هـ من أنه وصل مرسوم من السلطان قايتباى مضمونه تولية قاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة لقضاء جده عوضا عن أخيه وتولية أبنائه النظر على رباط السلطان قايتباى وعلى دشيشته ودشيشة السلطان جقمق (١) (٨٤١ هـ - ٨٥٧ هـ) .

ومن اصلاحات السلطان قايتباى بالمسجد الحرام تجديد بعض سقوف المسجد فى شوال سنة ٨٨٥ هـ بسبب ما أصابها من تلف نتيجة الأمطار وتم هذا التجديد فى حوالى أسبوع (٢) .

ومن أهم اصلاحات السلطان قايتباى بالحرمين الشريفين عمارته للمسجد النبوى الشريف عمارة شاملة بعد الحريق الذى أصابه فى ليلة الثالث عشر من رمضان سنة ٨٨٦ هـ بسبب صاعقة سقطت على المأذنة الشرقية للمسجد المعروفة بالرئيسية وقت آذان الفجر فاحترق غالب المسجد الشريف (٣) فأمر السلطان قايتباى سنقر الجمالي شاد العمائر السلطانية بمكة بايقاف جميع أعمال التعمير بمكة والتوجه الى المدينة المنورة ومعه ما يزيد على مائة صانع من البنائين والنجارين والحدادين والمرخمين وغيرهم كما أمر السلطان قايتباى شمس الدين بن الزمن بالاشراف على هذه العمارة وأرسل معه أكثر من مائتى جمل تحمل مؤن العمارة وأعداد كبيرة من العمال والصناع وظلت هذه العمارة قائمة على قدم وساق فى جميع أجزاء المسجد

---

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى حوادث سنة ٨٨٩ هـ ورقة ٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ورقه ٢ .

(٣) تحدث السمهودى عن أخبار هذا الحريق ومراحل العمارة بالتفصيل اذ كان معاصرا لها ومقيما بالمدينة المنورة أنظر : وفاء الوفا جـ ٢ص ٦٣٣ وما بعدها ، السخاوى : الضوء اللامع جـ ٦ ص ٢٠٧ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص١٨٧-١٨٩ ، ابن طولون : مفاكهة الخلان جـ ١ - تحقيق محمد مصطفى - طبعة عيسى البابى الحلبى - القاهرة ص ٥٠ ، وأنظر أيضا : قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ١٩٨ وما بعدها .

الى أن تمت في أواخر سنة ٨٨٨ هـ أو في التى بعدها[١].

ومما جدد في المسجد النبوى الشريف مقصورة الحجرة النبوية الشريفة وجعلت هذه المقصورة من النحاس أو الحديد المخرم بدلا من المقصورة القديمة التى كانت من الخشب وقد بلغ وزنها أربعمائة قنطار[٢] وحملت من القاهرة الى المدينة على سبعين جملا وكان ارسالها وتركيبها في سنة ٨٨٨ هـ[٣] وهذا التاريخ مازال موجودا على المقصورة القائمة حتى يومنا هذا[٤].

وأرسل السلطان قايتباى مع هذه المقصورة مصحفا كبير الحجم بحيث حمل على جمل بمفرده (حمايلي) كتبه أحد الخطاطين المشهورين وهو شاهين النورى ومات ولم يكمله فأكمله الخطاط الشهير كاتب الوثائق الشيخ خطّاب بن عمر الدنجاوى بأمر السلطان قايتباى[٥].

ويذكر ابن اياس المتوفى سنة ٩٣٠ هـ ان هذا المصحف موجود بالحجرة النبوية الشريفة[٦]، وهذا المصحف مازال موجودا حتى كتابة هذه السطور وتحتفظ به مكتبة الملك عبد العزيز آل سعود للمصاحف بالمدينة المنورة ويحظى بعناية فائقة .

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع جـ ٦ ص ٢٠٧ وأنظر: السمهودى : المصدر السابق جـ ٥ ص ٦٣٩ ، ٦٤٤ وأنظر: ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٨٨ ويلاحظ أن ابن اياس قد أشار الى انتهاء العمارة في أواخر سنة ٨٨٧ هـ والصواب أنها انتهت في أواخر سنة ٨٨٨ هـ وأوائل سنة ٨٨٩ هـ ، ابن طولون : مفاكهة الخلان جـ ١ ص ٥٩ .

(٢) القنطار: وحدة من وحدات الوزن ورد ذكره في القرآن الكريم كقوله تعالى في سورة آل عمران " ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك " آية ٧٥، وهو في الأصل يساوى مائة رطل ويختلف وزن القنطار حسب نوعية الموزون . أنظر تفاصيل ذلك عند :
فالترهنتس : المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المترى - ترجمة كامل العسلي - منشورات الجامعة الأردنية ١٩٧٠م ص ٤٠ وما بعدها .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٤٢ ، وأنظر: ابن اياس : بدائع الزهور جـ٣ ص ١٨٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ وأنظر: العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٤٥ .

(٤) عبد اللطيف ابراهيم : وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ص ٢٥٣ .

(٥) السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٥٠ ، وأنظر: ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٢٠٤ ، عبد اللطيف ابراهيم : وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ص ٢٥٣ .

(٦) ابن اياس : المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٠٤ .

ومما جدّد في هذه العمارة منبر المسجد النبوي الشريف في رجب سنة ٨٨٨ هـ وهو من الخشب[١] وقد نقل هذا المنبر في العصر العثماني الى مسجد قباء واستبدل بمنبر من الرخام أهداه السلطان مراد بن سليم سنة ٩٩٨ هـ[٢] ولا تزال بقايا هذا المنبر الذي أهداه السلطان قايتباي قائمة في مسجد قباء حتى الآن .

كما جددت القبة التي تعلو الحجرة النبوية الشريفة ولكنها سرعان ما تشققت ثم رممت ولكن هذا الترميم لم يفد شيئا فأمر السلطان قايتباي باعادة بنائها من جديد سنة احدى وتسعين وثمانمائة وكان المشرف على عمارتها شاهين الجمالي وقد وصفها السمهودي بقوله :

" وقد جاءت هذه القبة حسنة مع الاتقان حتى انه - أي شاهين الجمالي - استصحب في هذه العمارة الجبس من مصر المحروسة واستعمله في البناء وحرص على اتقان الآجر ولم يوفق متولي العمارة لشيء من ذلك سامحه الله وكل ميسر لما خلق له ".[٣]

وقد زينت هذه القبة بالكتابات والنقوش الجميلة وكتب في جهتها الغربية نص تأسيسي أورده ابراهيم رفعت على النحو التالي :

" أنشأ هذه القبة الشريفة العالية المعترف بالتقصير الراجي عفو ربّه القدير قايتباي ".[٤]

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع جـ ٦ ص ٢٠٧ ، التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٤٧ وأنظر : السمهودي : وفاء الوفا ص ٦٤٢ ، ابن اياس : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٨٨ ، الديار بكري : تاريخ الخميس جـ ٢ ص ٣٨٨ ، العباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ، العيدروسي : تاريخ النور السافر ص ١٤ .

(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٧١ ، وأنظر وصف هذا المنبر عند : سيد عبد المجيد بكر : أشهر المساجد في الاسلام جـ ١ طبع مطابع سحر بجدة سنة ١٤٠٠ هـ جـ ١ ص ٩٧ ، ويلاحظ أنه أشار الى أن منبر السلطان قايتباي من الرخام وهو خطأ لأن المنبر من الخشب .

(٣) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٤٦ .

(٤) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٧٤ .

وقد بلغ مجموع ما صرف على عمارة المسجد النبوى الشريف والمدرسة والرباط اللذين أنشأهما السلطان بالمدينة المنورة ما يزيد على مائة وعشرين ألف دينار وهو المبلغ الذى ذكره السمهودى مشيرا الى أن بعض المباشرين على هذه العمائر أخبره بذلك[1] أما ابن اياس فقد ذكر أن المبلغ الذى صرف على عمارة المسجد هو مائة ألف دينار[2].

وأنشأ السلطان قايتباى مدرسة ورباطا بالمدينة المنورة بين باب السلام وباب الرحمه من أبواب المسجد النبوى الشريف وجعل لهذه المدرسة ثلاثون شباكا مطلة على الحرم النبوى[3].

وقد اعترض أهل المدينة المنورة على وضع هذه الشبابيك المطلّة على الحرم الشريف مما جعل السلطان يستفتى علماء مصر فى ذلك فأفتاه بعضهم بجواز ذلك[4].

ويتضح استياء الناس من هذه الشبابيك المطلة على الحرم النبوى مما أورده ابن اياس بقوله :

" وفيه جاءت الأخبار من المدينة المشرفة بأن السلطان أنشأ هناك مدرسة وجعل لها شبابيك مطلّة على الحرم النبوى فقامت على السلطان الأشله بسبب ذلك وأفتى بعض العلماء بأن ذلك لا يجوز فان حرمة النبى صلى الله عليه وسلم وهو ميّت كحرمته وهو حيّ وقد أجاز ذلك بعض علماء الجاه "[5]. ويلاحظ أن هناك اختلافا بين السمهودى وابن اياس فى تاريخ ابتداء عمارة المدرسة فبينما يذكر السمهودى أن عمارة المدرسة والرباط بدأت قرب انتهاء عمارة المسجد الشريف فان ابن اياس يذكر أن ابتداء عمارة المدرسة كان فى سنة ٨٨٣ هـ وذلك عند ما أشار الى مقتل قاضي المدينة المنورة وخطيبها بقوله : " وقتل فى هذه السنة قاضي المدينة المشرفة

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٤٥.
(٢) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٨٨.
(٣) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٤٣، ٦٤٤ وأنظر: ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٩٦، ابن طولون : مفاكهة الخلان جـ ١ ص ٣٣.
(٤) السمهودى : المصدر السابق ص ٦٤٣.
(٥) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٩٦.

وخطيبها وقد قتله بعض الرفض وسبب ذلك أن الخواجا شمس الدين بن الزمن ابتدأ بعمارة مدرسة للسلطان فأخذ مكانا يسكنه هذا الرافضي وأدخله في بناء المدرسة فتعصب القاضي على الرافضي في هدم مكانه وكان سببا لقتله وأنا حججت تلك السنة وشاهدت هذه الوقائع ".[١] مع أن السمهودى يذكر في مكان آخر أن انتهاء عمارة المسجد قد تمت بعد شهر رمضان سنة ٨٨٨ هـ ولم يبق سوى اليسير من العمائر السابق ذكرها واكمال ترخيم المدرسة الأشرفية .[٢]

وأرسل السلطان قايتباى لهذه المدرسة مجموعة ضخمة من الكتب الشرعية وغيرها مع أبى البقاء بن الجيعان سنة ٨٨٩ هـ الذى أرسله السلطان الى المدينة لتفرقة القمح والدشيشة على أهل المدينة والمدرسين والطلاب وغيرهم ممن قرره في مدرسة هذه .[٣]

ومن اصلاحات السلطان قايتباى تجديده لرخام حجر اسماعيل عليه السلام مرة أخرى سنة ٨٨٨ هـ .[٤]

ومن هذه الاصلاحات أيضا اجراء عين عرفه مرة ثانية سنة ٨٨٩[٥] هـ لأن هذه العين التى سبق للسلطان اصلاحها سنة ٨٧٥ هـ حسب ما ورد في هذا النص موضوع الدراسة قد توقفت وحصل لأهل مكة على حد قول ابن اياس الضرر الشامل بسبب ذلك .[٦]

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ١٤٥ .
(٢) السمهودى : وفاء الوفا ج ٢ ص ٦٤٤ .
(٣) السمهودى : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٤٥ وأنظر : ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٢١١ وأنظر أيضا قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٠٠ ، العصامي : سمط النجوم العوالى ج ٤ ص ٤٥ .
(٤) العز بن فهد : بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى حوادث سنة ٨٨٨ هـ ورقة ٢٠ .
(٥) العز بن فهد : المصدر نفسه حوادث سنة ٨٨٩ هـ ورقة ٢٣ ، وأنظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٤٨ .
(٦) ابن اياس : المصدر السابق ج ٣ ص ٢١٩ .

كما أمر السلطان قايتباى باصلاح عين حنين وعين ثقبة وغيرها من العيون في سنة ٨٩٢ هـ وكان المشرف على عمارة هذه العيون سنقر الجمالي أيضا حيث أمر ثلاثين من العمال بالتوجه الى اصلاح هذه العيون ووصل ماء هذه العيون الى البازان الذى بالصفا وذلك في الثاني عشر من ذى القعدة من هذه السنة[١] وأنشئ صهريج لحفظ الماء بين باب النبي صلى الله عليه وسلم وباب مدرسة السلطان التي أنشأها بالقرب من باب السلام وظل هذا الصهريج ينتفع به حتى عهد قريب[٢].

وفي سنة ٨٩٤ هـ أمر السلطان قايتباى بعمارة القبة الكائنة فوق سقاية العباس ومقام الحنفي وقبة زمزم وترصيص المطاف وشرع في عمارتها شاهين الجمالي منذ شهر ربيع الآخر من هذه السنة فهدم قبة السقاية وبدأ بعمارتها فجعلها مثمنة الشكل بعد أن كانت مربعة وجعل لها بابا كبيرا مبنيا بحجارة صفر منحوتة من داخلها وخارجها وجعل في وسطها بركة كبيرة لها شبابيك من حديد وحوضان للشرب وجعل للقبة أربع طاقات لادخال الضوء كما قلع رفرف مقام الحنفي ورفع سقفه وجعل له رفرفا جديدا كما هدم قبة زمزم وأعاد بناءها من جديد ودهن سقف المقام[٣].

وفي سنة ٨٩٨ هـ سقطت صاعقة على المسجد النبوى الشريف فأحرقت جانبا منه فأمر السلطان قايتباى باصلاحه[٤] على وجه السرعة .

---

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٨٩٢ هـ ورقة ٣٨ ، وأنظر:
قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٨٤ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٢٧ ويلاحظ أنه ذكر أن عمارة عين حنين تمت سنة ٨٧٥ هـ والصواب أن العين التى عمرت سنة ٨٧٥ هـ عين عرفة كما ورد بالنص موضوع الدراسة . أنظر:
العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٨٤ .
(٢) عبد القادر ملا قلندر : الخلاصة المفيدة لأحوال عين زبيدة ـ طبع مطبعة أم القرى بمكة سنة ١٣٤٦ هـ ص ١٣ .
(٣) السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، جـ ٦ ص ٢٠٧ وأنظر:
العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٨٩٤ هـ ورقة ٤٦ ، ٤٧ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس جـ ٢ ص ٣٨٨ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ١٣٢ .
(٤) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٢٩٥ .

والواقع أنه كان للسلطان قايتباى اصلاحات كثيرة جدا بالحرمين الشريفين أشرت اليها هنا على سبيل الاختصار حتى نقف عند حدود ما ننشره من نقوش ونصوص ، وقد ورد في النصين عدة ألقاب مثل :

" مالك رقاب الأمم " وقد تحدثت عن لقب " المالك " عند دراسة نص السلطان شعبان المؤرخ بعام ٧٦٦ هـ [١] .

وأود أن أشير هنا الى أن لفظ " المالك " قد أضيف الى كثير من الكلمات لتكوين ألقاب مركبة مثل "مالك البحرين " و " مالك بلاد الله " و " مالك الحرمين الشريفين " و " مالك الدنيا " [٢] وغير ذلك .

أما لقب " مالك رقاب الأمم " الوارد في هذا النص فقد عرف منذ أواخر القرن الخامس الهجرى حين أطلق على أبي المظفر ابراهيم بن مسعود في نص مؤرخ بسنة ٤٩٢ هـ وربما أريد بهذا اللقب ادعاء الحق في السيطرة العالمية التى ظهرت من قبل السلطان السلجوقي ملكشاه ثم أغرم به المماليك بعد ذلك لما في هذا اللقب من معنى القوة والسلطة [٣] .

وورد في النصين لقب " حاوى فضيلتي السيف والقلم " والذى لم أجد له مثيلا عند مؤرخى الألقاب وان كنت أرجح أنه من الألقاب الفخرية فقط وليس له مدلول وظيفي .

وورد في النصين لقب " ظل الله تعالى الممدود على العالم " وقد أضيف لفظ " الظل " الى بعض الكلمات لتكوين ألقاب مركبة وكان معظم هذه الألقاب يشير الى أن صاحب اللقب يلجأ اليه من الجور كما يلجأ الى الظل من حر الشمس .

ومن العبارات التى أضيفت الى الظل لتكوين ألقاب عبارة " ظل الله في الأرض "

---

(١) أنظر ص ٦٩ من هذه الرسالة .
(٢) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٤٤٤ وما بعدها .
(٣) المرجع نفسه : ص ٤٤٦ .

و " ظل الله في الأرضين " و " ظل الله في الخافقين " و " ظل الله في العالم " وغيرها من الألقاب .[١]

وورد في النصين لقب " قامع الكفرة والمشركين " وهو مأخوذ من قمعه أى قهره وأذله وقد أضيف اللفظ الى بعض الكلمات لتكوين ألقاب مركبة مثل " قامع الالحاد والمتمردين " و " قامع البدعة " و " قامع عبدة الأوثان " و " قامع المشركين " الذى يشير الى حروب المسلمين ضد الصليبيين في الشام والأندلس .[٢]

أما لقب " قامع الكفرة والمشركين " فلم يورد له مؤرخوا الألقاب مثيلا الا أني قد عثرت على مثيل له يرجع الى أوائل القرن السابع الهجرى فى نص مسجد عائشة رضي الله عنها بالتنعيم بمكة المكرمة مؤرخ بعام ٦١٩ هـ باسم الملك المسعود بن الملك الكامل الأيوبى (ت ٦٢٧ هـ) .[٣]

وقد ورد فى النصين لقب " محي مآثر الخلفاء الراشدين " وقد سبق أن تحدثت عن لقب " محي " عند دراسة نص السلطان شعبان بن حسين المؤرخ بعام ٧٦٦ هـ[٤] أما لقب " محي مآثر الخلفاء الراشدين " فلم أعثر له على مثيل - على حد علمى - عند مؤرخي الألقاب مما يجعل نصنا هذا المؤرخ بعام ٨٧٥ هـ أحد النصوص الأثرية التى تمدنا بوثيقة لقبية لم تكن معروفة من قبل .

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٨٤ - ٣٨٦ .
(٢) حسن الباشا : المرجع السابق ص ٤٢٤ وما بعدها .
(٣) محمد فهد الفعر : تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى ص ٣٣٩ .
(٤) أنظر ص ٧١ من هذه الرسالة .

لوحة (١٩)

المكان : متحف آثار الحرم المكي
الرقم : بدون
النوع : لوح حجرى مربع الشكل تقريبا تتوسطه دائرة هى عبارة عن رنـك[1] كتابى للسلطان قايتباى (ت ٩٠١ هـ) ينقسم الى ثلاثة أقسام شطب فى الوسط وقسمان أعلى وأسفل يفصل كل منهما عن الشطب خط بارز أما بقية وجه اللوح الحجرى خارج الرنك فتشغله زخارف نباتية فى زواياه الأربع كما يتصل الرنك بدائرتين صغيرتين فى أعلاه وفى أيمنه على هيئة عراوى كما تسمى فى مصطلح الزخارف المملوكية وتتفرع زخارف نباتية من داخل دائرة الرنك بحيث تشكل أرضية نباتية للسطر الأسفل .
المقاس : مقاس اللوح الحجرى كاملا = ٦٢ × ٦٠ سم وقطر الرنك = ٥٠سم وعرض الخطين (الشريطين) البارزين الفاصلين للشطب عن بقية النص = ٢٫٥ سم .
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث
التاريخ : بدون
عدد الأسطر : ثلاثة سطور تقرأ ابتداء من الشطب فى الوسط ثم من أعلى الى أسفل

" النص "

١ - عز لمولانا السلطان الملك الأشرف
٢ - أبو النصر قايتباى
٣ - عز نصره

---

(١) سبق أن شرحت معنى كلمة رنك والفرق بين الرنك الكتابى وغيره من الرنوك عند الحديث عن نصوص السلطان فرج بن برقوق المؤرخة بعام ٨٠٤ هـ . أنظر ص ١١٥ من هذه الرسالة .

ولم يشر أحد من مؤرخي مكة قديما وحديثا لهذا النص وموقعه سوى باسلامة عند حديثه عن باب مدرسة السلطان قايتباى بالجانب الشرقي من المسجد الحرام وذلك بقوله :

" وقد كتب على هذا الباب من خارجه مما يلي شارع المسعى بالخط البارز نقرا على الحجارة : (لمولانا السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى)".[(١)]

ويلاحظ على ما أورده باسلامه عن هذا النص ما يلي :

١ - انه قد أسقط كلمة "عز" الواردة في أول الشطب (السطر الأوسط) .

٢ - لم يوضح باسلامه ما اذا كان هذا النص قد كتب داخل دائرة (رنك) أو مستطيل أو غير ذلك مع أنه أشار الى ان بعض عبارات النقوش الموجودة على هذا الباب قد كتبت داخل دائرة .

٣ - يلاحظ أنه لم يحدد مكان هذا النقش تحديدا دقيقا بل اكتفى بالقول بأنه كتب على الباب من الخارج مما يلي المسعى وهل كان هذا النص بالذات على يمين الباب من أعلاه أو على يساره مع أنه قد حدد مواقع الكتابات والنقوش الأخرى وذلك بقوله :

" وكتب أيضا بأسفل هذه الكتابة في جوف دائرتين أحدهما على يمين الداخل والأخرى على يساره فكتب داخل الدائرة اليمنى (اللهم أنصره نصرا وأعزه) وكتب داخل اليسرى (وافتح له فتحا مبينا) وكتب على الجدار القائم عليه الباب المذكور من الجهة اليمنى (... ولم يخش الا الله فعسى أولئك) ومن الجهة اليسرى (أن يكونوا من المهتدين) صدق الله العظيم (أمر بانشاء هذه المدرسة مولانا السلطان الملك المظفر أبو النصر قايتباى وكل ذلك بالخط البارز نقرا على الحجارة ".[(٢)]

---

(١) حسين باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧١ .

(٢) المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

واستنادا على ما ذكره حسين باسلامه عن هذه الكتابات والنقوش الموجودة على باب مدرسة السلطان قايتباى فان نصنا هذا المحفوظ حاليا بمتحف آثار الحرم المكى كان على باب مدرسة السلطان قايتباى .

وقد قام الأستاذ اسماعيل أحمد اسماعيل بنشر مقال فى مجلة العرب بعنوان : " مدرسة السلطان قايتباى فى المسجد الحرام "[1].

وقد سبق أن أشرت الى هذا المقال عند دراسة نص السلطان قايتباى الخاص بعمارة عين عرفه سنة ٨٧٥ هـ وذكرت أن وصفه لباب المدرسة والكتابات الموجودة عليه يفتقر الى الدقة لأن حديثه عن هذه الكتابات والنقوش كان حديثا وصفيا دون توثيقه بالمستندات الفتوغرافية نظرا لما لهذه الصور من أهمية فى الوقوف على مدى صحة قراءة النصوص وأهميتها أيضا فى تحديد المكان الذى كان يقع فيه النص[2].

ومن ناحية أخرى فهو يذكر أن الكتابات والنقوش الموجودة على باب مدرسة قايتباى موجودة داخل مستطيلات ومنها بالطبع هذا الرنك الذى أنشره هنا وهو خطأ لأن الرنك كما هو معروف دائرى الشكل وينقسم الى شطب فى الوسط وقسمين آخرين فى أعلى الشطب وفى أسفله وليس صحيحا ما يذكره من أن النص داخل مستطيل .

ويلاحظ أيضا أنه وصف أسطر هذا الرنك بأنها ثلاثة صفوف داخل جامة كبيرة[3] والصواب أن النص بأسطره الثلاثة داخل دائرة وليس داخل جامة كما يذكر .

ويلاحظ أيضا بأنه وصف خط هذه النصوص ومنها نص هذا الرنك بأنه نسخى مملوكى[4] مع أنه حجازى من نوع الثلث .

---

(١) اسماعيل أحمد اسماعيل حافظ : " مدرسة السلطان قايتباى فى المسجد الحرام " مجلة العرب عدد يوليو ١٩٧٩م ص ٨٢ - ٩٥ .
(٢) أنظر ص ٢٤٥ من هذه الرسالة - حاشية رقم (٢)
(٣) اسماعيل أحمد اسماعيل : المرجع السابق ص ٩١ .
(٤) نفس المرجع ونفس الصفحة .

ويظهر من وصفه لباب مدرسة السلطان قايتباى بأن له عدة فتحات يتضح ذلك من قوله :

" والباب ذو مصراعين يحمل نقوشا كتابية وأخرى زخرفية يتوسطها باب حجرى يكتنفه عمودان حجريان هو باب المدرسة "[1].

ووصفه هذا يوهم بأن باب مدرسة السلطان قايتباى يعتبر أحد الأبواب الرئيسية للمسجد الحرام مع أن باب مدرسة السلطان قايتباى ليس سوى خوخة أو فتحه صغيرة فتحت للتيسير على مرتادى المدرسة الوصول الى المسجد والمسعى بسهولة ولا أقول ذلك اعتباطا بل ان المؤرخين الذين تحدثوا عن أبواب المسجد الحرام مثل ابن ظهيرة القرشي[2] وقطب الدين الحنفى[3] وعبد الكريم القطبى[4] لم يدرجوا هذا الباب ضمن أبواب المسجد الحرام .

بل ان الأسدى المتوفى سنة ١٠٦٦ هـ صرح بأن باب مدرسة قايتباى وغيره من أبواب المدارس لا تعد من أبواب المسجد الحرام وذلك بقوله :

" قلت وقد بقيت ثلاثة أبواب تنفذ الى المسجد ولا تعد من أبوابه ، بباب بمدرسة السلطان قايتباى وباب بمدرسة السلطان سليمان وباب بمدرسة داود باشا"[5] كما ان ابراهيم رفعت وصف باب هذه المدرسة بأنه خوخه ولا سلم فيه[6] .

ويلاحظ أيضا أن الأستاذ اسماعيل عند وصفه للنصوص بأن النص الواحد مقسوم الى قسمين بقوله :

" الكتابة تبدأ من على المصراع الأيمن تكتمل فيما يماثلها على المستطيلات بالمصراع الأيسر "[7]. وهو خطأ لأن نص الرنك الذى ننشره هنا جاء كاملا فى هذه اللوحة وليس مقسما على المستطيلات التى ذكرها .

---

(١) اسماعيل أحمد اسماعيل : المرجع السابق ص ٩١ .
(٢) ابن ظهيره القرشي : الجامع اللطيف ص ٢١٧ وما بعدها .
(٣) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٣٤٨ - ٣٥٠ .
(٤) عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الأعلام ص ١٢٦ .
(٥) الأسدى : أخبار الكرام ص ١٧١ .
(٦) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٣٠ .
(٧) اسماعيل احمد اسماعيل : المرجع السابق ص ٩١ .

يلاحظ أنه ذكر أن النقوش والكتابات التي على باب مدرسة السلطان قايتباى جاءت داخل مستطيلات ثلاثة علوى وأوسط وسفلى[1] والمستطيل الأوسط هو الذى يتضمن نص الرنك الذى أنشره هنا ولذلك فربما كان موقع هذا الرنك على يسار الداخل الى المسجد الحرام وبذلك نكون قد حددنا موقع هذا الرنك فى مكانه الأصلى .

ويلاحظ أيضا أن الأستاذ اسماعيل ذكر أن موضع باب مدرسة السلطان قايتباى يقابل الباب الثانى بعد باب السلام وباب النبى[2] .

والواقع أن باب مدرسة السلطان قايتباى لا يقابل الباب الثاني كما يذكر بل ان هذا الباب يقع على وجه التحديد فى الجهة الشرقية من المسجد الحرام بين باب السلام وباب النبى صلى الله عليه وسلم اذ أنه يأتي فى ترتيب الأبواب من الشمال الى الجنوب على النحو التالي :

١ - باب السلام .

٢ - باب مدرسة قايتباى .

٣ - باب النبى صلى الله عليه وسلم .

٤ - باب العباس بن عبد المطلب .

٥ - باب علي .

يتضح ذلك من الترتيب الذى أورده كل من باسلامه[3] وابراهيم رفعت[4] كما يتضح بجلاء من الخرائط التى رسمتها مصلحة المساحة المصرية للمسجد الحرام قبل توسعته الأخيرة وذلك فى سنة ١٩٥٢م[5] .

---

(١) اسماعيل أحمد اسماعيل : المرجع السابق ص ٩١ .

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة .

(٣) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٦٩ - ١٧٤ .

(٤) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٥) أنظر الخريطة فى لوحة رقم (٢٠) .

لوحة رقم (٢١)

المكان : مسجد الاجابة بحي المعابدة بمكة المكرمة بجوار مركز شرطة النجدة حاليا .
الرقم : بدون
النوع : لوح من الرخام مستطيل الشكل ملصق بجدار القبلة من الداخل على يمين المحراب وهو عبارة عن لوحة تأسيسية لعمارة هذا المسجد .
المقاس : ٤٤ × ٢٥ سم .
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث .
التاريخ : يوم الأحد ١١ صفر سنة ٨٩٨ هـ .
عدد الأسطر : ثمانية سطور يفصل بين كل سطر وآخر خط بارز

يوجد هذا النص بمسجد الاجابة بحي المعابدة ويقع هذا المسجد الى الشمال الشرقي من مبنى امارة منطقة مكة المكرمة على يسار الذاهب الى منى والطائف مع انحراف قليل عن الطريق العام .

وقد وضع هذا النص على يمين المحراب بارتفاع عن مستوى أرض المسجد يبلغ حوالي ١٫٢٥ متر . ولم يشر أحد من مؤرخي مكة قديما وحديثا الى هذا النص الا ما ذكره الأستاذ سيد عبد المجيد بكر بقوله " وتوجد لوحتان تاريخيتان في جدار المحراب نقلتا من مبناه القديم ثبتت اللوحة الأولى على يمين المحراب على ارتفاع يزيد قليلا عن المتر ومدون بها تاريخ عمارة أجريت للمسجد في سنة ثمانمائة وثمان وتسعين هجرية والثانية على يسار المحراب وتشير الى عمارة أجريت للمسجد في عهد السلطان عبد الحميد العثماني ".(١)

ويلاحظ من خلال هذا الوصف أن الأستاذ المذكور أشار لتاريخ النص فقط دون قراءة ودون معرفة صاحب العمارة التى نقشت بسببها هذه اللوحة التأسيسية ، أما

---

(١) سيد عبد المجيد بكر : أشهر المساجد فى الاسلام جـ ١ - البقاع المقدسة - مطابع سحر بجدة ١٤٠٠ هـ ص ١٠٥ وما بعدها .

اشارته للنص الثاني الواقع على يسار المحراب من أنه يرجع الى عهد السلطان عبد الحميد العثماني فهي اشارة خاطئة لأن النص يرجع الى عهد السلطان أحمد الثالث العثماني ١١١٥ هـ - ١١٤٣ هـ وتاريخه يرجع لسنة ١١٣٤ هـ وسوف أقوم بنشره ان شاء الله مع مجموعة أخرى من النصوص فى أقرب فرصة .

ويلاحظ على هذا الوصف أيضا أنه ذكر أن هاتين اللوحتين نقلتا من مبنى المسجد القديم وثبتتا فى مكانهما الحالي[1] دون توضيح للمكان الأصلى لهاتين اللوحتين فى المبنى القديم ودون ذكر للمصدر الذى استقى منه هذه المعلومات .

" النص "

١ - بسم الله الرحمن الرحيم ان الأبرار يشربون من كأس

٢ - كان مزاجها كافورا[2] أمر بانشاء هذا المعروف المبارك

٣ - [ا] لعبد الفقير الى الله تعالى الراجي عفو ربه الكريم سنقر

٤ - [ب]ـن عبد [ا]لله الجمالي ناظر الحسبة الشريفة وشاد العمائر السلطانيـة

٥ - [وجمـ]ـيع ذلك من الوظائف الدينية أعز الله أنصاره وختم بالصالحات

٦ - [ا] عماله [بـ]ـمحمد وآله بتاريخ يوم الأحد المبا[ر]ك[3] الحادى عشر شهـ[ر] صفـ[ـر]

٧ - [ا] لأغر أحد شهور سنة ثمان وتسعين وثمانمائة[4] من الهجرة النـ[ـبويه]

٨ - علـ[ى] [ص]ـاحبها أفضل الصلوات وأكمل التسليـ[ـما ت]

---

(١) سيد عبد المجيد بكر : المرجع السابق ص ١١٠

(٢) سورة الانسان : آية رقم ٥ .

(٣) يلاحظ ان الخطاط هنا قد نسي أن يكتب حرف " الراء " فى كلمة " المبارك " كما اضطر تحت ضغط المساحة الضيقة المخصصة للكتابة أن يجعل حرف الكاف فى "المبارك" يقرأ على وجهين فيقرأ كافا فى " المبارك " كما يقرأ " لاما " فى كلمة " الحادى " فلجأ الى هذا الحل.

(٤) يلاحظ أن الخطاط هنا قد أهمل كتابة " النون " فى كلمة " ثمانمائة " واكتفى تحت ضغط المساحة الضيقة المخصصة للكتابة لوضع نون واحدة هي نون " ثمان " فى كلمة " ثمان وتسعين " على أن تقرأ مرتين مرة فى ثمان وتسعين ومرة أخرى فى ثمانمائة .

وقد ورد في النص اسم سنقر بن عبد الله الجمالي الآمر بهذه العمارة وقد تحدثت عن سنقر هذا وأوردت له ترجمة من واقع المصادر المعاصرة له وأوضحت أيضا الوظائف التى تقلدها سنقر الجمالي بمكة عند دراسة نص عمارة السلطان قايتباى لعين عرفة المؤرخ بعام ٨٧٥ هـ[1].

وأول من أشار لهذا المسجد الأزرقي (ت حوالى سنة ٢٥٠ هـ) وذلك عند ما تحدث عن شعب آل قنفد بقوله : " شعب آل قنفد : هو الشعب الذى فيه دار آل خلف بن عبد ربه بن السايب مستقبل قصر محمد بن سليمان وكان يسمى شعب اللئام وهو قنفد بن زهير من بنى أسد وهو الشعب الذى على يسارك وأنت ذاهب الى منى من مكة فوق حايط خرمان وفيه اليوم دار الخلفيين من بنى مخزوم وفى هذا الشعب مسجد مبنى يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه وينزله اليوم فى الموسم الحضارمه "[2].

ويلاحظ من خلال نص الأزرقي هذا أنه لم يذكر أول من بنى هذا المسجد ، كما يلاحظ أن الأزرقي لم يطلق عليه اسم مسجد الاجابة كما عرف فيما بعد ، وقد بذلت قصارى الجهد فى البحث عن هذه التسمية عند المؤرخين والرحالة الذين تحدثوا عن مكة المكرمة والأماكن المأثورة بها فوجدت أن أول من أورد هذه التسمية هو تقي الدين الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ وذلك بقوله : " ومن ذلك مساجد خارج مكة من أعلاها منها المسجد الذى يقال له مسجد الاجابة على يسار الذاهب الى منى فى شعب بقرب ثنية أذاخر[3] وهو مسجد مشهور يقال ان النبى صلى عليه وسلم صلى فيه "[4].

---

(١) أنظر ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ من هذه الرسالة .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٨٧ .

(٣) ثنية أذاخر : والثنيه هي المسلك بين جبلين وثنية أذاخر هي التى تشرف على حايط خرمان وهى التى دخل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، وأذاخر هو الجبل الذى يشرف على الأبطح من الشمال ويتصل بالحجون من الشرق ويقال لأذاخر أذخر وهو الذى ورد فى شعر بلال بن رباح رضي الله عنه بقوله :
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بفخ وحولي أذخر وجليل
أنظر : الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٨٩ ، عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التاريخية والأثرية ص ٢٢ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٢٦١ ، العقد الثمين جـ١ ص ٩٥ ، الزهور المقتطفة ورقة ٤٨ .

مما يدل على أن هذه التسمية قد أطلقت على هذا المسجد فى عصور متأخرة وربما أن الفاسي قد عرف اسم هذا المسجد من واقع النص الذى رآه بهذا المسجد وأشار اليه بقوله :

" وهذا المسجد الآن متخرب جدا وجدرانه ساقطه الا القبلى وفيه حجر مكتوب فيه أنه مسجد الاجابة وأن عبد الله بن محمد عمّره فى سنة عشرين وسبعمائة وما عرفت عبد الله بن محمد المشار اليه ...".(١)

ويلاحظ أيضا أن الفاسي لم يذكر أول من عمّر هذا المسجد كما أنه لم يعرف شيئا عن عبد الله بن محمد الذى عمّر هذا المسجد فى سنة ٧٢٠ هـ .

ومهما يكن من أمر فان تقى الدين الفاسي هو خير من أمدنا بمعلومات عن هذا المسجد فقد أشار الى ما ذكره الأزرقي ثم وصف هو حالة بناء المسجد فى عصره بل قام بذرعه مشيرا الى ما جرت به عادة الناس فى عصره من زيارة لهذا المسجد صباح أول يوم سبت من شهر ذى القعدة من كل سنة ومبينا أنه لا يعرف سببا لذلك يتضح ذلك من قوله : " وطول هذا المسجد من الجدار الذى فيه محرابه الى الجدار المقابل له ثمانية عشر ذراعا بذراع الحديد وعرضه كذلك وحرر ذلك بحضورى وكثير من الناس يقصدون زيارة هذا المسجد فى بكرة أول سبت من شهر ذى القعدة الحرام كل سنة وما عرفت سبب مثابرتهم على زيارته فى هذا اليوم والله أعلم ".(٢)

وقد علق الأستاذ سيد عبد المجيد بكر على ذراع الحديد الذى اعتمده الفاسي بأن هذا الذراع يساوى ٥٦ سم وأن مساحة المسجد فى عصر الفاسي تساوى حوالي مائة متر مربع .(٣)

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٢٦٢ .
(٣) سيد عبد المجيد بكر : المرجع السابق ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

والصحيح أن ذراع الحديد يساوي ١٨٧ر٥٨ سم على وجه التحديد[(١)] وبذلك تكون مساحة المسجد في عصر الفاسي حسب النظام المترى المعتمد في العصر الحاضر ١٨٨/٥٢/٥٨٨ متر مربع وليس مائة متر مربع كما أشار الأستاذ سيد بكر .

وقد أشار لهذا المسجد أيضا بعد عصر الفاسي كل من ابن الضياء الحنفي المتوفي سنة ٨٥٤ هـ وابن ظهيرة القرشي الذى ألف كتابه سنة ٩٤٩ هـ وكلاهما نقل عن الفاسي دون أية اضافة[(٢)] .

أما قطب الدين الحنفي المتوفي سنة ٩٨٨ هـ فقد نقل أيضا عن الفاسي ولكن باختصار شديد ثم أضاف بقوله " وعمّر قريبا ثم انهدم وبنى حوله العربان بيوتا وهم يصلون فيه ويصونونه الا أنه يحتاج الى أعظم من هذا "[(٣)] .

ويلاحظ أن عبارة " وعمّر قريبا " الواردة في نص قطب الدين الحنفي تفتقد الى الدقة لأنه لم يحدد التاريخ الذى عمّر فيه المسجد وربما أراد بذلك هذه العمارة التى أمر بها سنقر الجمالي دون معرفة لمن عمّر المسجد فاقتصر على القول بأنه عمّر قريبا .

وجاء بعد قطب الدين الحنفي ابن أخيه عبد الكريم القطبى المتوفى سنة ١٠١٤هـ الذى اقتصر على ما أورده عمّه قطب الدين الحنفى وان كان قد أضاف بأن هذا المسجد هو بالمعابدة وهو بطرف الأبطح[(٥)] .

---

(١) فالتر هنتس : المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المترى - ترجمة كامل العسلي - منشورات الجامعة الأردنية - عمّان ١٩٧٠م ص ٨٧ .

(٢) ابن الضياء الحنفي : البحر العميق ورقة ٩٢ ب وأنظر :
ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٣٣٢ .

(٣) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٣٦٨ .

(٤) عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١٦١ .

(٥) الأبطح : ويعرف أيضا بالبطحاء وهو ما انبطح من الوادى واتسع وكل مسيل فيه دقاق الحصى فهو ابطح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل به وهو المحصب وقد عرف بعدة أسماء مثل المحصب والبطحاء والمعابده كما هو معروف اليوم نسبة الي امرأة كانت تسكن به تسمى أم عابد - أنظر :
الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ طبعة دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ص ٦٢ ، عاتق البلادى : معجم معالم الحجاز جـ ١ - طبعة نادى الطائف الأدبى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص ٣١ ، معالم مكة التاريخية والأثرية ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

والمهم هنا من هذا الاستعراض لأقوال المؤرخين هو أنه لم يشر أحد منهم اشارة صريحة لعمارة سنقر الجمالي لمسجد الاجابة سنة ٨٩٨ هـ الواردة في هذا النص موضوع الدراسة .

وهنا تبرز أهمية النقوش والكتابات على العمائر الاسلامية وخاصة في الحجاز فهي تظهر لنا في كثير من الأحيان حقائق قد لا نجدها في المؤلفات التاريخية وهو ما سبق أن أشرت اليه عند دراسة نصوص السلطان اينال المؤرخة بعام ٨٥٨ هـ .(١)

وقبل أن أختم حديثي عن نص مسجد الاجابة أود آن أشير الى أن هذا المسجد قد عمّر عمارة شاملة في سنة ١٣٩٤ هـ بأمر المغفور له الملك فيصل رحمه الله .(٢)

وقد ورد في النص لقب :

ناظر الحسبة الشريفة : وهو المحتسب وكان يقال له أيضا والي الحسبة أو متولي الحسبة .(٣)

وكان المحتسب موظفا دينيا يسند اليه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووظيفة المحتسب وظيفة اسلامية صرفه نشأت اختصاصاتها في صدر الاسلام وتحددت وظهر اسمها في العصر العباسي ثم أخذت تتسع هذه الاختصاصات على طول التاريخ في الدول الاسلامية المختلفة وأصبحت وظيفة المحتسب في العصر المملوكي الوظيفة الخامسة بين الوظائف الدينية الرفيعة الشأن وكان لصاحبها مجلس يحضره السلطان بدار العدل .(٤)

وورد في النص لقب : شاد العمائر السلطانية

وشاد العمائر احدى الوظائف التي كان يشغلها عسكريون بحضرة السلطان المملوكي وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثا على العمائر السلطانية مما يختار السلطان

---

(١) أنظر ص ١٧٥ وما بعدها من هذه الرسالة .
(٢) أنظر عن هذه العمارة : سيد عبد المجيد بكر : المرجع السابق ص ١٠٧ ومابعدها .
(٣) حسن الباشا : الفنون والوظائف جـ ٣ ص ١٢٠١ .
(٤) المرجع نفسه : نفس الجزء ص ١٠٢٧ ، ١٠٣٦ .

احداثه أو تجديده من القصور والمنازل والأسوار والمساجد وغير ذلك.[١]

وكان شاد العمائر يختار من العارفين بأمور الهندسة والبناء وذوى الأمانة والعفة وحسن السياسة .[٢]

ويلاحظ أن هذا النص موضوع الدراسة قد أشار صراحة الى أن وظيفة ناظر الحسبة ووظيفة شاد العمائر السلطانية من الوظائف الدينية ولذلك فان هذا النص يعتبر على جانب كبير من الأهمية عند تصنيف الوظائف الاسلامية وربما كان هذا النص أحد النصوص القليلة والنادرة التي أشارت الى ذلك .

. . . . . .

---

(١) حسن الباشا : الفنون والوظائف ج ٢ ص ٦١٦ وما بعدها.
(٢) المرجع نفسه : نفس الجزء والصفحة .

تحليل

نصوص السلطان قايتباى الخاصة بعمارة عين عرفة المؤرخة بعام ٨٧٥ هـ ونص رنك السلطان قايتباى المحفوظ بمتحف آثار الحرم المكي الشريف ونص انشاء مسجد الاجابة بمكة المكرمة المؤرخ بعام ٨٩٨ هـ لوحات (١٧، ١٨، ١٩، ٢١)

١ - نقشت جميع هذه النصوص بالخط الحجازى اللين البارز من نوع الثلث وقد بذل خطاطوا هذه النصوص جهدا كبيرا من حيث جودة الكتابة واتقانها بحيث تعتبر من النماذج الخطية الحجازية الجيّدة التى نقشت فى العصر المملوكي خاصة عند مقارنتها بكثير من النصوص الحجازية التى سبق أن أشرنا اليها فى أكثر من موضع من هذه الدراسة مما يجعلنا نقرر مرة أخرى أن هناك مجموعة من الخطاطين الحجازيين قد بلغت كتاباتهم درجة كبيرة من الاتقان لا تقل بأى حال من الأحوال فى جودتها عن الكتابات والنقوش خارج منطقة الحجاز وخاصة مصر مركز السلطنة المملوكية التي بلغ الخط الثلث فيها أوج ازدهاره سواء من حيث الكتابة أو من حيث وضع قواعد ومعايير لضبط هذا النوع من الخط .

كما أن شهرة الخطاط أو النقاش الحجازى لم تقتصر على الكتابة فقط بل تعداها الى ابتكار أنواع عديدة من طرق التنفيذ سبق أن أشرنا اليها فى مواضعها .

والواقع أن الكتابة الحجازية بدأت تأخذ طابع الجودة والاتقان فى سائر الكتابات منذ النصف الأول من القرن التاسع الهجرى لأنه كما سبق أن أشرنا فى عدة مواضع أن جميع النصوص الحجازية التى كتبت فى هذه الفترة تتميز بخطها المتقن الجيد ومن هذه النصوص نصوص السلطان قايتباى موضوع الدراسة .

٢ - قام الخطاط الحجازى بنقش نصين تأسيسيين لعمارة عين عرفه فى عهد السلطان قايتباى سنة ٨٧٥ هـ بدلا من نص واحد وهما النصان المحفوظ أحدهما بالمعسكر الكشفى الدائم بمكة المكرمة وأنشره هنا لأول مرة (لوحة ١٧)والثاني محفوظ بمتحف قسم الحضارةوالنظم الاسلامية بجامعة أم القرى وقام بنشرهالدكتور

أنور شكرى وأنشره هنا مرة أخرى نشرا علميا صحيحا كما سبق أن أشرت. والواقع أن الخطاط الحجازى قد دأب فى كثير من الأحيان على كتابة أكثر من نص تأسيسي لعمارة واحدة مما يدل على حرصه على ابراز أهمية العمارة التى تمت فى عهد سلطان من السلاطين أو خليفة من الخلفاء أو ملك من الملوك وقد ظهر تعدد النصوص التأسيسية لعمارة واحدة فى النصوص الحجازية منذ القرن الثاني الهجرى ومن أمثلة ذلك نصي مسجد البيعة المؤرخ أحدهما بعام ١٤٤ هـ [(١)]، ونصي عين عرفه المؤرخين بعام ٥٩٤ هـ [(٢)] كما ظهرت فى العصر المملوكي ميدان دراستنا هذه مثل نصوص السلطان شعبان المؤرخة بعام ٧٧٢ هـ ونصوص السلطان فرج المؤرخة بعام ٨٠٤ هـ ونصوص السلطان اينال المؤرخة بعام ٨٥٨ هـ واستمر تعدد النصوص التأسيسية لعمارة واحدة حتى نهاية العصر المملوكي كما هو الحال فى نصوص السلطان قانصوه الغورى الخاصة بتجديد مقام ابراهيم المؤرخ أحدها بعام ٩١٥ هـ والتى سوف نقوم بدراستها وتحليلها فى الصفحات القادمة .

٣ - لقد حدد نصا السلطان قايتباى الخاصين بعمارة عين عرفه المؤرخين بعام ٨٧٥هـ المدّة التى استغرقت فى تعمير هذه العين حيث بدأت هذه العمارة فى شهر ربيع الآخر سنة ٨٧٥ هـ وانتهت فى شهر رجب من نفس السنة كما ورد بالنصين وعبّر النصان عن هذه المدة بقولهما " يقارب احصاؤها أشهر العدّة " .

كما أن نص مسجد الاجابة الذى عمّره سنقر الجمالي المؤرخ بعام ٨٩٨ هـ قد حدّد انتهاء مدة التعمير باليوم وتاريخ هذا اليوم وبالشهر والسنة وهو يوم الأحد ١١ صفر ٨٩٨ هـ .

٤ - ورد فى نصي عين عرفه اسم المباشرين لهذه العمارة وهما شاهين الجمالي وشقيقه سنقر الجمالي الذى قام فى سنة ٨٩٨ هـ بعمارة مسجد الاجابة ونقوم هنا بنشر النص التأسيسي لهذه العمارة لأول مرة .

---

(١) محمد فهد الفعر : تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى - لوحة (٢٧) ص ١٨٩ وما بعدها .
(٢) المرجع نفسه : لوحة (٥٨ ، ٥٩) ص ٣١٠ وما بعدها .

٥ - لم يقتصر الخطاط الذى كتب نص مسجد الاجابة التأسيسي على ذكر اسم الوظائف التى كان يشغلها سنقر الجمالي فى ذلك الوقت وهي وظيفة ناظر الحسبة ووظيفة شاد العمائر السلطانية بمكة وانما أشار أيضا الى أن هاتين الوظيفتين هما من الوظائف الدينية وذلك حسب تصنيف الوظائف فى العصر المملوكي .

٦ - يلاحظ أن أسطر نص عين عرفه المؤرخ بعام ٨٧٥ هـ المحفوظ حاليا بالمعسكر الكشفي بمكة والذى أنشره هنا لأول مرة تكاد تكون متساوية فى عدد الكلمات وأستطاع الخطاط أن يوفق بين مساحة اللوح المهيأة للكتابة وبين النص المراد نقشه ولم يضطر الى وضع هوامش جانبية أو علوية اللهم الا فى جملة صغيرة هي بقية التصلية حيث وضع لها هامشا صغيرا فى أسفل النص فى حين أن نص عين عرفه المكسورة بعض أجزائه الذى نشره الدكتور أنور شكرى جاء غير متساوى السطور كما أن حجم الكلمات فى أعلى النص جاءت كبيرة الحجم بينما جاءت الكلمات صغيرة الحجم فى أسفل النص كما أن الخطاط الذى كتب هذا النص لم يراع المساحة المخصصة للكتابة على اللوح مما جعله يضطر الى كتابة بقية النص فى سطرين هامشيين فى يمين النص تحتوى على اسم المباشرين اللذين أشرفا على العمارة وتاريخ هذه العمارة والتصلية .

والحقيقة أن ظهور الهوامش فى النقوش والكتابات الحجازية قد بدأ منذ وقت مبكر جدا فقد ظهرت فى نقوش مبارك المكي المؤرخة بعام ٢٤٣، ٢٤٦هـ (١) وظهرت فى نقوش أخرى ترجع الى أواخر القرن السادس الهجرى وأوائل القرن السابع الهجرى كما هو الحال فى نقوش عبد الرحمن بن أبي حرمي المؤرخة بأعوام ٥٨٣ هـ ، ٥٨٤ هـ ، ٥٩٤ هـ ، ٦٠٥ هـ ، ٦١٤ هـ (٢) ثم ظهرت فى النقوش الحجازية فى العصر المملوكي مثل نقش السلطان اينال الثاني غير المؤرخ الذى سبق لنا دراسته .

---

(١) محمد فهد الفعر : تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى - لوحة (٣٧ - ٣٩) ص ٢١٩ وما بعدها .

(٢) المرجع نفسه : لوحات (٥٧، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢) ص ٣٠٢ - ٣١٨ ، ٣٢٣ - ٣٢٨ .

٧ - نقشت البسملة فى نص عين عرفة المحفوظ بالمعسكر الكشفى بمكة المكرمة والتابع لوزارة المعارف داخل عقد مفصص ورسم فى أسفل صنجة العقد مشكاة فوق البسملة التى نقشت على أرضية نباتية عبارة عن فروع ملتوية وأغصان تخرج منها وريدات صغيرة أما بالنسبة لنص عين عرفة الذى نشره الدكتور أنور شكرى فلم نجد هذه الأرضية النباتية كما أن فقدان جزء من البسملة بفقدان الجزء المكسور من اللوح يجعلنا لا نستطيع أن نعطي وصفا لهذه البسملة سوى أنها نقشت داخل عقد مفصص كما هو واضح من الأجزاء التى سلمت من الكسر وان كان يبدو أن الخطاط قد اقتصر فى الزخرفة على رسم فرع نباتي صغير على يمين البسملة بحيث لا يتصل بالكتابة ولا يشكل أرضية نباتية لها .

٨ - ورد نص رنك السلطان قايتباى الحجازى على هيئة شطب فى الوسط نقشت به عبارات دعائية وبعض ألقاب السلطان قايتباى وهي " عز لمولانا السلطان الملك الأشرف " .

وقسم أعلى نقش به اسم السلطان وكنيته وهي : " أبو النصر قايتباى " .

وقسم أسفل نقش به عبارة " عز نصره " بينما نجد أن رنوك السلطان فرج بن برقوق الحجازية التى سبق أن أشرنا اليها قد نقش بها اسم السلطان فرج فى القسم الأعلى ونقش فى القسم الأسفل اسم أبيه ولم ترد بهذه الرنوك عبارة " عز نصره " ولذلك نجد أن رنك السلطان قايتباى هذا يتفق فى مضمونه وترتيب عباراته مع كثير من الرنوك المملوكية التى نقشت فى مصر .

ويلاحظ أن رنك السلطان فرج الدائرى الشكل (لوحة ٩) قد نقش به اسم السلطان فى القسم الأعلى واسم أبيه فى القسم الأسفل فوق أرضية نباتية بينما اقتصرت الزخرفة فى رنك السلطان قايتباى موضوع الدراسة على الاطارات الخارجية والتوشيحات وقوام هذه الزخارف فروع نباتية ملتوية تنتهي بوريدات ذات رؤوس مدببة تارة ومفلطحة تارة أخرى وتكون هذه الفروع عند التقاء رؤوسها زهرة كبيرة الحجم نسبيا من ثلاث بتلات مدببة أو معقوفة ويفصل هذه الفروع النباتية عن بعضها دوائر تتصل بالاطار الداخلي للرنك على هيئة عراوى أو حلق كما تظهر وريدات صغيرة الحجم من الطرف الداخلي لاطار الرنك كتلك التى ظهرت تحت كلمة " عز نصره " وتتألف هذه الوريدات من بتلتين مدببتى الرؤوس .

أما بالنسبة لنص الرنك فلم تلحقه أى زخارف أو آرضيات نباتية بعكس ما رأيناه من زخارف فى نص رنك السلطان فرج الدائرى الشكل .

٩ - يلاحظ أن نص عين عرفه المحفوظ بالمعسكر الكشفى لوحة (١٧) قد بدأ بالبسملة وعبارة " وبه ثقتى " بينما بدىء النص الذى نشره الدكتور أنور شكرى لوحة (١٨) بالبسملة والتصلية ولذلك نجد أن الصلاة على رسول الله عليه وسلم وردت فى هذا النص الأخير ثلاث مرات ، مرة بعد البسملة مباشرة ومرة ثانية بعد افتتاحية النص فى السطر الثالث الى السطر الخامس ومرة ثالثة فى الهامش الثاني فى يمين النص بينما وردت فى النص الذى أنشره هنا لأول مرة مرتان فقط الأولى فى السطر الثالث الى السطر الخامس والثانية فى نهاية النص .

. . . . . .

يوجد نصان على عمودين من أعمدة مقصورة مقام ابراهيم الخليل عليه السلام الخشبية يرجع تاريخهما الى عهد السلطان قانصوه الغورى (٩٠٦ هـ - ٩٢٢ هـ) .

وقد سبق أن تحدثنا بالتفصيل عن نصوص أخرى للسلطان اينال (٨٥٧ هـ - ٨٦٥ هـ) موجودة على بعض أعمدة هذه المقصورة كما أشرنا الى أطوال هذه الأعمدة وعرضها وسمك كل عمود عند دراسة نصوص السلطان اينال .(١)

وسوف نتحدث هنا عن نصي السلطان قانصوه الغورى المؤرخ أحدهما بشهر رجب سنة ٩١٥ هـ أما نصوص السلطان سليمان القانوني المؤرخة لعام ٩٤٩ هـ فسوف نتحدث عنها فى مكانها المناسب وفق الترتيب الزمنى لهذه النصوص .(٢)

أما نصي السلطان قانصوه الغورى موضوع الدراسة فان تفصيلهما على النحو التالي :

لوحة (٢٢)

النص الأول :

- المكان : متحف آثار الحرم المكي
- النوع : لوح من الرخام مستطيل الشكل ملصق بالضلع الجنوبي من أضلاع العمود الجنوبي الغربى من أعمدة مقصورة مقام ابراهيم الخشبية القديمة وهو عبارة عن لوحة تأسيسية لتجديد مقام ابراهيم عليه السلام فى عهد السلطان قانصوه الغورى .
- المقاس : ٢١٧ × ٢٥ سم
- التاريخ : شهر رجب الفرد سنة ٩١٥ هـ
- عدد الأسطر : ١٣ سطرا أفقيا
- الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث

---

(١) أنظر ص ١٧٥ وما بعدها من هذه الرسالة .
(٢) أنظر ص ٣٦٠ من هذه الرسالة .

" النص "

١ - أمر بتجديد هذا المقام
٢ - الشريف سيدنا ومولانا
٣ - العبد الفقير الى الله تعالى
٤ - سلطان الاسلام و
٥ - المسلمين قاتل الكفرة و
٦ - المشركين ملك البرين والبحرين
٧ - خادم الحرمين الشريفين
٨ - السلطان المالك
٩ - الملك الأشرف
١٠ - أبو النصر قانصوه
١١ - الغورى عز نصره
١٢ - في شهر رجب الفرد
١٣ - سنة خا [مـ] س عشر وتسعمائه

وقد أشار لهذا النص وقرأه ابراهيم رفعت بقوله :
" وقد رأيت مكتوبا على القبة من الجهة الجنوبية " [(١)].

والواقع أن النص ليس على القبة بل هو على العمود الجنوبى الغربى بالضلع الجنوبى .

وقد أشار باسلامه [(٢)] الى أن هذا النص موجود بالعمود الجنوبى الغربى من الأعمدة الأربعة المقام عليها المقصورة .

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٤٦ .
(٢) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٠٨ .

أما قراءة ابراهيم رفعت لهذا النص فقد وردت على النحو التالى :

" أمر بتجديد هذا المقام الشريف مولانا العبد الفقير الى الله تعالى سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى عز نصره فى ١٥ رجب الفرد سنة ٩٠٠ هـ "(١).

ويلاحظ على هذه القراءة عدة أخطاء منها :

١ - أن التاريخ فى قراءة ابراهيم رفعت هو ٩٠٠ هـ والصواب أن تاريخ النص هو خامس عشر وتسعمائة وهو التاريخ الذى يتفق مع فترة حكم السلطان قانصوه الغورى ٩٠٦ - ٩٢٢ هـ لأن التاريخ الذى ذكره ابراهيم رفعت يتداخل مع فترة حكم السلطان قايتباى ٨٧٢ هـ - ٩٠١ هـ .

٢ - سقطت كلمة " سيدنا " فى قراءة ابراهيم رفعت والصواب اثباتها حيث وردت فى السطر الثانى .

٣ - ورد فى القراءة المذكورة عبارة " فى ١٥ شهر رجب الفرد " والصواب " فى شهر رجب الفرد " فقط لأن ابراهيم رفعت ظن أن كلمة خامس عشر تختص بشهر رجب والصواب أنها خاصة بالسنة فتقرأ هكذا " خا[مـ]س عشر وتسعمائة ".

٤ - أورد ابراهيم رفعت قراءة النص دون مراعاة لبدايات السطور ونهاياتها فى النص ودون ذكر لعدد أسطر النص ونوع المادة التى كتب عليها ونوع الخط ومقاس النص .

وقد أشار لهذا النص حسين باسلامه مرتين الأولى بقوله :

" وقد كتب على الأربعة العمد التى على جوانبها الشبابيك الحديد وفوقها القبة تاريخ باسم السلطان قانصوه الغورى سنة ٩٠٠ هـ وغيره "(٢).

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٤٦ .

(٢) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٠٧ .

وأشار الى هذا النص مرة ثانية بقوله :

" مع أن هذه العبارة مكتوبة على العمود الجنوبي الغربي من الأعمدة الأربعة المقام عليها بيت المقام ... " (١). وذلك عند رده على ابراهيم رفعت الذى سبق أن أشرنا الى حديثه عن موقع النص موضوع الدراسة .

والواقع أن باسلامه قد أخطأ أيضا فى تاريخ النص حيث ذكر أنه مؤرخ بعام ٩٠٠ هـ والصواب أن النص مؤرخ بعام ٩١٥ هـ .

أما محمد طاهر الكردى فقد نقل ما أورده ابراهيم رفعت باختصار وان كان قد أورد تاريخ العمارة ايرادا صحيحا الا أنه لم يشر الى نصي السلطان قانصوه الغورى موضوع الدراسة .

. . . . . .

---

(١) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٠٨ .

(٢) محمد طاهر كردى : التاريخ القويم ج ٤ ص ٤٦ .

لوحة رقم (٢٣)

النص الثانى :

المكان : متحف آثار الحرم المكي

الرقم : بدون

النوع : لوح من الرخام مستطيل الشكل ملصق بالضلع الشرقى من أضلاع العمود الجنوبي الشرقي من أعمدة مقصورة المقام الخشبية وهي عبارة عن لوحة تأسيسية ثانية لتجديد المقام فى عهد السلطان قانصوه الغورى .

المقاس : ٢١٦ × ٢٣ سم

التاريخ : لا يوجد بهذا النص تاريخ وانما اسم السلطان قانصوه الغورى فقط .

عدد الأسطر : ١٢ سطرا أفقيا

الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث

" النص "

١ - أمر بتجديد هذا المقام

٢ - الشريف سيدنا ومولانا

٣ - العبد الفقير الى الله تعالى

٤ - سلطان ا[لا]سلا[م] و

٥ - المسلمين قاتل الكفـ[ر]ه

٦ - والمشركين ملك ال[بر]ين

٧ - والبحرين خاد[م]

٨ - الحرمين الشريفـي[ن]

٩ - السلطان المالـك[ ]

١٠ - الملك الأشـر[ ]ف

١١ - أبو النصر قانصوه

١٢ - الـ[غـورى] عز نصره

وقد ورد في النصين اسم السلطان قانصوه الغوري :

وهو السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه من بيبردي الغوري وهو السلطان السادس والأربعون من ملوك الترك وأولادهم بمصر والسلطان العشرون من ملـــوك الجراكسه [١]، وقيل هو قانصوه بن عبد الله [٢].

والغوري نسبة الى غوري Gori وهي مدينة على نهر غور شمال غربي تفليس وهي قصبه بلاد القفقاس أي بلاد الجركس فهو جركسي الأصل من منطقة الغــــور بجوار بلاد الكرج [٣].

وقيل ان الغوري نسبة الى طبقة الغور وهي احدى الطبقات التي اختصـــت بتعليم مماليك السلطان [٤].

وكان السلطان قانصوه الغوري على جانب من الثقافة خاصة في العلوم الدينيـــة مثل التوحيد والفقه والتفسير وعلوم اللغة العربية وان كانت شهرته بقراءة التاريخ والسير والقصص والشعر والأدب قد طغت على كل ذلك [٥].

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ٢ وأنظر :
الديار بكري : تاريخ الخميس - المطبعة الوهبية - القاهرة ١٢٨٣هـ جـ ٢ ص ٣٨٩، ٣٩٠ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٠٨.

(٢) ابن طولون : مفاكهة الخلان جـ ١ ص ٢٣٧، وأنظر :
نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة جـ ١ ص ٢٩٥، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٨ ص ١١٣.

(٣) عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغوري ص ٤٨.

(٤) الديار بكري : تاريخ الخميس جـ ٢ ص ٣٨٩، ٣٩٠، وأنظر :
ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٨ ص ١١٣.

(٥) يتضح ذلك من الندوات والمناظرات التي كان يعقدها السلطان الغوري والـــتي عرفت فيما بعد باسم " مجالس السلطان الغوري " وقد قام المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام بجمع هذه المناظرات والندوات وترتيبها والتعليق عليها ونشرها ، أنظر :
ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٥ ص ٨٩، عبد الوهاب عزام : مجالس السلطان الغوري طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م ص ٢٧. وأنظر :
محمود رزق سليم : الأشرف قانصوه الغوري - سلسلة اعلام العرب رقم ٥٢ - القاهرة ١٩٦٣م ص ١٧٣ وما بعدها.

والسلطان الغوري هو أحد مماليك السلطان الملك الأشرف قايتباي وهو الذي أعتقه وترقى بعد ذلك في الوظائف الى أن ولي السلطنة في يوم الاثنين مستهل شوال سنة ٩٠٦ هـ[(١)] وظل في سلطنته الى أن دبّ النزاع بينه وبين السلطان العثماني سليم الأول (ت ٩٢٦ هـ) وانتهى هذا النزاع بمعركة مرج دابق الشهيرة بالقرب من حلب والتي أصيب فيها السلطان الغوري بمرض الفالج نتيجة هزيمة عساكره أمام العثمانيين والذي أدى في نفس الوقت الى وفاته في يوم الأحد الرابع أو الخامس والعشرين من رجب سنة ٩٢٢ هـ[(٢)].

والواقع أنه بموت قانصوه الغوري وانتصار العثمانيين وما تبع ذلك من أحداث دخلت البلاد العربية ومن بينها الحجاز مرحلة جديدة من تاريخها وأصبحت الحجاز ولاية عثمانية بعد أن كانت خاضعة للسلطان المملوكي في مصر وأصبحت مصر التي كانت تحكم الحجاز وغيره نيابة بعد أن كان سلطان مصر على حد قول ابن اياس أعظم السلاطين في سائر البلاد قاطبة لأنه خادم الحرمين الشريفين[(٣)].

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ٢ - ٤ وأنظر:
ابن طولون : مفاكهة الخلان جـ ١ ص ٢٣٧ ، نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة جـ ١ ص ٢٩٥ ، الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٣٤٩ ، الديار بكري : تاريخ الخميس جـ ٢ ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، الغزي : الكواكب السائرة جـ ١ ص ٢٩٥ ، محي الدين الطبري : الأرج المسكي ورقة ١٣٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٨ ص ١١٣ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٥ ص ٦٨ وما بعدها ، وأنظر:
ابن طولون : مفاكهة الخلان جـ ٢ ص ٢٣ ومابعدها ، الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٣٦١ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢١١ ، العيدروسي : تاريخ النور السافر ص ١٠٧ ، نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة جـ ١ ص ٢٩٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٨ ص ١١٣ ،

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٥ ص ٢٠٦ .

وكان للسلطان الأشرف قانصوه الغوري عدة اصلاحات بالحرمين الشريفين وطريق الحاج منها :

انشاء سور لمدينة جدة على ساحل البحر الأحمر وجعل فيه عدة أبراج لحمايتها من غارات الفرنج (البرتغاليين) من ناحية وبسبب ماكانت تتعرض له مدينة جدة من غارات القبائل والعربان أثناء الفتن حيث سبق أن نهبت مرارا عديدة وجعل الأمير حسين الكردي شادا على عمارة هذا السور والأبراج وذلك في سنة ٩١١ هـ (١) وجاء هذا السور من أحسن المباني على حد قول ابن اياس (٢) وانتهى العمل منه في سنة ٩١٧ هـ (٣) .

ومنها : اصلاح السواقي بمنطقة عجرود (٤) على طريق الحاج المصري سنة ٩١٣هـ فجعلها أربع سواقي بعد أن كانت واحدة لكي تملأ بالماء لنفع الحجاج والمسافرين وجدد الخان الذي كان هناك سنة ٩١٥ هـ وأنشأ به مسجدا وبجواره قلعة لحراسة الطريق للمحافظة على الحجاج والمسافرين أثناء توجههم للحجاز وعودتهم منه (٥) .

---

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى حوادث سنة ٩١١هـ ورقة ١٦٠ ، ١٦١ وأنظر : ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ٨٤ ، ٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، جـ ٥ ص ٩٥ ، الديار بكري : تاريخ الخميس جـ ٢ ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الأعلام ص ٩٥ ، محي الدين الطبري : الأرج المسكي ورقة ١٣٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٨ ص ١١٥ ، العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٥٣ ، السنجاري : منائح الكرم ورقة ٢١٨ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ٢٨٧ ، جـ ٥ ص ٩٥ .

(٣) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩١٧ هـ ورقة ٢٠١ ، ويلاحظ أن العز بن فهد والجزيري يذكران أن القائم على عمارة سور جدة وأبراجها هو خايربك المعمار بينما يذكر ابن اياس أن القائم على هذه العمارة هو حسين الكردي ، وأنظر : الجزيري : درر الفوائد ص ٣٥٥ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ٨٥ ، ٢٨٦ .

(٤) عجرود تقع عند مدخل مدينة السويس الحالية في الشمال الغربي منها على بعد ٢٠كم ويلاحظ أنه لم يبق من آثار الغوري في منطقة العجرود سوى أطلال وبقايا أثرية لمدوان الدهر عليها واهمالها ، أنظر : عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغوري ص ١٠٤ .

(٥) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ١٢٩ ، ١٥٢ ، وأنظر : درر الفوائد ص ٤٨٤ ، عبد اللطيف ابراهيم : دراسات ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

ومنها أنه أنشأ خانا وقلعة وأبراجا وفساقي بالعقبة وقرر بها جماعة من العساكر لحراسة الطريق بحيث يقيمون بها سنة كاملة ثم يعودون ويتوجه غيرهم ، كما أصلح المناطق الوعرة بها والتي كان يتضرر منها الحجاج وبدأت هذه الاصلاحات في شهر ربيع الآخر سنة ٩١٤ وانتهت في أوائل سنة ٩١٥ هـ .(١)

ومنها انشاء خان بنخل التي تقع على طريق الحاج المصري بالقرب من وادى أبو طريفه والتي تبعد حوالي ٨٠ ميلا من السويس و ٧٠ ميلا من العقبة وذلك في سنة ٩١٥ هـ .(٢)

ومن هذه الاصلاحات تجديد قبة مقام الحنفي حيث هدمت وأعيد بناؤها وبيضت وجعل لها هلالا جديدا وأصلح أخشاب شبابيك بئر زمزم وأصلح درج بعض أبواب المسجد الحرام مثل باب الصفا وباب العباس وباب العمرة وغيرها وكان القائم على هذه الاصلاحات الخواجا محمد بن عباد الله الرومي وتمت هذه الاصلاحات بين شهرى

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ٣٣ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، جـ ٥ ص ٩٥ ، وأنظر : الجزيرى : درر الفوائد ص ٥٠١ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس جـ ٢ ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٠٩ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ١٣٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٨ ص ١١٤ ، العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٥٣ . وقد زار قلعة العقبة وغيرها من المنشآت التي أقامها السلطان قانصوه الغوري د .عبد اللطيف ابراهيم علي ووصفها بأنها قلعة مربعة الشكل مبنية بالحجر بكل ركن من أركانها الأربعة برج وقد تهدمت الآن ولها بوابة عظيمة نقش على جدرانها بحروف كبيرة ناتئة في الحجر اسم منشيء القلعة وهو السلطان الغورى وعلى جدار الايوان الأيمن داخل القلعة عبارة تفيد ذلك صراحة وتقع هذه القلعة الى الجنوب الشرقي من العقبة على بعد ٥٠ م من شاطئ البحر أنظر : عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغورى ص ٣ ، ١٠٤ . محمود رزق سليم : الأشرف قانصوه الغورى ص ٩٥ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور جـ٤ ص٥٢ ، وأنظر : درر الفوائد ص ٤٨٩ ، عبد اللطيف ابراهيم على زار منطقة نخل ووصف هذا الخان بأنه عبارة عن قلعة منيعة تقع في طريق الحاج المصرى وهي قلعة مربعة الشكل تقريبا ولها خمسة أبراج مبنية بالحجر المنحوت ولها بوابة ضخمة مصفحة بالحديد وتوجد على جدرانها كتابة نقشت في الحجر لا يوجد منها سوى بعض الكلمات مثل " مولانا السلطان ... نصره " أنظر : عبد اللطيف ابراهيم على: دراسات تاريخية وأثرية ص١٠٣ ، ١٠٤ .

جمادى الآخرة وشوال من عام ٩١٥ هـ .[(١)]

ولما وصل الأمير خايربك المعمار في شهر ذى القعدة سنة ٩١٥ هـ عمل دكة كبيرة بدرابزين من ثلاث جهات وجعلها للمكبر بمقام الحنفية وجعلت الدكة القديمة درجة لهذه الدكة .[(٢)]

ومن اصلاحات السلطان قانصوه الغورى اجراء عين حنين اذ يذكر كل من العز بن فهد (ت ٩٢٢ هـ) وابن اياس (ت ٩٣٠ هـ) أن السلطان الغورى قد أمر خايربك المعمار بالتوجه الى مكة المشرفة للاشراف على بعض العمائر بالمسجد الحرام واجراء عين حنين فى شهر رجب سنة ٩١٥ هـ .[(٣)]

والراجح أن عمارة عين حنين قد تمت فى السنة التى بعدها أى سنة ٩١٦هـ لأن خاير بك وصل الى مكة فى شهر ذى القعدة سنة ٩١٥ هـ[(٤)] ، كما أن العز بن فهد قد ذكر أن عين حنين قد وصل ماؤها الى مكة فى شهر رجب سنة ٩١٦ هـ ونودى بالزينة فى البلاد .[(٥)]

وبالاضافة الى ذلك فقد أشار قطب الدين الحنفى (ت ٩٨٨ هـ) ومن جاء بعده من المؤرخين الى أن عين حنين قد عمّرت من قبل السلطان قانصوه الغورى سنة ٩١٦ هـ

----

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩١٥ هـ ورقة ١٨٦ ، ١٨٧ ، وأنظر: ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢١٠ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٧٤ ويلاحظ أن باسلامه قد نسب خبر عمارة مقام الحنفى وغيره مما أشرنا اليه الى قطب الدين الحنفى الذى لم يشر الى شىء من ذلك مع أن الذى أشار هو المؤرخ المعاصر العز بن فهد ولعله أخطأ فى ذكر المصدر - أنظر:
باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١١٤ .

(٢) العز بن فهد ج : بلوغ القرى حوادث سنة ٩١٥ هـ ورقة ١٨٨ .

(٣) المرجع نفسه ، ورقة ١٨٦ وأنظر :
ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ١٣٦ ، ج ٥ ص ٩٥ .

(٤) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩١٦ ورقة ١٩٢ .

(٥) المصدر نفسه ، نفس الورقة .

ووصل ماؤها فى هذه السنة الى مكة وملأ البرك التى بالمعلاه واستمر فى الجريان الى أن وصل بركة الماجل[1] فى أسفل مكة[2].

ومن اصلاحات السلطان قانصوه الغورى تجديد مقام الخليل ابراهيم عليه السلام الذى ورد فى النص سنة ٩١٥ هـ .

ويلاحظ أن ما أورده العز بن فهد عن تاريخ تجديد المقام يتفق مع ما ورد فى النص كما انفرد العز بن فهد بايراد خبر هذه العمارة دون غيره من المؤرخين.

ويتلخص تجديد مقام ابراهيم الذى نقش بسببه هذا النص أن الخواجا محمد بن عباد الله الرومي (ت حوالى سنة ٩٣٠ هـ) أمر بازالة الدهان الذى يعلو المقام والساباط[3] المتصل به وأعيد دهنه بدهان جديد وجعلت القبة باللون الأخضر وأسفلها طراز مذهب كما دهنت أساطين المقام بالدهان المذهب وكذلك مؤخرة خشب المقام وغيرت الأخشاب التى فى المقصورة الحديدية وصار ذلك على حد قول العز بن فهد - لائحا لمن يريد الزخرفة[4].

ويذكر العز بن فهد أيضا أن خاير بك المعمار لما وصل الى مكة فى شهر ذى القعدة سنة ٩١٥ هـ أراد أن يستبدل الدهان والتذهيب الذى عمله الخواجا محمد بن عباد الله الرومي بالرصاص وأخضر القضاه وأراهم تشطيبا فى القبة نتيجة حرارة الشمس وأراد أن يكتب محضرا يذكر فيه أن قبّة مقام ابراهيم قد خربت ويجب

---

(١) عن هذه البركه - أنظر : الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٤٠ .

(٢) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٢٨٤ وأنظر :
العصامي : سمط النجوم العوالى جـ ٤ ص ٨٤ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢١٨ ، وأنظر : محمد صادق باشا : دليل الحج للوارد الى مكة من كل فج - الطبعة الأميرية - القاهرة ١٣١٣ هـ ص ١٣٦٢ . وأنظر أيضا :
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢١٨ .

(٣) الساباط : فى مصطلح المعماريين هو ممر فى أسفل المبنى يربط بين شارعين . أنظر :
صالح لمعي مصطفى : التراث المعمارى الاسلامي فى مصر ص ١٢٠ .

(٤) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩١٥ هـ ورقة ١٨٦ وأنظر :
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ . باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١١٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

اصلاحها فرفض القاضي المالكي أن يكتب أن بالقبة خراب وانما بها تشطيب ويخشى عليها من الخراب الا أن خاير بك استبدل الدهان الذى وضعه ابن عباد الله على القبة بالرصاص وأخرج حجرا من ساباط المقام المذكور وجعل بدلا منه حجران أحدهما كبير والآخر صغير كما أخرج حجرا آخر من مؤخرة الساباط وجعل بدلا منه ثلاثة أحجار أتي بها من جبل الشبيكه وترك الحجران بوسط المسجد (١).

ويعلق العز بن فهد على ذلك كله بقوله : " وليس بهما - أى الحجران - عيب ولا نقص وهما أحسن وأبهج من الذين عملوا وتشوش الباشا من ذلك كثيرا ، وفى عمل الحجر أكثر وقد صار المسجد ملعبة لكل من أراد شيئا فعله من غير اذن السلطان ومن غير مشورة لأهل العلم والصلاح ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (٢).

وما ذكره العز بن فهد فى تعليقه السابق يدل على أن بعض العمائر والاصلاحات التى يقوم بها ممثلى السلاطين ليست ضرورية كما أن الأماكن التى يقومون باصلاحها وعمارتها لا تحتاج بالضرورة الى اصلاح كما يدل على أن بعض من يرسلهم السلاطين يتصرفون حسب أهوائهم رغبة فى خلود ذكرهم دون غيرهم ، ولعل عمارة حجر اسماعيل عليه السلام فى عهد السلطان قانصوه الغورى أكثر من مرة أوضح دليل على ذلك وهو ما سوف نشير اليه عند الحديث عن هذه العمارة .

ومن اصلاحات السلطان قانصوه الغورى : عمارة باب ابراهيم (٣) بالجانب الغربى من المسجد الحرام فى أواخر سنة ٩١٥ هـ وأوائل سنة ٩١٦ هـ حيث أمر السلطان

---

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩١٦ ورقة ١٩٠ .
(٢) نفس المصدر ، ونفس الورقة .
(٣) باب ابراهيم نسبة الى خياط كان عند هذا الباب يسمي ابراهيم وليس المقصود ابراهيم الخليل عليه السلام كما وهم ابن جبير وغيره وكان يعرف قبل ذلك بباب الخياطين كما ذكر الأزرقي مما يؤيد أن الخياطين كان لهم سوق حول هذا الباب وهو ما يؤيد التسمية التى وردت بعد الأزرقي بباب ابراهيم الذى هو أحد الخياطين وكان هذا الباب عبارة عن منفذ واحد وتميز بمساحته الكبيرة قبل عمارة السلطان قانصوه الغورى له : أنظر : الأزرقى : أخبار مكة جـ٢ ص ٩٢ ، ابن جبير : الرحلة ص ٨٣ ، الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٢٣٨ ، ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٢١٨ ، قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٣٤٩ .

الغورى خاير بك بعمارة هذا الباب فبنى وجعل عليه عقد كبير[١] أنشىء عليه فيما بعد قصر للسلطان الغورى سوف نتحدث عنه فى الصفحات التالية .:

ويصف ابن ظهيرة (ت ٩٥٠ هـ) عمارة باب ابراهيم حيث شاهدها وهو صغير بقوله :

" وأما باب ابراهيم فقد أدركته وهو واطىء جدا وانما رفع وعمل له هذه الدرجة فى حدود سنة خمسة عشر أو ستة عشر وتسعمائة فى دولة الأشرف الغورى على يد الأمير خاير بك المعمار وقد شاهدت عمارته وأنا اذ ذاك في المكتب وكانت السيول اذا دخلت المسجد انما تخرج منه والآن كذلك انما يخرج السيل من القبو الذى تحته لأنه لما رفع جعل تحته العقود بالحجارة المنحوته لمصرف السيل ".[٢]

ويشير عبد القادر الجزيرى الى أنه وجد أثناء هدم باب ابراهيم وعمارته مبلغا من المال فى قبّة هناك تقدر بمائتى دينار مغربى وورقة مكتوب فيها :

" نحن عمّرنا وما تعبنا وما ظلمنا واذا خربت هذه القبّة تبنى بهذا المال".[٣]

ويستفاد مما ذكره كل من ابن ظهيره[٤] وقطب الدين الحنفى عن باب ابراهيم بعد عمارة السلطان قانصوه الغورى له أنه أصبح أكبر أبواب المسجد الحرام من ناحيته الغربية وأنه من منفذ واحد ولم يجدد فيه شىء أثناء العمارة العثمانية للمسجد الحرام التى انتهت سنة ٩٨٤ هـ .[٥]

---

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩١٦ هـ ورقة ١٩١ وأنظر : ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢٠١ ، ٢٠٨ ، الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٦ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، قطب الدين الحنفى :الاعلام ص ٢١٢ ، ٣٤٦ ، عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ٩٥ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ١٣٥ ، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب ج ٨ ص ١١٤ ، العصامى : سمط النجوم ج ٤ ص ٥٢ .

(٢) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢٠١ .

(٣) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٦ .

(٤) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢١٨ .

(٥) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٣٤٩ .

وقد أخطأ كل من ابراهيم رفعت[(١)] وباسلامه[(٢)] حين وصفا هذا الباب بأنه أكبر أبواب المسجد الحرام والصواب أنه أكبر أبواب المسجد من الناحية الغربية كما ذكر ابن ظهيرة وقطب الدين الحنفي وليس أكبر أبواب المسجد الحرام على الاطلاق لأن أكبر أبواب المسجد الحرام هو باب الصفا الذى يتألف من خمسة منافذ[(٣)].

وقد أشار كل من ابراهيم رفعت وباسلامه الى الكتابة المنقوشة على باب ابراهيم والتى ترجع الى عهد السلطان الغورى فقد أوردها ابراهيم رفعت على النحو التالى :

" ومكتوب على يمين هذا الباب (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) وعلى اليسار : " أمر بعمارة هذا الباب المعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى . . . بدون تاريخ "[(٤)].

أما باسلامه فقد ذكر أنه كتب بعلو هذا الباب من الجانب الأيمن داخل دائرة نقرا على الحجر بالخط البارز " أبو النصر مولانا السلطان الملك الأشرف الغورى " وكذلك على الجانب الأيسر ومكتوب على الجدار القائم عليه عقد الباب من الجهة اليمنى " بسم الله الرحمن الرحيم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين " ، وعلى الجهة اليسرى " أمر بعمارة هذا الباب المعظم المالك الممالك السلطانية " ولم يوضع عليه تاريخ[(٥)].

وهذه الكتابة التى أشار اليها ابراهيم رفعت وباسلامه غير موجودة الآن حيث أزيلت فى التوسعة السعودية للمسجد الحرام فى عصرنا الحاضر وربما حفظت نقوش باب

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٣٣ .
(٢) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٨٠ .
(٣) الأزرقى : أخبار مكة جـ ٢ ص ٨٩ ، وأنظر: الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٢٣٨ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢١٩ ، قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٣٤٩ .
(٤) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٣٣ .
(٥) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٨٠ .

ابراهيم هذه مع مجموعة النقوش الأخرى بمتحف آثار الحرم المكى وان كنت أظن أنهـا قد تعرضت للكسر لأن بعض النقوش التى شاهدتها بالمتحف قد أصبح عديم الفائدة بسبب ما أصابه من كسور ولا أقول ذلك جازما لأنها ربما لا تزال بحالة جيدة ، ومهما يكن من أمر هذه النقوش فانى أرجو أن تتاح لى الفرصة مرة أخرى للاطلاع على هـذه النقوش والتأكد منها وتصويرها ونشرها نشرا علميا صحيحا لأن الملاحظ ممـا أورده ابراهيم رفعت وباسلامه من نصوص هذه الكتابات هو وجود الاختلاف بين قراءة كـل منهما .

ومن اصلاحات السلطان قانصوه الغورى أمره بترميم بعض أروقة المسجد الحرام فى أوائل سنة ٩١٦ هـ اذ تآكلت أخشاب سقف الرواق الشامى من المسجد الحـرام فقام الأمير خاير بك باستبدال هذه الأخشاب ورمم ما يحتاج الى ترميم .(١)

ومن اصلاحات السلطان قانصوه الغورى اجراء عين الجموم(٢) سنة ٩١٦ هـ وهـو الاصلاح الذى انفرد بذكره العز بن فهد الذى يشير الى أن السلطان قانصوه الغورى أمر خاير بك المعمار فتوجه الأمير خاير بك ومعه ما يزيد على مائتى عامل الى اصـلاح مجرى العين من أعلاها وبنى ثلاث برك بجانب العين تكون كالمصفاة لها ونقش بذلك نصا فى حجر يفيد أنه عمّر عين الجموم وكانت عمارة العين هذه فى شهرى جمادى الأولى والثانية من العام المذكور .(٣)

---

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩١٦ هـ ورقة ١٩١ ، وأنظر :
الديار بكرى : تاريخ الخميس جـ ٢ ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، محى الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ١٣٥ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٨ ص ١١٤ .

(٢) الجموم : بفتح الجيم وضم الميم كانت محطة رئيسية للحجاج ثم أصبحت قرية تبعـد عن مكة المكرمة بحوالي ٢٢ ميلا على طريق المدينة المنورة ثم أصبحت الآن بلـدة نامية ولم تتأثر بانقطاع العين عنها وتوجد بها اليوم امارة مرّ الظهران التابعة لمكة المكرمة كما يوجد بها عدة مدارس ومصالح حكومية وسكانها الأصليون هم الأشـراف ذوو بركات ومنهم الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتى صاحب الرحلة اليمانية - أنظر :
عاتق غيث البلادى : معجم معالم الحجاز جـ٢ طبعة دار مكة للنشر والتوزيع ، طبعـة أولى - مكة ١٣٩٩ هـ ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٣) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩١٦ هـ ورقة ١٩٢ .

ولم يذكر العز بن فهد الى أين وصل ماء هذه العين وهل أوصلوه الى مكة أم لا ؟

ومن اصلاحات السلطان قاصنوه الغورى انشاء خان بمنطقة الأزنم فى منتصف طريق الحجاج بين القاهرة ومكة وجعل به حواصلاً [1] وقرر به جماعة من المماليك يقيمون به لحراسة الطريق لمدة سنة كاملة ثم يعودون الى القاهرة ويأتى غيرهم ، وكان انشاء هذا الخان فى سنة ٩١٦ هـ . [2]

وقد قام الدكتور عبد المنعم عبد العزيز رسلان الأستاذ المشارك بقسم الحضارة والنظم الاسلامية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى بنشر مقال ضاف عن خان الأزنم ومحتوياته وأشار الى النقش الموجود على الجزء الأيمن من واجهة الخان وقام بقراءته واعطاء ملاحظات عن أسلوب كتابته موضحا أنه كتب الخط الثلث الأقاليمى [3] ، والواقع أن خطه حجازى ويقع فى منطقة حجازية مما يجعل الاستفادة منه فى الدراسات المقارنة أمرا فى غاية الأهمية من ناحية أسلوبه الكتابى ومقارنته بنصوص معاصره من خارج الحجاز وذلك فى الفصل الخاص بالدراسة المقارنة للنقوش الحجازية

---

(١) الحواصل : جمع حاصل ويقصد به الخزانة أو المخزن . أنظر :
صالح لمعي مصطفى : التراث المعمارى الاسلامي فى مصر ص ١١٨ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ١٥٢ ، جـ ٥ ص ٩٥ ويلاحظ أن ابن اياس أرخ عمارة هذا الخان بسنة ٩١٥ هـ بينما يذكر الجزيرى أن عمارة هذا الخان كانت فى سنة ٩١٦ هـ . أنظر :
الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٥٢٠ والصواب أن الخان أنشئ سنة ٩١٦ هـ كما هو موجود بالنقش الذى أشرت اليه أعلاه ، الديار بكرى : تاريخ الخميس جـ ٢ ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ١٣٥ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٨ ص ١١٤ ، العصامى : سمط النجوم العوالى جـ ٤ ص ٥٣ ، محمد صادق باشا : دليل الحج للوارد الى مكة من كل فج ص ١٨ .

(٣) عبد المنعم عبد العزيز رسلان : " الأزنم خانا وبرجا " مجلة مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى - العدد الرابع ١٤٠١ هـ ص ٣٦٧ - ٤٠١ .

مع غيرها فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين (١٤ م - ١٥ م)[١] . أنظر لوحة (٦٠) .

ومن اصلاحات السلطان قانصوه الغورى تعمير واصلاح حجر اسماعيل عليه السلام مرتين :

المرة الأولى : حين هدم خاير بك المعمار جميع جدار الحجر فى يوم الخميس ١٩ شوال سنة ٩١٦ هـ ثم أعاد بناءه بحيث بناه بالحجارة من خارجه وبالرخام من داخله وكان قبل هذه العمارة مبنيا بالرخام من الداخل والخارج[٢] .

وقد قوبل هدم جدار الحجر واعادة بنائه على هذه الصفة بانتقاد شديد من قبل بعض المؤرخين المعاصرين مثل العز بن فهد حيث قال : " ولم يكن به - أى جدار الحجر - ما يعاب الا أن الله قدر التلاعب بالمسجد فلاقوة الا بالله "[٣] .

كما قوبل هدم جدار الحجر وتعميره بانتقاد من قبل السلطان قانصوه الغورى نفسه اذ بعث بمرسوم لخاير بك يأمره بنقض جدار الحجر الشريف بسبب هذه العمارة التى استخدم فيها خاير بك بعض مواد البناء غير الصالحة مثل الرماد والطين والنوره بالاضافة الى أنه جعل جدار الحجر من الخارج من الحجر بدلا من الرخام وأرسل السلطان من قبله برخام ومرخمين وصلوا الى مكة عن طريق البحر وبدأوا فى الهدم والبناء فى يوم السبت أو الأحد ١٦ شوال ٩١٧ هـ وجعلوا جميع جدار الحجر من الرخام من

---

(١) أنظر ص ٥٠٥ من هذه الرسالة .

(٢) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩١٦ هـ ورقة ١٩٠ وأنظر :
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٥ ، ٢٦ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٧٣ ، ويلاحظ أن محي الدين الطبرى أشار الى أن عمارتى الحجر تمت جميعها سنة ٩١٧ هـ والصواب ان العمارة الأولى كانت فى سنة ٩١٦ هـ والثانية سنة ٩١٧ هـ كما أشار الى ذلك العز بن فهد المؤرخ المعاصر ، أنظر :
السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢١٨ ويلاحظ أن السنجارى يذكر أنه فى سنة ٩١٧ هـ تم ترخيم المطاف والصواب ترخيم الحجر .

(٣) العز بن فهد : المصدر السابق نفس الورقة .

الداخل والخارج ويتألف من خمسة مداميك[1] من الرخام الأبيض وأربعة مداميك من الرخام الأسود وشد بين كل مدماك وآخر بالرصاص والجبس وكان خاير بك هو المشرف على هذا الاصلاح أيضا وكتب بذلك نصا وضع فى أعلا الرخام الأبيض ذكر فيه اسم من عمّر حجر اسماعيل من الخلفاء والملوك والسلاطين وتاريخ عماراتهم وعمارة السلطان قانصوه الغورى هذه .[2]

وقد أورد العز بن فهد هذا النص الذى كتب على حجر اسماعيل كاملا على النحو التالى :

" وصورتها بعد البسمله (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت[3] . . . الآية) ، هذا الحجر الشريف والحرم المنيف لما ظهر به من الخلل واحتاج الى الاصلاح والعمل أمر بانشائه وتجديده واحكامه وتشييده المفتقر الى رحمة ربه المتضرع اليه فى توفيقه ومغفرة ذنبه من يرى فى الله بحسن الاعتقاد فملك المماليك وأنفذ حكمه فى قاصى البلاد من ذلك اليه وعليه وتعطف وجاد باحسانه لديه وتلطف وألهمه لعمارة هذا الحجر المشرف فهو السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى رزقه الله فى الدارين السعد الممدود ونصره وأيده وأسعده قاصدا به وجه الله تعالى ونوى به

---

(١) المداميك : جمع مدماك وقد استعمل كتعبير معمارى لتجميل الواجبات فى العمائر الاسلامية منذ وقت مبكر وكان أول استعماله فى العمارة البيزنطية وذلك باستخدام مداميك حجريه مع مداميك من الطوب الأحمر وقد استعمل فى مصر لأول مرة فى عقود قنطرة بيبرس ثم شاع استخدامه فى الواجهات الخارجية وصنج العقود وبعض الواجهات المطلّة على الصحن . أنظر:
صالح لمعي مصطفى :التراث المعمارى الاسلامي فى مصر ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩١٧ هـ ورقة ٢٠١ . وأنظر:
ابن ظهيره القرشي : الجامع اللطيف ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ويلاحظ أنه ذكر أن عمارة الحجر الأولى والثانية قد تمت سنة ٩١٧ هـ والصواب أن العمارة الأولى تمت فى سنة ٩١٦ هـ والثانية سنة ٩١٧ هـ . وأنظر:
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٦ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس جـ ٢ ص٣٨٩ ، ٣٩٠ ، وتابعه فى ذلك باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١١٥ ، وأنظر:
محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ١٣٥ ، العصامي :سمط النجوم العوالى جـ ٤ ص ٥٣ .

(٣) سورة البقرة : آيه ١٢٧ .

خيرا وله سمّوا برحمته يوم احسانه بحق محمد وآله وأصحابه وذلك بتاريخ شوال أحد شهور سنة سبع عشرة وتسعمائة من الهجرة النبوية وذلك بعد ترخيمه برسم المنصور في سنة أربعين ومائة وجدده بعده الملك المظفر صاحب اليمن وجدده الملك الناصر بن قلاوون في سنة عشرين وسبعمائة والملك المنصور علي بن شعبان في سنة احدى وثمانين وسبعمائة والملك الظاهر برقوق في سنة احدى وثمانمائه والملك الظاهر جقمق في سنة ثلاث وأربعين وثمانمائه والملك الأشرف قايتباى في سنة ثمان وثمانين وثمانمائه سقى الله عهدهم صوب الرحمة والرضوان وأسكنهم فسيح الجنان وأدام أيام منشىء ذا الحجر العظيم ومحي معالم هذا الحطيم صاحب القبلة خادم الحرمين الشريفين الفاتك في أعداء الله سيفه المرهف السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري أدام الله لاقامته كل محمود وأحيا به مهابط العامر من الركع والسجود وذلك بمباشرة العبد الفقير الراجي عفو ربه القدير المقر العالي السيفي خاير بك العلائي أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية وباش المماليك السلطانية وناظر الحسبة المشرفة وشاد العمائر السلطانية أعز الله أنصاره وغفر الله لهم ولنفسه ولسائر معلميه ومن أعانهم فيه وللوافدين والطائفين والمشاهدين ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ".(١)

ومن اصلاحات السلطان قانصوه الغوري اصلاح علو مقام الحنفي في شهر جمادى الآخرة سنة ٩١٧ هـ حيث أصلحت القبّة التي تعلو المقام وجددت أخشابها وبنى حولها بالآجر ووضع الرصاص في أسفل قبّة زمزم وعملت خلوه لرئيس المؤذنين فوق البركه التي تعلو بئر زمزم .(٢)

---

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩١٧ هـ ورقة ٢٠١ وأنظر : باسلامه : تاريخ الكعبة المعظمة - الطبعة الثانية - طبع تهامه - جدة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، محمد طاهر كردى : التاريخ القويم جـ ٣ ص ١٢٤، ١٢٥ .

(٢) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩١٧ هـ ورقة ١٩٩ وأنظر : ابن ظهيره القرشي : الجامع اللطيف ص ٢١٠ و محي الدين الطبرى : الأرج المسكي : ورقة ٧٤ ، باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١١٥ .

ومن هذه الاصلاحات انشاء سور وقلعة بينبع على شاطىء البحر الأحمر سنة ٩١٧ هـ .(١)

ومنها انشاء قصر على باب ابراهيم أحد أبواب المسجد الحرام من ناحيته الغربية اذ قام خاير بك بهدم بعض أوقاف الجمالي يوسف ناظر الخاص بالناحية الغربية من المسجد كما يشير الى ذلك العز بن فهد وأنشأ مكانها قصرا للسلطان قانصوه الغوري انتهى من عمارته سنة ٩٢٠ هـ .(٢)

ولم يعطنا العز بن فهد وهو المؤرخ المعاصر أي تفصيلات عن هذا القصر أو محتوياته . وأكثر من أوضح ذلك هو قطب الدين الحنفي اذ يشير الى أن خايربك المعمار بنى بأمر السلطان قانصوه الغوري قصرا مرتفعا على باب ابراهيم وجعل حول القصر من الخارج منازل ومساكن وبنى خارج ذلك ميضأة تشتمل على مراحيض وبركة ماء ووقف ذلك جميعه على جهات الخير كما بنى بجانب القصر مسكنين لطيفين وبيوتا معدة للكراء وبنى من داخل باب ابراهيم على يمين الداخل حاصلا في أرض المسجد وفي علوه سكنا وعلى يسار الداخل مثله وقرر فيها بعض المستحقين وجعل في الجانب اليماني حاصلا يشتمل على سبيل وصهريج كبير يمتلىء من ماء المطر من سطح المسجد .(٣)

وينتقد قطب الدين الحنفي انشاء هذا القصر والمساكن بقوله :

" ولا يصح وقف ذلك القصر لأنه في هواء المسجد وكذلك المسكنان لأن أكثرهما في أرض المسجد وما أمكن العلماء أن ينكروا عليه ذلك في أيام سلطنته ودولته لعدم

---

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩١٧ هـ ورقة ٢٠١ ، وأنظر :
ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ٢٨٦ ، جـ ٥ ص ٩٥ ، الجزيري : درر الفوائد ص ٥٣٦ ، عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية وأثرية في وثائق عصر الغوري ص ١٠٣ .

(٢) العز بن فهد : المصدر السابق حوادث سنة ٩٢٠ هـ ورقة ٢٢١ .

(٣) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢١٢ ، ٣٤٦ وأنظر :
الديار بكري : تاريخ الخميس جـ٢ ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الأعلام ص ٩٥ ، محي الدين الطبري : الأرج المسكي ورقة ١٣٥ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ٨ ص ١١٤ ، العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٥٢ .

اصفائه الى كلام أهل الشرع والدين واقدام العلماء على الملوك والسلاطين للطمع فى الدنيا الدنيّه وللخوف على مناصبهم الاعتبارية فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم[١].

ويلاحظ أن ابن اياس لم يذكر عند حديثه عن منشآت السلطان الغورى واصلاحاته فى مكة شيئا عن هذا القصر والمساكن والميضأة[٢] وانما ذكر أن السلطان قانصوه الغورى أنشأ مارستانا ورباطا بمكة وأن بلّط الحرم المكي[٣].

ومن اصلاحات السلطان قانصوه الغورى ما تشير اليه بعض الوثائق التى ترجع الى عصره من انشاء مراكب خاصة لنقل القمح وغيره الى الحجاز وارسال الكسوة والملابس والهبات للفقراء والمنقطعين بالحجاز وتخصيص جزء من ربع أوقافه لاصلاح الآبار بطريق الحجاز في عجرود ونخل وغيرها من المناهل[٤].

ولم يقتصر اهتمام السلطان الغورى على الاصلاحات المعمارية فقط أو ماكان يرسله من هبات وأموال لفقراء الحرمين بل كان له اهتمام خاص بحماية الحرمين الشريفين من خطر الغزو البرتغالي الأمر الذى دفعه الى انشاء اسطول بحرى ضخم كما أنشأ قاعدة ضخمة لصناعة السفن بالسويس وهي القاعدة التى قام هو بنفسه بزيارتها وتفقد سير العمل بها فى شهر محرم سنة ٩٢٠ هـ وتكلف انشاؤها ما يزيد على أربعمائة ألف دينار[٥].

---

(١) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٢١٢ وأنظر :
العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٥٢.

(٢) ظلت الميضأة التى أنشأها السلطان الغورى بجانب قصره بمكة عامرة الى أن أبطلت فى سنة ٩٨٠ هـ لأن روائحها كانت تصل الى المسجد فتؤذى المصلين على حد قول قطب الدين الحنفى الا أنها أعيدت للاستعمال بعد ذلك اذ يذكر العصامى المتوفى سنة ١١١١ هـ أنها كانت عامرة فى عهده ينتفع بها المسلمون. أنظر : قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢١٢، العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٥٢.

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ١٦٣، جـ ٥ ص٩٥ وأنظر :
عبد الوهاب عزام : مجالس السلطان الغورى ص ٣١، عبد اللطيف ابراهيم : دراسات فى وثائق من عصر الغورى ص ١٠٥.

(٤) عبد اللطيف ابراهيم : المرجع نفسه ص ١٣٨.

(٥) ابن اياس : المصدر السابق جـ ٤ ص ٣٦٢ وما بعدها.

تحليل

نصي السلطان قانصوه الغوري الخاصة بتجديد مقام ابراهيم عليه السلام المؤرخ أحدهما بسنة ٩١٥هـ ونص قلعة الأزنم المؤرخ بعام ٩١٦ هـ لوحات (٢٢، ٢٣، ٦٠)

١ - نقشت هذه النصوص بالخط الحجازي اللين البارز من نوع الثلث ويعتبر خط نصي تجديد المقام المؤرخ أحدهما بسنة ٩١٥ هـ من أجود النماذج الخطية الحجازية في العصر المملوكي على العكس من نص قلعة الأزنم الذي يقل مستوى خطه كثيرا عن نصي تجديد المقام رغم أنهما نقشا في فترة تاريخية واحدة تقريبا وليس ذلك أمرا مستغربا لأنه لا يمكن أن يكون مستوى الخط في منطقة نائية وبعيدة عن المراكز الحضارية في الحجاز - مكة والمدينة - هو نفس مستوى الخط في هاتين المدينتين. كما أن ذلك يشير بوضوح أن مناطق الحجاز باختلاف مستوياتها الحضارية قد أعتمدت في تنفيذ نقوشها على الخطاطين المحليين الذين يجهلون الأساليب الخطية المتطورة في المراكز الحضارية الكبيرة.

ويشير الدكتور عبد المنعم عبد العزيز رسلان عند نشره هذا النص أن خطه أقاليمي (١) دون أن يذكر المدرسة الخطية التي ينتمي اليها خط هذا النص والتي هي في الحقيقة مدرسة الحجاز الكتابية، كما أنه قام بمقارنة أسلوب خط هذا النص بالأساليب الكتابية في القاهرة المملوكية على أساس أنها مركز جودة الخط الثلث في العصر المملوكي مع أن منطقة الأزنم هي منطقة حجازية قبل كل شيء ولا بد أن تتأثر بالأساليب الكتابية المحلية وأن كانت تقع في منتصف الطريق بين القاهرة ومكة كما يذكر (٢).

بل ان ضعف خط هذا النص وقلة جودته يؤكد لنا حقيقتين على جانب كبير من الأهمية احداهما أن الحجاز قد اعتمد في تنفيذ نقوشه على الخطاطين المحليين فحسب ولم يستعن بأي خطاط من خارج منطقة الحجاز وثانيهما أنه لو فرضنا أن الحجاز قد استعان بخطاطين من مصر لكان قد ظهر أثر ذلك واضحا في نص قلعة الأزنم بحكم وقوعها في منتصف الطريق بين القاهرة ومكة.

---

(١) عبد المنعم عبد العزيز رسلان: "الأزنم خانا وبرجا" مجلة البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي - مركز البحث العلمي - جامعة ام القرى بمكة - العدد الرابع - ١٤٠١ هـ - ص ٣٨١.

(٢) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

ويلاحظ أن هذا التفاوت بين مستوى خط نصي تجديد المقام وبين نص قلعة الأزنم ليس مستغربا أيضا فهذا التفاوت في مستوى الخط وان كان قد اختفى في المراكز الحضارية الحجازية الكبيرة مثل مكة والمدينة منذ النصف الأول من القرن التاسع الهجري كما سبق أن أشرنا الى ذلك في أكثر من موضع من هذه الدراسة الا أن آثار هذا التفاوت لا تزال واضحة في المناطق النائية والبعيدة عن هذه المراكز بحكم قلّة استحكام الصنعة فيها .

٢ - حرص الخطاط الحجازي هنا على ابراز أهمية ماقام به السلطان قانصوه الغوري من تجديد لمقام ابراهيم عليه السلام سنة ٩١٥ هـ فقام بنقش نصين تأسيسيين أحدهما مؤرخ والآخر ليس به تاريخ والحقيقة أن الخطاط قد عودنا في كثير من الأحيان على كتابة أكثر من نص تأسيسي لعمارة واحدة كما لاحظنا ذلك في كثير من النصوص التي سبق لنا دراستها وتحليلها .

٣ - على الرغم من جودة كتابة نصي تجديد المقام المؤرخ أحدهما بسنة ٩١٥ هـ الا أن الخطاط لم يكن دقيقا في توزيع الكلمات في السطر الواحد فظهرت بعض الكلمات صغيرة الحجم لا تتناسب مع حجم بقية كلمات النص كما أنه لم يستطع كتابة بعض الحروف بصورة كاملة فنجد أنه قد حذف حرف " اللام ألف " في كلمة " الاسلام " في السطر الرابع من النص غير المؤرخ ، كما فقد الجزء الأخير من حرف " الميم " في نفس الكلمة وكذلك حرف " الراء " في كلمة " الكفرة " في السطر الخامس من النص نفسه وحرف " الميم " في كلمة " خادم " في السطر السابع وحرف " النون " في كلمة " الشريفين " في السطر الثامن وحرف " الراء " في كلمة " الأشرف " في السطر العاشر وجميع ذلك في النص غير المؤرخ ومايقال عن فقدان بعض الحروف أو أجزاء منها في هذا النص يقال أيضا عن حروف وكلمات النص المؤرخ .

والملاحظ أن مثل هذا النقص في كتابة الحروف أو أجزاء منها قد ورد في نصي السلطان اينال المؤرخين بعام ٨٥٨ هـ الخاصين بتجديد المقام أيضا .

والراجح أن السبب في نقص هذه الحروف وعدم كتابتها بصورة كاملة يرجع أساسا الى ضيق المساحة المخصصة لكتابة هذه النصوص فوق أعمدة المقام الحجرية .

والجدير بالملاحظة أن هناك تشابها كبيرا في طريقة التنفيذ بين نصي السلطان الغوري الخاصين بتجديد المقام ونصي السلطان اينال المؤرخين اللذين كتبت أسطرهما بطريقة أفقية حيث جعلت الكتابة على الألواح الرخامية في أسطر أفقية على هيئة مربعات أو مستطيلات صغيرة بعضها فوق بعض .

٤ - لم تكتب البسملة في نصوص السلطان قانصوه سواء نصي المقام أو نص قلعة الأزنم وهو أمر قليل الحدوث في سائر الكتابات العربية ليس في الحجاز فحسب بل في سائر أنحاء العالم الاسلامي .

٥ - يذكر الدكتور عبد المنعم رسلان أن نص قلعة الأزنم قد وضع على الواجهة الرئيسية الى يمين المدخل على غير العادة التي كانت تتصدر فيها النقوش التذكارية المدخل[(١)] .

والواقع أن النصوص التأسيسية الحجازية قد وضعت في أماكن مختلفة من العمائر الاسلامية وليس شرطا أن توضع في مكان معين والأمثلة على ذلك كثيرة فقد سبق أن أشرنا عند دراسة نص السلطان الناصر محمد المؤرخ بعام ٧٢٩هـ الى أن هذا النص قد ألصق أصلا بمقصورة المقام الحديدية وأشار الى ذلك تقي الدين الفاسي[(٢)] المتوفي سنة ٨٣٢ هـ كما أن نصي السلطان شعبان بن حسين الخاصين بعمارة ماذنة الحزورة المؤرخين بسنة ٧٧٢ هـ قد نقشا على بعض أعمدة الحرم المكي الشريف ولم يلصقا بالماذنة مباشرة بل ان نص السلطان برسباى الخاص بعمارة ماذنة باب الزيادة بالحرم المكي المؤرخ بسنة ٨٣٨هـ قد ألصق بجانب المئذنة كما أشار الى ذلك قطب الدين الحنفي[(٣)] المتوفي سنة ٩٨٨ هـ وليس هذا فحسب بل ان نقوش كل من السلطان اينال الخاصة بتجديد المقام المؤرخة بسنة ٨٥٨ هـ ونقش السلطان الغوري موضوع الدراسة المؤرخ أحدهما بسنة ٩١٥ هـ لم تلصق بواجهة المقام وانما ثبتت على الأعمدة الحجرية التي تقوم عليها مقصورة المقام .

وخلاصة القول أنه ليس بالضرورة أن تتصدر النقوش والكتابات التأسيسية في الحجاز مداخل العمائر كما يذكر الدكتور الفاضل .

---

(١) عبد المنعم رسلان : المرجع السابق ص ٣٨٢ .
(٢) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٠٤ .
(٣) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٥١ .

٦ - لم يشر نصا تجديد المقام فيعهد السلطان الغورى الى اسم المباشر الذى أشرف على هذا التجديد وهو أمر قليل الحدوث في النصوص الحجازية في العصر المملوكي بينما ورد اسم المباشر لعمارة قلعة الأزنم وهو الأمير خشقدم الخازن .

٧ - ورد في نصي تجديد المقام فيعهد السلطان قانصوه الغورى عبارة " العبد الفقير الى الله تعالى " والتى وردت فى كثير من النصوص الحجازية التى سبق لنا دراستها مما يقوم دليلا على ورود هذه العبارة والسلطان مازال على قيد الحياة وفى ذلك تصحيح لما أشار اليه بعض الباحثين من أن هذه العبارة لا ترد في النقوش المملوكية والسلطان على قيد الحياة وقد سبق أن أشرنا الى ذلك فى أكثر من موضع من هذه الدراسة .

٨ - يذكر الدكتور عبد المنعم رسلان أن كلمة " السلطان " في السطر الأخير من نص قلعة الأزنم قد كتبت بدون السين فجاءت " اللطان "[١] والصواب أن السين موجودة وهي السين المعروفة بالمعلقة التي تحذف أسنانها ويقام مقامها جرّة كما أشار الى ذلك القلقشندى[٢] بل ان مثل هذه السين قد ورد فى كثير من النصوص الحجازية ومن بينها نص السلطان الغورى الخاص بتجديد مقام ابراهيم المؤرخ بشهر رجب سنة ٩١٥ هـ الذى نتعرض له هنا بالدراسة والتحليل .

٩ - كتب تاريخ كل من نص تجديد مقام ابراهيم المؤرخ وتاريخ نص قلعة الأزنم بطريقة خاطئة فتاريخ نص المقام جاء على هذا النحو " سنة خامس عشروتسعمائة " والصواب أن يكتب على هذا النحو " سنة خمس عشرة وتسعمائة " كما جاء تاريخ نص قلعة الأزنم على هذا النحو " سنة اسطعشر وتسعمائة " والصواب " سنة ست عشرة وتسعمائة " .

. . . . . .

---

(١) عبد المنعم رسلان : المرجع السابق ص٣٨٢ .
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٧٢ .

الفصل الثاني:

دراسة الكتابات والنقوش في الحجاز في العصر العثماني

أولاً: دراسة الكتابات والنقوش في الحجاز في القرن العاشر الهجري

ثانياً: دراسة الكتابات والنقوش في الحجاز في القرن الحادي عشر الهجري

لوحة رقم (٢٤)

المكان : واجهة باب السلام الخارجية بالمسجد الحرام - العمارة العثمانية
النوع : لوح حجرى مستطيل الشكل .
المقاس : الطول ٨ م × ٥٠ سم على وجه التقريب اذ لم أتمكن من أخذ مقاسه على وجه التحديد بسبب ضيق المساحة المحصورة بين باب السلام وبين العمارة السعودية الحديثة والتى لم تترك بينها وبينه سوى ممر ضيق جدا مما جعلنى أقدر المساحة تقديرا من أسفل فتحات الباب التى يعلوها النص .
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث .
التاريخ : ٩٣١ هـ .
عدد الأسطر : سطر واحد عبارة عن شريط كتابى مستطيل الشكل محصور داخل اطار علوى وسفلى يفصله عن الزخارف النباتية التى تزين خواصر العقود الثلاثة والتى سوف أتحدث عنها بعد قراءة النص ومناقشة ما أورده كل من ابراهيم رفعت وباسلامه من قراءة لهذا النص .

يوجد فوق باب السلام أحد أبواب المسجد الحرام من الناحية الشرقية شريطا كتابيا مستطيل الشكل يعلو فتحات الباب الثلاث يمثل لوحة تأسيسية لعمارة هذا الباب فى عهد السلطان سليمان بن سليم العثمانى ٩٢٦ هـ - ٩٧٤هـ مؤرخة بسنة ٩٣١ هـ .

ونظرا لأهمية هذا النص الذى نقش فى أوائل الدولة العثمانية فقد حاولت أن أقوم بتصويره من الطبيعة مباشرة حيث هو باق فى مكانه حتى الآن الا أننى لم أستطع ذلك بسبب ضيق المساحة المحصورة بينه وبين العمارة السعودية الحديثة كما سبق أن ذكرت مما جعلنى ألجأ الى من سبق له تصوير المسجد الحرام وأبوابه مثل البتنونى وابراهيم رفعت وباسلامه وغيرهم فلم أجد أحدا أخذ صورة لهذا النقش كاملة سوى باسلامه (1) مما جعلنى أضطر الى اعادة تصويرها من كتابة وتطبيق ما ورد بهذه الصورة على الطبيعة اذ أن هذه الصورة رغم أنها كاملة الا أن بعض كلماتها غير واضحة مما سوف نشير اليه عند قراءة النص .

---

(1) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٩ .

" النص "

أمر بانشاء هذا الباب الشريف مولانا السلطان الملك المظفر سليمان خان ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان ابن السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان محمد خان ابن السلطان بايزيد خان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان أورخان ابن السلطان عثمان خان عز ربي نصره بتاريخ سنة احدى وثلاثين وتسعمائه .

ويلاحظ من خلال هذه الصورة أن كلمة " مولانا " لم يظهر واضحا منها سوى النون والألف مما ألجأني الى الرجوع الى النص على الطبيعة فتأكد لي وجودها وكذلك كلمة " وتسعمائة " .

وقد أورد كل من ابراهيم رفعت وباسلامه نص هذه اللوحة التأسيسية اذ أوردها ابراهيم رفعت على النحو التالى :

آمر بانشاء هذا البيت الشريف السلطان الملك المظفر سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان بن السلطان محمود خان بن السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان ابن السلطان بايزيد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان أرخان بن السلطان عثمان خان وكتابة ذلك فى سنة ٩٣١ هـ .(١)

وقد حدثت بعض الأخطاء فى قراءة ابراهيم رفعت نذكرها على النحو التالى :

١ - ورد فى قراءته عبارة " هذا البيت " والصواب " هذا الباب .
٢ - لم ترد فى قراءته كلمة " مولانا " الواردة فى النص .
٣ - حذفت فى قراءته الألفات فى كلمة " ابن " والتى وردت فى النص .
٤ - ورد فى قراءته عبارة " السلطان بايزيد خان بن محمود خان" والصواب "السلطان بايزيد خان ابن السلطان محمد خان " كما هو واضح فى النص وليس محمود كما ذكر .

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٣٠ .

٥ - ورد في قراءته " السلطان أرخان" والصواب كما هو وارد بالنص " السلطان أورخان" .
٦ - جاء في قراءته عبارة " وكتابة ذلك " والصواب " بتاريخ سنة " .
٧ - أورد التاريخ رقما مع أنه ورد في النص كتابة بالحروف .
٨ - لم يقدم ابراهيم رفعت صورة للنص كما فعل باسلامة .
٩ - لم تظهر عبارة " عز ربى نصره " التي وردت في النص .

أما قراءة باسلامه[1] للنص فقد ورد فيها هي الأخرى بعض الأخطاء على النحو التالي :
١ - لم ترد كلمة " مولانا " في قراءته رغم وجودها في النص .
٢ - حذف الألفات في كلمة " ابن " كما فعل ابراهيم رفعت .
٣ - ورد في قراءته " السلطان محمود " وهو نفس الخطأ الذى وقع فيه ابراهيم رفعت والصواب " السلطان محمد " .
٤ - ورد في قراءته " السلطان أرخان" والصواب " السلطان أورخان" كما سبق أن أشرنا الى ذلك حيث ظهرت " الواو " في " أورخان " واضحة في النص .
٥ - لم ترد عبارة " عز ربى نصره " الواردة في النص .
٦ - وردت في قراءته عبارة " وكتب ذلك " والصواب " بتاريخ سنة " .
٧ - أورد التاريخ رقما مع أنه وارد في النص كتابة بالحروف .

وقد ورد في النص عبارة " أمر بانشاء هذا الباب " ويقصد به باب بني شيبه المعروف بباب السلام بالجانب الشرقي من المسجد الحرام لأن النص منقوش في أعلاه .

وقد عرفه الأزرقي بقوله : " الباب الأول وهو الباب الكبير الذى يقال له باب بني شيبه وهو باب بني عبد شمس بن عبد مناف وبهم كان يعرف في الجاهلة والاسلام عند أهل مكة فيه اسطوانتان وعليه ثلاث طاقات "[2] .

---

(١) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧٠ ، ١٧١ .
(٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٨٧ .

وكان يقال لهذا الباب أيضا باب السيل لأن السيول كانت تدخل منه الى المسجد الحرام وذلك قبل أن يردم الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه الردم الأعلى[١] حماية للمسجد من السيول .

وقد سمى بباب بني شيبه لأن دار شيبه بن عثمان كانت قريبه منه وقد هدم بعضها الخليفة المهدى عند توسعته الأولى للمسجد الحرام سنة ١٦٠ هـ[٢] .

أما تسميته بباب السلام وهى التسمية الغالبة عليه الآن فربما قد أطلقت فى عصور متأخرة قد لا تزيد فى الغالب على أواخر القرن الثامن الهجرى وأوائل القرن التاسع لأن كلا من ابن جبير الذى قدم الى الحج سنة ٥٧٩ هـ[٣] وابن بطوطه الذى حج أيضا سنة ٧٢٦ هـ[٤] والقاسم بن يوسف التجيبى المتوفى سنة ٧٣٠ هـ[٥] قد أطلق عليه نفس التسمية التى أوردها الأزرقي وهى باب بنى شيبه .

وربما كان الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ هو أول من أورد اسم باب السلام وذلك حين وصف هذا الباب بقوله : " الأول : ثلاث طاقات وهو الباب المعروف بباب بنى شيبه ويقال له أيضا باب السلام "[٦] وعن الفاسي نقل كل من جاء بعده من المؤرخين مثل ابن ظهيرة القرشي[٧] وقطب الدين الحنفي[٨] وغيرهم .

وكان أول من أنشأ هذا الباب الخليفة المهدى العباسي ١٥٨ هـ - ١٦٩ هـ ، وذلك فى زيادته الأولى للمسجد الحرام سنة ١٦٠ هـ وجعل له ثلاثة منافذ بينها

---

(١) الأزرقى : أخبار مكة جـ ٢ ص ٣٣ وأنظر :
التجيبى : مستفاد الرحلة والاغتراب ص ٢٤٤ .
(٢) الأزرقي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٧٤، ٧٥ ، ٧٧ وأشار الى أنه الباب الذى يدخل منه الخلفاء .
(٣) ابن جبير : الرحلة ص ٨٢ .
(٤) ابن بطوطه : الرحلة ص ٨٥ .
(٥) التجيبى : مستفاد الرحلة والاغتراب ص ٢٤٤ .
(٦) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٣٧ .
(٧) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢١٧ .
(٨) قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٤٨ .

اسطوانتان وفرش أرضه بالحجارة وأنشأ عليه مأذنة [1].

ولم يحدثنا المؤرخون عن أي تجديد أو اصلاح لباب بني شيبه المعروف بباب السلام بعد عمارة المهدى له حتى عصر السلطان سليمان اللهم الا ما سبق أن أشرنا اليه عند دراسة نصوص السلطان فرج بن برقوق الجركسي من أنه عمّر مأذنة بباب السلام فقط عندما سقطت سنة ٨٠٩ هـ [2].

بل ان قطب الدين الحنفي وهو المؤرخ وثيق الصلة بالسلطان سليمان والذى تحدث عن كثير من اصلاحات السلطان سليمان بالمسجد الحرام بصفة خاصة ومكة بصفة عامة قد أشار الى أن هذا الباب لم يجدد فيه شيء أثناء عمارة السلطان سليم بن السلطان سليمان التي بدأت سنة ٩٨٠ هـ وما ذلك على حد قوله الا " لكونه عامرا محكم البناء" [3] دون اشارة لمن عمّره وأحكم بناءه وكذلك فعل أيضا عبد الكريم القطبي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ [4].

والمؤرخ الوحيد الذى أشار الى عمارة السلطان سليمان لباب السلام هو عبد القادر الجزيرى الذى انتهى من تأليف كتابه سنة ٩٦١ هـ وذلك عندما تحدث عن مآثر السلطان سليمان واصلاحاته بالحرمين الشريفين فقال : " وعمارة باب بني شيبه المعروف بباب السلام " [5] ولكنه لم يشر الى تاريخ هذه العمارة أو السبب الذى أدى الى عمارة هذا الباب وعلى يدى من تمت هذه العمارة .

واذا كان ابراهيم رفعت [6] وباسلامه [7] قد أوردا خبر هذه العمارة فانما استفادا ذلك من واقع هذا النص الذى أنشره هنا وليس من كتابات المؤرخين . وهنا تظهر

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٠ وأنظر : ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٢٠٥ وأنظر أيضا : قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ص ٣٥١، ويذكر أن المهدى وسع المسجد الحرام سنة ١٦٨ هـ وهو خطأ لأن التوسعة الأولى للمسجد الحرام في عهد المهدى كانت بعد أن حج المهدى سنة ١٦٠هـ وقد صرح بذلك الأزرقي كما سبق أن أشرنا اليه في المتن في الصفحات السابقة .

(٢) أنظر ص ١٢٣ ، ١٢٤ من هذه الرسالة .

(٣) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٤٨ .

(٤) عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الأعلام ص ١٢٣ .

(٥) الجزيرى : درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ص ٢٧ .

(٦) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٣٠ .

(٧) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧٠ ، ١٧١ .

بوضوح أهمية النقوش الأثرية وخاصة في الحجاز لأنها تمدنا من غير شك بمعلومات قيمة لا تعرض لها كتابات المؤرخين كما تصحح ما وقع فيه المؤرخون من أخطاء .

وانه لمن حسن الحظ أن يظل هذا الباب على عمارته التي أنشأها السلطان سليمان كما دلنا عليه النص المنقوش وتزينه الزخارف النباتية رغم الاصلاحات الجذرية الضخمة التي تمت للمسجد الحرام في هذا العصر السعودي الزاهر حيث اتيحت لي الفرصة أن أقوم بدراسة هذا النقش دراسة علمية في هذه الرسالة .

. . . . . .

لوحة رقم (٢٥)

المكان	:	واجهة باب السلام الخارجية بالمسجد الحرام ـ العمارة العثمانية
النوع	:	رنكان محفوران على الواجهة الحجرية الخارجية لباب السلام يجمعان بين التدوير والتفصيص متماثلان من حيث الشكل والكتابة المنقوشة عليهما تحيط بهما الزخارف النباتية التى تزين خواصر عقود هذا الباب بحيث تمثل بعض حروف نصي الرنكين نهايات لهذه الزخارف النباتية والتى جعلت الرنكين على هيئة جامات وسط هذه العناصر الزخرفية .
المقاس	:	قطر الرنك الواحد حوالى ٨٠ سم على وجه التقريب وعرض الخطين البارزين الفاصلين للشطب عن بقية النص حوالى ٢سم .
الخط	:	حجازى لين بارز من نوع الثلث .
التاريخ	:	بدون
عدد الأسطر	:	ثلاثة سطور تقرأ ابتداء من الشطب فى الوسط ثم القسم الأعلى ثم الأسفل .

يوجد على خواصر عقود باب السلام بالناحية الشرقية من المسجد الحرام رنكان محفوران على الواجهة الخارجية لباب السلام يقعان أسفل النص الذى تحدثنا عنه فى الصفحات السابقة والذى يؤرخ لعمارة باب السلام فى عهد السلطان سليمان سنة ٩٣١ هـ وينقسم كل منهما الى ثلاثة أقسام شطب فى الوسط وقسمان أعلى وأسفل يفصلهما عن الشطب خطان بارزان بحيث يقرأ نصهما على النحو التالى :

١ ـ السلطان الملك المظفـ[ـر]

٢ ـ سليمان خان

٣ ـ عز نصره

ويلاحظ أن حرف " اللام فى " سليمان " فى القسم الأعلى قد فصل عن بقية الاسم وجعله نهاية زخرفية للأغصان والوريدات الزخرفية ولم يستطع توريقه أو تزهيره بسبب ضيق المساحة فجعله وكأنه حرف ألف .

كما أن حرف الخاء فى كلمة " خان " قد جعلها نهاية زخرفية للأغصان التى

تعلوها واستخدم حرف الألف فى الكلمة نفسها على أنه غصن نباتى الأمر الذى أدى به الى عدم اعطاء الكلمة حقها من المد .

كما أنه اقتطع حرف " الراء" فى كلمة " المظفر " فى نهاية الشطب وأدمجه فى الاطار شبه الدائرى الذى يفصل الرنك عن بقية الزخارف كما جعل حرفى" الصاد" و " الراء " فى كلمة " نصرة " فى القسم الأسفل نهايات زخرفية على هيئة وريدات وزهور صغيرة .

والواقع أن هذه الزخارف فى مجملها هي زخارف نباتية والتى تعرف بالتوريقات أو الأرابسك ويلاحظ على زخارف هذا الباب شدة تشابكها وتزاحمها وتتفرع منها أغصان نباتية متشابكة وملتوية تنتهى بزهور ووريدات ثلاثية الشكل وصغيرة الحجم كما تنتهى بزهور ووريدات أكبر حجما من الوريدات التى فى جوانب الأغصان ومن هذه الوريدات الكبيرة تتفرع أوراق ذات رؤوس مدببة وثلاثية .

وهذه الزخارف تشبه فى بعض ملامحها زخارف التوريق العثمانية التى ظهرت على بلاطات القاشاني والخزف التركي خاصة ذلك النوع الذى يعرف بزخرفة "رومي" Roumi وقوامها فروع نباتية مرسومة بطريقة لا تخضع فى شكلها واتجاهاتها الى تقليد الطبيعة مما جعل لها طابعا مميزا وقد عرف العثمانيون هذا النوع من الزخارف عن طريق السلاجقة على الأرجح[1] الا أن هذه الزخارف التى تزين واجهة باب السلام أكثر تزاحما وتشابكا من زخارف " الرومي " المشار اليها .

ومن المهم أن نذكر أن هذين الرنكين وما يتضمنانه من كتابة وما يحيط بهما من زخارف لم يشر اليهما أحد من المؤرخين قديما أو حديثا رغم أهميتهما خاصة وأن ابراهيم رفعت وباسلامة قد أورد النص التأسيسي لعمارة باب السلام فى عهد

---

(١) د . سعاد ماهر محمد : الخزف التركي - طبع دار المعارف بمصر ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ص ٦٥ ، ٦٦ وأنظر :
محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الاسلامية فى العصر العثمانى - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م ص ٧٥ ، ٧٦ وشكل (١٠) .

السلطان سليمان كما سبق أن أشرنا دون أن يتنبها للرنكين بل ان باسلامه قد أشار الى الدوائر التي تعلو النص التأسيسي والتي كتب فيها لفظ الجلالة واسم الرسول عليه الصلاة والسلام وبعض أسماء الصحابة.[1]

وربما كان السبب في عدم الانتباه الى هذين الرنكين وما يحتويان عليه من كتابة هو أنهما محاطان بشبكة كثيفة من الزخارف النباتية التي أشرنا اليها مما يوحي للناظر أنهما مجرد زخرفة لا تحتوى على كتابة أو نصوص.

وقد ورد في النص اسم السلطان سليمان بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان مراد بن السلطان محمد بن السلطان بايزيد بن السلطان مراد بن السلطان أورخان بن السلطان عثمان الذى تنتسب اليه الدولة العثمانية.

وبهذا التسلسل الوارد في النص يكون السلطان سليمان هو السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان[2] بينما ورد في نقش مقصورة مقام ابراهيم عليه السلام المؤرخ بعام ٩٤٩ هـ - والذى سوف ننشره في الصفحات القادمة[3] - على أنه السلطان التاسع حسب تسلسل الأسماء في النقش المذكور.

وهناك اختلاف بين النقشين في الأسماء فبينما ورد في النقش موضوع الدراسة حسب التسلسل اسم السلطان محمد بن بايزيد بن السلطان مراد بن السلطان أورخان نجد أن اسم بايزيد غير وارد في نقش المقصورة المشار اليه.

وقد أورد ابن اياس سلسلة نسب السلطان سليمان على النحو التالي : " السلطان

---

(١) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧١.
(٢) عن أخبار السلطان سليمان أنظر :
محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية - طبعة دار الجيل - بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ص ٧٩ وما بعدها.
(٣) أنظر ص ٣٦٠ من هذه الرسالة.

سليمان بن السلطان سليم بن السلطان أبي يزيد[1] بن السلطان محمد بن السلطان مراد[2] بن أبي يزيد المعروف بيلدرم بن آورخان بن أردن علي بن عثمان بن سليمان.[3]

ونلاحظ أن ابن اياس قد أورد أسماء لم ترد في النقشين المشار اليهما وهذه الأسماء هي : أردن علي ، سليمان - كما أن الترتيب الذى أورده يختلف عن ترتيب النقش موضوع الدراسة اذ أورد اسم مراد بن أبي يزيد المعروف بيلدرم بينما ورد في النقش المذكور باسم مراد بن محمد بن بايزيد وجعل ابن اياس بايزيد المعروف بيلدرم ابنا للسلطان أورخان مباشرة بينما ورد في النقش المذكور باسم بايزيد بن السلطان مراد بن السلطان أورخان .

ويختلف ماورد عند ابن اياس عما ورد في نقش مقصورة المقام فقد جعل ابن اياس مراد بن بايزيد المعروف بيلدرم بن أورخان بينما ورد في نقش مقصورة المقام باسم مراد بن محمد بن مراد بن أورخان .

---

(١) يلاحظ أن قطب الدين الحنفي قد جعل سليم ابن محمد بينما تذكر المصادر ومن بينها النقشين المشار اليهما أنه سليم بن بايزيد - أنظر :
قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢١٦ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٥ ص ١٥١ ، مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد (مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة برقم ٦٧٥ عن المكتبة الأزهرية) ورقة ١٤، ٢٠، ٢٣، ٣٠، ابن القاضي : درة الحجال في أسماء الرجال - تحقيق محمد الأحمدى أبو النور - نشر دار التراث بالقاهرة - المكتبة العتيقة بتونس ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م جـ ٣ ص ٣١١ ، الغزى : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة - تحقيق جبرائيل سليمان جبور - الطبعة الثانية - نشر دار الآفاق الجديدة - بيروت جـ ٣ ١٩٧٩م ص ١٥٦ ، الشيلي : السنا الباهر بتكميل النور السافر ورقة ١٠٣ (مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ٣١٢ عن مكتبة تشسر بيتى رقم ٥٢٣٠) .

(٢) يذكر ابن اياس أن اسمه محمد بن مراد بحيث يتفق مع ماورد في نقش مقصورة مقام ابراهيم ويختلف عن النقش موضوع الدراسة وبقية المصادر حيث ورد باسم محمد بن بايزيد - أنظر :
بدائع الزهور جـ ٥ ص ١٥١ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢١٦ ، سلوك سبيل الرشاد ورقة ١٤ ، السنا الباهر ورقة ٦٣ .

(٣) ابن اياس : المصدر السابق جـ ٥ ص ١٥١ ، ويلاحظ أن قطب الدين الحنفي قد أورد بقية النسب على النحو التالي : بايزيد بن مراد بن أورخان بن السلطان عثمان أنظر : الاعلام ص ٢١٦ أما صاحب سلوك سبيل الرشاد فقد ذكر أن بايزيد المعروف بيلدرم هو ابن مراد خان بن السلطان أردن علي بن سليمان شاه - أنظر :
سلوك سبيل الرشاد - ورقة ١٤ .

ويعرف أيضا بالسلطان سليمان القانوني The - law - Giver كما يسميه المؤرخون الأجانب باسم سليمان العظيم The magnificent نظرا لما بلغته الدولة في عهده من قوة وازدهار .[1] وهو السلطان التاسع[2] أو العاشر من سلاطين آل عثمان وقد ولد في سنة تسعمائة[3] وولى السلطنة في يوم الأحد الثاني عشر من شوال سنة ٩٢٦ هـ[4]

---

(١) محمد أنور شكرى : لوحان آثريان ص ٥٠ .

(٢) يلاحظ أن ابن اياس قد جعله السلطان التاسع في الترتيب من سلاطين آل عثمان وورد في أحد النقوش الأثرية وهو نقش مقام ابراهيم الخليل المؤرخ بعام ٩٤٩ هـ على أنه السلطان التاسع فعلا - والذى سوف أقوم بنشره في الصفحات القادمة - بينما ورد في نقش باب السلام موضوع الدراسة المؤرخ بعام ٩٣١ هـ على انه السلطان العاشر وقد ورد كذلك أيضا في احدى وثائق السلطان سليمان وهي الوثيقة المؤرخه بعام ٩٦٨ هـ - أنظر:
ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٥ ص ٣٦٣ وأنظر: نقش مقام ابراهيم المؤرخ بعام ٩٤٩ هـ في ص ٣٦٠ من هذه الرسالة - وأنظر أيضا : وثيقة السلطان سليمان المؤرخة بعام ٩٦٨ هـ المحفوظة بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة (ميكروفيلم رقم ٧٠٨ المصور عن مكتبة تشستربيتي ورقة ١٠) . ويلاحظ أن كلا من الديار بكرى وابن العماد الحنبلي قد جعله السلطان الحادى عشر في الترتيب - أنظر: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس جـ ٢ ص ٣٩١ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٨ ص ٢٧٥ .

(٣) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٤٧ وأنظر:
السنا الباهر بتكميل النور السافر ورقة ٢٨٢ ، العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٧٣ أما السنجارى فقد أورد ولادته بسنة ٩٠٩ هـ - أنظر: منائح الكرم ورقة ٢٣٨ .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٥ ص٣٦٣ وأنظر:
الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٣٦٧ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام ص٢٤٧ ، الغزى : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة جـ٣ ص ١٥٦ ، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب جـ٨ ص٢٧٦ ، الشيلى : السنا الباهر ورقة ٢٨٢ ، العصامي: سمط النجوم العوالي جـ٤ ص ٧٣ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٦٧ . أما الديار بكرى فقد أرخ ولايته بيوم الأحد الخامس عشر أو السابع عشر من نفس الشهر - أنظر : تاريخ الخميس جـ ٢ ص ٣٩١ ويلاحظ أن صاحب كتاب النور السافر في أخبار القرن العاشر قد جعل تولية السلطان سنة ٩٢٤هـ مخالفا بذلك المصادر الأخرى التي أشرت اليها - أنظر: النور السافر في أخبار القرن العاشر ص ١١٩ ، كما أن الدكتور أنور شكرى قد جعل تولية السلطان سليمان سنة ٩٢٥هـ مع أن المصادر قد أجمعت تقريبا على توليته سنة ٩٢٦ هـ - أنظر : لوحان أثريان ص ٥٠ .

وكان عمره آنذاك ستاوعشرين سنة وقيل ثمان وعشرين سنة .[١]

ودامت ولايته حوالي ٤٨ سنة حتى توفي في شهر صفر سنة ٩٧٤ هـ وقد بلغ من العمر أربعا وسبعين سنة وشهرين[٢] وتولى بعده السلطنة ابنه السلطان سليم الثاني ٩٧٤ هـ - ٩٨٢ هـ والذى سوف نتحدث عنه عند دراسة نصوص عمارة المسجد الحرام المؤرخ أحدها بعام ٩٨٤ هـ .[٣]

ويشير صاحب كتاب السنا الباهر بتكميل النور السافر (ت ١٠٩٣ هـ) الى أن جار الله بن فهد القرشي المتوفى سنة ٩٥٤ هـ قد وضع ترجمة خاصة للسلطان سليمان سمّاها " الخيّرات الحسان فى ترجمة السلطان سليمان " .[٤]

وكان للسلطان سليمان اصلاحات كثيرة ومتعددة بالحرمين الشريفين أهمها :
أنه كان يرسل الصدقة الرومية التى تعرف بالصرة الرومية[٥] وهذه الصدقة

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٥ ص ٣٦٣ وأنظر :
قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٢٤٧ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس جـ٢ ص ٣٩١ .

(٢) قطب الدين الحنفى : المصدر السابق ص ٢٤٧ وأنظر :
الديار بكرى : تاريخ الخميس جـ ٢ ص ٣٩١ ويلاحظ أنه أشار الى أن السلطان قد بلغ من العمر خمسا وسبعين سنة - وأنظر : العيدروسي : تاريخ النور السافر ص ٢٩٢ ، نجم الدين الغزى : الكواكب السائرة جـ٣ ص ١٥٧ ، العصامى : سمط النجوم العوالى جـ ٤ ص ٩١ .

(٣) أنظر ص ٣٨٦ من هذه الرسالة .

(٤) الشيلى : السنا الباهر بتكميل النور السافر فى أخبار القرن العاشر - مخطوط بمركز البحث العلمى بجامعة ام القرى - مصور (ميكروفيلم ٣١٢ عن مكتبة تشستربيتى رقم ٥٢٣٠ ورقة ٢٨٢ .

(٥) يقصد بالصرة : الخرقة المصرورة فيها وهي مصدر صرّ - أنظر :
ابن مالك الجيانى : اكمال الاعلام بتثليث الكلام - طبع مركز البحث العلمى بجامعة ام القرى - الطبعة الأولى - ١٤٠٤هـ/١٤٠٥ هـ جـ ٢ ص ٣٦٠- أما تسميتها بالصّرة الرومية فلأنها كانت ترسل من بلاد الروم قبل أن يستولى العثمانيون على مصر سنة ٩٢٢ هـ بينما عرفت الصرة التى كان يرسلها السلطان سليم الأول بعد فتح مصر باسم الرومية الجديدة . وربما سميت بهذا الاسم تمييزا لها عن الصرر الأخرى مثل الذخيرة وهي صدقة كان يرسلها المماليك الجراكسة فأبقاها السلطان سليم على حالها وكذلك الصّر الحكمى أى المتحصل من الأوقاف التى كان يوقفها السلاطين منذ عصر المماليك - أنظر : قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٢٤١، ٢٤٢ ، سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد - ورقة ٣٢ ، السنجارى : منائح الكرم(=)

وان كانت معروفة منذ عهد أجداده من آل عثمان الا أنه هو الذى زادها وضاعفهـا حتى أصبحت على حد قول المؤرخين مادة حياة أهل الحرمين الشريفين وبها معاشهم وقيام أودهم حتى بلغت في عهده ثمانية عشر ألف دينار ذهب .(١)

وكان أول من أرسل هذه الصرّة الى أهل الحرمين من سلاطين آل عثمـان السلطان محمد خان بن بايزيد خان ٨١٦ هـ - ٨٢٥ هـ(٢) وأرسلها بعده ابنـه السلطان مراد ٨٢٥ هـ - ٨٥٦ هـ اذ بلغت صدقته ثلاثة آلاف وخمسمائة دينـار ذهب .(٣)

كما كان يرسلها السلطان بايزيد بن محمد الفاتح ٨٨٦ هـ - ٩١٨ هـ حتى بلغت

(=) ورقة ٢٣٦ ، ٢٣٧ وأنظر أيضا : حسين أفندى الروزنامجي : ترتيب الديار المصرية ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٩ وأنظر: دحلان : خلاصة الكلام ص ٥١ ، محمد صادق باشا : دليل الحج ص ٣ ، ٤ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ٢ ص ٣٩٠ ، مصطفـى محمد رمضان : " وثائق مخصصات الحرمين" مصادر تاريخ الجزيرة جـ ٢ ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(١) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٧٩ - وأنظر: سلوك سبيل الرشاد ورقة ٣٣ ، عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ٩٧ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٩٠ ، ابن العماد الحنبلى : شـذرات الذهب جـ ٨ ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، العصامى : سمط النجوم جـ ٤ ص ٧٣ حيث يشير الى أن هذه الصرّة بلغت واحدا وثلاثين ألف دينار ، وأنظر: السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٦٨ .

(٢) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٢١ - وأنظر : عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ٩٤ ، الشيلى : السنا الباهر ورقة٦٣ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٣٦ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ٢ص ٣٠٩ ، ويلاحظ ان الأستاذ احمد السباعي أشار الى أن السلطان محمد هذا قد خصص جزءا من ريع أوقافه على فقراء الحرمين مع أن المصادر التي رجعت اليها لم تشر الى هذه الأوقاف وانما أشارت فقط الى انه أول من عمل الصرّ لأهل الحرمين الشريفين- أنظر : أحمد السباعي : تاريخ مكة جـ ٢ ص ٣٤٣ .

(٣) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٢١ ، وأنظر: عبد الكريم القطبى :المصدر السابق ص ٩٤ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٣٦ ، ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٣٥ ، ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ٢ ص ٣٠٩ .

صدقته كل عام ١٤ ألف دينار يصرف نصفها لأهل مكة والنصف الآخر لأهل المدينة.[١]
ولما استولى السلطان سليم على مصر أرسل هذه الصدقة ورتب لها سجلا تصرف بموجبه في كل من مكة والمدينة.[٢]

ومن اصلاحات السلطان سليمان وخيراته لأهل الحرمين الشريفين صدقة الجوالي[٣]:

ويقصد بها ما يؤخذ من أهل الذمة مقابل بقائهم فى بلاد الاسلام وعدم جلائهم عنها وقد جعلها السلطان سليمان لعلماء الحرمين الشريفين ومشائخهما وبعض المتقاعدين بهما وهي من جوالي مصر فقط.[٤]

ومن أهم اصلاحات السلطان سليمان وخيراته لأهل الحرمين الشريفين صدقة الحب (القمح) وكان والده السلطان سليم هو أول من أرسل صدقة القمح الى أهل الحرمين الشريفين من سلاطين آل عثمان سنة ٩٢٣ هـ وكان يشترى قمح هذه الصدقة من ماله الخاص الا أن السلطان سليمان اشترى قرى من بيت المال وجعل غلتها من

---

(١) قطب الدين الحنفي :المصدر السابق ص ٢٢٣ وأنظر:
سلوك سبيل الرشاد ورقة ٢٠، عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الاعلام ص ٩٤ ، الغزى : الكواكب السائرة جـ ١ ص ١٢٢ - ١٢٤، محي الدين الطبرى :الأرج المسكى ورقة ٩٠، الشبلى : السنا الباهر ورقة ٦٣، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٣٦.
(٢) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٤١ وأنظر:
سلوك سبيل الرشاد ورقة ٣٠، عبد الكريم القطبي :اعلام العلماء الاعلام ص ٩٥ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٣٦، ٢٣٧ ، حسين أفندى الزنامجي : ترتيب الديار المصرية ص ٥٩، دحلان : خلاصة الكلام ص ٥١، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ٢ ص ٣٠٩.
(٣) الجوالي : جمع جالية والجالية فى الأصل الذين أجلوا عن أوطانهم ثم أريد بها الجزية فقيل استعمل فلان على الجالية أى على جزية أهل الذمة - أنظر:
أبو يوسف : الخراج - تحقيق محمد ابراهيم البنا - طبعة دار الاصلاح ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م ص ٣١ حاشية (١) ، .
(٤) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٢٨١ وأنظر:
سلوك سبيل الرشاد ورقة ٣٣، عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الاعلام ص ٩٧ ، وأنظر أيضا : محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٩٠، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٦٨.

القمح وقفا لأهل الحرمين الشريفين فجعل لأهل مكة في بادئ الأمر ألفا وخمسمائة أرد ب من القمح وخمسة آلاف أرد ب لأهل المدينة المنورة ثم ضاعفها لأهل مكة فجعل لهم ثلاثة آلاف أرد ب ولأهل المدينة ألفي ارد ب وذلك زيادة على ما كان يرسل منذ أيام والده السلطان سليم الذى كان يرسل سبعة آلاف ارد ب سنويا منها ألفا ارد ب لأهل المدينة وخمسة آلاف لأهل مكة .(١)

وقد تزايد هذا القمح حتى وصفه قطب الدين الحنفي بأنه أصبح سببا لمعاش أهل الحرمين الشريفين وتقوتهم ومادة حياتهم ومعيشتهم وأودهم وقوتهم فلو عدموه والعياذ بالله هلكوا ...(٢)

وسوف نرى أن كثيرا من سلاطين آل عثمان ممن جاء بعد السلطان سليمان قد خصص أوقافا تحمل غلاتها من القمح الى أهل الحرمين الشريفين مما سنذكره في مكانه ان شاء الله .

ومن أهم اصلاحات السلطان سليمان على الاطلاق شراؤه لبعض القرى بمصر وايقافها على كسوة الكعبة المشرفة وكان أول من أوقف قرى على كسوة الكعبة هو السلطان الصالح اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ٧٤٣ هـ - ٧٤٦ هـ

---

(١) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٤٤ ، ٢٨٠ - وأنظر :
سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٣٢ ، ٣٣ ويلاحظ أن عبد الكريم القطبي أشار الى أن السلطان سليمان جعل لأهل مكة ثلاثة آلاف ارد ب وخمسة آلاف ارد ب لأهل المدينة - أنظر :
اعلام العلماء الاعلام ص ٩٦ ، ٩٧ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٩١ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٣٧ ، ٢٦٨ ، دحلان : خلاصة الكلام ص ٥١ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٢) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٨٠ - وأنظر :
السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٣٧ .
دحلان : خلاصة الكلام ص ٥١ .
أحمد السباعى : تاريخ مكة ج ٢ ص ٤٦٢ .

الذى أوقف قريتي بيسوس وسردوس[(١)] بمصر وظلت هذه القرى موقوفه حتى ضعف ريعها

---

(١) يلاحظ أن تقي الدين الفاسى قد أشار الى أن السلطان الصالح اسماعيل قد أوقف قرية بنواحي القاهرة دون ذكر اسم هذه القرية. أنظر: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٢٣، العقد الثمين جـ ١ ص ٥٩ بينما ذكر ابن ظهيرة القرشي أن هذه القرية تسمى بيسوس. أنظر: الجامع اللطيف ص ١٠٨ ولم يشر المقريزى أو ابن تغرى بردى الى ايقاف قرى على كسوة الكعبة وانما أشارا الى أن السلطان الصالح اسماعيل قد أوقف ثلثي ناحية سندبيس من قرى القليوبية على ستة عشر خادما من خدام المسجد النبوى الشريف. أنظر: السلوك جـ ٢ ق (٣) ص ٦٢٣ وأنظر أيضا النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ٧٨ أما ابن حجر العسقلانى فقد صرّح فى الدّرر بأن السلطان الصالح اسماعيل قد أوقف ناحية بيسوس أو سردوس على كسوة الكعبة المشرفة. أنظر: الدّرر الكامنة جـ ٢ ص ٢٠٤ وقد أخطأ قطب الدين الحنفي حين ذكر أن قرية سندبيس هى احدى القرى الموقوفة على الكسوة وانما وقفت هذه القرية على بعض خدام المسجد النبوى. أنظر: الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٧٠، ١٨٨، ٧١ وقد تابعه في هذا الخطأ ابن أخيه عبد الكريم القطبي. أنظر: اعلام العلماء الأعلام ص ٥٦ وكذلك السنجارى الذى وقع فى خطأ كبير حين أشار الى أن السلطان سليم هو الذى أوقف قرى على كسوة الكعبة وأن السلطان الناصر محمد بن قلاوون هو الذى أوقف قريتي بيسوس وسندبيس على الكسوة مع أن السلطانين اللذين أوقفا قرى هما الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون المملوكي والسلطان سليمان بن سليم العثماني. أنظر: منائح الكرم ورقة ٢٣٦ ويلاحظ أن كلا من ابراهيم رفعت ومحمد صادق باشا وباسلامه والدكتور أنور شكرى والدكتور مصطفى محمد رمضان قد نقلوا ذلك الخطأ دون تمحيص. أنظر: ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٨٤ وأنظر: محمد صادق باشا: دليل الحج ص ٤ وأنظر أيضا: باسلامه: تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٦٩ وأنظر: أنور شكرى: لوحان أثريان ص ٥٨، وأنظر أيضا مصطفى رمضان: " وثائق مخصصات الحرمين الشريفين" مصادر تاريخ الجزيرة جـ ٢ ص ٢٦٥ وقد اتضحت لي هذه الأخطاء مما أورده ابن دقماق حين تحدث عن قريتي بيسوس وسردوس بقوله: " وهما جاريتان فى الأوقاف على الكسوة بحرم مكة المشرفة وحرم المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والرحمة.." أنظر: الانتصار لواسطة عقد الأمصار - ق (٢) طبعة بولاق ١٣١٠هـ ص ٤٨ وأشار ابن دقماق أيضا الى أن قرية سندبيس قد أوقف ثلثيها الصالح اسماعيل على ستة عشر خادما من خدام المسجد النبوى الشريف وأن الثلث الباقي كان موقوفا منذ زمن صلاح الدين الأيوبى مع بلدة " نقاده " بالصعيد الأعلى على أربعة وعشرين خادما من خدام المسجد النبوى مؤكدا بذلك ما ذكره كل من المقريزى وابن تغرى بردى أنظر: المصدر نفسه ص ٤٩ وهو ما يؤكد أيضا خطأ قطب الدين الحنفي ومن أخذ عنه بعد ذلك. وقد تحدث عن هذه القرية المرحوم الأستاذ محمد رمزى بقوله: " وردت فى تحفة الارشاد من أعمال الغربية مع دكروه وبالبحث تبين أنها (=)

فأمر السلطان سليمان أن تكمّل من الخزائن السلطانية[1] ثم أوقف بعد ذلك عدة قرى[2] أوردها كل من ابراهيم رفعت[3] ويوسف أحمد[4] وباسلامه[5] وأحمد السباعي[6] وهي :

١ - سلكه[7] . ٢ - سروبجا[8] . ٣ - أويش الحجر[9] .

(=) اند ثرت ويدل عليها حوض دكروه رقم ١٢ وأرض ناحية بقلوله بمركز كفر الشيخ بمديرية الغربية وبما أن بيسوس كانت مجاورة لها فتبين لي أنها اندثرت ومكانها اليوم كوم قديم يعرف بكوم الوحال في الزاوية الشمالية الشرقية من زمام ناحية بقلوله حيث يقع حوض دكروه وكان هذا الكوم عليه قريتي دكروه وبيسوس" . أنظر: محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ق (١) البلاد المندرسة - طبعة دار الكتب سنة ١٩٥٣م/١٩٥٤م ص ١٨٦ .

(١) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٧١ ، عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الأعلام ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) عبد الكريم القطبي : المصدر نفسه ص ٥٧ .

(٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٨٤ .

(٤) يوسف أحمد : المحمل والحج جـ ١ ص ٢٠٤ وما بعدها .

(٥) باسلامه : تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٧٠ .

(٦) أحمد السباعي : تاريخ مكة جـ ٢ ص ٤٨٣ - ٤٨٥ .

(٧) سلكه : بفتح السين واللام والكاف : هي احدى قرى مركز شبين الكوم وهي من القرى القديمة وقد وردت في قوانين الدواوين لابن مماتي وفي تحفة الارشاد سلكا من أعمال جزيرة قوسينا وفي التحفة من أعمال الغربية - أنظر : محمد رمزي : القاموس الجغرافي ق (٢) جـ ٢ مطبعة وزارة التربية والتعليم بمصر ١٩٥٨م ص ١٩٠ .

(٨) سروبجا وهو الاسم الصحيح كما أورده الأستاذ محمد رمزي وقد أخطأ من أوردها بسروبجنجه وهي من القرى القديمة اسمها المصرى القديم وفي عهد العرب عرفت باسم السرو ووردت كذلك في تحفة الارشاد وقوانين الدواوين وتعرف بسرو بجحا من اعمال الدقهلية ، والسرو كلمة عربية بمعنى الأرض المرتفعة التي لا يعلوها ماء النيل الا بواسطة الآلات الرافعة ، ونظرا لارتفاع أرضها بالنسبة لأراضي النواحي المجاورة لها عرفت بالسرو فأصبح علما عليها وبذلك اختفى اسمها القديم وهو بجحا - أنظر : محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ق (٢) جـ ١ ، مطبعة دار الكتب ١٩٥٤م/١٩٥٥م ص ٢٤١ .

(٩) أويش الحجر : هي من القرى القديمة وردت في نزهة المشتاق باسم أويش الحجر ووردت في معجم البلدان أويش الحجر قال وهي قرية قرب سمنود على بحر النيل من ديار مصر وفي التحفة من أعمال الدقهلية والمرتاحية وعلى لسان العامة ويش الحجر وهو اسمها الأصلي - أنظر : محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ق (٢) جـ ١ ص ٢١٧ طبع دار الكتب المصرية ١٩٥٤م - ١٩٥٥م .

٤ - منايل كوم ريحان.[1]　　٥ - بجام.[2]　　٦ - منية النصارى.[3]

٧ - بطاليا.[4]

وظلت هذه القرى موقوفة الى أن حل وقفها محمد علي باشا سنة ١٢٢٨هـ وأصبحت الحكومة المصرية هى التى تقوم بعمل الكسوة[5] حتى استقلت بكسوتها المملكة العربية السعودية وأنشأت لها مصنعا خاصا فى مكة المكرمة سنة ١٣٤٦ هـ[6]، وقد أورد كل من عبد الكريم القطبى[7] وابراهيم رفعت ويوسف أحمد وباسلامه نص وقفية القرى التى أوقفها السلطان سليمان وهي مؤرخة بعام ٩٤٧ هـ.[8]

(١) منايل كوم ريحان وقد أخطأ كل من أضاف اليها حرف الواو هكذا " منايل وكوم ريحان" مما يفهم معه أنها قريتان مع أنها فى الواقع قرية واحدة من القرى القديمة بمركز شبين القناطر وكانت تسمى أولا بكوم ريحان ووردت فى التحفة من أعمال القليوبية وقد غير اسمها من كوم ريحان الى المنايل فعرفت بمنايل كوم ريحان والظاهر أن كوم ريحان كان بها حوض يعرف بالمنايل وتغلب اسمه على اسم القرية فعرفت بالمنايل وهو اسمها الحالي وورد باسم منايل كوم ريحان فى كتاب وقف كسوة الكعبة المشرفة سنة ٩٤٧ هـ - أنظر: محمد رمزى : المرجع السابق ق (٢) ج ١ طبعة دار الكتب ١٩٥٤م/١٩٥٥م ص ٣٤.

(٢) بجام احدى القرى القديمة ووردت فى تحفة الارشاد من أعمال الشرقية وفى التحفة السنية من أعمال ضواحي القاهرة - أنظر: محمد رمزى : المرجع السابق ق (٢) ج ١ ص ١٢.

(٣) منية النصارى : من أعمال الدقهلية وبالبحث عن هذه القرية تبين أنها مشتركة مع شار مساح (فارسكور) وأصبحت منذ سنة ١٢٢٨ هـ ناحية واحدة باسم شار مساح. أنظر: محمد رمزى : القاموس الجغرافي - القسم الأول - البلاد المندرسة ، طبع دار الكتب المصرية ١٩٥٣م / ١٩٥٤م ص ٤٣٦.

(٤) بطاليا : واسمها الصحيح طليا من القرى القديمة وهي من أعمال الجيزيه لأنها كانت تابعة لها وفى القرن العاشر أصبحت طليا من نواحي المنوفية ووردت فى دليل سنة ١٢٢٤هـ باسم طليا الحلف لكثرة نبات الحلف بها - أنظر: محمد رمزى : المرجع السابق ق (٢) ج ٢ طبع وزارة التربية والتعليم ١٩٥٨م.

(٥) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٨٤ وأنظر : باسلامه : تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٧٠، يوسف أحمد : المحمل والحج ص ٢٦١، مصطفى رمضان :"وثائق مخصصات الحرمين الشريفين" مصادر تاريخ الجزيرة ج ٢ ص ٢٦٢.

(٦) باسلامه : تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٩٣ ومابعدها.

(٧) عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الأعلام ص ١٦٥ وما بعدها.

(٨) ابراهيم رفعت : المرجع السابق ج ١ ص ٢٨٥ ، وأنظر : يوسف أحمد :المحمل والحج ص ٢٥١ - ٢٥٧ ، باسلامه : تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٧١ - ٢٧٨.

وما دمنا بصدد الحديث عن كسوة الكعبة وما أوقفه السلطان سليمان من قرى عليها فان الجزيرى والرشيدى (ت ١١٧٨هـ) قد أوردا خبرا يتعلق بالاصلاحات التى أدخلها السلطان سليمان على كسوة الكعبة المشرفة وهو ان السلطان سليمان قد جعل طراز الكعبة المشرفة من الحرير الأصفر المزركش بالفضة المطلّية بالذهب المعروف بالمخيّش بعد ان كان فى العصور السابقة يعمل من حرير أبيض او اخضر[(١)].

والواقع أن عمل طراز الكعبة من الحرير الأصفر قد عمل قبل ذلك بكثير اذ يشير الفاسي الى أن طراز الكعبة قد عمل من الحرير الأصفر قبل سنة ٨٠٠ هـ بسنة أو سنتين وهو ما أشار اليه الرشيدى نفسه فى حوادث سنة ثمان وتسعين وسبعمائة[(٢)].

ومن اصلاحات السلطان سليمان أنه أمر بصنع مراكب لحمل قمح الصدقة والدشيشة فقد أشار ابن اياس الى أنه صنع فى سنة ٩٢٧ هـ مركب عظيم لحمل مغل الدشيشة كان طوله مائة وعشرون ذراع وبه فرن وطاحون وصهريج للماء ومبيت واسطبل للخيل وقد فككت أخشابه وأرسلت على ظهور الجمال الى الطور ومن هناك ترسل عن طريق البحر[(٣)].

ومما أنشىء في عهد السلطان سليمان التكيّة[(٤)] الخاصكية التى أمرت بانشائها والدة السلطان سليمان بالقرب من الصفا وأنشىء بها سبيل ومطبخ للدشيشة يعمل كل يوم فيها خبز وطعام للفقراء وأوقفت بستانا بالمعلاه عرف ببستان الخاصكية والذى كان من أملاك بيرم خجا الأشرفى[(٥)] الذى كان ناظرا على الحرم فيعهد السلطان المملوكى جقمق .

---

(١) الجزيرى : درر الفوائد المعظمة ص ٣١٥، ٣١٦ ، الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي امارة الحاج ص ١٣٨ .
(٢) الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ١٢٣ ، الرشيدى : المصدر السابق ص ١٣٨ .
(٣) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٥ ص ٣٩٩ .
(٤) التكية : هي دار تعبد وتصوف فى العصر العثمانى ويسكن بها الفقراء والدراويش أنظر : صالح لمعي مصطفى : التراث المعمارى الاسلامى فى مصر ص ١١٨ ، وأنظر : ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ١٨٦ .
(٥) سبق وأن تحدثنا عن بيرم خجا عند دراسة نص السلطان جقمق المؤرخ بعام ٨٥٢هـ أنظر ص ١٦١ - ١٧٤ من هذه الرسالة .

وأنشأت تكية أخرى مماثلة بالمدينة المنورة خارج باب المصرى أحد أبواب سور المدينة .[١]

ومن اصلاحات السلطان سليمان تجديد وعمارة بعض مآذن المسجد الحرام مثل مأذنة باب العمرة فى سنة ٩٣١ هـ اذ يذكر قطب الدين الحنفى أنه أدرك هذه المأذنة وهى عتيقة فأمر بتجديدها السلطان سليمان سنة ٩٣١ هـ فهدمت ثم بنيت بالآجر وجعلت دورا واحدا كما كانت وغير رأسها على هيئة أسلوب منائر الروم[٢] أى مدببة الخوذه فتبدو وكأنها الشمعة أو المرسم المبرى وهو الطراز الذى تنتهى المآذن العثمانية قاطبة . كما عمّرت مأذنة باب على بالجانب الشرقى من المسجد الحرام سنة ٩٣٢ هـ وكانت قد آلت الى الخراب فأمر السلطان سليمان بعمارتها فهدمت وأعيد بناؤها بالحجر الأصفر (الشميسى) وجعلت دورين بعد أن كانت دورا واحدا وغير رأسها على هيئة أسلوب منائر الروم أيضا[٣] وظلت هذه المأذنة قائمة حتى أزيلت فى التوسعة السعودية للمسجد الحرام التى بدأت منذ عام ١٣٧٥ هـ .[٤]

---

(١) الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٢٧ ، وأنظر:
قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٢٦ ، أحمد العباسى : عمدة الأخبار فى مدينة المختار ص ٤٦٣ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٣٤ ، الشيلى : السنا الباهر ورقة ٢١٩ ، العصامى : سمط النجوم العوالى جـ ٤ ص ٨٢ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧١ .

(٢) قطب الدين الحنفى : المصدر السابق ص ٣٥٠ ويلاحظ أن الجزيرى قد أشار الى عمارة مأذنة باب العمرة بقوله : " وتعليق منارة باب العمرة " دون اشارة الى تاريخ العمارة ويلاحظ أن عبد الكريم القطبى (ت ١٠١٤ هـ) لم يشر الى هذه العمارة فى عهد السلطان سليمان . أنظر: اعلام العلماء الاعلام ص ١٣٠ ولم يشر لها أحد من المؤرخين بعد ذلك سوى السنجارى وابن فضل الله الطبرى. أنظر: منائح الكرم ورقة ٢٤٠ ، وأنظر أيضا : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٧٠ .

(٣) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٧ وأنظر: قطب الدين الحنفى : المصدر السابق ص ٣٥١ ، عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١٣١ .

(٤) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٦٦ .

وفى سنة ٩٣٢ هـ أمر السلطان سليمان بتجديد مقامي المالكي والحنبلي وجعل كل مقام عبارة عن أربع اسطوانات مثمنة الشكل كل اسطوانة قطعة واحدة من الحجر الصوان وفوقها سقف من الخشب المدهون المزخرف وجعل أعلاهما مما يلي السماء على هيئة جملون مصفح بالرصاص وجعل فى كل مقام محراب فيما بين الاسطوانتين المتقدمتين الى جهة القبلة وكان المباشر لذلك العمل عبد الكريم اليازجى الرومي (١) .

وفى هذه السنة جعلت أساطين المطاف الشريف التى تعلق عليها القناديل من النحاس بعد أن كانت حجارة منحوتة (٢) .

ويذكر العصامي أن قيمة هذه الأساطين النحاسية تعدل وزنها من الفضة (٣) .

وفى سنة ٩٣٣ هـ أمر السلطان سليمان بعمل طراز مذهب لدائر بئر زمزم وعمل فى نفس السنة ونقش عليه اسم السلطان سليمان نخبة آل عثمان (٤) .

ومن اصلاحات السلطان سليمان أمره باعادة اصلاح عين حنين وتجديد بركة السّلم سنة ٩٣٥ هـ كما ورد فى النص التأسيسى لهذا الاصلاح والذى سوف أتحدث عنه فى الصفحات القادمة (٥) .

---

(١) ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٢١٣ وأنظر : الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٢٧ ، الأسدى : أخبار الكرام ص ١٦٠ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٧٥ .

(٢) الجزيرى : المصدر السابق ص ٢٧ وأنظر : العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٨٢ ، باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٧٣ . ويذكر نجم الدين بن فهد فى حوادث سنة ٧٣٦ هـ أنه جعلت أساطين حول المطاف لتعليق القناديل بعضها بالحجارة المنحوتة الدقيقة وبعضها آجر مجصص وجعل بين كل من الأساطين خشبة ممدودة راكبة عليها وعلى المقابلة لها وذلك عوض الأخشاب التى كانت فى هذا المكان على صفة الأساطين . أنظر : نجم الدين بن فهد : اتحاف الورى جـ ٣ ص ٢٠٧ .

(٣) العصامي : المصدر السابق ص ٨٢ .

(٤) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٧ وأنظر : ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ١ ص ٢٥٧ وأنظر : باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٢١ .

(٥) أنظر ص ٣٣٦ من هذه الرسالة .

ومن اصلاحات السلطان سليمان عمارته للمكان الذى ولد فيه[1] الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك سنة ٩٣٥ هـ .[2]

كما أمر فى نفس هذه السنة بعمارة دار خديجة رضي الله عنها .[3]

ومن اصلاحات السلطان سليمان الهامة انشاء قلاع على طريق الحج الشامي مثل قلعة الأخضر[4] سنة ٩٣٨ هـ وقلاع أخرى في كل من معان وتبوك والعلا والقطرانه[5] وغيرها .[6]

---

(١) اختلف فى المكان الذى ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فقيل بالشعب وقيل بالردم ردم بنى جمح وقيل بعسفان والمشهور انه ولد بالشعب شعب بنى هاشم فى المكان المعروف الآن بسوق الليل - أنظر :
الأزرقي : أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار جـ ٢ ص ١٩٨ ، الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٦٩ ، العقد الثمين جـ ١ ص ٩٧ ، وأنظر أيضا : ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(٢) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٧ ، ٢٨ وأنظر :
محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ١٩ ، العصامي : سمط النجوم العوالى جـ ٤ ص ٨٢ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٤٠ .

(٣) الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٢٧ ، ٢٨ وأنظر :
قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٣٠٥ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ١٩٢ .

(٤) وادى الأخضر يقع بين تبوك ووادى القرى وهي المحطة الخامسة على الخط الحجازى بعد تبوك ويطلق عليها أيضا الاخيضر وتبعد عن تبوك بحوالى ٨٨ كم وقد أنشأ السلطان بها قلعة وثلاث برك سنة ٩٣٨ هـ . أنظر :
سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج - الطبعة الأولى - تهامة ١٤٠١ هـ/١٩٨١م ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٥) تقع القطرانة على الخط الحديدى الحجازى الواصل بين دمشق والمدينة المنورة وتبعد عن عمّان العاصمة الأردنية بحوالي ١٠٤ كم وقد ذكرت فى بعض مؤلفات باسم قطراني - أنظر :
سيد عبد المجيد بكر : المرجع السابق ص ١٨٦ - ١٨٩ .

(٦) نجم الدين الغزى : الكواكب السائرة جـ ٣ ص ١٥٧ وأنظر :
اللواء أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب جـ ٢ - ترجمة : أحمد فؤاد متولى ، الصفصافى أحمد المرسى - الطبعة الأولى - دار الرياض للنشر ١٤٠٣ هـ - ص ٢٣٠ - ٢٣٢ .

ومن أهم اصلاحات السلطان سليمان أمره بانشاء سور المدينة المنورة وكان ابتداء العمل به في أوائل سنة ٩٣٩ هـ واستمر العمل به ما يزيد على سبعة أعوام حتى انتهى العمل منه في منتصف شهر شعبان سنة ٩٤٦ هـ وبلغت النفقة على انشاء هذا السور نحو مائة ألف دينار ذهب ومن الغلال والشعير وخلافها نحو خمسة عشر ألف ارد ب وجعل لهذا السور أربعة أبواب رئيسية هي باب غربي عرف بباب المصرى وباب قبلي عرف بالباب الصغير وباب شمالي عرف بالشامي وباب رابع عرف بباب الجمعة بالاضافة الى بابين صغيرين في أعلا برج القلعة وأسفلها [(١)].

كما أمر السلطان سليمان بانشاء قلعة جديدة بأبراج بالمدينة المنورة فهدمت القلعة القديمة وأنشئت قلعة جديدة وأحيطت بجزء من سور المدينة وجعل لها بابا نافذا الى داخل المدينة كما أنشئ بها مساكن للعساكر وانتهت عمارتها مع عمارة سور المدينة سنة ٩٤٦ هـ [(٢)].

ومن هذه الاصلاحات أنه أمر باصلاح عين خليص سنة ٩٤٠ هـ وتجديد بركتها وعين لها من يقوم بأمرها وأجرى له مرتبا يأخذه من عشور جدّه [(٣)].

---

(١) محمد بن خضر الرومي : " التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة " رسائل في تاريخ المدينة قدم لها وأشرف على طبعها حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة بالرياض - الطبعة الأولى - الرياض ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ص ٨٦ ، ٨٧ - وأنظر :
الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٢٨ وأنظر : العباسي : عمدة الأخبار ص ١٤٦ ، ١٤٧ ويلاحظ أن هناك اضطراب في عبارة العباسي حول بداية تاريخ عمارة سور المدينة ونهايتها فتارة يذكر أنه بدئ في العمارة سنة ٩٣٩ هـ وتارة يذكر أنه بدئ بعمارة السور في ٩٣٧ هـ وانتهت سنة ٩٤٨ هـ - أنظر أيضا ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ من الكتاب نفسه وربما حصل هذا الاضطراب عند طبعه وقد اعتمدت في اثبات تواريخ هذه العمارة على رسالة محمد بن خضر الرومي لأنها ألفت خصيصا لهذه العمارة . وأنظر أيضا : العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٨١ .

(٢) الرومي : التحفة اللطيفة ص ٨٨ ، الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٨ ، العباسي : عمدة الأخبار ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٨١ .

(٣) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٨ ، ٥٦٢ .

ومنها تسهيل واصلاح عقبه ايله وتوسيع طريق الحجاج بها وكان ذلك في حوالى سنة ٩٤٦ هـ وحفر آبار بمنطقة الوجه على طريق الحاج المصرى (١) .

كما أرسل السلطان سليمان للقبة النبوية هلالا من النحاس المطلى بالذهب وركبّ هذا الهلال في التاسع من شوال سنة ٩٤٦ هـ كما أرسل بخمسة أهلة أخرى أربعة للمآذن والخامس للمنبر وقدرت قيمة هذه الأهلة بحوالي ١٨٠٠ ألف وثمانمائة دينار (٢) .

بل أمر السلطان سليمان سنة ٩٤٧ هـ بترميم المسجد النبوى الشريف فرمم جداره الشرقي والغربى وجدد بناء باب الرحمه بالناحية الغربية من المسجد كما رمم باب النساء بالناحية الشرقية منه وهدمت المئذنة الشمالية الشرقية والتى كانت تعرف بالسنجارية وأعيد بناؤها من جديد وأصبحت تعرف بالسليمانية وكتب تاريخ الاصلاح على كل من باب الرحمة وباب النساء وبيض داخل المسجد الشريف ورخمت الروضة النبوية المشرفة وكذلك الحجرة النبوية وأرسل السلطان شمعدانات من النحاس المطلى بالذهب لوضعها بالحجرة النبوية (٣) .

كما أمر السلطان سليمان بتجديد محراب الحنفية (٤) وتقديمه ليحاذى محراب الشافعية

---

(١) الجزيرى : درر الفوائد ص ٤٩٣ ، ٥٢٤ .

(٢) يذكر محمد بن خضر الرومي : أن هلال القبة النبوية كان من النحاس المطلى بالذهب - أنظر : التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة ص ٩٠ بينما يذكر كل من العباسي والعصامى أن أعلا الهلال من الذهب الخالص وأسفله مطلي بالذهب - أنظر : عمدة الأخبار فى مدينة المختار ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، وأنظر : سمط النجوم ج ٤ ص ٨٢ .

(٣) الرومي : التحفة اللطيفة ص ٨٩ - ٩١ ، وأنظر : العباسي : عمدة الأخبار ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، وأنظر : العصامي : المرجع السابق ص ٨٢ ، ويلاحظ أن ابن اياس قد أشار في حوادث سنة ٩٢٨ هـ الى أن السلطان سليمان أرسل شخصا من العثمانية للقيام ببعض العمائر بمكة والمدينة منها عمارة المنارة بالحرم النبوى الشريف دون ذكر لأى منارة هي وقد بحثت عن عمارة هذه المئذنة التى أشار اليها ابن اياس فى حوادث سنة ٩٢٨ هـ ولكن دون جدوى - أنظر : ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٥ ص ٤٦ .

(٤) كان أول من أنشأ محرابا للحنفية بالمسجد النبوى طوغان شيخ المحمدى الذى كان ناظرا على الحرم فى عهد السلطان اينال ٨٥٧ هـ - ٨٦٥ هـ وذلك فى سنة ٨٦٠ هـ وقد سبق أن تحدثت عن طوغان هذا المتوفى سنة ٨٨١ هـ عند دراسة نصوص السلطان اينال - أنظر : ص ١٧٥ - ١٩٧ من هذه الرسالة .

فبنى بين المنبر وحد المسجد النبوى على يمين المحراب النبوى ونقش بالرخام الملون وعرف هذا المحراب بالمحراب السليماني لأنه هو الذى أمر بانشائه[1].

ومن اصلاحات السلطان سليمان بالمسجد الحرام هدم مقام الحنفي واعادة بنائه سنة ٩٤٩ هـ وسبب عمارته هذه أن الأمير مصلح الدين الرومي لما حج فى أيام السلطان سليم والد سليمان سنة ٩٢٣ هـ رأى أن يوسع مقام الحنفى فهدمه فى أوائل سنة ٩٢٤ هـ وأعاد بناءه فجعله عبارة عن قبة كبيرة شامخة تقوم على أربع بتر عراض جدا بأربعة عقود مبنية بالحجر المنحوت المعروف بالشميس وزاد فى طوله وعرضه وأراد أن يوصله بالمطاف فعرفه الناس أن ذلك سوف يؤدى الى تضييق المطاف وقطع الصف الأول للمصلين ولاسيما لمن كان يصلى خلف الشافعى وعارضه بعض علماء مكة فى ذلك ولكنه لم يستمع الى المعارضة فأنشأ المقام وانتهى بمحرابه الى حاشية المطاف وظل مقام الحنفى على هذه الصفة مدة خمس وعشرين سنة حتى اشتكى بعض أهل مكة وعلمائها الى السلطان سليمان من بناء المقام على هذا الوضع فبرز أمره بهدمه واعادة بنائه وكان المتولي لذلك الأمير خوشكلدى[2] نائب جدة ومباشر العمائر السلطانية فقام بهدمه ثم شرع فى بنائه من جديد بحيث جعله عبارة عن سقف مزخرف من خشب الساج يقوم على أربع بتز دقيقة وستة أعمدة مثمنة الشكل تعلوها عشرة عقود وجعل فوق السقف طابقا علويا عبارة عن ظله للمؤذنين بحيث تصل أصواتهم الى سائر المسجد وجعل سقف الظلة على هيئة جملون مصفح بالرصاص من الخارج وجعل لهذه الظلة سلم يصعد اليها بدرج من خارج المقام وانتهى من جميع عمارته فى شهر رمضان

---

(١) الرومي : التحفة اللطيفة ص ٩٢ وأنظر : العباسي : عمدة الأخبار ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٨٢ ، ويلاحظ أن ابراهيم رفعت باشا أشار الى أن السلطان سليمان أمر بترخيم هذا المحراب فقط سنة ٩٣٨ هـ ولذلك عرف باسمه والصواب أن السلطان سليمان أمر بانشاء محراب جديد وتقديمه ليحاذى محراب الشافعية سنة ٩٤٨ هـ كما أشارت المصادر.

(٢) توفى الأمير خوشكلدى سنة ٩٥٢ هـ - أنظر:
ابن أبى بكر الشيلي : السنا الباهر ورقة ٢١٩.

سنة ٩٤٩ هـ .[1]

كما أمر السلطان سليمان فى نفس العام وهو عام ٩٤٩ هـ باصلاح مقام ابراهيم الخليل عليه السلام يتضح هذا الاصلاح مما هو موجود على مقصورته من النقوش وسوف نتحدث عن هذا الاصلاح عند دراسة هذه النقوش فى الصفحات القادمة[2] ان شاء الله.

ومما أنشأه الأمير خوشكلدى بأمر السلطان سليمان حاصلان كبيران (مخزنسان) فى زيادة دار الندوة بالناحية الشمالية من المسجد الحرام فجعل أحدهما لحفظ آلات المسجد وأخشابه ومخلفات عمائره وغير ذلك وجعل الآخر لوضع زيت قناديل المسجد وشمعه وقناديله وما يتعلق بها وكان ابتداء عمارة هذيه الحاصلين في رجب سنة ٩٤٩ هـ .[3]

وقام الأمير خوشكلدى أيضا بأمر السلطان سليمان بعمل سدّ لحجز مياه السيول عن دخول المسجد الحرام وازالة مقاعد الباعة ومساطبهم التي كانت بالمسعى والتى أخذت جانبا من المسعى مما أدى الى مضايقة الساعين من حجاج ومعتمرين .[4]

---

(١) ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٢١٠- ٢١٢ وأنظر : الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٢٧ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٣٤٥ ، ويلاحظ أن قطب الدين جعل عمارة مقام الحنفى سنة ٩٤٧ هـ ، وأنظر أيضا : مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد ورقة ٣٠ ، عبد الكريم القطبى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٩٦ ، الأسدى : أخبار الكرام ص ١٦٤ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٧٤ ، ٧٥ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(٢) أنظر ص ٣٦٠ من هذه الرسالة .

(٣) ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، وأنظر : قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٣٤٥ ، الأسدى : أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ص ١٥٥ ، ويلاحظ أن ابن اياس قد ذكر فى حوادث سنة ٩٢٨هـ ، أن السلطان سليمان أرسل أربعين ألف دينار على يد شخص من العثمانيين بسبب بعض العمائر بمكة مثل عمارة العين وعمارة قبة الزيت التى بالحرم ... الخ ولم أجد أحدا من المؤرخين المكيين وغيرهم أشار الى ما أشار اليه ابن اياس من انشاء قبة للزيت فى هذه السنة . أنظر : ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٥ ص ٤٦٩ .

(٤) الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٢٧ .

ومن هذه الاصلاحات ما أورده الجزيرى من أن السلطان سليمان أمر بعمل باب جديد للكعبة المشرفة سنة ٩٥٣ هـ وقد انفرد الجزيرى الذى انتهى من تأليف كتابه سنة ٩٦١ هـ بذكر هذا الباب اذ أشار الى أن السلطان سليمان أمر نائبه بمصر داود باشا بعمل باب جديد فعمل وحلّي بحلية كثيرة من الفضة المطلاة بالذهب وركب فى التاريخ المذكور وأن صانعه رجل رومي أحسن صياغته ماشاء مما جعل أمير الحج فى تلك السنة حسين أباظا كاشف اقليمى الفيوم والبهنساوية يلبس هذا الصانع قفطانا مذهبا مكافأة له (١).

والراجح أن هذا الباب هو الذى أدركه مؤرخ مكة المعاصر قطب الدين الحنفى المتوفى سنة ٩٨٨ هـ والذى لم يشر الى عمل هذا الباب الجديد وانما أشار الى تصفيح الباب الشريف بقوله :

" وقد أدركنا الباب الشريف مصفحا بالفضة وكان يختلس من فضته أوقات الغفلة من قل دينه وخفت يده الى أن انكشف أسفل الباب الشريف عن خشب الباب .... فعرض ذلك على الأبواب الشريفة السلطانية فى أيام المرحوم .... السلطان سليمان خان .... فى سنة احدى وستين وتسعمائة فبرز الأمر الشريف السلطانى بتصفيح الباب الشريف بالفضة الى ناظر الحرم الشريف المقيم بمكة ....." (٢)

ومما أمر السلطان سليمان باصلاحه توسيع خان نخل بطريق الحاج المصرى سنة

---

(١) الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٢٥ .
(٢) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٥٩ ، ٦٣ ويلاحظ أن جميع المؤرخين الذين جاءوا بعد قطب الدين الحنفى قد أوردوا تاريخ التصفيح بسنة ٩٦١ هـ ماعدا السنجارى الذى جعل تصفيح الباب سنة ٩٦٢ هـ وأنه عمل على الباب الأول ألواحا من الخشب الآبنوس الأسود وصفحت بالفضة المطلية بالذهب وذلك سنة ٩٦٤ هـ . أنظر : عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ٥٠ ، ٥١ ، محى الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٦٥ ، الشيلى : السنا الباهر ورقة ٢٣٨ ، ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٣٤ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٥٢ ، ٢٥٣ ويبدو أن ابراهيم رفعت قد نقل معلوماته عن السنجارى - أنظر : مرآة الحرمين ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

٩٥٩ هـ .[1]

ومن أهم اصلاحات السلطان سليمان تجديد سقف[2] الكعبة المشرفة سنة ٩٥٩ هـ
وسبب ذلك أن بعض خشب سقف الكعبة قد انكسر وصار الماء يدخل من الكسر الى
جوف الكعبة فأمر السلطان باصلاح السقف الشريف بعد استفتاء العلماء في ذلك
وفعلا بدأ هذا الاصلاح في يوم السبت منتصف شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين
وتسعمائة واستبدل ماكان تالفا من خشب السقف بأخشاب جديدة وأعيد سقف الكعبة
أحسن مما كان وألف في ذلك الشيخ أحمد بن حجر الهيثمي[3] رسالة سمّاها :

" المناهل العذبة في اصلاح ما وهى من الكعبة "

كما وضع بعض علماء مكة تواريخ لهذا الاصلاح نثرا ونظما[4] .

ومن هذه الاصلاحات أيضا أن السلطان سليمان أمر بعمل ميزاب جديد للكعبة
المشرفة سنة ٩٥٩ هـ اذ يشير الجزيري الى أن السلطان قد أمر بعمل ميزاب للكعبة

---

(١) تقع بلدة نخل على الضفة الشرقية لوادى العريش وتبلغ المسافة بينها وبين السويس عن طريق درب الحاج حوالي ثمانين ميلا (١٣٥ كم) ومن نخل الى العقبة حوالى ٧٠ ميلا (١١٧ كم) - أنظر :
سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص ١١١ وقد سبق أن أشرت الى انشاء خان وقلعة نخل في عهد السلطان قانصوه الغورى ٩٠٦ هـ - ٩٢٢ هـ وذلك عند دراسة النصوص التى ترجع الى عهده - أنظر ص ٢٧٤ - ٢٩٨ من هذه الرسالة .

(٢) يلاحظ أن الجزيرى قد أورد تجديدا لسقف الكعبة سنة ٩٣١ هـ وعلق على هذا التجديد بقوله : "وكان سببا لتعميره في سنة تسع وخمسين" ولم يشر أحد غيره من المؤرخين لهذا التجديد الذى تم سنة ٩٣١ هـ - أنظر :
درر الفوائد المنظمة ص ٢١٢ ، ٢٢ .

(٣) توفى أحمد بن حجر الهيثمى سنة ٩٧٤ هـ - أنظر : العيدروسي: تاريخ النور السافر ص ٢٨٧ .

(٤) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢١ - ٢٣ ، ٢٦ - وأنظر :
قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٥٩ - ٦٣ ، عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ٤٧ - ٥٠ ، العيدروسي : تاريخ النور السافر ص ٢٥١ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٦٤ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ابن أبى بكر الشيلى : السنا الباهر ورقة ٢٣٨ ، أما السنجارى فقد أورد تاريخ تجديد سقف الكعبة بسنة ٩٦٢ هـ - أنظر : منائح الكرم ورقة ٢٥٢ .

على هيئة الميزاب القديم ونقل الميزاب القديم الى الخزانة السلطانية وأن يعوض سدنة الكعبة المشرفة فى مقابله وزنه من الفضة تؤخذ من عشور جدّه فقدّر ذلك حسب تخمين نائب جدّه وقاضي مكة بألفين وثمانمائة درهم (١).

أما قطب الدين الحنفى فيذكر أن ميزاب الكعبة المشرفة القديم قد صفح بالفضة المموهة بالذهب الى أن استبدل بميزاب آخر وأرسل الميزاب القديم الى الخزائن السلطانية (٢).

وعلى الرغم من أنه لم يذكر التاريخ الذى حلّي فيه الميزاب القديم ولا وصول الميزاب الجديد على وجه التحديد الا أنه عند اشارته لبعض الترميمات والاصلاحات التى تمت سنة تسع وخمسين وتسعمائة ومن بينها ميزاب الكعبة المشرفة قد وضع تاريخا لهذه الاصلاحات مجتمعة وذلك بحساب الجمل (٣) وهو "عمر الله قبلتنا" (٤) وهى توافق سنة

---

(١) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٤

(٢) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٦٣- وأنظر : عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ٥٠ ، ٥١ ، العيدروسي: تاريخ النور السافر ص ٢٥٢ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٨ ص ٣٢٥ ، ابن أبى بكر الشيلى : السنا الباهر ورقة ٢٣٨ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ١٥١ ، ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٣٤ . ويلاحظ أن كلا من العيدروسي وابن العماد الحنبلى والسنجارى قد أرخ تجديد الميزاب سنة ٩٦٠ هـ أما ابراهيم رفعت فيشير الى أنه فى سنة ٩٦٢ هـ وأن هذا الميزاب الجديد من الذهب وأنه ورد من مصر دون اشارة الى المصدر الذى أخذ عنه . ويلاحظ أن الدكتور أنور شكرى لم يشر الى تجديد الميزاب على الاطلاق - أنظر : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٧٥ ، لوحان أثريان ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) كثيرا ما حرص الصناع المسلمون ولا سيما صناع الالات الفكلية على كتابة تاريخ الصنع بحساب الجمل أى بالحروف وليس بالأرقام أو الكلمات وربما عملوا ذلك اعتقادا منهم بوجود صلة بين هذه الالات وبين رصد النجوم فى الأفلاك وتحديد الأبراج السماوية ثم توسعوا بعد ذلك فى استخدام حساب الجمل على العمائر والتحف وغير ذلك . أما القيمة العددية للحروف العربية وفق حساب الجمل فهى على النحو التالى: أ = ١ ، ب = ٢ ، جـ = ٣ ، د = ٤ ، هـ = ٥ ، و = ٦ ، ز = ٧ ، ح = ٨ ، ط = ٩ ، ى = ١٠ ، ك = ٢٠ ، ل = ٣٠ ، م = ٤٠ ، ن = ٥٠ ، ص = ٦٠ ، ع = ٧٠ ، ف = ٨٠ ، س = ٩٠ ، ق = ١٠٠ ، ر = ٢٠٠ ، ش = ٣٠٠ ، ت = ٤٠٠ ، ث = ٥٠٠ خ = ٦٠٠ ، ذ = ٧٠٠ ، ض = ٨٠٠ ، ظ = ٩٠٠ ، غ = ١٠٠٠ - أنظر : محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الاسلامية فى العصر العثمانى ص ١٨٨ .

(٤) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٦٣ .

٩٥٩ هـ وذلك على النحو التالى :

عمر		الله		قبلتنا		
٣١٠	+	٦٦	+	٥٨٣	=	٩٥٩ هـ

وفى سنة ٩٦١ هـ أمر السلطان سليمان باصلاح أرض المطاف الشريف وسبب ذلك كما أورده قطب الدين الحنفى أن أحجار المطاف قد انفصلت بعضها عن بعض وصار بين كل حجر وآخر حفر فكانت تسدّ تارة بالرصاص وتارة بالنورة وتسمّر بمسامير الحديد فقام أحمد جلبي أمين العمارة بعد انتهائه من تجديد سقف الكعبة بازالة أحجار المطاف وتسوية أطرافها من جوانبها الأربعة والصاق كل حجر بآخر حتى انتهى من فرش جميع المطاف بهذا الأسلوب .[1]

أما الجزيرى فيذكر أنه تم استبدال بلاط المطاف القديم ببلاط جديد فى سائر المطاف مع أن البلاط المبدّل لم يظهر به تكسير وأن هذا العمل قد تم سنة ٩٥٩هـ.[2]

ومن مآثر السلطان سليمان واصلاحاته بالحرمين الشريفين أنه بعث فى سنة ٩٦٦ هـ بمنبر من الرخام الأبيض البراق (لوحة ٢٦) وهو الذى ظل قائما يخطب عليه الخطيب حتى سنة ١٤٠٠ هـ حيث أزيل بسبب توسعة المطاف الأخيرة ومن ثم نقلت أجزاؤه الى متحف الحرم المكى .

وهو أول منبر من الرخام وضع فى المسجد الحرام فقد كانت جميع المنابر التى أهداها الملوك والسلاطين من قبل من الخشب .[3]

ويذكر العصامي أن ما أنفقه السلطان سليمان على هذا المنبر بلغ حوالى ثلاثين ألف دينار من الذهب[4] وقد وصفه السنجارى (ت ١١٢٥ هـ) بأنه من تحف الدنيا

---

(١) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٦٣ ، وأنظر: عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ٥٠ ، ابن أبى بكر الشبلي : السنا الباهر ورقة ٢٣٨ أما السنجارى فقد أورد اصلاح المطاف بسنة ٩٦٢ هـ - أنظر: منائح الكرم ورقة ٢٥٢ .

(٢) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٦ .

(٣) محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٧٧ .

(٤) العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٨٢ .

وان كان قد أخطأ في تاريخ عمل هذا المنبر فذكر أن السلطان سليمان قد بعث بالمنبر سنة ٩٥٦ هـ[١] والصواب أنه بعث به سنة ٩٦٦ هـ .

وما يلفت النظر أن قطب الدين الحنفي المؤرخ المعاصر للسلطان سليمان والذى تحدث عن كثير من اصلاحات السلطان سليمان لم يشر الى هذا المنبر البتة وكذلك ابن أخيه عبد الكريم القطبي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ والذى اختصر كتاب الاعلام فى كتاب آخر سماه " اعلام العلماء الاعلام " ، وقد أشار العصامى الى أن بعض علماء مكة قد وضع أبياتا من الشعر بمناسبة وصول المنبر آخرها بيت التاريخ بحساب الجمل وهذا البيت هو :

لسليمان منبر شاهد بالدعاله[٢]

٢٥١ + ٢٩٢ + ٣١٠+ ١١٣ = ٩٦٦ هـ

وقد نقش على الواجهة الغربية من المنبر والمقابلة للكعبة المشرفة نصا تأسيسيا أورده كل من ابراهيم رفعت وباسلامه على النحو التالى :

" الحمد لله رب العالمين قد بنى سليمان منبر البلد الأمين "

وكتب على الواجهة الشرقية منه " انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله جل اسمه سنة ٩٦٦ هـ "[٣].

وقد وضع هذا المنبر عند وصوله أمام الكعبة المشرفة من ناحيتها الشرقية بجوار مقام ابراهيم عليه السلام من الناحية الشمالية[٤] وظل كذلك حتى سنة ١٣٨٤ هـ حيث نقل من مكانه عند توسعة المطاف وأعيد تركيبه عند نهاية حاشية المطاف بالقرب من المظلة[٥] ثم أزيل سنة ١٤٠٠ هـ عند التوسعة الأخيرة للمطاف كما سبق أن أشرت .

---

(١) السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٤٧.
(٢) العصامى : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٨٢.
(٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٥٣ - وأنظر :
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٣٩ ، ٢٤٠.
(٤) باسلامه : المرجع نفسه ص ٢٣٩.
(٥) اتحاد المهندسين الاستشاريين (باكستان) : المسجد الحرام " مشروع جلالة الملك عبد العزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام - المجلد الثانى جـ ٢ ص ٢٠، جـ ٣ ص ٨٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٧ هـ .

ويذكر باسلامه أن لهذا المنبر مزية خاصة وهي أن الشمس لا تصل الى موضع الخطيب لا شتاء ولا صيفا على اختلاف الفصول [١]. ولم يشر باسلامه الى المصدر الذى أخذ منه هذه المعلومات الا أنه ربما أن الصناع الذين قاموا بصناعته وتركيبه قد راعوا فى تركيبه أن يكون على قاعدة فلكيّة بحيث لا تصل الشمس الى الخطيب فى شتاء ولا صيف كما عبر عن ذلك باسلامه .

والواقع أن باسلامه هو خير من أعطى وصفا تفصيليا لهذا المنبر وذلك بقوله :

" يحتوى هذا المنبر الذى هو آية فى الجمال على ثلاث عشرة درجة وعلى علوه فوق المسطبة العليا أربع اسطوانات من المرمر وعلى علو الاسطوانات الأربع قبّة مستطيلة عملت من الخشب القوى وصفحت بألواح من الفضة مطلّية بالذهب الوهاج يخيّل للرائى أنها صيغت من ذهب وقد مضى على هذه القبّة المربعة الشكل ثلاثمائة وثمان وثمانون سنة ولم يذهب طلاؤها لكثرة ما طليت به من الذهب ، ويبلغ ارتفاع هذا المنبر من أرض صحن المطاف الى هلال القبّة نحو عشرين ذراعا بذراع اليد أو اثنا عشر مترا على التقريب " [٢].

والمتتبع لهذا الوصف يلاحظ أنه ليس دقيقا فهو يشير مرة الى أنه يعلو الاسطوانات الأربع قبّة مستطيلة ومرة أخرى الى أنها قبّة مربعة والصواب أنها ليست قبّة مستطيلة ولا مربعة وانما هى خوده مخروطية الشكل تشبه الى حد كبير رأس قلم الرصاص وهو طراز عثماني معروف ظهر كثيرا فى رؤوس المآذن العثمانية .

كما أن المقاسات التى أوردها باسلامه غير دقيقة فهو يذكر أن ارتفاع المنبر من أرض صحن المطاف الى هلال القبة نحو عشرين ذراعا بذراع اليد أو اثنا عشر مترا على التقريب والصواب أن ارتفاع المنبر من أرض صحن المطاف الى أعلا هلال القبة هو ١٠٫٤٧ م وعرضه ١٫٨٨ م وعرض كل درجة ٨٠ سم (أنظر المسقط الأفقى لهذا المنبر شكل ٢٦) وذلك حسب المقاسات التى أوردها اتحاد المهندسين الباكستاني

---

(١) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٣٩ .

(٢) باسلامه : المرجع نفسه ص ٢٣٩ .

الذى مازال حتى يومنا هذا يتولى مهمة الاشراف على مشروع توسعة المسجد الحرام فى العصر السعودى الزاهر (١).

ومن اصلاحات السلطان سليمان انشاء قلعة بمنطقة المويلح على طريق الحج المصرى سنة ٩٦٨ هـ وقد قام الزميل الأستاذ هشام عجيمى باعداد بحث خاص عن هذه القلعة حصل به على درجة الماجستير من قسم الحضارة والنظم الاسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٤٠٣هـ ونشر النص التأسيسى لعمارة السلطان سليمان الواقع فوق بوابة القلعة ويبلغ طوله ١٣٦ × ٦٢ سم وعدد أسطر النص ثلاثة سطور وقد حفر النص حفرا بارزا على لوح من الرخام الأبيض ونقش بخط الثلث المركب وقد ورد النص على النحو التالي :

السطر الأول : " أمر بانشاء هذه القلعة الشريفة مولانا السلطان سليمان شاه بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد بن عثمان".

السطر الثانى : " خلد الله ملكه وثبت قواعد دولته بمحمد وآله وسلم فى تاريخه المصراع الأخير من البنين " .

السطر الثالث : ويتألف من أربعة مستطيلات متجاورة كتب فيها :

١ - " حضر تعميره بادشا "
٢ - " مرحبا بالعاكفين "
٣ - " وابشر بخير آثار "
٤ - " فيه أمن الخائفين ٩٦٨ هـ "(٢).

ويلاحظ أن الأستاذ الزميل قد وصف خط هذا النص بأنه ثلث مركب يتميز بتراكيب حروفه وكلماته بعضها فوق بعض دون الاشارة الى المدرسة التى ينتمى اليها خط هذا النص والتي هي فى الواقع مدرسة الحجاز لأن خط النص هو نفس أسلوب خط

---

(١) اتحاد المهندسين الاستشاريين (باكستان) : المسجد الحرام" مشروع جلالة الملك عبد العزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام - المجلد الثانى جـ ٣ ص ٨٤.

(٢) هشام عجيمى : قلعة المويلح دراسة معمارية حضارية - رسالة ماجستير - مخطوطة بجامعة أم القرى سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص ١٠٦ ، ١٠٧.

الحجاز وسوف أقوم بايضاح ذلك عند تناولي للدراسات المقارنة للنصوص التى تقع ضمن هذه الفترة التاريخية [(١)].

وقد أخطأ البتنونى حين نسب انشاء هذه القلعة الى السلطان سليم [(٢)].

ومن اصلاحات السلطان سليمان الهامة أمره باجراء عين عرفه وايصالها الى مكة المكرمة سنة ٩٦٩ هـ واستمر العمل بها حتى عام ٩٧٩ هـ فى عهد ابنه السلطان سليم الثانى ٩٧٤ هـ - ٩٨٢ هـ وسوف نتحدث عن اصلاح السلطان لعيون مكة عند دراسة نص عين حنين وبركة السلم المؤرخ بعام ٩٣٥ هـ [(٣)].

ومن أهم اصلاحات السلطان سليمان بمكة المكرمة انشاؤه للمدارس السلطانية الأربع بالجانب الشمالي من المسجد الحرام وذلك أن الأمير ابراهيم بن تغرى بردى [(٤)] الذى كان مشرفا على عمارة عين عرفه عرض على السلطان سليمان أن ينشىء له أربع مدارس بمكة المكرمة لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة ويقوم بالتدريس فيها علماء مكة المشرفة فأجابه السلطان الى ذلك وعين لهذه الخدمة الأمير قاسم صنجق [(٥)] جدّه وأمره أن يختار موقعا لهذه المدارس فى أفضل الأماكن فاختار لها موضعا بالجانب الشمالي [(٦)] من المسجد الحرام من ناحية باب الزيادة وكان بهذا الموضع عدة دور ومدارس

---

(١) أنظر ص ٥٠٨ من هذه الرسالة .

(٢) محمد لبيب البتنونى : الرحلة الحجازية ص ٣٥ .

(٣) أنظر ص ٣٣٦ من هذه الراسلة .

(٤) توفى الأمير ابراهيم هذا فى يوم الاثنين ٢ رجب سنة ٩٧٤ هـ قبل أن يكمل عمل العين وعين بدلا منه الأمير قاسم وسوف نتحدث عن الأمراء والأشخاص الذين تعاقبوا على الاشراف عليها عند الحديث عن اجراء العين المذكورة - أنظر : قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٢٩١ .

(٥) الصنجق : مأخوذ من الكلمة التركية سنجاق وهي العلم أو القسم من ولاية كبيرة والحاكم على قسم من ولاية وقد تكون الصنجقيه أيضا مجرد رتبة لمزيد من التفاصيل أنظر : حسين أفندى الروزنامجي : " ترتيب الديار المصرية " تحقيق محمد شفيق غربال - مجلة كلية آداب القاهرة جـ ١ مايو ١٩٣٦م ص ١٣ حاشية (٢) .

(٦) يلاحظ أن قطب الدين الحنفى قد أخطأ فى موضع هذه المدارس فأشار الى أنها فى الجانب الجنوبى من المسجد الحرام والصواب انها كانت فى الجانب الشمالى وتابعه فى ذلك من جاء بعده من المؤرخين - أنظر :
قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٢٩٣ ، وأنظر : سلوك سبيل الرشاد ورقة ٣٥ (=)

وأوقاف فهدمت وبدأ الأمير قاسم فى انشاء هذه المدارس فى أوائل رجب سنة ٩٧٢هـ وجعل على احداها مأذنة[1] وتوفى السلطان سليمان سنة ٩٧٤ هـ ولم تكمل عمارة هذه المدارس الا فى عهد ابنه سليم[2] ٩٧٤ هـ - ٩٨٢ هـ .

ويذكر قطب الدين الحنفى أن السلطان سليمان أنعم عليه هو بالتدريس بالمدرسة الحنفية وجعل لهذه المدرسة خمسين جنيها عثمانيا وأنعم بالمدرسة المالكية على القاضي حسين الحسيني[3] وجعل لمدرسته خمسين جنيها عثمانيا ثم زادها بعد ذلك فأصبحت بمائة جنيه عثماني وأنعم بالتدريس بالمدرسة الشافعية على بعض علماء الشافعية أما المدرسة الحنبلية فقد حولها الى مدرسة لتدريس الحديث النبوى الشريف لعدم وجود من يقوم بالتدريس بها على مذهب الامام أحمد بن حنبل وخصص لكل مدرسة خمسة عشر طالبا لكل طالب جنيهان عثمانيان ومعيدا له أربعة

(=) وأنظر أيضا : عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١٠٢ وقد تنبه لذلك باسلامه فأشار الى أنها فى الجانب الشمالي وليست فى الجانب الجنوبى - أنظر : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٦٥ ويلاحظ أن الدكتور أنور شكرى قد تابع قطب الدين الحنفى فوقع فى نفس الخطأ - أنظر: لوحان أثريان ص ٥٨ .

(١) كان موقع هذه المأذنة بين باب الزيادة وباب السلام وجعلها من ثلاثة أدوار فى غاية العلو والارتفاع وبناها بالحجر الأصفر الشميسى ورأسها على هيئة منائر الروم وقد فرغ الأمير قاسم من بنائها سنة ٩٧٣ هـ - أنظر: قطب الدين الحنفى :الاعلام ص ٣٥١ وأنظر : عبد الكريم القطبى : المصدر السابق ص ١٣٢ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٧٨ ، العصامي : سمط النجوم ج ٤ ص ٨٢ ، وأنظر: السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧٠ ويلاحظ أنه أرخ لانتهاء عمارة المأذنة والمدارس بسنة ٩٧٧ هـ ويضيف باسلامه أن هذه المأذنة تقع أمام باب المحكمة الكبرى في عصره وأنها باقية الى هذا الوقت - أنظر: باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٨٢ ، ٨٤ وقد أزيلت هذه المأذنة والمدارس فى التوسعة السعودية للمسجد الحرام .

(٢) قطب الدين الحنفي :المصدر السابق ص ٢٩٣ - ٢٩٥ وأنظر: سلوك سبيل الرشاد ورقة ٣٥ ، عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١٠٢ ، ١٠٤ ، الغزى : الكواكب السائرة ج ٣ ص ١٥٧ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٢٥، ٢٦ ، العصامي : سمط النجوم العوالى ج ٤ ص ٨٢ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧٠ .

(٣) سوف أورد ترجمة للقاضي حسين الحسيني عند دراسة أحد نصوص عمارة المسجد الحرام فى عهد السلطان مراد بن سليم بن سليمان ٩٨٤هـ - ١٠٠٣هـ اذ ورد اسمه فى ذلك النص - أنظر ص ٣٩٥ من هذه الرسالة .

جنيهات عثمانية كل يوم وللفراش كذلك وللبواب عثماني واحد[(١)] وجعل لها أوقافا خاصة ببلاد الشام بحيث ترسل المرتبات وما تحتاجه هذه المدارس مع ركب الحج الشامي في كل عام[(٢)].

أما عبد الكريم القطبي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ فيضيف أن المدرسة الحنبلية تحولت الى دار للحديث وأعطيت على حد قوله لصاحبنا معين الدين خان بن آصف خان صهر القاضي حسين واستمرت معه الى أن أخذها منه الملا علاء الدين البرسوى.

أما المدرسة الحنفية فقد ظلت في يد قطب الدين الحنفي حتى وفاته ثم عين هو مدرسا بها بدلا من عمه قطب الدين الحنفي[(٣)].

وقد ظلت هذه المدارس قائمة حتى العصر الحديث اذ يفيد باسلامه الذى ألف كتابه سنة ١٣٥٤ هـ أن هذه المدارس باقية على حكمها بناء وشكلا الى هذا العصر الا أن احدى هذه المدارس أصبحت مركزا لرئاسة القضاء والثانية مركزا للقضاء الشرعي والثالثة دارا للكتب والرابعة تصرف فيها أحمد باشا عامل محمد علي باشا خديوى مصر منذ مائة عام من تأليفه لهذا الكتاب بالبيع وأصبحت مملكة[(٤)].

---

(١) يذكر باسلامه أن النقود العثمانية التى أشار اليها قطب الدين الحنفي ربما كانت عبارة عن الأقسام الفضية المعروفة وأود أن أشير أنه ربما كانت هذه النقود هي النقود الذهبية التى ضربت منذ عهد السلطان سليم الأول وسجلت عليها أسماء السلاطين العثمانيين كتابة أو على هيئة طغراء وهي النقود التى شاع استعمالها في كل بلاد العالم العربي التى استولى عليها العثمانيون نظرا لارتفاع عيارها وكانت قيمة الواحد منها = ٣٧٫٥ قرشا صاغا - أنظر :
باسلامه : المرجع السابق ص ٩٥ ، د .عبد الرحمن فهمي محمد : النقود العربية ماضيها وحاضرها ص ١١٢ - ١٢١ .

(٢) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، وأنظر : سلوك سبيل الرشاد ورقة ٣٥ ، عبد الكريم القطبي : الاعلام ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٢٥ .

(٣) عبد الكريم القطبي : المصدر السابق ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٤) باسلامه : المرجع السابق ص ٩٥ .

لوحة رقم (٢٧)

المكان	:متحف قسم الحضارة والنظم الاسلامية بكلية الشريعة بمكة المكرمة .
الرقم	:بدون
النوع	:لوح من البازلت مستطيل الشكل يمثل لوحة تأسيسية لاعادة عمارة عين حنين وتجديد بركة السلم بطريق منى في عهد السلطان سليمان ، وقد عثر عليه في حي الشبه أحد أحياء مكة الحالية وذلك أثناء حفر أساس مسجد الشيخ ابراهيم آل الشيخ.[1]
المقاس	:الطول : ١٠٠ سم × عرض : ٥٢ سم في المتوسط
عدد الأسطر	: ١٦ سطرا يفصل بين كل سطر وآخر خط بارز ماعدا سطرى البسملة والتصلية فانه لم يكن بينهما أى فاصل ويوجد باللوح أيضا هامشين سفليين داخل مربعين أحدهما فى أقصى اليمين يتألف من سطرين وثانيهما فى أقصى الشمال ويتألف من ثلاثة أسطر .
الخط	:حجازى لين بارز من نوع الثلث .
التاريخ	: ٩٣٥ هـ .

وقد قام بنشر هذا النص والتعليق عليه مع نص آخر سبق أن تحدثت عنه وهو نص السلطان قايتباى المؤرخ بعام ٨٧٥ هـ[2] الدكتور محمد أنور شكرى بعنوان : "لوحان أثريان للسلطان قايتباى والسلطان سليمان القانوني في قسم التاريخ والحضارة الاسلامية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية" وقامت كلية الشريعة بطبعه بمطابع دار الثقافة بمكة سنة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م.

وانني حين أقوم باعادة نشر هذا النص أو غيره من النصوص - فانه كما سبق أن أكدت - لا يعني الاستهانة بجهود من سبقني بنشره سواء كان الدكتور أنور شكرى أو غيره وانما أهدف أولا وآخرا الى مراعاة النشر الصحيح لهذه النصوص لكي تحقق الفائدة العلمية المرجوه من نشر هذه النصوص خاصة وأنه قد حدث كثير من الأخطاء فى نشر الدكتور أنور شكرى لهذا النص سوف أقوم بمناقشتها وتصحيحها بعد قراءة النص مباشرة .

---

(١) محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ص ٤٧

(٢) أنظر ص ١٩٨-٢٥٦ من هذه الرسالة

" النص "

١ - بسم الله الرحمن الرحيم ٢ - وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

٣ - متع الله الاسلام والمسلمين ببقاء مولانا

٤ - السلطان الأعظم والخاقان المكرم سلطان

٥ - العرب والعجم خادم الحرمين الشريفين ملك

٦ - الروم والعراقين السلطان بن السلطان

٧ - السلطان سليمان من آل عثمان عز نصره

٨ - أمر باعادة اصلاح عين هذه البركه المعروفه ببركة

٩ - السلم بعد ما انقطع ما [ؤ] ها وبتجديد بنا [ء] هذ [ه] البركة

١٠- بعد ما اندرست اماراتها وانهدمت بطول الزمان

١١- عماراتها موردا لحجاج بيت الله الحرام ولسائر

١٢- الخاص والعام ابتغا [ء] مرضات الله الملك العلام

١٣- وذلك في أيام عدل مولانا السيد الشريف الحسب والنسب

١٤- أمير الحرمين جمال الدين محمد أبو نمي ابن بركات الحسنى أدام الله أيامه

١٥- وكان ذلك في سنة خمس وثلاثين وتسعماية من الهجر [ة] النبوية

١٦- على صاحبها أفضل الصلـوة [١] والسلام

الهامش الأيمن

٢ - وذلك على يد الفقير

١ - الى الله تعالى

الهامش الأيسر

٣ - مصطفى ناظر

٢ - عين مكة المشرفة

١ - لطف الله به

أما الملاحظات والأخطاء التي حدثت في النشر المشار اليه فهي على النحو التالي :

١ - أن الصورة الفوتوغرافية التى أوردها الدكتور أنور شكرى لهذا النص سيئة للغاية ولا يمكن لأى باحث أو قارىء أن يستفيد منها لأن النص فى هذه الصورة يكاد أن يكون مطموسا مع العلم أنه كان من الممكن اعطاء صورة أفضل من ذلك وسوف يتبين الفرق بين الصورة التى أوردها الدكتور أنور شكرى[1] وبين الصورة التى سوف أرفقها هنا (لوحة ٢٧) فى هذا البحث .

٢ - أورد الدكتور الفاضل رسما مفرغا للنص[2] ليكون أكثر وضوحا ولكن هذا التفريغ لا يعطى صورة دقيقة لرسم الحروف الأصلية الواردة فى النص اذ :

آ - نلاحظ أن شكل الخط المفرغ أقل جودة مما هو وارد بالنص .

ب - كما أن كثيرا من الحروف قد ظهرت فى هذا التفريغ بحيث تكون أقرب الى خط الرقعة وخط النسخ منها الى خط الثلث الذى كتب به النص .

فحرف " الباء" فى البسمله أقرب الى خط النسخ منه الى خط الثلث الذى تتميز فيه الحروف بالضخامة والطول النسبى وكذلك رؤوس الألفات واللامات فى كثير من كلمات النص .

جـ - كما وردت رأس الجيم والحاء فى هذا التفريغ أقرب ماتكون الى خط الرقعة كما هو الحال فى جملة " الرحمن الرحيم " فى السطر الأول وكلمة " خادم " فى السطر الخامس وكلمة " خمس " فى السطر الخامس عشر هكذا " خـ " كما وردت على هيئة خط النسخ فى كلمة " خان " فى السطر السابع والجيم فى كلمة " تجديد " فى السطر التاسع والحاء فى كلمة " الحرام " فى السطر الحادى عشر والخاء فى كلمة " الخاص " فى السطر الثانى عشر " والجيم والحاء" فى جملة " أمير الحرمين جمال الدين محمد أبو نمى " والحاء فى " على صاحبها " فى السطر الأخير حيث وردت فى التفريغ المشار اليه على هذا النحو تقريبا " حـ " بينما ترد فى الخط الثلث كماهو الحال فى النص على هذا النحو " محمد " " جمال " " مجد " .

---

(١) لوحان أثريان ص ٤٨ .

(٢) المرجع نفسه ص ٤٩ .

د - وردت " الطاء والظاء" فى التفريغ المذكور مضطجعة ومستطيلة هكذا " ط " بينما هى فى الخط الثلث وردت بهذا الشكل " ط " وذلك فى كثير من كلمات النص .

هـ - ورد حرف " الراء" فى هذا التفريغ على هذا النحو " ر " فى السطر الأول فى كلمة " الرحمن " وكلمة " ببركة " فى السطر الثامن والراء فى كلمة " موردا " فى السطر الحادى عشر وكلمة " لسائر " فى السطر نفسه وكلمة " مرضات " فى السطر الثانى عشر وكلمة " بركات " فى السطر الرابع عشر مع أنها ترد فى الخط الثلث الذى نقش به النص على هذا النحو " ر " .

و - ورد حرف " العين " فى التفريغ المشار اليه هكذا " ع ع " مع العلم أن حرف العين والغين الابتدائيين فى الخط الثلث يأتيان على هذا النحو " ع " كما أن " العين " الوسطى قد وردت فى كثير من الكلمات الواردة فى هذا التفريغ على هذا النحو " ع ع " مع أنها ترد فى الخط الثلث هكذا " ع ع " .

ز - وردت " الميم " فى كثير من كلمات التفريغ المذكور ولاسيما الميم النهائية على هذا النحو " م " " م " بحيث جعل رأس الميم الى أعلى فى كلمة " الرحيم " فى السطر الأول مع أنها جاءت الى أسفل كما جعل رأس الميم الى أسفل فى كلمة " الاسلام " فى السطر الثانى وكلمة "محمد" فى السطر الرابع عشر .

ح - وردت " الواو " فى كثير من كلمات التفريغ المشار اليه هكذا " و " بينما هى ترد عادة فى الخط الثلث على هذا النحو " و " " و " كما هو الحال بالنص .

٣ - جاء عدد الأسطر فى قراءة الدكتور أنور ١٤ سطرا فقط اذ جعل البسملة والتصلية سطرا واحدا مع أنهما جاءا فى سطرين من النص وان لم يكن بينهما خط بارز يفصل بينهما .

٤ - ورد فى النص عبارة " انقطع ماءها " فى السطر التاسع حيث وضعت الهمزة

على السطر والصواب أن توضع على واو لأن كلمة " ماء" هنا في محل رفع فاعل وقد نقلها الدكتور أنور كما هي دون التنبيه لهذا الخطأ مع أنها وردت في القرآن الكريم ووضعت الهمزة على واو في قوله تعالى ((أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا))[1] وقوله تعالى ((قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين))[2] . وقد تنبه الدكتور أنور لذلك في نهاية البحث[3] وكان من الأصوب أن يشير اليها عند قراءة النص .

٥ - نقل الدكتور كلمة " بنا " كما هي في السطر التاسع من النص دون أن يضيف اليها همزة والصواب أن يوضحها بهذا الشكل " بنا [ء] " .

٦ - ورد في القراءة المذكورة كلمة " بطوا " في السطر العاشر والصواب " بطول " التى جعلها النقاش مجزأة فجعل نصفها الأعلى فوق رأس الواو وفصل وسطها بالواو ثم أكملها مع الواو في أسفل الكلمة هكذا " ب " فظنها الدكتور أنور " بطوا " .

٧ - وردت في القراءة المشار اليها كلمة " ولسايرء " الواردة في السطر الحادى عشر والصواب أنها تقرأ على وجهين أحدهما هو " ولسائر " والآخر " ولساير " وقد أثبت الخطاط الهمزة والياء لكي تقرأ مثقلة بالهمزة أو مخففة بالياء .

٨ - الهاء النهائية في كلمة " الهجرة " لم تظهر في النص بينما ظهرت في قراءة الدكتور أنور والصواب أن يضعها بين قوسين هكذا [ه] ليعلم القارئ أنه هو الذى أثبتها وأكملها على هذا النحو .

٩ - يلاحظ أن الدكتور أنور قد نقل أسطر الهامشين كما هي دون مراعاة لترتيب النصوص الموجودة بها فجاءت في قراءته على النحو التالي :

---

(١) سورة الكهف : آية ٤١ .

(٢) سورة الملك : آية ٣٠ .

(٣) لوحان أثريان : ص ٦٣ .

الهامش الأيمن	الهامش الأيسر
" الى الله تعالى	لطف لله "
وذلك على يد الفقير	عين مكة المشرفة
	مصطفى ناظر

وقد أدت قراءته للهامشين على هذا النحو الى عدم معرفته محتوى نصي الهامشين معرفة صحيحة يتضح ذلك من قوله : " وهنا لا معدى عن التساؤل عما اذا كان " لطف لله " هو بقية اسم ناظر ؟ عين مكة أو هو توقيع النقاش[1] والواقع أن العبارة ليست بقية لاسم الناظر على عين مكة وليست توقيعا للنقاش كما توهم الدكتور الفاضل بل هي عبارة دعائية معروفة في النصوص الاسلامية قراءتها على النحو التالي : " لطف [ا]لله به " ، وقد سبق أن أوضحت الترتيب الصحيح لقراءة الهامشين عند قراءتي للنص .

١٠- يلاحظ أيضا أن الدكتور الفاضل يذكر أن العبارة التي يتضمنها الهامش الأيمن تبدأ قراءتها على غير المعتاد حيث تبدأ من السطر الثاني ثم السطر الأول[2] . والصواب أن كتابة الهوامش في النصوص الاسلامية على هذا النحو ليس أمرا غريبا كما يتوهم لأن الخطاط المسلم أو النقاش كثيرا ما يلجأ الى ذلك بسبب ضيق المساحة المخصصة للكتابة مما يضطره الى هذا الحل لدرجة أنه لجأ الى كتابة هوامشه في أعلى النصوص وفي أسفلها أو على يمين النصوص أو على شمالها فقد ظهرت هذه الهوامش في كتابات الحجاز منذ القرن الثالث الهجري كما هو الحال في نصوص مبارك المكي المؤرخة بعامي ٢٤٣ هـ ، ٢٤٦ هـ[3] ، كما ظهرت في نقوش عبد الرحمن أبي حرمي المكي المؤرخة بأعوام ٥٨٣ هـ ، ٥٨٤هـ، ٥٩٤هـ[4]. كما أنه يعتبر دليلا على مهارة الخطاط أو النقاش الحجازي الذي استطاع استغلال أقل مساحة ممكنة لكتابة نصوصه .

---

(١) لوحان أثريان : ص ٦٢ .
(٢) المرجع نفسه ص ٦٢ .
(٣) محمد فهد عبد الله الفعر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري - الطبعة الاولى - تهامة - ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م - ص ٢١٩ - ٢٣٢ .
(٤) المرجع نفسه ص ٣٠٢ - ٣١٨ .

١١ - يتساءل الدكتور أنور عما اذا كان هذا اللوح الذى نحن بصدد دراسته قد نقش فى مكة المكرمة أو فى استانبول ثم يرجح أنه نقش فى مكة المكرمة[١] ، والواقع أنه لا مجال هنا للتساؤل لأن النص حجازى ووجد فى أرض حجازية وخطه من نوع الثلث الذى نقشت به كثير من النصوص الحجازية منذ العصر المملوكى .

١٢ - هناك ملاحظة هامة وجب التنبيه اليها وهي أن اسم " جمال الدين " الوارد فى السطر الرابع قد كتبه الخطاط بهذا الشكل " جمالدين " وهو معذور فى ذلك بسبب ضيق المساحة وكان من الأصوب أن يصححه الدكتور أنور أثناء قراءته للنص على الرغم من أنه أشار الى ذلك فى نهاية البحث[٢] ولكنه نقله كما هو عند القراءة دون تصحيح والصواب أن يكتبه ويقرأه على النحو التالي :

" جمال [ا ل] دين " .

١٣ - لقد أخطأ الدكتور أنور فى تاريخ تولية السلطان سليمان للسلطنة كما أخطأ فى تاريخ وفاته اذ يذكر أن السلطان سليمان تولى عرش السلطنة سنة ٩٢٥ هـ وتوفى سنة ٩٧٣ هـ وكلا التاريخين خطأ لأن السلطان سليمان ولي عرش السلطنة فى يوم الأحد الثانى عشر من شوال سنة ٩٢٦ هـ وتوفى فى شهر صفر سنة ٩٧٤ هـ وقد تحدثنا عن ترجمة السلطان سليمان عند دراسة النص المؤرخ بعام ٩٣١ هـ الخاص بباب السلام بالمسجد الحرام[٣] وربما كان سبب هذه الأخطاء التى وقع فيها هو عدم اعتماده على المصادر المعاصرة وانما اكتفى بما أورده أحمد زيني دحلان صاحب الفتوحات الاسلامية المتوفى في أوائل القرن الرابع عشر[٤] .

١٤ - اهتم الدكتور أنور اهتماما كبيرا بذكر غزوات العثمانيين وحروبهم[٥] مما ليس له مجال هنا ويمكن لمن أراد أن يطلع على أمر هذه الغزوات والحروب أن يرجع الى

---

(١) لوحان أثريان ص ٦٣ .
(٢) المرجع نفسه ص ٦٣ .
(٣) أنظر ص ٣٠٨ من هذه الرسالة .
(٤) لوحان أثريان : ص ٥٠ .
(٥) المرجع نفسه ص ٥١ - ٥٥ .

المصادر والمراجع المتخصصة في ذلك وهي كثيرة جدا لأنه هنا يتحدث عن نص محدد يتصل بمرفق من أهم مرافق الحياة وهو الماء في مكة واجراء العيون فيهـا فكان من الأولى أن يعطى هذه النواحي حقها من البحث والتمحيص وأن يتتبع اصلاحات السلطان سليمان في الحرمين الشريفين ليعطى صورة واضحة عن اهتمام هذا السلطان وغيره من السلاطين بالحجاز بصفة عامة والحرمين الشريفين بصفـة خاصة .

١٥- يذكر الدكتور أنور أن لقب " خادم الحرمين الشريفين " يشير الى ماعرف عن آل عثمان من حسن تدين وتحمس للاسلام وشدة تعلق بالأماكن المقدسـة الاسلامية .(١)

والواقع أن هذا اللقب قد عرف قبل عصر العثمانيين بزمن ليس بالقصير فقد أطلق على صلاح الدين الأيوبي في نص تعمير مؤرخ بعام ٥٨٧ هـ كما أطلق على سلاطين المماليك وقد أشرت الى ذلك عند دراسة نص السلطان الناصر محمـد بن قلاوون المؤرخ بعام ٧٢٩ هـ .(٢)

وقد ورد في النص اسم " جمال الدين محمد أبو نمي بن بركات الحسيـني " وجمال الدين هذا هو أحد أمراء مكة من أشراف بني قتاده(٤) الذين ينتهي نسبهـم الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

---

(١) لوحان أثريان : ص ٥٣ .
(٢) أنظر ص ١٢-٣٤ من هذه الرسالة .
(٣) يلاحظ أن قطب الدين الحنفي قد أورد هذا اللقب مرة بلفظ جمال الدين كما هـو وارد بالنص ومرة بلقب نجم الدين مع أن نجم الدين هو لقب أبي نمي الأول المتوفى سنة ٧٠١ هـ ، أنظر :
الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٤٥٧ ، قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٢٤٢ ، ٢٨٧ .
(٤) أنظر : الفاسي : العقد الثمين جـ ٧ ص ٣٩-٦١ ، ابن ظهيرة القرشـي : الجامع اللطيف ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

وسوف أقتصر هنا على ايراد ترجمة جمال الدين محمد أبو نمي ووالده بركات لأنهما وردا في هذا النص أما بقية سلسلة النسب فسوف أتحدث عنها عند دراسة نص تذكاري يؤرخ لوفاة الشريف حراز بن أحمد بن أبي نمي مؤرخ بعام ٩٩٤ هـ اذ وردت فيه سلسلة النسب كاملة حتى انتهت الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .[(١)]

ويختلف المؤرخون في ولادته فمنهم من يذكر أنه ولد في تاسع ذي الحجة سنة ٩١١ هـ[(٢)] بينما يذكر آخرون أنه ولد في سنة ٩١٠ هـ .[(٣)]

وأبو نمي هذا هو أبو نمي الثاني ويعرف أبناؤه حتى وقتنا الحاضر بالنمويين وهو يشترك في هذه الكنية مع أبي نمي محمد بن أبي سعد بن الحسن بن علي الأكبر بن قتادة المتوفى سنة ٧٠١ هـ .[(٤)]

وقد نشأ أبو نمي هذا في كنف والده الشريف بركات الذي كان أميرا على مكة المكرمة ٩٠٣ هـ - ٩٣١ هـ وأرسله والده الشريف بركات لمقابلة السلطان قانصوه الغوري ٩٠٦ هـ - ٩٢٢ هـ سنة ٩١٨ هـ فأنعم عليه السلطان الغوري بامرة مكة شريكا لوالده بركات[(٥)] وظل كذلك الى أن استولى السلطان سليم الأول على مصر سنة ٩٢٢ هـ فأرسله والده الشريف بركات لتهنئة السلطان بفتح مصر فوصل الى القاهرة

---

(١) أنظر ص ٤١٥ من هذه الرسالة .

(٢) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩١١ هـ ورقة ١٦٤ ، وأنظر : الجزيري : درر الفوائد ص ٣٥٥ ، جمال الدين محمد بن أبي بكر الشيلي : السنا الباهر بتكميل النور السافر - مخطوط بمركز البحث العلمي بمكة ورقة ٣٣٥ ، العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام - نشر مكتبة الكليات الأزهرية بمصر ص ٤٩ .

(٣) العيدروسي : تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص ٣٨٠ وأنظر : وفيات الأكابر في القرن العاشر للمؤلف نفسه - مخطوط بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة ورقة ١٧٣ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين جـ١ ص ٤٥٦-٤٧١ وأنظر : المقريزي : السلوك جـ ١ (ق ٣) ص ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ٣ ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٣١٣ ، ٣١٤ ، السنا الباهر ورقة ٣٣٥ ، العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٢٠٧ ، ٢٢٦ .

(٥) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ٢٨٧ ، وأنظر : ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، الجزيري : درر الفوائد ص ٣٥٨ ، السنا الباهر ورقة ١٣٣ ، العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٢٨٩ .

في جمادى الآخرة سنة ٩٢٣ هـ وقابل السلطان سليما وعاد الى مكة في نفس العام [(١)]
واستمر أبو نمي شريكا لوالده الى أن توفي والده بركات سنة ٩٣١ هـ [(٢)] فاستقل بولاية
مكة حتى عام ٩٤٦ هـ فأشرك معه ابنه أحمد [(٣)] في الامارة سنة ٩٤٦ هـ [(٤)] وعاش أبو نمي
حوالي ثمانين عاما حتى توفي في التاسع من محرم سنة ٩٩٢ هـ بطريق اليمن وحمل الى
مكة ودفن بها [(٥)].

ويشير أحمد بن زيني دحلان الى أن أبا نمي هذا استطاع أن يقف في وجه
الغزو البرتغالي سنة ٩٤٨ هـ وأن يعلن الجهاد ضد البرتغاليين ، ولما بلغ ذلك
السلطان سليمان زاد في اكرام الشريف أبي نمي وسمح له بنصف معلوم جدّه [(٦)].

وفي ذلك تأكيد لما سبق أن أشرنا اليه عند دراسة مرسوم السلطان شعبان
المتضمن ابطال المكوس في مكة سنة ٧٦٦ هـ [(٧)] من أن هذه المكوس على الرغم من
ابطالها من قبل بعض السلاطين والملوك وتعويض أمراء مكة عنها بمبالغ نقدية تارة
أو باقطاعات تارة أخرى فانها لا تلبث أن تعود مرة أخرى مما يتسبب في اثقال كاهل
الحجاج والتجار بالرسوم الباهظة .

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٥ ص ١٩٠ ، ١٩٣ وأنظر :
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٣٢٤ ، الشيلي : السنا الباهر ورقة ٩٧ وأنظر
العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٢٩٢ ، ابن فضل الله الطبري : اتحاف فضلاء
الزمن ورقة ٥٩ .
(٢) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٣٢٤ وأنظر :
العيدروسي : النور السافر ، فقد أورد تاريخ وفاته بسنة ٩٣٠ هـ ص ١٥٢ وكذلك
في وفيات الأكابر ورقة ١٠٢ ، نجم الدين الغزى : الكواكب السائرة بأعيان المائة
العاشرة جـ ١ ص ١٦٤ ، السنا الباهر : ورقة ١٣٣ ، العصامي : سمط النجوم
جـ ٤ ص ٢٩٢ ، دحلان : خلاصة الكلام ص ٥٢ .
(٣) سوف نتحدث عن أحمد بن أبي نمي هذا عند دراسة نص تذكاري يؤرخ لوفاة ابنه
حراز مؤرخ بعام ٩٩٤ هـ - أنظر ص ٤١٧ من هذه الرسالة .
(٤) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٣٢٤ ، السنا الباهر ورقة ٢٤٢ ، العصامي : سمط
النجوم جـ ٤ ص ٢٩٣ .
(٥) العيدروسي : النور السافر ص ٣٨٠ ، وفيات الأكابر ورقة ١٧٣ حيث أورد تاريخ وفاته
بعام ٩٩٠ هـ بينما تجمع المصادر الأخرى على وفاته سنة ٩٩٢ هـ - أنظر :
السنا الباهر : ورقة ٣٣٥ ، العصامي جـ ٤ ص ٣٣٧ ، ابن فضل الله الطبري :
اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٩٢ ، دحلان : خلاصة الكلام ص ٥٥ .
(٦) دحلان : خلاصة الكلام ص ٥٣ .
(٧) أنظر ص ٣٥ - ٨٣ من هذه الرسالة

وورد في النص اسم بركات والد أبي نمي :

وهو بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ولد سنة احدى وستين وثمانمائة[1] وفي سنة ٨٧٨ هـ أرسله والده لمقابلة السلطان قايتباى ٨٧٢ هـ - ٩٠١ هـ فأكرم السلطان وفادته وأشركه مع أبيه في امرة مكة والتقى بكثير من علماء مصر وأخذ عنهم وأخذوا عنه[2] واستمر شريكا لوالده محمد بن بركات حتى توفي والده سنة ٩٠٣ هـ[3] فاستقل بامرة مكة حتى سنة ٩٠٦ هـ اذ نازعه فيها أخوه هزاع بن محمد بن بركات بتفويض من السلطان قانصوه الغوري فوقعت الحرب بينهما وانهزم بركات واستولى هزاع على مكة الا أن بركات عاد لامرة مكة في نفس السنة وتوالت الحروب بينه وبين أخيه هزاع الى أن توفي هزاع في الخامس عشر من شهر رجب سنة سبع وتسعمائة[4].

ولكن الحرب لم تنته فسرعان ما استولى أحمد الملقب بجازان أخو بركات وهزاع على السلطة وجرى منه أمور شنيعة أصابت أهل مكة والحجاج وتقاتل مع أخيه بركات أكثر من مرة حتى قبض المماليك على الشريف بركات وتوجهوا به الى القاهرة في أوائل سنة تسع وتسعمائة وظل جازان أميرا على مكة حتى قتله الأتراك وهو يطوف يوم الجمعة عاشر رجب سنة تسع وتسعمائة[5]. أما الشريف بركات فقد استطاع الهرب هو وأخوه

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ١٤ وأنظر :
الشيلي : السنا الباهر ورقة ١٣٣ ، العصامي : سمط النجوم العوالي جـ٤ص٢٧٩، دحلان : خلاصة الكلام ص ٤٦ .

(٢) السخاوى : المصدر السابق - نفس الجزء والصفحة ، وأنظر :
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٣٢٢ ، العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٢٧٩، ٢٨٠ ، دحلان : خلاصة الكلام ص ٤٦ .

(٣) العز بن فهد : بلوغ القرى حوادث سنة ٩٠٣ هـ ورقة ٩٩ وأنظر :
ابن ظهيرة : المصدر السابق ص ٣٢٢ ، الجزيرى : درر الفوائد ص ٣٤٨ ، الشيلي : السنا الباهر ورقة ١٤ ، ١٣٣ .

(٤) ابن ظهيرة : المصدر السابق ص ٣٢٢ وأنظر :
الجزيرى : درر الفوائد ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، الشيلي :السنا الباهر ورقة ٢٩ ، ١٣٣ ، العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٢٨٤ ، دحلان : خلاصة الكلام ص ٤٧ .

(٥) ابن ظهيرة : المصدر السابق ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ . وأنظر :
العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٢٨٨ ، دحلان : خلاصة الكلام ص ٤٨ .

الشريف قايتباى وغيرهما وانتهى أمرهما بأن استولى قايتباى على مكة بموافقة أخيه بركات الى أن توفي قايتباى فى شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وتسعمائة [(١)] فاستولى بركات على مكة وأرسل ابنه أبا نمي لمقابلة السلطان الغورى فأشركه السلطان مع والده فى الامارة وظل الأمر كذلك الى أن توفي الشريف بركات فى الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة احدى وثلاثين وتسعمائة [(٢)] وانفرد أبو نمي بالسلطة كما سبق أن أشرنا الى ذلك .

وقد ورد فى النص اسم " بركة السلم " :

وأول من أشار الى هذه البركة من مؤرخي مكة هو تقي الدين الفاسي عندما تحدث عن البرك بمكة وحرمها بقوله : " ومنها بحرم مكة مما يلى منى وعرفه عدة برك منها البركة المعروفة ببركة السّلم .. " [(٣)].

وأشار لها الجزيرى بقوله : " ... البركة التى بطريق منى المعروفة ببركة السلم " [(٤)].

أما محي الدين الطبرى فقد ذكرها بقوله : " ومن البرك بركة السلم وهي في طريق منى بالقرب من عقبتها ... " [(٥)].

---

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى ورقة ٢٠٤ بينما أرخ ابن ظهيرة وفاته بيوم الأحد الحادى والعشرين من صفر سنة ٩١٨ هـ - أنظر : الجامع اللطيف ص ٣٢٣ ، وكذلك الجزيرى : درر الفوائد ص ٣٥٨ .

(٢) ابن ظهيرة : المصدر السابق ص ٣٢٤ ، وأنظر : العيدروسي: تاريخ النور السافر ص ١٥٢ ، وفيات الأكابر ورقة ١٠٢ وقد أشرنا فى السابق الى أن العيدروسي أرخ وفاته بسنة ٩٣٠ هـ ، وأنظر أيضا : الغزى : الكواكب السائرة ج ١ ص ١٦٤ ، الشيلي : السنا الباهر ورقة ١٣٣ ، العصامي : سمط النجوم ج ٤ ص ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، دحلان : خلاصة الكلام ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٠ ، ٣٤٩ ، العقد الثمين ج ١ ص ١٢٧ .

(٤) عبد القادر الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٣٠٧ .

(٥) محي الدين الطبرى : الأرج المسكي فى التاريخ المكي ورقة ٣٣ .

ويلاحظ أن مؤرخي مكة لم يحددوا موقع هذه البركه على وجه الدقة وانما اكتفوا بالاشارة الى أنها بطريق منى وأنها بالقرب من عقبتها .

كما أن صاحب رسالة الخلاصة المفيدة لأحوال عين زبيدة قد ذكر أن هذه البركة قريبة من الجادة على طريق الحاج الصاعد الى منى (١) .

ومن المرجح أن موضع بركة السّلم هو فى المكان الذى وجد فيه هذا النص موضوع الدراسة اذ لا يزال جزء كبير من أحد جدران هذه البركة ظاهر فوق سطح الأرض بالقرب من مدرسة عثمان بن عفان الابتدائية ويشغل مسجد الشيخ ابراهيم آل الشيخ جزءها الشمالي وبناء على ماهو متبقى من الجدار فان طول هذه البركه ربما كان حوالي ٣٥ م وعرضها حوالي ١١٥ سم (٢) .

ولا يعرف أول من أنشأ هذه البركه لأن الفاسي يشير الى ذلك بقوله :

" لا أدرى من أنشأها وجددها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر وعمّر القنى التى تصل اليها من منى وذلك فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة " (٣) . كما أشار الى ذلك الجزيرى (٤) وربما كانت هذه البركه من انشاء السيدة زبيدة حين أجرت عين حنين وأدخلتها الى مكة سنة ١٩٤ هـ (٥) لأنها أنشأت بعض البرك ربما تكون هذه احداها .

ويذكر صاحب الخلاصة المفيدة أن هذه البركه من عمل زبيده وأنها قريبة من الجادة على طريق الحاج الصاعد الى منى (٦) .

والجدير بالملاحظة هو ما أورده محي الدين الطبرى (ت ٠٧٠ (هـ) من أن هذه البركه تمتلىء من ماء المطر وليس من ماء العين (٧) مع أن النص يذكر صراحة اعادة اصلاح

---

(١) عبد القادر ملا قلندر : الخلاصة المفيده لأحوال عين زبيده ص ٦ .
(٢) محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ص ٦٠ .
(٣) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٤٠ ، ٣٤٩ ، العقد الثمين جـ١ ص ١٢٧ .
(٤) الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٣٠٧ .
(٥) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٣١ .
(٦) عبد القادر ملا قلندر : الخلاصة المفيدة لأحوال عين زبيدة ص ٦ .
(٧) محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٣٣ .

عين هذه البركه مما يدل على أن البركة تمتلىء من ماء العين وليس من ماء المطر كما يذكر الطبرى .

وقد سبق أن ذكرنا أن الفاسي والجزيرى قد أشارا الى أن نائب السلطنة بمصر قد جدد هذه البركه وأجرى ماء العين اليها مما يصحح الخطأ الذى وقع فيه محي الدين الطبرى .

وقد ورد فى الهامش الأيسر من النص اسم " مصطفى ناظر عين مكة المشرفة " ولم تسعفنا المصادر بذكر شيء واضح عن تاريخ حياته الا ما ذكره قطب الدين الحنفى من أن مصطفى هذا هو مصلح الدين مصطفى الذى كان أحد المجاورين بمكة وصدرت أوامر السلطان سليمان بتعيينه ناظرا لعين حنين وعين عرفات فبذل جهده فى عمارتها الى أن جرت عين مكة (حنين) ودخلتها كما أصلح عين عرفات وأجراها الى أن صارت تملأ البرك بعرفات وذلك سنة ٩٣١ هـ ثم اشترى عبيدا من مال السلطنة لخدمة العين وتنظيف قنواتها من الأتربة ثم توجه بعد ذلك الى مقابلة السلطان ليعرض عليه أمر العين ، وعند عودته الى مكة توفي غريقا فى البحر سنة ٩٣٧ هـ .[1]

وقد أورد تاريخ وفاته أيضا عبد الملك العصامي المتوفى سنة ١١١١هـ بسنة ٩٣٩ هـ[2] على الرغم من أنه ينقل نقلا عن قطب الدين الحنفى ولا يعرف من أين استقى معلوماته هذه عن وفاة مصلح الدين مصطفى لأن قطب الدين الحنفى الذى نقل هو عنه قد أورده بسنة ٩٣٧ هـ .

---

(١) قطب الدين الحنفى : الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، وأنظر : مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد - مخطوط بمركز البحث العلمى والتراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة رقم ٦٧٥ ورقة ٣٣ حيث ذكر وفاة مصلح الدين مصطفى ولكن دون تحديد لتاريخ وفاته .

(٢) العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٨٥ .

أما السنجارى (ت ١١٢٥ هـ)[(١)] فقد أورد تاريخ وفاة مصلح الدين مصطفى بسنة ٩٣٢ هـ وهو خطأ واضح لأن اسم مصطفى ورد فى النص موضوع الدراسة المؤرخ بعام ٩٣٥ هـ مما يؤكد أنه كان ناظرا للعين فى هذا الاصلاح الذى تم فى هذه السنة وهو الاصلاح الثانى للعين والذى أمدنا النص بمعلومات عنه بينما لم تتحدث عنه المصادر التاريخية .

ويبدو لأول وهلة أن هناك اختلافا بين النص موضوع الدراسة وبين ما أورده كل من قطب الدين الحنفى[(٢)] وصاحب سلوك سبيل الرشاد[(٣)] وعبد الكريم القطبى[(٤)] والعصامى[(٥)] والسنجارى[(٦)] وغيرهم حول تاريخ عمارة عين عرفه فالنص يذكر صراحة أن العين قد أصلحت سنة ٩٣٥ هـ بينما يذكر هؤلاء المؤرخون أن العين أصلحت سنة ٩٣١ هـ ولكن سرعان مايتبدد هذا الاختلاف اذ أن عبارة النص تذكر أن السلطان سليمان " أمر باعادة اصلاح عين هذه البركه " مما يشير الى أن هذا الاصلاح الوارد فى النص هو اصلاح ثان[(٧)] وأن الاصلاح الذى أشار اليه المؤرخون سنة ٩٣١ هـ هو اصلاح أول وبذلك يمدنا النص بمعلومات تاريخية جديدة وهامة غفل عن ذكرها المؤرخون مما يقوم دليلا واضحا على أهمية دراسة النقوش والكتابات الأثرية وخاصة فى الحجاز .

أما سبب هذا الاصلاح فقد أشار اليه النص صراحة وهو أن اعادة اصلاح عين هذه البركه لانقطاع مائها .

والذى أود أن أضيفه هنا هو أن عين حنين هذه التى نقش النص بسبب اصلاحها لم تلبث أن انقطع ماؤها مرة أخرى ولاقى أهل مكة والحجاج شدة بسبب قلة

---

(١) السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٤٠ .
(٢) قطب الدين الحنفى : الاعلام ص ٢٨٥ .
(٣) سلوك سبيل الرشاد ورقة ٣٣ .
(٤) عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ٩٨ .
(٥) العصامى : سمط النجوم العوالي ج ٤ ص ٨٥ .
(٦) السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٤٠ .
(٧) أنور شكرى : لوحان أثريان ص ٥٩ .

المياه كما ضعفت مياه عين عرفه وذلك منذ سنة خمس وستين وتسعمائة فعرض ذلك على السلطان سليمان فأمر باجراء عين عرفه وادخالها الى مكة المكرمة مهما كلف ذلك من أموال ولما علمت بذلك كريمة السلطان سليمان التمست من السلطان أن تكون هي صاحبة الخير في اجراء عين عرفه الى مكة واختارت لذلك دفتردار[1] مصر الأمير ابراهيم بن تغري بردى (ت ٩٧٤ هـ) وأعطته ما يقرب من خمسين ألف دينار ذهب لعمارة العين فوصل الى مكة المكرمة في أواخر سنة ٩٦٩ هـ وبدأ بتنظيف بعض الآبار التي يستقي منها الناس واصلاحها ثم توجه الى اصلاح عين عرفات فقام بتنظيف مجرى العين ابتداء من منطقة الأوجر بوادى نعمان وعيّن لهذا العمل أربعمائة عامل يبدأ عملهم من منطقة الأوجر الى مزدلفه كما استجلب عمالا آخرين ومهندسين من مصر والشام واستانبول واليمن حتى بلغ عددهم ألف عامل وكان يظن أنه سيفرغ من هذا العمل في مدة لا تزيد عن عام وظل يعمل حتى وصل عمله الى بئر زبيده[2] الذى انتهى عملها اليها وكان يعتقد أن زبيده قد أوصلت عين عرفه الى مكة قبل ذلك وأن اصلاحه سوف يقتصر على تنظيف مجرى العين ودبولها الا أنه فوجىء أن عمل السيده زبيده قد انتهى عند هذا المكان وأنها لم تستطع ايصال ماء عرفه الى مكة بسبب صلابة الحجر مما جعلها تمرّ عين حنين وتوصلها الى مكة وتكتفي بايصال عين عرفه الى هذا المكان الذى وصل اليه عمله ثم قرر أنه لابد من نقر الحجر على عمق لا يقل عن خمسين ذراعا وبطول لا يقل عن ألفي ذراع وهو أمر في غاية الصعوبة مما ألجأه الى الحفر من حول الحجر ثم يوقد عليه نارا تضعف من صلابته وظل كذلك حتى استنفد جميع الحطب بجبال مكة فجلبه عن طريق الشراء من أماكن بعيده حتى ارتفع سعر الحطب فضاق الأمير ابراهيم ذرعا لأن عمله هذا كان في غاية الصعوبة وأنفق عليه

---

(١) الدفتردار هو الذى يحصل أموال الدولة بموجب الدفاتر - أنظر عن هذا اللقب : حسين أفندى الرزنامجي : " ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية - تحقيق محمد شفيق غربال - مجلة كلية آداب القاهرة - مجلد ٤ جـ ١ مايو ١٩٣٦ م ص ١٥.

(٢) بئر زبيده : تقع هذه البئر خلف منى في وادى عرنه وهي بئر عظيمه مطويه بأحجار كبيرة جدا مما يتوهم أنها من عمل الجن - أنظر : قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٨٣ ، عبد القادر ملاقلندر : الخلاصة المفيدة ص ٦ ، رشدى الصالح ملحس: " ملحق رقم ٤ عن عين زبيده " من كتاب الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٣٢٧.

أكثر من خمسمائة ألف دينار ذهبا دون جدوى ثم أدركته الوفاة قبل اتمام هذا العمل في الثاني من شهر رجب سنة ٩٧٤ هـ فأقيم مكانه أمير آخر هو محمد الأكمكجي ولكنه توفي في شهر جمادى الأولى سنة ٩٧٦ هـ دون أن يصل الى نتيجة حاسمة فخلفه في العمل الأمير قاسم نائب جده ناظرا على عمارة عين عرفه بأمر من شريف مكة آنذاك حسن بن أبي نمي وموافقة السلطنه ولكنه أدركته الوفاة في شهر رجب سنة ٩٧٩ هـ دون عمل يذكر فعين بدلا منه القاضي حسين الحسيني ناظر الحرم الشريف فبذل جدّه واجتهاده في هذا العمل حتى استطاع ايصال ماء عين عرفه الى مكة في العشرين من ذى القعدة سنة ٩٧٩ هـ فجهزت البشائر الى السلطان سليم بن سليمان لأن والده الآمر بهذه العمارة كان قد توفي سنة ٩٧٤ هـ.[1]

---

(١) قطب الدين الحنفي : الاعلام ص ٢٨٦ - ٢٩٢ وأنظر : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٣٣ - ٣٥ وأنظرأيضا : عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الاعلام ص ٩٨ - ١٠٢ ، العيدروسي : تاريخ النور السافر ص ٣٦٣ ويلاحظ أنه جعل تاريخ اجراء عين عرفه سنة ٩٨٨ هـ وهو خطأ صوابه سنة ٩٧٩ هـ كما اتفق عليه المؤرخون - وأنظر : محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٢٧ ، ٢٨ ، العصامي : سمط النجوم العوالى جـ ٤ ص ٨٣ - ٨٩ ، وأنظر أيضا : السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وأنظر : ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢١٨ - ٢٢٠ .

لوحة (٢٨)

يوجد بمتحف آثار الحرم المكي الشريف لوح من البازلت مستطيل الشكل نقش عليه نص تأسيسي لتجديد مسجد ومولد جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه بالخط الثلث الحجازى اللين البارز مؤرخ بعام ٩٤٥ هـ .

المكان : متحف آثار الحرم المكي الشريف

النوع : لوح من البازلت مستطيل الشكل عبارة عن لوحة تأسيسية لتجديد مسجد ومولد جعفر بن أبى طالب بمكة المكرمة .

المقاس : ٤٩ سم × ٣٩ سم .

التاريخ : جمادى الآخرة ٩٤٥ هـ .

عدد الأسطر : ١٠ سطور يفصل بين كل سطر وآخر خط بارز ويكتنف البسملة من اليمين والشمال زخارف نباتية وقد نقشت البسملة بخط أكبر من بقية النص كما اضطر الخطاط أو النقاش نتيجة لضيق المساحة المعدة للكتابة أن يكتب بعض الكلمات بطريقة رأسية تبدأ من أسفل الى أعلى مثل كلمة " أجمعين " فى آخر السطر الخامس .

الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث .

" النص "

١ - بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة

٣ - وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين[1] صدق الله

٤ - أمر بتجديد هذا المسجد المعظم والمولد المبجل المكرم مولد سيدنا ومولانا

٥ - جعفر الطيار بن أبى طالب ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ورضي عنه وعن الصحابة أجمعين

---

(١) سورة التوبه : آية ١٨

٦ - سيدنا الجناب الكريم العالي حائز رتب المجد والمعالي العالم العامل

٧ - جامع أشتات المحاسن والفضائل الوزير الأعظم بالممالك البحرية الكبيرة

٨ - ومديرها بعظيم الهمم العليه الواثق بالملك المنان المسند العالى

٩ - عبد العزيز آصف خان تقبل الله عمله وبلغه من كل خير أمله بمنه وكرمه آمين

١٠ - وذلك في شهر جمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وتسعمائة من الهجرة الشريفة النبوية .

وقد ورد في النص اسم " جعفر الطيار بن أبي طالب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم " ، وهو أبو عبد الله جعفر الطيار بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من أوائل من أسلم من الصحابة رضوان الله عليهم حتى عد الصحابي الثاني والثلاثين ممن أسلم على الترتيب وهاجر الى الحبشة في الهجرة الثانية ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر ففرح الرسول صلى الله عليه وسلم بقدومه وقال : ما أدري بأيهما أشدّ فرحا بقدوم جعفر أو بفتح خيبر ثم بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤته من أرض الشام في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة فاستشهد رضي الله عنه وبيده لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قطعت يداه ووجد في جسده بضع وسبعون طعنه وقيل خمسون طعنه وأسف عليه النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا وبكى لفقده وكان رضي الله تعالى عنه أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا .(١)

وسيرة جعفر رضي الله عنه تحتمل مجلدات وأخباره متوفرة في كثير من كتب الحديث والسير والتراجم والتاريخ وانما أردت التعريف الموجز بشخصه الكريم هنا اتماما للفائدة العلمية من نشر هذا النص الذى ورد اسمه فيه .

---

(١) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين - تحقيق فؤاد سيد ج ٣ طبعة القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

وقد ورد في النص اسم : " الوزير الأعظم عبد العزيز آصف خان " ، وهو أبو القاسم عبد العزيز بن محمد حميد الملك بن ركن الدين بن جلال الدين بن تاج أحد ملوك السند ويقال ان آصف خان قرشي من بني مخزوم[1] وقد اختلف في تاريخ ولادته فقيل انه ولد سنة ثمان وتسعمائة[2] وقيل انه ولد في ليلة الخميس ثاني عشر ربيع الأول سنة سبع أو تسع وتسعمائة[3].

وقد عين عبد العزيز آصف خان وزيرا للسلطان بهادر شاه (ت ٩٤٣هـ) سلطان كجرات[4] احدى أقاليم الهند ولما غزا همايون سلطان المغول كجرات سنة ٩٤٢ هـ[5] خشي السلطان بهادر على نسائه وخزائنه من استيلاء المغول عليها فأرسل بها وزيره عبد العزيز آصف خان الى مكه فمكث بمكة أكثر من عشر سنين ثم عاد الى كجرات حين وليها السلطان محمود شاه بن لطيف سنة ٩٥٥ هـ فعينه السلطان محمود في منصب الوزارة وكان أثناء وجوده بمكة قد توجه الى استانبول وقابل السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ هـ - ٩٧٤ هـ) فأكرمه ورتب له مائتي جنيه عثماني وقد ظل عبد العزيز آصف خان في وزارته الى أن تآمر بعض خدم السلطان على قتله فقتل السلطان محمود ووزيره آصف خان وغيرهما في الثاني عشر من ربيع الأول سنة ٩٦١هـ[6]

---

(١) الشيلي : السنا الباهر بتكميل النور السافر ورقه ٢٤٢

(٢) المصدر نفسه : نفس الورقة

(٣) العيدروسي : تاريخ النور السافر ص ٢٤٢ ، ٢٤٣.

(٤) كجرات : هي الامارة الثانية من امارات الهند الاسلامية بعد دهلي وأول من افتتحها من أمراء المسلمين محمود الغزنوى (ت ٤٢١هـ) ولكن سلطان المسلمين لم يرسخ فيها الا على يد علاءالدين الخلجي سنة ٦٩٧هـ (١٢٩٧م) وظلت هذه الامارة تتسع وتقوى رغم كل الظروف التي واجهت سلاطينها وكان لها دور بارز في طرد البرتغاليين من سواحل الهند الغربية وظلت هذه الامارة قائمة الى أن سقطت في يد السلطان أكبر ثالث سلاطين المغول وضمها الى ملكه سنة ٩٨٠هـ (١٥٧٢م) أنظر : د . أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم من الفتح العربي حتي قيام الدولة المغولية ٨٩ هـ - ٩٣٢ هـ (٧٠٧ م - ١٥٢٦ م) جـ ١ طبع مكتبة الآداب بمصر سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م ص ٢١٠ - ٢١٣.

(٥) العيدروسي : المصدر السابق ص ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢.

(٦) العيدروسي : المصدر السابق ص ٢٤٣ ، ٢٥٢ وأنظر : الشيلي : السنا الباهر ورقة ٢٤٢.

وقيل في الثامن عشر من الشهر نفسه [1].

وقد أشاد صاحب كتاب النور السافر بآصف خان هذا ووصفه بأنه كان رجلا صالحا جوادا ممدوحا شريف النفس عالي الهمة ذو تهجد وأنه مكث بمكة أكثر من عشر سنين مشتغلا بالعبادة حتى أنه أقام بمكة تلك المدة لا يعرف أنه ترك الصلاة فيها جماعة مع الامام بالمسجد الحرام كما كان محبا لأهل العلم محسنا اليهم وأنفق فى مكة في نحو سنة واحدة حوالي مائة وخمسين صندوقا من الذهب حتى ألبس أهل مكه نساءهم وخدمهم حليّ الذهب الذى لم يعهدوا مثله وتوسعوا فى الملبس والمأكل بما لم يعرفوه قبل ذلك ولما بلغ أهل مكة وفاته حزنوا عليه جدا لما كان ينالهم منه من الاحسان ورثاه الشيخ عبد العزيز الزمزمي المكي (ت ٩٧٦ هـ) بقصيدة طويلة مطلعها :

أي القلوب لهذا الحادث الجلل   أطواده الشم لم تنسف ولم تزل [2]

وقد ورد في النص عبارة " هذا المسجد المعظم والمولد المبجل مولد سيدنا ومولانا جعفر الطيار بن أبي طالب " .

ويشير تقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢ هـ) عند حديثه عن هذه المواليد ومنها مولد جعفر الذى نحن بصدد دراسة نصه الى أن هذه المواليد هي في الواقع مساجد وانما أطلق عليها في عرف الناس المواليد ولهذا نراه قد أفردها في فصل خاص مستقل عن المساجد المأثورة بمكة [3].

واشارة الفاسي هذه تفسر لنا مضمون عبارة النص أعلاه التى تذكر أن هذا المكان هو مسجد ومولد وذلك تمييزا له عن المساجد المأثورة التى ليس بها مواليد .

---

(١) الجزيرى : درر الفوائد ص ٣٩٩ .
(٢) العيدروسي : تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص ٢٤٢ - ٢٤٧ .
(٣) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٦٩ . وأنظر :
العقد الثمين جـ ١ ص ٩٤ ، ٩٦ .

وكان هذا المولد يقع في الدار المعروفه بدار أبي سعيد[(١)] بالقرب من دار المجله[(٢)] في الناحية الشمالية من المسجد الحرام والتي عرفت فيما بعد باسم دار الدقوقي[(٣)] .

ولم يشر الأزرقي (ت حوالي سنة ٢٥٠ هـ) الى مولد جعفر هذا ، كما انه لم يشر أيضا الى دار أبي سعيد التي كان بها هذا المولد .

وربما كان أول من أشار الى مولد جعفر بن أبي طالب هو ابن جبير حينما حج سنة ٥٧٩ هـ بقوله : " وكانت بمقربة من الدار التي نزلنا فيها دار جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ذى الجناحين "[(٤)] .

أما تقي الدين الفاسي فلم يؤكد أو ينفي أن هذا المكان هو مولد جعفر بن أبي طالب ، يتضح ذلك من حديثه اذ يقول :
" ويقال له مولد جعفر بن أبي طالب المعروف بالطيار والله أعلم بحقيقة ذلك "[(٥)] . بل نراه يذكر أيضا أن هذا الموضع نفسه يقال له مولد جعفر الصادق وذلك بقوله : " ومنها - أي المواليد بمكة - الموضع الذى يقال له مولد جعفر الصادق ... لأن على بابه حجر مكتوب فيه هذا مولد جعفر الصادق ... "[(٦)] .

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٧٢ ، وأنظر :
العقد الثمين جـ ١ ص ٩٧ ، وأنظر أيضا :
الزهور المقتطفة ورقة ٥٠ ، وأنظر أيضا :
ابن الضياء الحنفي : البحر العميق ورقة ٩٥ وأنظر :
ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٣٢٩ .
(٢) دار المجلسه : كانت تقع في الجانب الشمالي من المسجد الحرام ويفهم من كلام الأزرقي أن يقطين بن موسي (ت ١٨٥هـ) الذى كان مشرفا على عمارة المسجد الحرام في عهد الخليفة المهدى ١٥٨هـ - ١٦٩ هـ هو الذى بنى هذه الدار وجعل لها بابا نافذا على المسجد الحرام - أنظر :
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار جـ ٢ ص ٧٧ .
(٣) ابن ظهيره القرشي : الجامع اللطيف ص ٣٢٩ .
(٤) ابن جبير : الرحلة ص ٩٣ .
(٥) الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص٢٧٢ ، وأنظر : العقد الثمين جـ١ ص٩٧ وأنظر أيضا :
الزهور المقتطفة ورقة ٥٠ .
(٦) المؤلف نفسه : نفس المصادر والصفحات .

وما ذكره الفاسي نقله عنه أيضا كل من ابن الضياء الحنفي[1] (ت ٨٥٤ هـ) وابن ظهيره (ت ٩٥٠ هـ)[2] وقطب الدين الحنفي (ت ٩٨٨ هـ)[3] وان كان يلاحظ أن قطب الدين الحنفي قد أخطأ عند ذكره لجعفر الصادق على انه ابن أبي طالب والصواب أن جعفر الصادق هو ابن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب الشيعة الامامية الذى ولد سنة ثمانين للهجرة وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة المنورة[4] .

ولم يشر أحد من المؤرخين الى أول من أنشأ مسجدا على هذا المولد وانما يذكر الفاسي أن بعض المجاورين أمر بعمارته في صفر سنة ثلاث وعشرين وستمائة كما هو مكتوب في حجر على بابه[5] .

ومن المهم أن نذكر أن عمارته هذه التى أمر بها عبد العزيز آصف خان كما هو وارد بالنص لم يشر اليها أحد من المؤرخين سواء كانوا معاصرين مثل قطب الدين الحنفي أو ممن أرخ لمكة بعده حتى عصرنا الحاضر مما يجعل هذا النص موضوع الدراسة يكتسب أهمية خاصة اذ أمدنا بمعلومات عن تجديد هذا المسجد أو المولد ليست مذكورة في المؤلفات التاريخية التي عرضت لها ويؤكد ما سبق أن أشرت اليه من أهمية دراسة النقوش والكتابات وخاصة في منطقة الحجاز اذ أنها تزودنا بمعلومات تاريخية في غاية الأهمية بعض هذه المعلومات يتصل بما قام به بعض الخلفاء أو السلاطين أو الأمراء من منشآت كما يفيدنا البعض الآخر فيما يتصل بأخبار الرجال وتراجمهم .

---

(١) ابن الضياء الحنفي : البحر العميق ورقة ٩٥ .
(٢) ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٣٢٩ .
(٣) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٦١ وأنظر أيضا : عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الاعلام ص ١٥٥ .
(٤) أنظر ترجمة جعفر الصادق عند ابن خلكان : وفيات الأعيان تحقيق احسان عباس جـ ١ ص ٣٢٧ - طبعة دار صادر بيروت - ١٩٦٨م .
(٥) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٧٢ وأنظر : ابن الضياء الحنفي : البحر العميق ورقة ٩٥ .

وقبل أن أنهي حديثي عن نص مولد جعفر هذا فاني أود أن أشير الى أن هذا المسجد أو المولد ليس له وجود الآن وكنت أظن أنه أزيل ضمن التوسعة السعودية للمسجد الحرام ولكن الأستاذين عبد العزيز الرفاعي وأحمد محمد جمال اللذان قاما بتحقيق كتاب اعلام العلماء الاعلام للقطبي ونشراه سنة ١٣٦٩هـ قد أشارا الى عدم وجود هذا المسجد أو المولد عند تحقيقهما للكتاب المذكور[1] مما يدل على أن هذا المولد قد أزيل ولم يعد مكانه معروفا قبل التوسعة السعودية التي بدأت سنة ١٣٧٥ هـ .

وهكذا يقوم النص موضوع الدراسة وثيقة وحيدة للانجاز المعماري للمسجد .

. . . . . .

---

(١) عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الاعلام - تحقيق الرفاعي ، أحمد جمال - الطبعة الأولى - ١٣٦٩ هـ ص ١٥٥ حاشية ٣ .

لوحة رقم (٢٩)

يوجد الآن بمتحف آثار الحرم المكي الشريف المقصورة الخشبية التي كانت مقامة على مقام الخليل ابراهيم عليه السلام والتي سبق أن تحدثت عن النصوص التأسيسية الملصقة على أعمدة هذه المقصورة الأربعة والخاصة بالسلطان اينال المملوكي (٨٥٧ هـ - ٨٦٥ هـ) وكذلك السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦هـ - ٩٢٢ هـ) وهي النصوص المؤرخة بعامي ٨٥٨ هـ وعام ٩١٥ هـ على التوالي .

وهنا سوف أتحدث عن النص التأسيسي لتجديد المقام في عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ هـ - ٩٧٤ هـ) الذي يحيط بواجهات المقصورة الأربع والمؤرخ بعام ٩٤٩ هـ .

المكان : متحف آثار الحرم المكي

الرقم : بدون

النوع : أربعة ألواح من الرخام مستطيلة الشكل تشكل أعتابا مثبتة على واجهات مقصورة مقام الخليل عليه السلام وتمثل النصوص في مجملها آيات قرآنية ولوحة تأسيسية لتجديد المقام في عهد السلطان سليمان العثماني مؤرخة بعام ٩٤٩ هـ .

المقاس : الواجهة الشرقية: يبلغ طول اللوح الرخامي المثبت على واجهتها ١٩٠ × ٢٠ سم

الواجهة الجنوبية : ١٩٥ × ٢٠ سم

الواجهة الغربية : ١٩٥ × ٢٠ سم

الواجهة الشمالية : ١٩٠ × ٢٠ سم

الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث على هيئة شريط كتابي مستطيل الشكل يتألف من سطر واحد في كل جهة تبدأ قراءته من عتب الجهة الشرقية ثم عتب الجهة الجنوبية ثم عتب الجهة الغربية وينتهي عند عتب الجهة الشمالية والشريط الكتابي في كل الجهات الأربع على هيئة خراطيش يفصل بين كل خرطوشتين رنك دائرى الشكل ينقسم الى ثلاثة أقسام شطب في الوسط وقسمين أعلى وأسفل تبدأ قراءته من القسم الأعلى ثم الشطب في الوسط وتنتهي قراءته بنص القسم الأسفل من الرنك .

" النص "

عتب الجهة الشرقية : (قال الله تبارك وتعالى : واذ جعلنا البيت مثابة للناس)
(وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم)

عتب الجهة الجنوبية : (واسمعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع)
(السجود واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا[1] صدق الله)

عتب الجهة الغربية : (أمر بتجديد هذا المقام المعظم سيدنا ومولانا السلطان)
(الملك المظفر سليمان خان ابن السلطان سليم خان ابن بايزيد خان)

عتب الجهة الشمالية : (خان ابن السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان ابن)
(السلطان أورخان ابن السلطان عثمان خان عز نصره في سنة تسع وأربعين وتسعمائة)

أما نص الرنك الفاصل بين كل خرطوشتين فهو على النحو التالى :

القسم الأعلى : " عز لمولانا "

الشطب في الوسط : " السلطان الملك المظفر سليمان عز نصره "

وقد أشار ابراهيم رفعت[2] لنص السلطان سليمان هذا ولكن يلاحظ أنه قد وقع في عدة أخطاء على النحو التالي :

١ - لم يقرأ النص قراءة كاملة بل أورد ماهو مكتوب على عتب الجهتين الغربية والشمالية من عتب واجهات المقام فقط .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٢٥، ١٢٦.
(٢) مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٤٦.

٢ - أورد تاريخ تجديد المقام فى عهد السلطان سليمان بسنة ١٠٤٩ هـ وهو مالا يتفق مع فترة حكم السلطان سليمان كما أنه لا يتفق مع ماهو وارد بالنص لأن تاريخ النص الصحيح هو سنة ٩٤٩ .

٣ - ورد فى قراءة ابراهيم رفعت اسم السلطان " سليم " والصواب السلطان "سليمان" .

٤ - سقط من نقش العتب الغربى لفظ " الملك " وعبارة " سليمان خان ابن السلطان" .

أما حسين باسلامه[1] فقد أورد هذا النص كاملا ولكنه وقع أيضا فى عدة أخطاء على النحو التالى :

١ - ورد فى قراءته لنص الجهة الجنوبية من المقصورة عبارة " قال ابراهيم" والصواب " واذ قال ابراهيم " .

٢ - ورد فى قراءته لنص الجهة الغربية المقابلة لباب الكعبة عبارة " هذا المقام العظيم " والصواب " هذا المقام المعظم " .

٣ - يلاحظ أن كلمة " خان " الواردة بعد اسم السلطان بايزيد قد وردت فى قراءة باسلامه فى نهاية نص الجهة الغربية فقط من كتابات المقصورة والصواب انها وردت كذلك مكرره فى أول كلمة من كلمات نص الجهة الشمالية .

٤ - ورد فى قراءته اسم " السلطان محمود خان" فى نص الجهة الشمالية بينما الصواب هو " السلطان محمد خان" .

٥ - سقط من نقش عتب الجانب الأيسر الجنوبى " واذ " كما أورد " البلد " بدلا من " بلدا " .

٦ - ورد فى قراءة باسلامه عبارة " السلطان محمد خان بن بايزيد بن السلطان مراد خان" والصواب " السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان" .

٧ - ورد فى قراءته" السلطان أرخان" والصواب " أورخان" .

٨ - لم تظهر الألفات فى كلمة " ابن " فى قراءة باسلامه والتى وردت فى النص .

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٠٧ .

٩ - لم تأت فى قراءة باسلامه عبارة " غز نصره " .

١٠ - لم يورد باسلامه تاريخ النص .

ومن المفيد أن نذكر أن محمد طاهر الكردى[1] قد نقل هذا النص نقلا حرفيا عن ابراهيم رفعت دون تصحيح للأخطاء التى وقع فيها ابراهيم رفعت والتى سبق أن ناقشناها عند الاشارة الى قراءته لهذا النص وان كان الكردى يذكر فى موضع آخر من كتابه التاريخ القويم أن السلطان سليمان خان قد جدد تعمير المقام ولكن دون اشارة لتاريخ هذا التجديد أو قراءة كاملة للنص[2] .

والواقع أنه سبق أن تحدثت عن مقصورة مقام ابراهيم والتطورات التى مرت بها هذه المقصورة منذ عهد الأزرقي المتوفى حوالى سنة ٢٥٠ هـ ثم فى عهد ابن جبير الذى وصفها أثناء وجوده فى مكة سنة ٥٧٩ هـ ثم فى عهد الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ حيث استقر شكل مقصورة المقام وأعمدتها تقريبا حتى عصرنا الحاضر وذلك عند دراسة نص السلطان الناصر محمد بن قلاوون المؤرخ بعام ٧٢٩ هـ[3] ونص السلطان فرج بن برقوق المؤرخ بعام ٨٠٤ هـ[4] ونصوص السلطان اينال المؤرخة بعام ٨٥٨ هـ[5] .

أما هنا فسوف أعطى وصفا تفصيليا لمقصورة المقام ومحتوياتها حسب ما ذكره المؤرخون منذ عصر الفاسي ٧٧٥ هـ - ٨٣٢ هـ وحتى عصرنا الحاضر مع الاشارة الى اختلاف المؤرخين والباحثين فى بيان مقاسات هذه المقصورة وتصحيح ذلك بعد أن أتيحت لى الفرصة لأخذ القياسات مباشرة من على هذه المقصورة مع اعطاء وصف شامل لكل أجزائها واثبات ذلك بالرسم - أنظر شكل (٣٠) وبالصور الفوتوغرافية - أنظر لوحة (٣٠-٣٢) .

---

(١) محمد طاهر الكردى : مقام ابراهيم ص ١٢٩ ، التاريخ القويم جـ ٤ ص ٣٩ .
(٢) التاريخ القويم جـ ٤ ص ٤٦ .
(٣) أنظر ص ١٢ من هذه الرسالة .
(٤) أنظر ص١٢-١٣٧من هذه الرسالة .
(٥) أنظر ص ١٧٥ من هذه الرسالة .

والحقيقة أن ما اقتبسناه من وصف تقي الدين الفاسي لمقصورة المقام في السابق كان مقتصرا على وصف القبتين الخشبية والحديدية وتاريخ تثبيتهما ومتى أصبحت أعمدة هذه المقصورة من حجارة منحوتة بعد أن كانت من الخشب فقط .

أما هنا فسوف أثبت وصفه لكل محتويات هذه المقصورة مع الاشارة الى ماحدث لها من تجديد أو ترميم بعد عصر الفاسي الذى وصفها وصفا شاملا بقوله :

" أما صفة الموضع المشار اليه فانه الآن قبة عالية من خشب ثابتة على أربعة أعمدة دقاق حجارة منحوتة بينهما أربعة شبابيك من حديد من الجهات الأربعة ومن الجهة الشرقية يدخل الى المقام والقبة مما يلي المقام منقوشة مزخرفة بالذهب ومما يلى السماء مبيضة بالنورة وأما موضع المصلى الآن فانه ساباط مزخرف على أربعة أعمدة منها عمودان عليهما القبة وهو متصل بها وهو مما يلي الأرض منقوش مزخرف بالذهب ومما يلى السماء مبيض منور وأحدث وقت صنع فيه ذلك في شهر رجب سنة عشر وثمانمائة ... ".[1]

وبعد الفاسي لم يصف أحد من مؤرخي مكة ممن جاء بعده مقصورة مقام ابراهيم مثل نجم الدين بن فهد (ت ٨٨٥ هـ) والعز بن فهد (ت ٩٢٢ هـ) وابن ظهيرة القرشي (ت ٩٥٠ هـ) وقطب الدين الحنفي (ت ٩٨٨ هـ) اللهم الا عبد الكريم القطبي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ بقوله :

" والمقام قد عمل عليه صندوق من خشب وعمل على الصندوق قفص من حديد محيط به من الأربع الجهات وفوقه قبّة من شرقيه باب من حديد بدرفتين يفتح ويدخل منه الى المحل ثم الصندوق عليه ثوب مخيط بجر الفضه المموهة بالذهب على أسلوب البرقع والطراز وهو يصل كل عام مع الكسوة فاذا أراد الانسان الزيارة يرجع جانبا من الثوب ويفتح الصندوق ... وبعد القفص الحديد في مقابلة بابه أربع اسطوانات من الحجر الصوان يصلي فيها الامام الشافعي الخمسة الفروض ... ".[2]

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٠٤ وأنظر : العقد الثمين جـ١ ص ٧٧ .
(٢) عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الأعلام ص ١٤٤ .

أما محي الدين الطبري المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ فقد وصف مقصورة مقام ابراهيم حين تحدث عن مقام الشافعي فقال : " مقام الشافعي خلف القفص المحيط بالحفرة التي بها حجر المقام وهذا على دعائم ستة بسقف وعليه قبّة عليها هلال وجملون . . . "(١) .

وفي العصر الحديث وصف محمد صالح الشيبي (ت ١٣٣٥ هـ) مقصورة المقام بأنها قبّة على أربعة أعمدة (٢) .

كما وصفها محمد لبيب البتنوني في رحلته بقوله : " قبّة قامت على أربعة أعمدة وأحاطت بها مقصورة نحاسية مربعة يبلغ طول كل ضلع منها نحو ثلاثة أمتار وستين سنتيمترا . . . "(٣) . ويضيف قائلا : " ويتصل بمقصورته من الشرق سقيفة على طولها بعرض متر وثمانين سنتيمترا . . . "(٤) .

أما ابراهيم رفعت وحسين باسلامه فعلى الرغم من أنهما تحدثا حديثا ضافيا عن المقام ومقصورته فانهما لم يأتيا بمقاسات هذه المقصورة كما أنهما اعتمدا في وصفهما للمقصورة على ما ذكره تقي الدين الفاسي .

وقد أورد محمد طاهر كردي وصفا لمقصورة المقام بقوله : " وفي زماننا هذا - ونحن في القرن الرابع عشر للهجرة - المقام موجود داخل تابوت خشبي عليه ستارة من الحرير مكتوب فيها آيات قرآنية ويحيط بالتابوت شبابيك نحاسية مثبتة على أربعة أعمدة بغاية الضبط والاحكام وعلى السقف قبة صغيرة ظريفة "(٥) .

---

(١) محي الدين الطبري : الأرج المسكي في التاريخ المكي ورقة ٧٤ .
(٢) محمد صالح الشيبي : اعلام الأنام - تحقيق اسماعيل أحمد اسماعيل - نشر نادي مكة الثقافي ١٤٠٥ هـ ص ٣٥ .
(٣) محمد لبيب البتانوني : الرحلة الحجازية ص ١٢٤ .
(٤) المرجع نفسه : ص ١٢٥ .
(٥) محمد طاهر كردي : مقام ابراهيم ص ١٢٩ - وأنظر : التاريخ القويم جـ ٤ ص ٤٧ .

كما أشار الكردى الى مقاسات مقصورة المقام بقوله :

" وهذه المقصورة القديمة أى نفس الشباك الحديدى طولها ثلاثة أمتار وعرضها مثل ذلك وارتفاعها مثل ذلك ومساحة المصلى الذى يلي المقصورة مثل ذلك أيضا أى ثلاثة أمتار ".[1]

والمتتبع لوصف مقصورة المقام عند هؤلاء المؤرخين قديما وحديثا يجد أنها لا تختلف كثيرا عما وصفها تقى الدين الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ على الرغم من التجديدات التى حدثت بعد عصره مثل التجديد الذى حدث سنة ١٠٠٠ هـ[2] فى عهد السلطان مراد بن سليم ٩٨٢ هـ - ١٠٠٣ هـ وكذلك التجديد الذى حدث سنة ١٠٧٢ هـ[3] ثم التجديد الشامل الذى حدث سنة ١١١٢ هـ[4] فان مقصورة المقام قد حافظت على طابعها وشكلها ولم يحدث فيها أى تبديل بدليل أن هذه المقصورة بأعمدتها الحجرية الدقاق كما وصفها الفاسي هي نفس الأعمدة الدقيقة التى نقش عليها السلطان اينال سنة ٨٥٨ هـ عند اصلاحه للمقام أى بعد وفاة تقى الدين الفاسي بست وعشرين سنة وهي أول نقوش كتبت على هذه الأعمدة ولم تستخدم هذه الأعمدة فى كتابة النصوص قبل عصر السلطان اينال ٨٥٧ هـ - ٨٦٥ هـ مما يؤكد أنها كانت خالية فى عصر الفاسي من أية نقوش والا لذكر الفاسي ذلك لاعتماده دائما على النقوش والنصوص التأسيسية فى كتابته لتاريخ مكة المكرمة .

بل ان هذه الأعمدة هي نفسها التى نقش السلطان قانصوه الغورى ٩٠٦ هـ - ٩٢٢ هـ على عمودين منها نقوشه بعد أكثر من نصف قرن . كما أن هذه المقصورة هى بذاتها التي نقش السلطان سليمان نقوشه موضوع الدراسة على أعتاب واجهاتها

---

(١) محمد طاهر كردى : مقام ابراهيم ص ١٣٠ وأنظر : التاريخ القويم جـ ٤ ص ٥٨ .

(٢) عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١٢٢ .

(٣) العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٤٧١ ويلاحظ أنه جعل تاريخ هذا التجديد سنة ١٠٧٤ هـ وأنظر : السنجارى : منائح الكرم ورقة ٣٣٨ ، ابن فضل الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ١٠٨ وقد جعل تاريخ هذا الاصلاح سنة ١٠٧٣ هـ ، باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٠٦ .

(٤) ابن فضل الله الطبرى : المصدر السابق ورقة ١٣٦ ، باسلامه : المرجع السابق ص ٢٠٦ .

الأربع سنة ٩٤٩ هـ وهي المقصورة التى ظلت قائمة بأعمدتها الحجرية حتى العصر السعودى الزاهر الذى استبدلت فيه هذه المقصورة بالغطاء الزجاجي الموجود الآن ومن ثم نقلت هذه المقصورة الى متحف آثار الحرم المكى الشريف حيث اتيحت لى الفرصة بفضل الله تعالى وتوفيقه أن أقوم بتصوير جميع النقوش والنصوص التأسيسية التى عليها .

وبعد استعراض أقوال المؤرخين ووصفهم لمقصورة المقام فانى أجد لزاما علىّ أن أقوم بوصفها وصفا شاملا ودقيقا موضحا مقاساتها على الوجه الصحيح وذلك على النحو الآتى : فهي عبارة عن مقصورة خشبية مربعة الشكل تقريبا تقوم على أربعة أعمدة من الحجر المنحوت تزين هذه الأعمدة المربعة النقوش والكتابات التأسيسية منذ عهد السلطان اينال سنة ٨٥٨ هـ ويبلغ طول واجهة المقصورة من الناحيتين الشرقية والغربية حوالى ٢٧٢ سم ويوجد بالواجهة الشرقية باب يتألف من مصراعين ارتفاع كل مصراع ١٩٣ سم وعرضه ٩٨ سم وطول الجانبين الشمالي والجنوبي حوالي ٢٧٧ سم وارتفاع المقصورة حوالي ٣ أمتار .

ويرتكز السقف الخشبى لهذه المقصورة أيضا على ألواح خشبية من جميع الجهات سمّرت هذه الألواح من أعلى وأسفل بما يعرف بالمفصلات الحديدية ويحصر كل لوحان من هذه الألواح بينهما شباكا مستطيلا من الحديد المخرم بتخريمات بعضها على هيئة دوائر أو أنصاف دوائر تنتهى رؤوس هذه الدوائر بزخارف تشبه الوريقات النباتية الثلاثية كما تظهر بعض هذه المخرمات على هيئة نجوم سداسية الشكل ومضلعات سداسية أيضا .

وترتفع المقصورة الخشبية فى مجملها على أربعة أعمدة حجرية كما سبق أن أشرنا يتراوح ارتفاع هذه الأعمدة بين ٢١٣ سم الى ٢١٨ سم وعرض هذه الأعمدة يتراوح بين ٢٣ سم الى ٢٥ سم ويقوم كل عمود على قاعدة يبلغ ارتفاعها فى المتوسط حوالى ١٥ سم ويعلو هذه الأعمدة الحجرية أعتاب خشبية مصفحة بالنحاس من جميع الجهات الأربع وتحصر هذه الأعتاب بينها ألواح رخامية مستطيلة الشكل نقش عليها آيات قرآنية ونص تأسيسي لتجديد مقام ابراهيم عليه السلام فى عهد السلطان سليمان العثمانى سنة

٩٤٩ هـ وهو النص موضوع هذه الدراسة .

وكان يعلو هذه المقصورة قبل ازالتها رفرف خشبي يبرز كثيرا الى الخارج بحيث يبدو على هيئة مظلة للمقصورة ويرتكز على كوابل خشبية من الجهات الأربع وقد زين هذا الرفرف والكوابل التى كان يقوم عليها بزخارف محفورة فى الخشب قوامها جامات كبيرة وبعض الفروع والأغصان النباتية .

ويرتفع هذا الرفرف الخشبي من الناحية الشرقية على عمودين من الرخام مثمنى الشكل يفصل بين كل منهما وبين الرفرف قاعدة حجرية مربعة الشكل فى أسفلها تاج وقد نقش على هاتين القاعدتين كتابة دقيقة جدا قسمت بين القاعدتين فكتب على القاعدة اليمنى البسملة فى السطر الأول والتصلية على القاعدة اليسرى فى السطر الأول أيضا ونقش فى السطر الثاني من القاعدة اليمنى عبارة " أمر بتجديد هذا المقام الشريف مولانا " ونقش فى السطر الثانى من القاعدة اليسرى عبارة " السلطان سليمان عز نصره " ويحصر كل من البسملة والتصلية من أعلى زخرفة على هيئة وريدات صغيرة جدا ، وعلى الرغم من عدم امكانية تصويرها بسبب صغر حجمها وعدم وضوحها فانه يمكن أن نوضحها بالرسم التالي :

زخرفه
بسم الله الرحمن الرحيم
زخرفة
أمر بتجديد هذا المقام الشريف مولانا

زخرفة
وصلى الله على سيدنا محمد وآله
زخرفة
السلطان سليمان عز نصره

ويحصر هذان العمودان بينهما وبين المقصورة الموضع الذى يصلى فيه الناس ركعتى الطواف .

وكان فوق هذا الرفرف الخشبي قبل ازالته مما يلي السماء قاعدة مربعة الشكل وضعت فوقها قبة صغيرة مضلعة ومصفحة بالرصاص (أنظر لوحة ٣٠) وقد أزيلت هذه القاعدة التى تقوم عليها القبة عند ازالة هذه المقصورة واستبدالها بالغطاء الزجاجى الحالي ولذلك نجد أن هذه القبة تعلو المقصورة مباشرة حيث هي محفوظة

بمتحف آثار الحرم المكي الآن دون وجود لهذه القاعدة المربعة (أنظر لوحة ٣٢) .
ويعلو القبة هلال من النحاس دائرى الشكل نقش فى مركز الوجه منه عبارة :
" الله ربي - محمد نبيي - " وقد ملئت هوامش هذا الهلال بزخارف نباتية على درجة من الاتقان والجمال بحيث يتناسب حجمها مع حجم المساحات المخصصة لها فى دائرة الهلال ونقش فى أسفل الهامش طغراء[1] باسم السلطان مراد بن سليم ٩٨٢ هـ - ١٠٠٣ هـ وقد نقلت هذه المقصورة بكل محتوياتها بقرار من رابطة العالم الاسلامي كما سبق أن أشرت الى ذلك فى موضع سابق لتوسعة المطاف الشريف وذلك فى ١٢ رجب ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧م) وحفظت هذه المقصورة بمتحف آثار الحرم المكي وهي موجودة حتى كتابة هذه السطور واستبدل عوضا عنها بالغطاء الزجاجى القائم الآن فوق مقام ابراهيم عليه السلام .

---

(١) الطغراء : هي الطره التى تكتب فى أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ ومضمونها نعوت الملك الذى صدر عنه الكتاب ويعبر عنها فى اللغة الفارسية بكلمة "نيشان" أما فى اللغة العربية فيطلق عليها كلمة " توقيع " .
وكان للطغراء رجل ينفرد بعملها فاذا كتب المنشور أخذ من تلك الطغراوات واحدة وألصقها فى الكتاب ، ويذكر القلقشندى أنه قد بطل استعمال الطغراء فى مصر بعد انتهاء حكم السلطان شعبان بن حسين أحد سلاطين المماليك وذلك عندما تنبه الناس الى أنها كانت تثبت فى المنشورات فوق البسملة وهذا يعنى أن اسم السلطان يسبق اسم الله وهو أمر غير جائز .
وقد اتخذت الطغراء أشكالا عديدة قبل عصر العثمانيين ولكنها اتخذت فى العصر العثمانى صورة جديدة تختلف عن الأشكال والصور السابقة فلم يعد استعمالها قاصرا على التوقيع على الفرامانات بل اتخذها الخطاطون العثمانيون أساسا لكتابة بعض العبارات الدينية مثل البسملة والشهادتين وغير ذلك . وكان للطغراء موظف مسئول يسمى " النشانجى " ويعمل تحت امرته خطاط خاص يكتب الطغراء يدعى " طغراكش Tughrakesh " وقد ينقش النشانجى بنفسه الطغراء اذا لم يكن لديه هذا الخطاط - أنظر :
القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الاسلامية فى العصر العثمانى ص ١٨٠ ومابعدها .

ومن المهم أن نذكر أن تجديد مقام ابراهيم عليه السلام الذى تم فى عهـــد السلطان سليمان ونقش بسببه هذا النص لم يشر اليه أحد من المؤرخين خاصة ابــن ظهيرة القرشي (ت ٩٥٠ هـ) الذى كان على قيد الحياة فى هذه السنة التى حدث فيها هذا التجديد وهي سنة ٩٤٩ هـ بل ان قطب الدين الحنفى (ت ٩٨٨ هـ) الذى تحدث كثيرا عن اصلاحات السلطان سليمان فى المسجد الحرام بصفة خاصة وفى مكة المكرمة بصفة عامة لم يشر الى هذا التجديد أو الاصلاح مع أنه كان من المتوقع جدا أن يتحدث عنه خاصة وانه معاصر للسلطان سليمان وكان على علاقة وثيقة بالدولـــة العثمانية وبمن ترسلهم هذه الدولة للقيام ببعض الاصلاحات فى المسجد الحرام سواء كانوا أمراء أو مباشرين للعمائر أو نظارا للحرم الشريف .

واذا كان ابراهيم رفعت [١] وحسين باسلامه [٢] وهما من مؤرخى العصر الحديث قــد أشارا الى تجديد المقام فى عهد السلطان سليمان فانما استندا فى ذلك على هـــذا النص موضوع الدراسة على الرغم مما وقعا فيه من أخطاء سبق أن أشرت اليها .

ولقد بذلت قصارى الجهد لمعرفة نوع هذا التجديد أو الاصلاح الذى تم فــى عهد السلطان سليمان لمقام ابراهيم فلم أجد ما يشفى الغليل سوى عبارة قصــــيرة أوردها الجزيرى حين تحدث عن اصلاحات السلطان سليمان بمكة بقوله :
" ودهان مقام سيدنا ابراهيم عليه السلام " [٣] مما يفيد أن هذا التجديد قـــد اقتصر على تبييض مقام ابراهيم ودهنه فقط .

ولكن على الرغم مما ذكره الجزيرى فانه ربما كان هذا التجديد لأخشاب المقصــورة خاصة وأن نص السلطان سليمان قد وضع بعد نقشه بين الأعتاب الخشبية للمقصــورة كما أن دهان المقام وتبييضه ليس من الأهمية لدرجة أن ينقش نص سلطانى بسبب هذا الدهان .

وهكذا تمدنا النصوص بأخبار فى غاية الأهمية قد لا تتوفر فى المؤلفات التاريخية فــى كثير من الأحيان .

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٤٦ .
(٢) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٠٧ .
(٣) الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٢٧ .

تحليل

نصوص السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان العثماني

وهي :

١ - نص باب السلام بالمسجد الحرام المؤرخ بسنة ٩٣١ هـ .

٢ - نص الرنك المنقوش على باب السلام أيضا .

٣ - نص اعادة تعمير عين حنين المؤرخ بسنة ٩٣٥ هـ .

٤ - نص تجديد مسجد ومولد جعفر ابن أبي طالب الذى عمره عبد العزيز آصف خان المؤرخ بسنة ٩٤٥ هـ .

٥ - نص تجديد مقام ابراهيم عليه السلام سنة ٩٤٩ هـ .

٦ - نص انشاء قلعة المويلح على طريق الحاج المصرى المؤرخ بسنة ٩٦٨ هـ .

لوحات (٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٦٢)

١ - نقشت نصوص السلطان سليمان الحجازية بالخط الحجازى اللين البارز من نوع الثلث الذى عرفته الحجاز منذ العصر المملوكي وتمرس على كتابته الخطاط الحجازى فأنتج لنا نماذج خطية فى غاية الدقة والجمال وقد سبق أن أشرنا الى ذلك فى الدراسات المقارنة للكتابات الحجازية فى العصر المملوكي ولكن يلاحظ أن الخطاط الحجازى قد أدرك أيضا مدى التحسينات التى أدخلها العثمانيون على هذا النوع من الخط وظهر ما يعرف بخط الثلث الجلي الذى اشتهر بكبر حجم حروفه وطولها وزيادة عرضها فحقق العثمانيون بذلك كلمة " الجلي " والذى بلغ عرض قلمه مابين ١٠ - ٢٥ سم وكتبت به النصوص التأسيسية على مختلف العمائر العثمانية وهذا الخط الجلي هو الذى كان يعرف قبل العصر العثماني بخط الطومار أو قلم الطومار[1] .

والواقع أن الفوارق الكتابية بين الخط الثلث المملوكي والثلث الجلي العثماني هي فوارق تجويد وتحسين فقط وليست فوارق ابتكار فلاغرابة أن يتكيف

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الاسلامية فى العصر العثماني ص ١٧٧ ، ١٧٨ وأنظر : محمد طاهر الكردى : تاريخ الخط العربى وآدابه - الطبعة الأولى - دار الهلال - القاهرة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩م ص ١٠٠ ، ١٠١ وأنظر أيضا : ناجي زين الدين : بدائع الخط العربى ص ٤٦٥ .

الخطاط الحجازى مع التطورات الجديدة التي طرأت على خط الثلث وينتج لنا نماذج خطية من نوع الثلث الجلي لا تقل في جودتها وجمالها عن مثيلاتها في خارج الحجاز سواء في تركيا مركز السلطنة العثمانية أو مصر والشام باعتبارهما أكبر وأهم ولايتين عثمانيتين في ذلك الوقت ومن هذه النماذج نص باب السلام المؤرخ بسنة ٩٣١ هـ ونص مقام ابراهيم المؤرخ بسنة ٩٤٩ هـ ونص قلعة المويلح المؤرخ بسنة ٩٦٨ هـ .

ولكن على الرغم من كل هذا فقد ظهرت نصوص حجازية لا تتوفر فيها كل مقومات الخط الثلث الجلي مثل نص عين حنين المؤرخ بسنة ٩٣٥ هـ الذى يتميز بقصر حروفه وقرمطتها اذا ما قورن بالكتابات والنقوش العثمانية خارج الحجاز ونص تجديد مولد جعفر المؤرخ بسنة ٩٤٥ هـ الذى يدل على أن خطاطه الحجازى لم يتأثر بالتطورات والتحسينات العثمانية التي دخلت على خط الثلث وأظهرت منه نوعا واضحا جليا .

٢ - يلاحظ أن الألواح التى نقشت عليها نصوص السلطان سليمان الحجازية هي اما من البازلت أو من الرخام وهما المادتان المتوفرتان في الحجاز والتى تمرس الخطاط الحجازى على الكتابة عليهما على مختلف العصور الاسلامية بينما عرف عن العثمانيين غرامهم الشديد بالكتابة والزخرفة على القاشاني الذى بلغ أوج ازدهار صناعته في القرن العاشر (السادس عشر الميلادى) في بعض المدن التركية مثل أزنيق وأستخدمت بلاطات القاشاني على نطاق واسع في كتابة النصوص والآيات القرآنية والزخارف في كثير من العمائر العثمانية في مختلف الأقاليم (1) .

ولو فرضنا أن السلطان العثماني قد بعث بخطاطين من قبله لكتابة نصوصه التأسيسية على عمائره التى أقامها بالحجاز لاستدعى ذلك أيضا أن يبعث السلطان معهم شيئا من بلاط القاشاني الذى ازدهرت صناعته في تركيا ليكتب عليها هؤلاء الخطاطون هذه النصوص باعتبار القاشاني المادة المفضلة

---

(1) سعاد ماهر محمد : الخزف التركي ص ٢٠ .

فى الكتابات والنصوص التأسيسية أو أن السلطان على أقل تقدير يأمر أحـــد خطاطيه بكتابة هذه النصوص وارسالها الى الحجاز والتى ستكون بطبيعـــة الحال منقوشة على القاشاني ولكن هذا لم يحدث فى النصوص الحجازية الـتى نتعرض لها هنا بالدراسة مما يدل على أن الحجاز قد اعتمد فى تنفيذ كتاباته ونقوشه على الخطاطين المحليين وعلى المواد المتوفرة فى هذه المنطقة الـتى تمرس الخطاط الحجازى على نقشها وكتابتها .

٣ - على الرغم من استخدام حساب الجمل فى الكتابات والنقوش العثمانية على نطاق واسع الا أنها لم تستخدم فى نقوش السلطان سليمان الحجازية الا فى نـص واحد فقط وهو نص قلعة المويلح المؤرخ بسنة ٩٦٨ هـ أما بقية النصوص فقـد ورد التاريخ مكتوبا فيها بالكلمات وهو الأسلوب العربي المعروف والذى ظهـر على الكتابات والنقوش منذ القرن الأول الهجرى كما هو الحال فى نقش بـاب السلام المؤرخ بسنة ٩٣١ هـ ونقش تجديد مولد جعفر المؤرخ بسنـة ٩٤٥هـ ونقوش تجديد مقام ابراهيم عليه السلام المؤرخة بسنة ٩٤٩ هـ .

ويلاحظ أن الخطاط الذى كتب نص قلعة المويلح لم يكتف بكتابة التاريـخ بحساب الجمل بل كتبه أيضا بالأرقام وهو سنة ٩٦٨ هـ .

والواقع أن النقوش الحجازية التي كتبت فى العصر العثماني بصفة عامة يقـل فيها ظهور التواريخ بحساب الجمل ليس فى عصر السلطان سليمان فحسب بـل وفى عصور السلاطين الذين جاءوا بعده فى القرنين العاشر والحادى عشر ممـا سوف نشير اليه عند دراسة نصوص هؤلاء السلاطين والتى وردت تواريخ نصوصهم بطريقتين هما كتابة التاريخ بالكلمات أو كتابته بالأرقام دون حساب الجمل .

٤ - يبدو التفاوت الكبير فى جودة الخط وطريقة الكتابة فى نصوص الرنوك الحجازيـة فى عهد السلطان سليمان فقد كتبت الرنوك التي تفصل بين نص تجديد المقام المؤرخ بسنة ٩٤٩ هـ بخط جيد متقن بحيث يعتبر من أجود الكتابات الحجازية فـى العصر العثماني وجاءت نصوصها على النحو التالي :

القسم الأعلى " عز لمولانا "

الشطب فى الوسط " السلطان الملك المظفر سليمان "

القسم الأسفل " عز نصره " .

بينما يفتقر نص رنك السلطان سليمان المنقوش على باب السلام بالحرم المكي الى الجودة اذا ماقورن بنصوص رنوك المقام كما جاء نصه على النحو التالي:

الشطب في الوسط " السلطان الملك المظفر "

القسم الأعلى " سليمان خان "

القسم الأسفل " عز نصره " .

وهذا التفاوت في أسلوب الخط وطريقة التنفيذ يفسر بأن الحجاز قد اعتمد على الخطاطين المحليين ولم يستقدم أي خطاط من خارج الحجاز ولو حدث مثل هذا الاستقدام لاستدعى ذلك وحدة أسلوب الخط في سائر النقوش والكتابات الحجازية بل ان ذلك دليل على أن هناك مجموعة من الخطاطين الحجازيين استطاعت أن تستوعب التحسينات التي أدخلها العثمانيون على خط الثلث وأن تظهر لنا نماذج حجازية في غاية الروعة والجمال بينما كان هناك مجموعة أخرى حافظت على الطابع القديم لخط الثلث وكانت استجابتها للاصلاحات الخطية العثمانية أقل من سابقتها .

والواقع أن سرعة استجابة بعض الخطاطين الحجازيين واستيعابهم للتحسينات التي حدثت لخط الثلث ربما كانت مثار دهشة لاسيما وأنها حديثة العهد بالحكم العثماني ولكن هذه الدهشة لا تلبث أن تزول عندما نجد أن الخطاط الحجازي قد أدرك منذ وقت مبكر مدى الجهود التي بذلها العثمانيون في تحسين الخط الثلث وظهور النوع المعروف بالجلي ليس على مستوى الأفراد العاديين فحسب بل على مستوى الحكام فقام باتقان كتابته وادخال هذه التحسينات عليها ربما ارضاء لمشاعر هؤلاء الحكام الجدد أو بحكم تقليد المغلوب للغالب على حد رأي ابن خلدون (1) .

ه - يلاحظ أن السلطان سليمان كانت له اصلاحات ومنجزات معمارية كثيرة في الحجاز وهذه المنجزات المعمارية تحمل في الغالب نصوصا تأسيسية ولو بعث السلطان

---

(1) ابن خلدون : المقدمة - طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان ص ١٤٩ .

سليمان بخطاطين من قبله لحرص هؤلاء الخطاطون على نقش أسمائهم أو توقيعاتهم على هذه النصوص لأن الخطاط في هذه الحالة لابد وأن يحرص على نقش اسمه أو توقيعه باعتباره شرفا له أن يقوم الخطاط العثماني بتنفيذ وكتابة نص من النصوص في أقدس بقعة على وجه الأرض وهي الحرمين الشريفين وهو مالم نعثر عليه في النقوش الحجازية في العصر العثماني ولا نعرف لذلك سوى مثالا واحدا في القرن الثالث عشر حينما بعث السلطان عبد المجيد بالخطاط الشهير عبد الله زهدى الذى " مكث يكتب على الألواح الرخام في المسجد الحرام والمسجد النبوى زهاء ست سنوات وكان يفتخر بذلك في امضائه بقوله " كاتب الحرمين الشريفين عبد الله الزهدى كما هو منقوش على سبيل والدة عباس باشا الأول بمصر "(1).

---

(1) يوسف أحمد : المحمل والحج ج ١ مطبعة حجازى بالقاهرة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م ص ١٥٧ وأنظر :
محمد لبيب البتنوني: الرحلة الحجازية ص ٢٤٥ ويلاحظ أنه يذكر أن عبد الله زهدى مكث يعمل في المسجد النبوى بضعا وعشرين سنة وهي مدة طويلة جدا ولا يمكن أن يستغرق خطاط شهير مثل هذه المدة وربما كانت المدة المعقولة هي ثلاث سنين كما أشار الى ذلك الكردى - أنظر : محمد طاهر كردى : تاريخ الخط العربي وآدابه ص ٣٤١ حيث أورد ترجمة جيّدة لهذا الخطاط وأشار الى أن عبد الله زهدى قد توفي في سنة ١٢٩٦ هـ .

يوجد بمتحف آثار الحرم المكي الشريف مجموعة من الألواح الرخامية أحد هذه الألواح عبارة عن لوحة تأسيسية مستطيلة الشكل لاكمال عمارة المسجد الحرام فى عهد السلطان مراد بن سليم ٩٨٢ هـ - ١٠٠٣ هـ .

أما بقية هذه الألواح الموجودة بالمتحف فقد نقش عليها آيات قرآنية كانت قد وضعت فى أماكن متفرقة من الحرم الشريف بعد الانتهاء من عمارته سنة ٩٨٤هـ .

كما يوجد أيضا لوح رخامي دائرى الشكل على هيئة رنك كتابى يحمل اسم السلطان مراد بن سليم الذى تمت العمارة فى عهده مؤرخ بعام ٩٨٤ هـ وهذا الرنك مازال موجودا فى مكانه الأصلى على واجهة الرواق الشرقي للمسجد الحرام من الداخل ويطل على صحن المسجد ويمكن دراسة هذه الألواح الرخامية وما عليها من نقوش وكتابات على النحو التالي :

لوحة رقم (٣٣)

المكان	:	متحف آثار الحرم المكي .
الرقم	:	بدون
المقاس	:	١٧٠ × ٣٥ سم .
النوع	:	لوح من الرخام مستطيل الشكل .
التاريخ	:	بدون .
الخط	:	حجازى لين بارز من نوع الثلث وقد نقشت البسملة داخل اطار على هيئة محراب مفصص الشكل تحيط به من الداخل والخارج رخارف نباتية على شكل وريدات .
عدد الأسطر	:	١٤ سطرا يفصل بين كل سطر وآخر خط عريض بارز .

" النص "

١ - بسم الله الرحمن الرحيم .

٢ - قد أكمل الله تعالى عمارة هذا المسجد الحرام

٣ - بنظارة سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام قاضي

٤ - القضاة ومدرس أعلا مدارس أعلا سلاطين

٥ - الأنام وناظر الحرم الشريف والمهمات والعماير والأ

٦ - موال السلطانية صفوة آل محمد عليه السلام بدر الملّة

٧ - والدين مولانا السيد حسين الحسيني خلد الله تعالى سعادته

٨ - على الدوام ويقي أجره الى يوم القيامه و[كا]ن

٩ - أمير هذه العمارة الشريفة المعظمة القايم فيه[ـا]

١٠ - من مبتداها الى غاية منتهاها أمير لواء العس[ا]كر

١١ - المنصورة بثغر جده المعمورة الأمير أحمد بك وكان

١٢ - وضعها حسن وصنعها لطيف باشارة محمد ج[ا]وش

١٣ - المعمار أجزل الله ثواب كل منهم من أجل[ي]

١٤ - ذلك وكافأه وأدخله فى قوله انما يعمر مساجد الله

ويلاحظ على هذا النص أنه لم يشر اليه أحد من المؤرخين خاصة قطب الدين الحنفي المؤرخ المعاصر لهذه العمارة والمشاهد لها عن قرب مع العلم أنه أشار الى كثير من النصوص سواء تلك النصوص التي كتبت بأمر ناظر العمارة الشيخ حسين الحسيني أو تلك النصوص التى صدر أمر سلطاني بكتابتها كما أشار هو الى ذلك(١) كما أن صاحب " سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد " لم يشر الى هذا النص رغم أنه تحدث بشيء من التفصيل عن عمارة المسجد الحرام فى عهد كل من السلطان سليم الثاني وابنه السلطان مراد والذى يبدو أنه ألف كتابه هذا خصيصا للسلطان مراد كما يظهر من عنوان الكتاب . كما أن عبد الكريم القطبي (ت ١٠١٤هـ) المعاصر لهذه العمارة أيضا لم يشر الى هذا النص . بل ان الباحثين المحدثين لم يشيروا الى هذا النص وخاصة ابراهيم رفعت الذى أشار الى كثير من النصوص الموجودة بالحرم المكي الشريف وكذلك باسلامه الذى أشار أيضا الى كثير من النصوص المملوكية والعثمانية . وبذلك يمكن القول اننا استطعنا أن نضيف هنا نصا جديدا لم يكن للمؤرخين والباحثين أى معرفة به أو اشارة اليه قبل هذه الدراسة . أما المكان الأصلي لهذا النص فانه على الرغم من عدم اشارة المؤرخين اليه كما سبق

---

(١) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٣٩ - ٣٤٢ .

أن ذكرت فانه ربما كان فى الناحية الغربية أو الجنوبية من داخل المسجد لأنهما الناحيتين اللتين عمّرتا فى عهد السلطان مراد وبهما اكتملت عمارة المسجد الحرام لا سيما وأن النص قد ورد به ما يؤيد ذلك فى السطر الثاني منه بقوله : " قد أكمل الله تعالى عمارة هذا المسجد الحرام ". كما أنه من خلال هذه العبارة الواردة فى السطر الثانى من النص يمكن وضع تاريخ لهذا النص وهو سنة ٩٨٤هـ لأن المسجد تم بناؤه فى هذه السنة وكان البدء فى عمارته سنة ٩٨٠هـ فى عهد السلطان سليم الثاني مما سوف نوضحه بالتفصيل عند الحديث عن هذه العمارة بعد ترجمة الشخصيات الواردة فى هذه النصوص واصلاحات كل من السلطان سليم ٩٧٤هـ - ٩٨٢هـ والسلطان مراد بن سليم ٩٨٢هـ - ١٠٠٣هـ فى الحرمين الشريفين .

لوحه رقم (٣٤)

المكان	:	واجهة الرواق الشرقي المطلة على الصحن من الداخل
الرقم	:	بدون
النوع	:	لوح حجرى دائرى الشكل على هيئة رنك كتابي يحمل اسم السلطان مراد واسم والده وجدّه .
التاريخ	:	٩٨٤ هـ
الخط	:	حجازى لين بارز من نوع الثلث
عدد الأسطر	:	٤ سطور

" النص "

١ - عز لمولانا السلطان الملك المظفر مراد
٢ - خان بن السلطان سليم خان بن سليمان خان
٣ - عز نصره
٤ - فى سنة ٩٨٤

ويلاحظ على هذا الرنك ما يلي :

١ - أنه عبارة عن شطبين فى الوسط وهامشين أعلى وأسفل يفصلهما عن الشطبين ثلاثة خطوط بارزة وهو يختلف بذلك عن جميع الرنوك التى سبق لنا دراستها والتى تتألف من شطب واحد فقط وهامشين أعلى وأسفل يفصلهما عن الشطب فى الوسط خطان بارزان كما هو الحال فى رنك السلطان فرج بن برقوق لوحة (٩) والسلطان قايتباى لوحة (١٩) والسلطان سليمان القانوني لوحة (٢٥) .

٢ - يلاحظ أنه قد ظهر فى هذا الرنك اسم السلطان مراد واسم والده السلطان سليم واسم جدّه سليمان بينما ظهر اسم السلطان أو اسم السلطان واسم والده

في الرنوك المشار اليها فقط .

٣ - ويتميز هذا الرنك بوجود تاريخ عليه وهو سنة ٩٨٤ هـ وهو الأمر الذى لم نجده في الرنوك السابقة .

لوحة رقم (٣٥)

المكان	:	متحف آثار الحرم المكي
الرقم	:	بدون
النوع	:	لوح من الرخام مستطيل الشكل
المقاس	:	١٨٥ × ٧٥ سم
الخط	:	حجازى لين بارز من نوع الثلث
التاريخ	:	بدون
عدد الأسطر	:	سطران يحتويان على البسملة وبعض الآيات القرآنية الكريمة

" النص "

١ - بسم الله الرحمن الرحيم فأنظر الى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها ان ذلك

٢ - لمحيي الموتي وهو على كل شيء قدير.[1] صدق الله العظيم والحمد لله رب العالمين .

ويلاحظ أن قطب الدين الحنفي وعبد الكريم القطبي المعاصرين لهذه العمارة لم يذكرا نصوص الآيات القرآنية التي كتبت في مواضع متفرقة من أبواب المسجد الحرام وصدور الأروقة وانما أشارا الى ذلك اشارة عابرة[2] وكذلك كل من جاء بعدهما من المؤرخين وربما كان أول من أورد نصوص هذه الآيات وخاصة هذا

---

(١) سورة الروم ، آية (٥٠)

(٢) قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٣٩ وأنظر: عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١١٢ .

النص موضوع الدراسة هو ابراهيم رفعت اذ يذكر أن نص هذه الآية مكتوب على باب البغله[1] الا أنه لم يشر الى عدد أسطر النص ونوع المادة التى نقش عليها نص هذه الآيـة[2] .

كما أورد نص هذه الآية حسين باسلامه وأشار الى أن ابراهيم رفعت قد أخطأ عندما ذكر أن نص هذه الآية مكتوب على باب البغله لأن باب البغله لا يوجد عليه أى كتابة لا من الداخل ولا من الخارج ويؤكد أن نص هذه الآية قد كتب على باب مدرسة الشريف عجلان[3] بالناحية الجنوبية من المسجد الحرام .

ويلاحظ أن باسلامه لم يأت بالنص كاملا وانما أورد نص الآية فقط دون ذكر لعبارة : " صدق الله العظيم والحمد لله رب العالمين " كما أنه لم يشر الى عدد أسطر النص ولا نوع الخط الذى كتب به[4] .

---

(١) باب البغله : وهو الباب الثانى من أبواب المسجد الحرام من الناحية الجنوبية وقد عرفه الفاسي بهذا الاسم وذكر أنه لا يعرف سبب هذه التسمية وكان يعرف قديما بباب بنى سفيان بن عبد الأسد وهو منفذان كما ذكر الأزرقي - أنظر :
الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ج ٢ ص ٨٩ ، الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٣٨ .

(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٣١ .

(٣) باب مدرسة الشريف عجلان هو الباب السادس من أبواب المسجد الحرام من الناحية الجنوبية وقد عرفه الفاسي بذلك لأنه يقع أمام مدرسة الشريف عجلان صاحب مكة وعرفه الأزرقي بباب بنى تيم وهو منفذان وقد عرف هذا الباب فى العصور المتأخرة باسم باب التكية لأن التكية المصرية كانت أمامه - أنظر :
الأزرقي : أخبار مكة ج ٢ ص ٩٠ ، الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٣٨ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٣٢ ، باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧٧ .

(٤) باسلامه : المرجع نفسه ص ١٧٥ ، ١٧٧ .

لوحة رقم (٣٦)

المكان : متحف آثار الحرم المكي
الرقم : بدون
النوع : لوح من الرخام مستطيل الشكل
المقاس : ١٨٥ × ٦٦ سم
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث
التاريخ : بدون
عدد الأسطر : سطران يحتويان على البسملة وبعض الآيات القرآنية الكريمة

" النص "

١ - بسم الله الرحمن الرحيم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين
٢ - درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما .[1]

ويلاحظ أنه لم يشر الى نص هذه الآية الكريمة أو المكان الذى كتبت عليه أحد من المؤرخين قديما وحديثا سوى باسلامه الذى أورد نص هذه الآية وذكر أنها كتبت على باب المجاهدية[2] بالناحية الجنوبية من المسجد الحرام[3] دون ذكر لعدد أسطر النص .

---

(١) سورة النساء ، آية (٩٥) .
(٢) باب المجاهدية هو الباب الخامس من أبواب المسجد الحرام من الجانب الجنوبي وقد عرفه الفاسي بهذا الاسم لأن مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن كانت بالقرب منه ، كما عرفه الفاسي أيضا بباب الرحمه . أما الأزرقي فذكر أنه من أبواب بنى مخزوم وعرف هذا الباب فيما بعد بباب أجياد لأنه أمام شارع أجياد - أنظر :
الأزرقي : أخبار مكة جـ٢ ص ٩٠ ، الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٢٣٨ ، باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧٧ .
(٣) باسلامه : المرجع نفسه نفس الصفحة .

لوحة رقم (٣٧ أ+ب)

المكان	:	متحف آثار الحرم المكي
الرقم	:	بدون
النوع	:	لوحان من الرخام مستطيلا الشكل الأول منهما وهو ما رمزنا له هنا بحرف (أ) يتألف من سطر واحد يبدأ بالبسملة وأول سورة الفتح والثاني وهو ما رمزنا له بحرف (ب) يتألف من سطر واحد وهو تكملة للنص الأول الذى يبدأ بسورة الفتح الى قوله تعالى : " وينصرك الله نصرا عزيزا " .
الخط	:	حجازى لين بارز من نوع الثلث
المقاس	:	اللوحان متساويان من حيث المقاس اذ يبلغ مقاس كل منهما ١٩٧ × ٥٧ سم .
التاريخ	:	بدون
عدد الأسطر	:	سطر واحد فى كل لوح من اللوحين

" النص "

(أ) بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك .

(ب) وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا[١]

وقد أشار الى نص هذه الآية كل من ابراهيم رفعت وحسين باسلامه وذكرا أن هذا النص قد كتب على باب أم هانئ[٢] بالناحية الجنوبية من المسجد الحرام[٣].

---

(١) سورة الفتح ، آية ١ - ٣ .

(٢) باب أم هانئ بنت أبى طالب وهو الباب السابع من أبواب المسجد الحرام من الناحية الجنوبية وهو منفذان وقد عرفه الأزرقي بهذا الاسم كما عرفه الفاسي بباب الملاعبه كما عرف بأسماء أخرى كان آخرها باب الحميدية لأن دار الحكومة العثمانية التى أسست فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى كانت قائمة أمامه - أنظر: الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٩٠ ، ٩١ ، الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٣٨ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٣٢ ، باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧٨ .

(٣) ابراهيم رفعت : المرجع السابق جـ ١ ص ٢٣٣ ، باسلامه : المرجع السابق ص ١٧٨ .

لوحة رقم (٣٨)

المكان : متحف آثار الحرم المكي
الرقم : بدون
النوع : لوح من الرخام مستطيل الشكل
المقاس : ٩٨ × ١٢ سم
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث
التاريخ : بدون
عدد الأسطر : سطر واحد

" النص "

١ - بسم الله الرحمن الرحيم ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه [بالعشي الصافنات الجياد ، فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب] .(١)

ويلاحظ أن هناك جزءاً ناقصا من النص ربما كان قد كتب فى لوح مستقل آخر الى قوله تعالى " توارت بالحجاب " اذ أشار كل من ابراهيم رفعت وباسلامه الى أن هذه الآيات تبدأ بقوله تعالى " ووهبنا لداود سليمان ..." وتنتهى بقوله تعالى " توارت بالحجاب" وربما أن هذا اللوح الذى نقشت به بقية الآيات قد تعرض للكسر لأنه لا يوجد ضمن النصوص السليمة بمتحف الحرم سوى هذا النص الذى أوردناه أما اللوح الذى نقش به بقية الآيات من قوله تعالى " بالعشي الصافنات " الى قوله " توارت بالحجاب " فالظاهر أنه قد تعرض للكسر شأنه فى ذلك شأن تلك المجموعة الكبيرة من الألواح التي تعرضت للكسر والموجودة بالمتحف المذكور .

ويشير ابراهيم رفعت الى أن هذا النص قد كتب على باب مدرسة الشريف عجلان(٢) الا أن باسلامه يذكر أن ابراهيم رفعت قد أخطأ فى ذلك ويؤكد أن نص

---

(١) سورة ص ، آية ٣٠ - ٣٢ .
(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٣٢ .

هذه الآية الكريمة قد نقش على باب أجياد الصغير[1] بالجانب الجنوبي من المسجد الحرام[2] .

. . . . . .

---

(١) باب اجياد الصغير : وهو الباب الرابع من أبواب المسجد الحرام من الناحية الجنوبية وقد عرفه كل من ابن جبير والفاسي بهذا الاسم وكل من جاء بعدهما من المؤرخين وهو منفذان وعرفه الأزرقي بباب بني مخزوم أيضا كما سماه ابن جبير أيضا بباب الخلقيين - أنظر :
الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٩٠ ، ابن جبير : الرحلة ص ٨٢ ، الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٣٨ .

(٢) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٧٦ .

لوحة رقم (٣٩)

المكان	:	متحف آثار الحرم المكي
الرقم	:	بدون
النوع	:	لوح من الرخام مستطيل الشكل
المقاس	:	١٨٧ × ٥٠ سم
الخط	:	حجازى لين بارز من نوع الثلث
التاريخ	:	بدون
عدد الأسطر	:	سطر واحد

" النص "

١ - بسم الله الرحمن الرحيم وأتموا الحج والعمرة لله فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رءوسكم حتـ[ى] يبلـ[غ] ا لهدى[محـ[له] (1)

وقد أشار الى نص هذه الآية حسين باسلامه وذكر أنها مكتوبة على باب العمرة (2) ولكن دون الاشارة الى نوع الخط وعدد الأسطر أما ابراهيم رفعت فلم يشر الى نص هذه الآية ولا المكان الذى كتبت به .

ويلاحظ أنه قد فقدت بعض حروف النص وكلماته أثناء نقله لمتحف آثار الحرم المكي مما اضطرني الى اكمال بعض الحروف والكلمات ووضعها بين قوسين خاصة وأنها آية قرآنية يجب كتابتها كما هي دون نقصان .

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٩٦ .

(٢) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٨١ .

أما بالنسبة لنص الرنك الذى أشرت اليه فى الصفحات السابقة فقد ورد فيه اسم " السلطان سليم خان بن سليمان خان " .

وهو السلطان سليم الثاني بن السلطان سليمان بن السلطان سليم الأول فاتح مصر ولد فى سنة ٩٢٩ هـ وتولى السلطنة بعد وفاة والده السلطان سليمان فى يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الآخر سنة ٩٧٤ هـ واستمر فى سلطنته ما يقرب من تسعة أعوام الى أن توفي فى السابع من رمضان سنة ٩٨٢ هـ بعد أن بلغ من العمر ثلاثا وخمسين سنة (١) .

وكان للسلطان سليم الثاني بعض المآثر والاصلاحات بالحرمين الشريفين منها :

اتمام عمارة عين عرفه وايصالها الى مكة سنة ٩٧٩ هـ والتى كانت قد بدأت فى عهد والده السلطان سليمان وقد سبق أن أشرت الى ذلك عند دراسة نص عين حنين المؤرخ بعام ٩٣٥ هـ (٢) .

وفى عهده أكملت عمارة مدارس والده بمكة والتى سبق أن أشرت اليها عند الحديث عن اصلاحات السلطان سليمان (٣) .

ومن أهم مآثره أمره بعمارة المسجد الحرام عمارة شاملة والتى بدأت فى سنة ٩٨٠ هـ وانتهت فى عهد ابنه السلطان مراد سنة ٩٨٤ هـ وهي العمارة الوارد

---

(١) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٢٩٨ ، ٣٣١ وأنظر : مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٣٦ ، عبدالكريم القطبي : اعلام العلماء الاعلام ص ١١١ ، ابن القاضي : درة الحجال ج ٣ ص ٥٠٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٩٦ ، الشيلي : السنا الباهر ورقة ٣٠٤ ، العصامي : سمط النجوم العوالي ج ٤ ص ٩٥ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٦٩ وقد أورد السنجارى تاريخ تولية السلطان سليم الثاني بسنة ٩٨٤ هـ وهو خطأ صوابه سنة ٩٧٤ هـ وربما كان هذا الخطأ من الناسخ .
ولمزيد من التفاصيل عن تاريخ حياة السلطان سليم وفتوحاته وغزواته أنظر : محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العثمانية ص ١٠٩ - ١١٢ وقد أشار الى أن السلطان سليم قد توفى فى ٢٧ شعبان من نفس السنة .

(٢) أنظر ص ٣٥٢ من هذه الرسالة .

(٣) أنظر ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ من هذه الرسالة .

ذكرها في هذه النصوص موضوع الدراسة وسوف أتحدث عنها بالتفصيل بعد ترجمة الشخصيات الواردة في هذه النصوص واصلاحات السلاطين في الحرمين الشريفين .

ومن اصلاحات السلطان سليم أنه كان يرسل كل عام ألف دينار (١٠٠٠) صدقة لفقراء الحرمين الشريفين قبل أن يلي السلطنة ليستعينوا بها على آداء فريضة الحج وبعد أن تولى السلطنة أضاف ذلك المبلغ الى دفتر صرّ الروميه واستمرت تصلهم حتى بعد وفاته (١) .

كما أنه زاد لأهل الحرمين الشريفين في صدقة القمح سبعة آلاف أردب عند توليه السلطنة وكانت تشترى من الأموال الخاصة السلطانية وتحمل على ظهور الجمال من مصر الى السويس ثم تنقلها السفن الى كل من جدّه وينبع وأضاف أيضا ثلاثة آلاف اردب للدشيشة السليمانية التي قررها والده السلطان سليمان بكل من مكة والمدينة كما رتب خمسمائة اردب للفقراء المنقطعين بينبع ومثلها للفقراء المنقطعين بجدّه (٢) .

ويعلق عبد الكريم القطبي (ت ١٠١٤ هـ) على صدقة الفقراء المنقطعين بجدّة بقوله :

" وما كان من الخمسمائة اردب فقد انقطعت وسبب انقطاعها أنه كان وقع من قضاة مكة المشرفة وشيخ القضاة حسين بن أبي بكر الحسيني في تفرقتها مخاصمة في

---

(١) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٢٣ وأنظر : مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٣٦ ، ٦٠ وأنظر : عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الاعلام ص ١٠٧ - ويلاحظ أن عبد الكريم القطبي ذكر أن المبلغ الذى خصصه السلطان سليم هو ٨٠٠ دينار بينما يذكر قطب الدين الحنفي وصاحب سلوك سبيل الرشاد أن المبلغ هو ١٠٠٠ دينار. وأنظر: العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٩٥ .

(٢) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ص ٣٢٣ ، وأنظر : سلوك سبيل الرشاد ورقة ٦٠ ، عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الاعلام ص ١٠٧ ، وقد أشار الى أن كمية القمح كانت ثلاثة آلاف اردب بينما يذكر قطب الدين الحنفي وصاحب سلوك سبيل الرشاد أن كمية القمح هي سبعة آلاف اردب . وأنظر :
الشيلي : السنا الباهر ورقة ٣٠٤ وأنظر أيضا :
العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٩٥ .

أنه من يفرقها فأدى ذلك الى أن عرض الى صاحب مصر وقال له : انها لا تصل للمستحقين فقطعت ولقد كان يحصل بها رفق تام ونفع عام "[1].

ومن مآثر السلطان سليم أنه كان يرسل لعلماء مكة والمدينة ومشائخهما بكسوة من الأصواف الخاصة واستمرت حتى بعد وفاته[2].

وقد ورد في نص الرنك اسم السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان وهو السلطان مراد بن السلطان سليم الثاني بن السلطان سليمان خان " وهو السلطان مراد بن السلطان سليم الثاني بن السلطان سليمان القانوني ولد في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ٩٥٣ هـ[3] الموافق (٤ يونيو ١٥٤٦ م) وتولى السلطنة بعد وفاة والده السلطان سليم الثاني في شهر رمضان سنة ٩٨٢ هـ[4] وكان أول شيء فعله السلطان مراد بعد توليته

---

(١) عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء لأعلام ص ١٠٧.

(٢) قطب الدين : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٢٣ وأنظر : مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد ورقة ٣٦ ، ٦٠ ، عبد الكريم القطبي : المصدر السابق ص ١٠٧.

(٣) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٣١ وأنظر : مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٤١ ، العيدروسي : تاريخ النور السافر ص ٣٥٥ ، ويلاحظ أن العيدروسي قد أورد تاريخ ولادته بسنة ٩٥١ هـ وكذلك أورد هذا التاريخ العصامي أنظر : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٩٧ . أما السنجاري فقد أورد تاريخ ولادته بسنة ٩٣٣ هـ أنظر : منائح الكرم ورقة ٢٧٢ ، المحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر جـ ٤ المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٤ هـ ص ٣٤١ وما بعدها ، محمد فريد بك المحامي : الدولة العلية العثمانية ص ١١٣ ، عبد المؤمن السيد أكرم : أضواء على تاريخ توران - مطبعة رابطة العالم الاسلامي ص ١٧٧.

(٤) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ص ٣٣١ ، وأنظر : مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٦٢ ، وأنظر : ابن القاضي المكناسي : درة الحجال في أسماء الرجال جـ ٣ تحقيق د . محمد الأحمدي أبو النور - نشر المكتبة العتيقة بتونس ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م (دار التراث بالقاهرة) ص ٣١٤ ، ٣١٥ . وأنظر أيضا : العيدروسي : تاريخ النور السافر ص ٣٥٤ ، الغزي : الكواكب السائرة جـ ٣ ص ١٥٦ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٨ ص ٣٩٦ ، الشبلي : السنار الباهر ورقة ٣٠٤ ، العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٩٧ ، السنجاري : منائح الكرم ورقة ٢٧٢ ، المحبي : خلاصة الأثر جـ ٤ ص ٣٤١ وما بعدها.

السلطنة هو أمره باكمال عمارة المسجد الحرام التى بدأت فى عهد والده السلطان سليم سنة ٩٨٠ هـ [١] وهو ماسوف نتحدث عنه بالتفصيل فى الصفحات القادمة حيث ورد خبر اكمال هذه العمارة فى أحد هذه النصوص (لوحة ٣٣) موضوع الدراسة .

وكانت وفاة السلطان مراد فى جمادى الأولى سنة ١٠٠٣ هـ [٢] الموافق ٢٠ يناير سنة ١٥٩٦ م) [٣] وقد بلغت مدة حكمه حوالي احدى وعشرون سنة وكان عمره يوم توفي حوالي خمسين عاما [٤] .

وكان للسلطان مراد بن سليم عدة اصلاحات بالحرمين الشريفين أهمها اكمال عمارة المسجد الحرام سنة ٩٨٤ هـ كما هو وارد بالنص موضوع الدراسة مما سوف نتحدث عنه بالتفصيل بعد الحديث عن اصلاحاته ، ومن هذه الاصلاحات :

أنه أرسل فى سنة ٩٨٤ هـ عند تمام عمارة المسجد الحرام بثلاثة قناديل من الذهب مرصعة بالجواهر اثنان منها للكعبة المشرفة والثالث للحجرة النبوية الشريفة وهو أول من أرسل قناديل من الذهب من سلاطين آل عثمان [٥] .

ويضيف عبد الكريم القطبى (ت ١٠١٤ هـ) أن السلطان مراد قد أرسل فى سنة ٩٩٧ هـ بقنديل من الذهب مرصع بالجواهر وفي وسطه - كما شاهده هو -

---

(١) عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الأعلام ص ١١١ .

(٢) العيدروسي: تاريخ النور السافر ص ٣٥٥ وأنظر: العصامي : سمط النجوم العوالى جـ ٤ ص ١٠٢ ، المحبى : خلاصة الأثر جـ ٤ ص ٣٥٤ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧٧ ، ويلاحظ أن السنجارى قد أرخ وفاته بجمادى الأولى سنة ١٠٠٠ هـ مخالفا بذلك بقية المصادر.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن حياة السلطان مراد وأعماله وفتوحاته أنظر:
محمد فريد بك :- الدولة العلية العثمانية ص ١١٣ - ١١٧ ، د . على حسون : تاريخ الدولة العثمانية - الطبعة الثانية - المكتب الاسلامي بدمشق ١٩٨١ م ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٤) المحبى : المصدر السابق جـ ٤ ص ٣٥٤ وأنظر أيضا : العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ١٠٢ ، محمد فريد بك : المرجع السابق ص ١١٧ .

(٥) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٦٥ ، ٦٦ وأنظر:
عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ٥٣ ، ٥٤ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٧٢ ، الشيلي : السنا الباهر ورقة ٣١٢ .

منديل مطرز بالذهب وفيه ورقة بخط السلطان مراد وقد علق القنديل وبه المنديل والورقة في سقف الكعبة في أوائل شهر محرم سنة ٩٩٨ هـ .[1]

ومن اصلاحات السلطان مراد اصلاح ساحل ينبع لرسو السفن التي تأتي بقمح دشيشة فقراء المدينة المنورة وأنشأ بينبع مخازن يحفظ فيها هذا القمح كما جدد الجامع الكبير بينبع والذي كان قد أنشأه جدّه السلطان سليمان وتمت هذه الاصلاحات في سنة ٩٨٤ هـ .[2]

ومن هذه الاصلاحات أنه أمر بتجديد أحد عشر رباطا بالمدينة المنورة بعد اندثارها وأسكن بها كثيرا من الفقراء وذلك سنة ٩٨٤ هـ .[3]

ومنها أنه أمر بحفر مجرى السيل خارج المسجد الحرام من الناحية الجنوبية وكان هذا المجرى يحفر كل عشر سنوات حتى ينخفض مستواه عن مستوى أرض المسجد الحرام الا أنه ظل مدة تقدر بحوالي ثلاثين عاما دون حفر أو اصلاح الأمر الذى أدى الى دخول السيل الى المسجد الحرام في جمادى الأولى سنة ٩٨٣ هـ فقام الأمير أحمد المتولي لعمارة المسجد الحرام من قبل السلطان مراد وحسين الحسيني الناظر على العمارة بحفر هذا المجرى حتى أوصلاه الى آخر المسفلة[4] كما قام بحفر

---

(١) عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الاعلام ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) المصدر نفسه : ص١٤٤ ، ١٤٥ وأنظر :
عبد الكريم الخطيب : تاريخ ينبع - الطبعة الأولى - مطابع الشرق الأوسط الرياض ١٤٠٥ هـ ص ٣٤ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٣٨ .

(٤) المسفلة : يطلق على كل ما انحدر عن المسجد الحرام والمسفلة اليوم احدى أحياء مكة الكبيرة يمتد من المسجد الحرام من الناحية الجنوبية الغربية الى ما وراء بركة الماجل وينحدر في المسفلة سيل وادى ابراهيم ، أنظر :
عاتق بن غيث البلادى : معجم معالم الحجاز جـ ٨ - الطبعة الأولى - دار مكة للطباعة والنشر ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ص ١٥٤ .

مجرى سيل وادى قعيقعان[١] فى الناحية الشمالية من المسجد الحرام[٢] .

ومن اصلاحات السلطان مراد انشاء مطبخ للدشيشه بالمدينة المنورة تطبخ وتوزع على الفقراء ، وجعل للقائمين على المطبخ دينارين فى كل يوم وخصص للدشيشه ١٠٠٠ ألف أردب من القمح فى كل عام ابتداء من سنة ٩٨٨ هـ[٣] .

ومنها تعميره للعين الزرقاء[٤] بالمدينة المنورة سنة ٩٩١ هـ وجعل لكل واحد من القائمين عليها ما يكفيه من القمح الذى كان يرسل كل سنة الى المدينة المنورة[٥] .

---

(١) قعيقعان : بضم القاف وهو الجبل الضخم المشرف على المسجد الحرام من الشمال والشمال الغربى ممتدا بين ثنيتى كداء وكدى - بالقصر - بين وادى ابراهيم شرقا ووادى ذى طوى غربا ولا يعرف اليوم باسم قعيقعان وانما يعرف بأسماء أخرى كثيرة فطرفه الشمالي الغربى يسمى جبل العبادى والشرقي المشرف على كداء (الحجون) ومقبرة المعلاه يسمى جبل السليمانية وجزءه الجنوبي يسمى (جبل هندى) وشرقه المتصل بالفلق يسمى ربع الفلق - أنظر :
عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التاريخية والأثرية - الطبعة الأولى - دار مكة للطباعة والنشر ١٤٠٠ هـ ص ٢٢٣ .

(٢) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ وأنظر : سلوك سبيل الرشاد ورقة ٦٤ ، عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الأعلام ص١١ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧٢ ، ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص٢٤١ ، باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٠٤ .

(٣) عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الأعلام ص ١٣٨ وأنظر :
المحبى : خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر جـ ٤ ص ١٣٤ .

(٤) العين الزرقاء وتسمى عين الأزرق وهو مروان بن الحكم الذى أجراها الى المدينة حين كان واليا بها بأمر معاوية بن أبى سفيان وتنبع هذه العين من بئر كبيرة غربى مسجد قباء وهذه العين هي سقيا أهل المدينة ، كما أن عين زبيدة سقيا أهل مكة ولكن العين الزرقاء قد ضعفت نتيجة لكثرة السكان وتوسع أحياء المدينة المنورة مما جعل الحكومة السعودية تضيف اليها مشروعا ضخما هو مشروع تحلية المياه من البحر الأحمر منذ شهر صفر سنة ١٤٠١ هـ .
أنظر :
المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ص ١٧٧ وأنظر أيضا :
عاتق البلادى : معجم معالم الحجاز جـ ٦ ص ٢٠٦ .

(٥) عبد الكريم القطبى : المصدر السابق ص ١٣٩ وأنظر :
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٣٣ وأنظر أيضا :
محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ص ٢٥٨ .

ومن اصلاحاته أيضا : تخصيص صدقة الجراية[(١)] المرادية من القمح وهى صدقة كان يرسلها لأمراء مكة وفقهائها وأهل البيوت بها وخدام المسجد النبوى الشريف وكان يشتريها من ماله الخاص حتى بلغت خمسة آلاف اردب[(٢)].

ومن هذه الاصلاحات زيادة مرتبات الخطباء بالمسجد الحرام وامام الحنفية اذ كان يصرف لهم قبل ذلك جنيها ونصف الجنيه فزادها السلطان مراد الى أربعين جنيها وجعل لكل واحد من أئمة الشافعية خمسة جنيهات[(٣)].

ومن اصلاحات السلطان مراد انشاء مدرسة بمكة المكرمة لتدريس العلوم الشرعية بالقرب من الصفا فى الناحية الجنوبية من المسجد الحرام سنة ٩٩٥ هـ وخصص لها مبالغ نقدية من أوقافه بمصر وجعل للمدرس بها خمسين جنيها عثمانيا كل عام وللمعيد خمسة جنيهات ولكل واحد من الطلاب ثلاثة جنيهات كما جعل لكل من البواب والفراش والكناس بهذه المدرسة خمسة جنيهات[(٤)].

ويشير عبد الكريم القطبى (ت ١٠١٤ هـ) الى أن السلطان مراد قد أنعم عليه بالتدريس فى هذه المدرسة وأنه قام بتدريس الفقه والحديث بها[(٥)].

ومن هذه الاصلاحات أن الجانب الجنوبى من المسجد الحرام كانت به بيوت ومدارس مضايقة لمجرى سيل وادى ابراهيم كما أن روائح دورات المياه بهذه البيوت

---

(١) يقصد بقمح الجراية أى الذى لم يكن له وقف معين وانما كانت تشتريه الخزانة المصرية بأمر السلطان ويرسل الى أمراء مكة وأعيانها دون فقرائها - أنظر:
محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٩١ .

(٢) القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١١٩ وأنظر:
محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٩١ .

(٣) القطبى : المصدر السابق ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٤) القطبى : المصدر نفسه ص ١٢١ ، ١٢٢ وأنظر:
محي الدين الطبرى : المصدر السابق ورقة ٢٦ وأنظر:
العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ١٠٠ وأنظر أيضا :
السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(٥) القطبى : المصدر السابق ص ١٢١ .

والمدارس كانت تؤذى المصلين بالمسجد الحرام فأمر السلطان مراد بهدمها وتعميرها أماكن للفقراء حتى لا يبيتون بالمسجد وكان ذلك فى سنة ٩٩٥ هـ .(١)

وأنشأ السلطان مراد سبيلا بالقرب من باب الصفا بالناحية الجنوبية بالمسجد الحرام سنة ٩٩٥ هـ وسوف أتحدث عن هذا السبيل من واقع النص التأسيسى له فى الصفحات القادمة .(٢)

كما أنشأ سبيلا آخر بالمدينة المنورة خارج الباب المصرى وعين له ناظرا وخداما وجعل لكل منهم خمسين اردبا من القمح وستين جنيها عثمانيا فى كل سنة .(٣)

ومن اصلاحات السلطان مراد أنه قرر جماعة من القراء يقرأون القرآن الكريم بالروضة الشريفة وقرر لكل واحد منهم مبلغا من المال يتراوح بين اثنى عشر دينارا وثلاثة عشر دينارا كما عين خمسة مدرسين يقوم أربعة منهم بتدريس الفقه على المذاهب الأربعة والخامس يقوم بتدريس الحديث الشريف فى المسجد النبوى ورتب لكل واحد منهم أربعين دينارا .(٤)

وفى سنة ٩٩٨ هـ أنشأ التكية المرادية خارج سور المدينة المنورة بالقرب من باب المصرى وجعل فيها مخازن وأفران وطواحين وكل مايلزم لطبخ الدشيشة وأوقف عليها أوقافا بمصر يحصل منها كل سنة خمسة وعشرون ألف جنيه(٥) وأنشأ بالقرب

---

(١) القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١١٧ وأنظر :
السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧٦ .
(٢) أنظر ص ٤٢٠ من هذه الرسالة .
(٣) القطبى : المصدر السابق ص ١٣٩ .
(٤) مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٢٠ وأنظر :
القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١٤٢ ، ١٤٣ . وأنظر أيضا :
العصامي : سمط النجوم العوالي ج ٤ ص ١٠٠ ، ويلاحظ أن العصامي أشار الى أن السلطان مراد جعل لكل مدرس مائة وخمسين دينارا ذهبيا جديدا وماثة دينار لكل طالب عشرة دنانير .
(٥) القطبى : المصدر السابق ص ١٤١ وأنظر :
العصامي سمط النجوم ج ٤ ص ١٠٠ ولمزيد من التفاصيل عن الأوقاف التى أوقفها السلطان مراد على الحرمين الشريفين سواء ماكان يحصل منها مبالغ نقدية أو على هيئة قمح وما طرأ عليها من زيادة ونقصان - أنظر : (=)

من التكية المذكورة مكتبا للأيتام قرر فيه خمسين طفلا من الأيتام ومؤدبا لهم وأجرى لهم المرتبات التى كانت ترسل لهم فى كل عام (١).

كما قرر مائة نفر يحجون عنه ويدعون له وجعل لكل واحد منهم فى مقابل ذلك عشرة دنانير (٢).

وفى سنة ٩٩٨ هـ أرسل السلطان مراد منبرا من الرخام للمسجد النبوى الشريف بدلا من المنبر الخشب الذى كان قد أرسله السلطان قايتباى سنة ٨٨٨ هـ ونقل منبر السلطان قايتباى الى مسجد قباء (٣) ولا يزال حتى يومنا هذا .

ومن اصلاحات السلطان مراد ترميم سطح المسجد النبوى الشريف سنة ٩٩٩ هـ وتبييض سائر المسجد وفرشه (٤).

وفى سنة ٩٩٩ هـ أمر السلطان مراد بانشاء رباطين بالقرب من مسجد قباء أحدهما للعزّاب والآخر للمتزوجين وبنى بقربهما سبيلا يشربون منه وجعل لمسجد قباء اماما وخطيبا ومؤذنا وبوابا ورتب لكل منهم ما يكفيه من المؤونة كما رمم المسجد وأصلح خشب سقوفه بأخشاب جديدة (٥).

(=) محيي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٩٠ - ٩٢ وأنظر أيضا :
حسين أفندى الروزنامجي : " ترتيب الديار المصرية " تحقيق محمد شفيق غربال - مجلة كلية آداب القاهرة مجلد ٤ جـ ١ مايو ١٩٣٦ م ص ٤٥ وما بعدها وأنظر أيضا : ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ٢ ص ٣١٠ ، ٣١١ . وأنظر أيضا :
مصطفى محمد رمضان : " وثائق مخصصات الحرمين " مصادر تاريخ الجزيرة جـ ٢ ، الطبعة الأولى - جامعة الرياض ١٣٩٩ هـ ص ٢٦٠ وما بعدها .

(١) القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١٤١ وأنظر :
العصامي : سمط النجوم ص ١٠٠ .

(٢) القطبى : المصدر السابق ص ١٤٣ وأنظر : العصامي : سمط النجوم نفس الصفحة .

(٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٧١ وأنظر :
صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعمارى - طبع دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨١ م ص ٨٩ .

(٤) القطبى : المصدر السابق ص ١٤٣ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٤٤ .

ومن اصلاحات السلطان مراد الصرّه الرومية المراد به الجديدة لكل من أهل مكة والمدينة وجعل لها أوقافا بمصر والشام وقد بلغت عند ارساله لها أربعة وأربعون ألف دينار منها أحد عشر ألف دينار لمكة والباقي للمدينة المنورة كما جعل لأهل مكة صرّه رومية جديدة أخرى منذ سنة ٩٩٧ هـ بلغت في بداية أمرها ثلاثة آلاف دينار ثم زادها حتى وصلت الى عشرة آلاف دينار .[١]

ومن اصلاحات السلطان مراد أنه خصص لأهل مكة خمسة آلاف أردب من القمح كما خصص لأهل المدينة أربعة آلاف أردب وخمسمائة أردب للمنقطعين من الحجاج وجعل لها أوقافا بمصر تحمل منها في كل سنة الى كل من المدينتين المقدستين .[٢]

وورد في النص التأسيسي المستطيل (لوحة رقم ٣٣)

اسم " السيد حسين الحسيني " :

ولد حسين الحسيني هذا بمكة المكرمة وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم وأخذ عن علمائها .[٣] ويلاحظ أن قطب الدين الحنفي (ت ٩٨٨ هـ) الذى كان صديقا له قد أتى باسمه ولقبه فقط دون ذكر اسم والده أو جده ووصفه " ببدر الملة والدين شيخ مشائخ الاسلام سيد العلماء الأعلام ومدرس أعظم مدارس أعظم سلاطين الأنام صفوة آل سيد المرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام . . . "[٤] وهي ألقاب يتفق في معظمها مع ما ورد في هذا النص موضوع الدراسة ويتفق اسمه الوارد في النص مع ما ذكره صاحب كتاب سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد اذ أورد اسمه بحسين الحسيني .[٥]

---

(١) القطبي : المصدر السابق ص ١٢٠ ، ١٤٥ ، وأنظر :
السنجاري : منائح الكرم ورقة ٢٧٧ ، حسين أفندى الروزنامجي : ترتيب الديار المصرية ص ٤٦ .

(٢) القطبي : المصدر السابق ص ١٤٠ وأنظر : محي الدين الطبري : الأرج المسكي ورقة ٩١ ، حسين أفندى الروزنامجي : ترتيب الديار المصرية ص ٤٦ .

(٣) الشيلي : السنا الباهر بتكميل النور السافر حوادث سنة ٩٩٠ هـ ورقة ٣٢٣ .

(٤) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٦٦ ، ٣٢٦ ، ٣٣٩ .

(٥) مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٦١ .

أما عبد الكريم القطبي المتوفي سنة ١٠١٤ هـ فقد أورد اسمه ونسبه على النحو التالي :

" حسين بن حسين بن أبي بكر الحسيني "[(١)].

بينما أورد نجم الدين الغزى المتوفي سنة ١٠٦١ هـ اسمه ونسبه كما يلي :

" حسين ابن القاضي حسين المكي المالكي "[(٢)].

كما أن العيدروسي[(٣)] (ت ١٠٣٨ هـ) ومحي الدين الطبري[(٤)] (ت ١٠٧٠ هـ) وابن العماد الحنبلي[(٥)] (ت ١٠٨٩ هـ) والشيلي[(٦)] (ت ١٠٩٣ هـ) قد أوردوا اسمه ونسبه بحسين المكي المالكي فقط دون ذكر لاسم والده أو جدّه .

والجدير بالملاحظة ما أورده عبد الملك العصامي (ت ١١١١هـ) من أنه الحسين بن أحمد المالكي[(٧)] ولم يشر الى المصدر الذى نقل عنه نسبه هذا مخالفا بذلك ما أوردته بعض المصادر التى أشرت اليها من أنه حسين بن حسين وليس الحسين بن أحمد كما يذكر .

أما ابن فضل الله الطبرى (ت ١١٧٣ هـ) فقد ذكر أنه حسين المالكي الأنصارى[(٨)] ولم يشر أيضا الى المصدر الذى استقى منه هذا اللقب وهو لقب الأنصارى .

ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف فان من ذكر أنه الحسيني فذلك نسبه الى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أما من لقبّه بالمالكي فذلك نسبة الى مذهب الامام مالك بن أنس رضي الله عنه صاحب المذهب المشهور فقد كان حسين الحسيني هذا مالكيّا وقام بتدريس مذهب الامام مالك فى احدى المدارس السلطانية

---

(١) عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الأعلام ص ١٠٢ .
(٢) نجم الدين الغزى : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ج ٣ ص ١٤٦، ١٤٧ .
(٣) العيدروسي : تاريخ النور السافر ص ٣٨٠، ٣٨٢ وأنظر أيضا :
وفيات الأكابر فى القرن العاشر ورقة ١٧٣ .
(٤) محي الدين الطبرى : الأرج المسكي فى التاريخ المكي ورقة ٧٢ .
(٥) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٨ ص ٤١٩ .
(٦) الشيلي : السنا الباهر بتكميل النور السافر فى أخبار القرن العاشر حوادث سنة ٩٩٠هـ ورقة ٣٢٣ .
(٧) العصامي : سمط النجوم العوالي ج ٤ ص ٣٣٦، ٣٣٧ .
(٨) ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن بولاية بني الحسن ورقة ٩٢ .

التى أنشأها السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ هـ - ٩٧٤ هـ) بمكة المكرمة لتدريس فقه هذا المذهب كما سبق أن أشرنا الى ذلك عندما تحدثنا عن اصلاحات السلطان سليمان بمكة المكرمة أثناء دراسة نص باب السلام بالمسجد الحرام المؤرخ بعام ٩٣١ هـ .(١)

وقد تولى القاضي حسين الحسيني عدة وظائف فعين مدرسا بالمدرسة السلطانية السليمانية المالكية كما أسند اليه نظر عمارة عين عرفة بأمر من السلطان سليم بن سليمان القانوني (٩٧٤ هـ - ٩٨٢ هـ) سنة ٩٧٩ هـ وهو الذى استطاع ايصال ماء هذه العين الى مكة وقد أشرت الى ذلك عند دراسة نص عين حنين المؤرخ بعام ٩٣٥ هـ (٢) ثم عين ناظرا للمسجد الحرام كما تولى القضاء فى المدينة المنورة (٣) ثم عين ناظرا على عمارة المسجد الحرام هذه كما أشار بذلك النص موضوع الدراسة وذلك منذ أواخر سنة ٩٧٩ هـ وظل كذلك حتى تمت هذه العمارة سنة ٩٨٤ هـ (٤)

---

(١) أنظر ص ٣٣٤ من هذه الرسالة .
(٢) أنظر ص ٣٥٢ من هذه الرسالة .
(٣) لم يحدد المؤرخون تاريخ تولية حسين الحسينى لقضاء المدينة وان كان قد ورد فى حاشية كتاب الكواكب السائرة أنه ولي قضاء المدينة المنورة سنة ٩٨٢ هـ ثم بعد سنة عزل عن القضاء ورجع الى مكة - أنظر :
نجم الدين الغزى : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة جـ ٣ ص ١٤٦ حاشية رقم (٢) . وقد أورد العيدروسي أبياتا من الشعر تؤرخ لتولية حسين الحسينى لقضاء المدينة فجاء بيت التاريخ وفق حساب الجمل " دام قاضي طيبة "
فيكون حسابه بالأرقام على النحو التالي : ٤٥ + ٩١١ + ٢٦ = ٩٨٢ هـ - أنظر : تاريخ النور السافر ص ٣٨٢ وأنظر عن حساب الجمل : محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الاسلامية فى العصر العثمانى ص ١٨٨ .
(٤) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٦٦ ، ٣٢٦ ، ٣٣٩ وأنظر : مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد ورقة ٦١ ، عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ٥٣ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٧٢ ، عبد الملك العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٩٨ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧١ ، ٢٧٢ .

وأضيف اليه الى جانب ذلك خطابة الموقف بعرفة[١] وظل كذلك الى أن توفى في التاسع من شهر صفر بقرية السلامه[٢] بالطائف سنة ٩٩٠ هـ[٣].

وقد أشاد به المؤرخون فوصفه العيدروسي بالشريف الفاضل[٤] كما وصفه نجم الدين الغزى بقوله : " القاضي حسين المكي المالكي المشهور بالكرم بمكة المشرفة "[٥].

أما صاحب السنا الباهر فقد نعته بقوله : " شيخ الاسلام ناظر المسجد الحرام السيد الشريف القاضي حسين المالكي المكي رئيس مكة على الاطلاق بل رئيس العالم بالاستحقاق وصفوة السادة الكرام ملك العلماء قاضي القضاة ببلد الله الحرام "[٦].

وقد ورد في النص المستطيل اسم الأمير " أحمد بك "

وهو الأمير أحمد بك أحد كبار أمراء الصناجق بمصر وكان كتخدا[٧] لاسكندر باشا والي مصر سابقا فاختاره سنان باشا (ت ١٠٠٤ هـ) بأمر من السلطان

---

(١) الشيلي : السنا الباهر حوادث سنة ٩٩٠ هـ ورقة ٣٢٣.
(٢) قرية السلامه هي أحد أحياء الطائف القديمة والمعروفة حتى يومنا هذا .
(٣) العيدروسي : تاريخ النور السافر ص ٣٨٠ وأنظر: وفيات الأكابر في القرن العاشر - مخطوط - ورقة ١٧٣ ، نجم الدين الغزى : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة جـ ٣ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، الشيلي : السنا الباهر ورقة ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٣٣٦ ، ابن فضل الله الطبرى: اتحاف فضلاء الزمن بولاية بني الحسن ورقة ٩٢.
(٤) العيدروسي : النور السافر ص ٣٨٠ ، وفيات الأكابر ورقة ١٧٣.
(٥) الغزى : الكواكب السائرة جـ ٣ ص ١٤٦ ، ١٤٧ وأنظر: ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٨ ص ٤١٩.
(٦) الشيلي : السنا الباهر ورقة ٣٢٣.
(٧) سبق أن أشرنا الى لقب الكتخدا ولمزيد من التفاصيل عن مدلولاته المختلفة أنظر: أحمد السعيد سليمان : تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل - طبع دار المعارف - القاهرة ص ١٧٦ وأنظر:

Dozy: Supplement Aux Dictionnaires Arabes Leyden 1881 p. 443.

سليم الثانى سنة ٩٧٩ هـ أميرا لعمارة المسجد الحرام وأضيف اليه بقية عمارة عين عرفة التى بدأ العمل بها منذ عهد السلطان سليمان كما سبق أن أشرنا[(١)] كما عين أيضا صنجقا لثغر جدّه[(٢)] وهي الوظيفة التي عبّر عنها النقش موضوع الدراسة (لوحة رقم ٣٣) بـ" أمير لواء العساكر المنصورة بثغر جده المعمورة " ، ولما تولى السلطان مراد بعد وفاة والده السلطان سليم سنة ٩٨٢ هـ أصدر أمره للأمير أحمد ببقائه أميرا لعمارة المسجد الحرام حتى نهايتها سنة ٩٨٤ هـ[(٣)].

وهو ما عبّر عنه نفس النقش موضوع الدراسة فى الأسطر ٨ - ١١ بقوله " وكان أمير هذه العمارة من مبتداها الى غاية منتهاها أمير لواء العساكر المنصورة بثغر جدّه المعمورة ".

ولم يشر المؤرخون الى وفاته وان كان يفهم من عبارة صاحب سلوك الرشاد - الذى يبدو أنه ألف كتابه خصيصا للسلطان مراد - أن الأمير أحمد بك توفى فى عهد السلطان مراد وذلك بقوله : " وكانت اليد البيضاء فى هذه الخدمة الشريفة للأمير أحمد بك المشار اليه دامت رحمة الله عليه "[(٤)].

---

(١) أنظر ص ٣٥١-٣٥٢ من هذه الرسالة .

(٢) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ وأنظر : مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٦١ ، ٦٢ وأنظر: عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١٠٨ وأنظر أيضا : محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٧١ وأنظر أيضا : الشيلي : السنا الباهر ورقة ٣٠٤ ، وما بعدها وأنظر أيضا : العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٩٨ ، وأنظر أيضا : السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧١ .

(٣) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ص ٣٢٩،٦٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ وأنظر : سلوك سبيل الرشاد ورقة ٦٣ وأنظر :
عبد الكريم القطبى : المصدر السابق ص ١١٠ ، ١١١ وأنظر أيضا :
محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٧٢ وأنظر أيضا :
الشيلي : السنا الباهر ورقة ٣٠٥ وما بعدها . وأنظر أيضا :
العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٩٩ ، ١٠٠ وأنظر أيضا :
السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧٢ .

(٤) مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٦٤ .

وقد أثنى المؤرخون على ما قام به الأمير أحمد من عمل جليل ظهر واضحا في عمارة المسجد الحرام وتكملة عمارة عين عرفات وغير ذلك .

فقد أشاد به قطب الدين الحنفي قائلا : " ... وكان ممن اجتمع فيه الخصال المحمودة المطلوبة من حب الخير والتوجه الى الله تعالى ... والتواضع مع الناس وحب المعدله والاستقامة مع صدق الخدمة وكمال الديانة والأمانة والاقدام وعلو الهمة ووفور الاهتمام " .(١)

والواقع أن الأمير أحمد كان أهلا لكل ذلك فقد استطاع اتمام عمارة المسجد الحرام في مدة أربع سنوات أولها سنة ٩٨٠ هـ وآخرها سنة ٩٨٤ هـ وهي مدة قليلة اذا نظرنا الى سعة المسجد الحرام وقلة الامكانات بالنسبة لما نحن عليه في هذا العصر الأمر الذى جعل حسين باسلامه يشير الى ذلك صراحة بقوله : " وكان ذلك في آخر سنة ٩٨٤ هـ وكان العمل قد استغرق بين الهدم والعمارة نحو أربع سنين ... ومن ذلك يظهر عظمة الهمة التى بذلها الأمير أحمد بك فجزاه الله عن حسن عمله خير الجزاء ... " .(٢)

وورد في النص التأسيسي المستطيل أيضا اسم :" محمد جاوش المعمار "
وهو المهندس الذى تمت عمارة المسجد الحرام في عهد السلطان سليم الثاني وابنه السلطان مراد تحت اشرافه وقد أشار النص المستطيل موضوع الدراسة (لوحة رقم ٣٣) الى ذلك في السطرين الثاني عشر والثالث عشر بقوله :
" باشارة محمد جاوش المعمار " .

وقد وصفه كل من قطب الدين الحنفي وصاحب سلوك سبيل الرشاد بأنه " معمار دقيق الأنظار جليل الآثار تقدم له مباشرة الأبنية العظيمة وحصلت له بالتجربة

---

(١) قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٢٥ وأنظر : مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد ورقة ٦١ ، عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١٠٨ وما بعدها ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧١ .
(٢) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٠١ .

خبرة تامة ومعرفة مستقيمة أجمع المهندسون على تقدمه فى هذه الصناعة ودقة نظره فى لوازم هذه البضاعة ".[1]

ويذكر السنجارى أن اسمه محمد المصرى ولقبّه بالمعلم وشيخ المهندسين بمصر.[2]

ولم يشر أحد من المؤرخين قديما وحديثا الى أى تفاصيل عن حياة هذا المعمار ولا الى تاريخ وفاته رغم ما بذلته من جهد فى سبيل الوصول الى ذلك الا أنه يمكن القول أن هذا المهندس أو المعمار هو أول من أدخل نظام القباب فى عمارة المسجد الحرام بأمر من السلطان سليم الثاني اذ أن جميع العمائر السابقة والترميمات المتعددة التى حدثت بالمسجد الحرام والمسجد النبوى وغيرها من المساجد فى منطقة الحجاز كانت تستخدم السقوف الخشبية ولم تستخدم القبب الا على نطاق ضيق جدا مثل قبة الضريح النبوى الشريف أو القباب التى عملت على المقامات أو على بئر زمزم أو غير ذلك اذ أن عمارة المسجد الحرام التى أشرف على بنائها هذا المعمار تميزت بالقباب بدلا من السقوف الخشبية مما سوف نوضحه عند الحديث عن هذه العمارة فى الصفحات القادمة .

وقد ورد فى السطر الثاني من النص التأسيسي المستطيل (لوحة رقم ٣٣) عبارة :

" قد أكمل الله تعالى عمارة هذا المسجد الحرام " ويقصد بها عمارة المسجد الحرام فى عهد كل من السلطان سليم الثاني وابنه السلطان مراد والتى بدأت فى سنة ٩٨٠ هـ وانتهت بعام ٩٨٤ هـ وهي العمارة التى تهمنا هنا بصفة خاصة لورودها فى هذا النص موضوع الدراسة .

---

(١) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٢٦ وأنظر : مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٦١ .

(٢) السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧١ وأنظر : ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٤١ وأنظر أيضا : باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٩٧ .

وكان سبب تعمير المسجد الحرام هو أن الرواق الشرقي منه قد أصيب بالخلل فأدى ذلك الى ميلان جدرانه الى ناحية صحن المسجد حتى برزت رؤوس خشب السقوف عن أماكن تركيبها وخاصة الجزء الذى يشغله حائط مدرسة السلطان قايتباى وما جاورها من المدارس بهذا الجانب وكان هذا الميلان قد ظهر منذ عهد السلطان سليمان ٩٢٦ هـ - ٩٧٤ هـ وظل نظار الحرم الشريف يصلحون هذا الميلان بين الحين والآخر بحيث يستبدلون أخشاب سقوفه بأخشاب جديدة أحيانا أو بوضع دعائم خشبية يرتكز عليها الرواق حتى تمنعه من السقوط أحيانا أخرى واستمر الأمر كذلك حتى بعد تولية السلطان سليم الثاني بعدة سنوات مما أدى بالتالي الى زيادة ميلان الجدران حتى ظهر واضحا للعيان فعرض ذلك على السلطان سليم سنة ٩٧٩ هـ فأصدر أمره بالمبادرة الى عمارة المسجد الحرام جميعه وأن يجعل له عوضا عن السقوف الخشبية قببا دائرة بأروقة المسجد وكان للمسجد قبل ذلك سقفان من أجل تقليل درجة الحرارة وبين كل سقف وآخر مقدار ذراع بذراع العمل وأصبح مابين السقفين مأوى للطيور والحيّات والحشرات وغيرها وأمر السلطان سليم سنان باشا والي مصر أن يختار أحد الأمراء موثوقا به للقيام بهذه المهمة فوقع اختيار سنان باشا على الأمير أحمد بك الوارد اسمه في النص أميرا لهذه العمارة وأضيف اليه أمر لواء العساكر بجدة واكمال بقية عمل عين عرفات.(١)

كما أصدر السلطان سليم أمره بأن يكون الناظر على هذه العمارة هو السيد حسين الحسيني الوارد اسمه في النص أيضا وأن يكون مهندس هذه العمارة ومنفذها شيخ المهندسين بمصر محمد جاوش المعمار.(٢)

---

(١) قطب الدين الحنفي : الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص ٤ ٢٢ ، ٢٢٥ ، ٣٢٦ وأنظر : مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٦١،٦٠ وأنظر أيضا : عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الأعلام ص ١٠٧ ، ١٠٨ وأنظر أيضا : محي الدين الطبري : الأرج المسكي ورقة ٧١ وأنظر أيضا : الشيلي : السنا الباهر ورقة ٣٠٤ وأنظر أيضا : العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٩٨ وأنظر أيضا : السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧١ .

(٢) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ص ٣٢٦ ، وأنظر : مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٦١ ، وأنظر أيضا : محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٧٢ وأنظر أيضا : العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٩٨ . وأنظر أيضا : السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧١ .

فوصل الأمير أحمد الى مكة المكرمة فى أواخر سنة ٩٧٩ هـ كما وصل محمد جاوش المعمار وبعد المشورة اتفقوا على بدء الهدم من الجانب الشرقي بالقرب من بـــاب السلام وفعلا بدأوا ذلك فى منتصف شهر ربيع الأول سنة ٩٨٠ هـ ثم كشفوا عـــن أساس المسجد فى هذه الجهة فوجدوه مختلا فنقضوه عن آخره وكان هذا الأساس عبارة عن جدران عريضة نازلة بعمق فى جوف الأرض ومبنيّة على هيئة رقعة الشطـرنج وكان فى موضع تقاطع الجدران الظاهر على وجه الأرض قاعدة تركب عليهـــــا الاسطوانة وهذه الأساسات من عمل الخليفة المهدى العباسي ١٥٨ هـ - ١٦٩ هـ فى عمارتيه الكبيرتين للمسجد الحرام سنتى ١٦٠ هـ ، ١٦٤ هـ فقام أمير العمـــارة والناظر والمعمار بوضع الأساسات الجديدة واعادة تركيب الاسطوانات مبتدئـــين فى التعمير من جانب باب السلام بالناحية الشرقية أيضا وذلك فى السادس مـــن جمادى الأولى سنة ٩٨٠ هـ .[1]

ولما أرادوا تسقيف المسجد بالقباب وجدوا أن ذلك غير ممكن لأن أساطـــين الرخام التى ترجع الى عمارة الخليفة المهدى لا تستطيع تحمل القباب لضعفهـــا لأن القبّة يجب أن تقوم على أربع دعائم قوية من جوانبها الأربعة حتى تستطيع أن تتحمّل هذه القباب فلجأوا الى حل لهذه المشكلة يتلخص في أن يبنوا بين كل اسطوانـــه رخام وأخرى دعامة حجرية يكون سمكها بمقدار أربع اسطوانات بحيث يكون بناؤهـــا عبارة عن دعامة حجرية في أول الرواق ثم اسطوانة من الرخام ثم دعامة حجريــــة ثم اسطوانة من الرخام وهكذا حتى نهاية الأروقة وكان هذا الوضع بالنسبة للجوانب الثلاثة من المسجد وهي الشرقي والشمالي والجنوبي أما الجانب الغربى فلم يكـن به اسطوانات من الرخام وانما كان به اسطوانات حجرية جعلت بدلا من أساطـــين

---

(١) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٢٦ وأنظر :
مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد ورقة ٦١ ، ٦٢ وأنظر أيضا :
عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١٠٧ ، ١٠٩ وأنظر أيضا :
محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٧٢ وأنظر أيضا :
الشيلي : السنا الباهر ورقة ٣٠٤ وأنظر أيضا :
العصامي : سمط النجوم ج ٤ ص ٩٩ و أنظر أيضا :
السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧١ .

الرخام عندما احترق المسجد الحرام سنة ٨٠٢ هـ وقام بتعميره السلطان فرج بن برقوق سنة ٨٠٤ هـ كما سبق أن أشرنا الى ذلك.(١)

وقد بني على هذه الدعائم الحجرية والاسطوانات عقود ركبت فوقها القباب وظل العمل على هذا المنوال حتى تم استكمال بناء الجانبين الشرقي والشمالي وفي أثناء ذلك وصل الخبر بوفاة السلطان سليم الثاني في السابع من رمضان سنة ٩٨٢ هـ واعتلى عرش السلطنة ابنه السلطان مراد بن سليم ٩٨٢هـ - ١٠٠٣هـ الذى بادر باصدار أمره الى أمير العمارة والقائمين عليها يستحثهم على الاسراع في اتمام العمارة فبذل الأمير أحمد ومن معه جدّهم واجتهادهم حتى تمت عمارة المسجد الحرام في أواخر سنة ٩٨٤هـ وصار المسجد على حد قول المؤرخين المعاصرين نزهة للناظرين ....(٢)

---

(١) أنظر ص ١١٢ - ١٣٧ من هذه الرسالة.
ويلاحظ أن كلا من قطب الدين الحنفي وعبد الكريم القطبي والعصامي وابراهيم رفعت وباسلامه وغيرهم قد وضع احصاء لما اشتمل عليه المسجد الحرام بعد هذه العمارة من الأساطين الرخام والأساطين الحجرية والدعامات الحجرية والمآذن والأبواب والشرفات والطواجن وما جدد منها ومالم يجدد في هذه العمارة مما لا أستطيع هنا أن أذكره بالتفصيل أو أوضح الاختلاف بينهم لأن هناك رسالة تقوم باعدادها احدى الطالبات لنيل درجة الدكتوراة خاصة بعمارة المسجد الحرام مما يجعل التفصيل في ذلك من صميم رسالتها وللاطلاع على هذا الاحصاء والتجديدات أنظر:
قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٤٤ - ٣٥٢ وأنظر:
عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الأعلام ص ١٢٣ وما بعدها وأنظر أيضا :
العصامي : سمط النجوم ج ٤ ص ١٠١ وأنظر أيضا :
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٢٧ وما بعدها وأنظر أيضا :
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٦١ وما بعدها.

(٢) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ص ٣٢٩، ٣٣٨، ٣٣٩ وأنظر:
سلوك سبيل الرشاد ورقة ٦٢ - ٦٤ وأنظر أيضا :
عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الاعلام ص ١١٠، ١١١ وأنظر أيضا :
العيدروسي : تاريخ النور السافر ص ٣٥٨ وأنظر أيضا :
محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٧٢ وأنظر أيضا :
الشيلي : السنا الباهر ورقة ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٢ وأنظر أيضا :
العصامي : سمط النجوم العوالي ج ٤ ص ٩٩، ١٠٠ وأنظر أيضا :
السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧٢.

ويذكر قطب الدين الحنفي أن أمير العمارة الأمير أحمد بك قد أبلغه بأن جملة ما صرف على عمارة المسجد الحرام هدما وبناء وقطعا لمجرى السيل وغير ذلك كان مائة ألف دينار ذهب جديد [1] وذلك غير ثمن الأخشاب المحمولة من مصر والحديد وبقية آلات العمارة وكذلك غير ثمن الأهلة النحاس التي عملت بمصر وطليت بماء الذهب وجهزت للحرم المكي الشريف [2].

وقد وضع لهذه العمارة تواريخ عديدة شعرا ونثرا ومن أهم هذه التواريخ ما أنشأه القاضي حسين الحسيني ناظر المسجد الحرام [3] وقد بدأه بقوله تعالى: "انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين" [4].

ويلاحظ أن قطب الدين الحنفي وهو المؤرخ المعاصر لهذه العمارة والذى أورد خبر هذا التاريخ لم يشر الى المكان الذى نقش عليه هذا النص ولم يشر اليه أحد من المؤرخين بعده قديما وحديثا سوى باسلامه اذ أوضح أن هذا التاريخ أو النص قد قسم الى جزءين فكتب الجزء الأول منه على صدر الرواق الشرقي للمسجد الحرام من الداخل المقابل لباب الكعبة وكتب الجزء الثانى من هذا النص على صدر الرواق الغربى

---

(١) الواقع أن سلاطين العثمانيين لم يأتوا بأية اصلاحات جديدة لأنظمة النقود بل ان قيم النقود العربية فى عهدهم - ابتداء من السلطان سليم الأول فاتح مصر - أصبحت عرضة للتغيير المتتابع بحيث يمكننا أن نعدد مالا يقل عن ٢٤ تعديلا مختلفا لسعر المبادلة وتحديد قيمة العملة الذهبية والفضية والنحاسية - لمزيد من التفاصيل أنظر:
عبد الرحمن فهمى محمد : النقود العربية ماضيها وحاضرها ص ١١٢ ومابعدها.

(٢) قطب الدين الحنفي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٤٣ أما صاحب سلوك سبيل الرشاد وعبد الكريم القطبى ومحي الدين الطبرى والعصامي فقد أشاروا الى أن جملة المبلغ المصروف هو مائة وعشرة آلاف دينار - أنظر:
عبد الكريم القطبى :اعلام العلماء الاعلام ص ١١٧ ، محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٧٢ ، العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ١٠٠ .

(٣) قطب الدين الحنفى : المصدر السابق ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ١٠١ .

(٤) سورة التوبة ، آية (١٨) .

للمسجد من الداخل أيضا[1].

وبعد أن كتب هذا النص التأسيسي وكذلك الآيات القرآنية فى أماكن متفرقة من أروقة المسجد وأبوابه ورد أمر من السلطان مراد بكتابة نص تأسيسي لهذه العمارة التى بدأت فى عهد والده السلطان سليم الثانى وانتهت فى عهده هو فامتثل القائمون على العمارة لهذا الأمر ونقش النص السلطانى فى أعلى جدار المسجد على هيئة طراز فى الناحية الشرقية من المسجد الحرام بحيث بدأت كتابته من أعلى باب العباس بن عبد المطلب وانتهت عند باب على رضي الله عنه[2].

ويلاحظ أن هذا النص مازال موجودا حتى يومنا هذا فى المكان المذكور غير أن تصويره تصويرا علميا كاملا أصبح فى غاية الصعوبة لأن العمارة السعودية الحديثة للمسجد الحرام قد تداخلت مع العمارة العثمانية التى نتحدث عن نصوصها بحيث لم تترك بينها وبين هذه العمارة - خاصة فى هذه الناحية - سوى ممرا ضيقا لا يسمح معه لآلة التصوير نقل هذا النص بصورة كاملة كما أن الصعود اليه وتصويره عن قرب غير ممكن لأن ذلك سوف يؤدى الى تصويره تصويرا مجزءا يفقد معه قيمته الأثرية مما جعلنى ألجأ الى مؤلفات بعض الباحثين الذين أتيحت لهم الفرصة أن يصوروه قبل قيام العمارة السعودية الا أن تصويرهم له كان ناقصا أيضا ولم يقدم أحد منهم صورة كاملة خاصة ابراهيم رفعت[3] وحسين باسلامه[4].

---

(١) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٠٢ .
يلاحظ أن هذا النص مايزال موجودا حتى الآن وقد بذلت قصارى الجهد فى سبيل تصويره ونشره نشرا علميا ولكن تصويره لا يتم الا بتصريح من الجهات المسؤولة مما يتطلب وقتا طويلا فى سبيل تبرير هذا العمل العلمي وان كانت محاولتى تصويره مستمرة حتى كتابة هذه السطور والتى أرجو أن تكلل بالنجاح حتى أستطيع نشره وغيره من النصوص الموجودة فى أماكن متفرقة من داخل الحرم الشريف وقد آثرت هنا عدم نقل هذا النص من مؤلفات المؤرخين والباحثين نظرا لطوله أولا ولما وقع فيه هؤلاء المؤرخون من أخطاء مرجئا ذلك الى أن يتم تصويره ثم نشره نشرا علميا ان شاء الله مقارنا بما أورده هؤلاء المؤرخون والباحثون.

(٢) قطب الدين الحنفي :الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص ٣٤٠- ٣٤١ وأنظر :
عبد الكريم القطبى :اعلام العلماء الاعلام ص ١١٢ - ١١٥ ، العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ١٠١ ويلاحظ أن العصامي قد أشار الى أن هذا النص الذى أمر السلطان مراد بكتابته هو من انشاء قاضي العسكر دون اشارة الى المصدر الذى نقل عنه وأنظر أيضا : باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٠٢ - ١٠٤ .

(٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين - لوحة رقم ٨٨ .

(٤) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٤٧ .

ويذكر عبد الكريم القطبي (ت ١٠١٤ هـ) أنه قد نقش على بعض أعمدة المسجد الحرام لفظ الجلالة بالخط الجلي المحفور المثبت وعلى البعض الآخر اسم النبي صلى الله عليه وسلم وبعضها اسم الخلفاء الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (١) .

أما عبد الملك العصامي فيذكر أن كتابة لفظ الجلالة واسم الرسول والخلفاء الأربعة قد نقشت بخط كبير على جدار المسجد الشرقي فقط وطليت بالذهب المموه (٢) .

وقد أشار باسلامه الى أنه قد نقش على رأس كل اسطوانه من الرخام لفظ الجلالة وكتب في صدر كل عمود من الأعمدة الحجرية المثمنة الثخينه اسم النبي صلى الله عليه وسلم وعلى عمود آخر اسم أبي بكر وعلى عمود آخر اسم عمر وعلى عمود آخر اسم عثمان وعلى عمود آخر اسم علي وهكذا على سائر العمد الثخينه المطلة على حصوة المسجد الحرام من جهاته الأربع وذلك كان وضعه في العمارة الأخيرة التي جرت سنة ٩٨٤هـ (٣) .

ولكن يلاحظ أن حديث باسلامه عن نقش هذه الأسماء وكتابتها على الأعمدة سواء ما كان منها من الرخام أو من الحجر الشميسي المثمنة غير دقيق لأنه ذكر أن كل اسم من هذه الأسماء قد نقش على عمود بمفرده كما أنه لم يشر الى أسماء أخرى وردت على بعض هذه الأعمدة مثل " حسن وحسين " ولم يشر أيضا الى عبارة " رضوان الله عليهم أجمعين " .

والصواب أن بعض تيجان الأعمدة قد نقش عليها أكثر من اسم واحد فقد وجدت في متحف آثار الحرم المكي عمودا من الرخام نقش على أحد جوانب تاجه اسم " عثمان وعلي " ونقش على الجانب الآخر عبارة : " حسن ، حسين رضوان الله عليهم أجمعين " أنظر لوحة (٤٠) .

---

(١) عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الاعلام ص ١١٢ .
(٢) العصامي : سمط النجوم العوالي ج ٤ ص ١٠٠ .
(٣) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٦٧ .

ومن الملاحظات الهامة التى تتعلق بالنصوص الكتابية التى نقشت فى هـذه العمارة هو أن مؤرخي مكة ابتداء من قطب الدين الحنفى وانتهاء بحسين باسلامة[1] قد أوردوا احصاءا لشرفات[2] المسجد الحرام فى جهاته الأربع الا أنهم لم يشيروا الى ما نقش على هذه الشرفات من كتابات على الاطلاق .

وقد أشار عبد الكريم القطبى الى أن بعض هذه الشرفات من الرخام وبعضها من الحجر المنحوت وأن بعض الشرفات الرخام طويلة .[3]

والواقع أنها ليست طويلة بل هي أكبر حجما من الشرفات الأخرى فقط وقد نقش على هذه الشرفات لفظ الجلالة فى شرفة واحدة واسم الرسول صلى الله عليه وسلم فى شرفة أخرى منفردة ونقش فى الشرفة الكبيرة التى وصفها عبد الكريم القطبى بالطويلة أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة أنظر لوحة (٤١) .

ومن المهم أن أوضح هنا أن حديثي عن عمارة المسجد الحرام فى عهد كل من السلطان سليم وابنه مراد قد جاء حديثا مقتضبا من الناحية المعمارية ومساحة المسجد وعدد أبوابه وأساطينه وشرفاته وغير ذلك لأننى هنا أتحدث عن النصوص الكتابية فحسب أما ما يتعلق بتفصيلات العمارة فانها كما سبق أن أشرت من اختصاص احدى الطالبات التى تعد لرسالة الدكتوراة فى تاريخ عمارة المسجد الحرام .

---

(١) قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٣٤٦ وأنظر:
عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١٢٥ وأنظر أيضا :
العصامي : سمط النجوم العوالي ج ٤ ص ١٠١ وأنظر أيضا :
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٦٨ .

(٢) الشرفات : جمع شرفة وتنقسم الى قسمين : شرفات مسنّنة هي عبارة عن قطع حجرية تدرج من الجانبين على شكل أسنان وتوضع أعلى المبنى فوق الكرنيش وشرفات مورقة هي عبارة عن قطع حجرية أيضا على هيئة زهرة تتوج بها الواجهات فى أعلى الكرانيش - أنظر:
صالح لمعي مصطفى : التراث المعمارى الاسلامي فى مصر ص ١٢١ .

(٣) عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١٢٥ .

وقد ورد فى النص المستطيل (لوحة ٣٣) بعض الألقاب مثل :

شيخ مشائخ الاسلام :

والشيخ فى اللغة : الطاعن فى السن وربما قصد به من يجب توقيره كما يوقر الشيخ وكان يطلق عرفا على الكبار في السن وكذلك على العلماء [١] .

وقد أضيف لفظ الشيخ الى عدة صيغ وتراكيب ظهرت على كثير من كتابات الآثار الاسلامية من عمائر وتحف وغير ذلك كأسماء لوظائف أو ألقاب فخرية [٢] منها لقب شيخ الشيوخ أو شيخ المشائخ والذى شاع استخدامه كلقب فخرى وقد ورد بهذه الصيغة فى كثير من الكتابات العربية وربما قيل شيخ شيوخ الاسلام أو شيخ شيوخ العارفين أو شيخ المشائخ المسلمين [٣] .

أما لقب شيخ مشائخ الاسلام فلم أعثر له على مثل فيما أورده الدكتور حسن الباشا مما يجعل هذا النص موضوع الدراسة ذا أهمية اذ أمدنا بوثيقة لقبية ربما لم تظهر فى الكتابات الأثرية قبل هذا النص .

وورد فى النص لقب : قاضى القضاة

والقاضي : اسم فاعل من القضاء وقد اختلف العلماء فى اشتقاقه اللغوى فقيل انه احكام الشيء والفراغ منه بدليل قوله تعالى : " وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب " [٤] وقيل ان القاضي سمي قاضيا لأنه يقال قضى بين الخصمين اذا فصل بينهما وفرغ .

كما قيل : ان القضاء معناه القطع فيقال : قضى الشيء اذا قطعه ومنه قوله تعالى : " فاقض ما انت قاض " [٥] فسمي القاضي بذلك لأنه يقطع الخصومة بين الخصمين بالحكم [٦] .

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٦٤ .
(٢) حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية جـ ٢ ص ٦٢٧ .
(٣) المرجع نفسه : نفس الجزء ص ٦٤٢ .
(٤) سورة الاسراء ، آية (٤) .
(٥) سورة طـه ، آية (٧٢) .
(٦) حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف جـ ٢ ص ٨٣٤ .

ومهما يكن فقد كان القضاء احدى الوظائف الأساسية فى الدولة الاسلامية وهي الصلاة والشرطة والقضاء والمال والولاية (١) .

وقد دخل لفظ القاضي فى تكوين عدد كبير من الألقاب مثل قاضي الجماعة وقاضي الحضرة وقاضي الركب وقاضي العسكر (٢) .

أما لقب قاضي القضاة فقد أطلق لأول مرة على أبى يوسف يعقوب ابن ابراهيم تلميذ أبى حنيفة وصاحب كتاب الخراج وأحد أقطاب المذهب الحنفي الذى تولى القضاء فى عهد كل من المهدى وولديه الهادى والرشيد وأطلق عليه لقب قاضي القضاة فى عهد هارون الرشيد (٣) .

وأصبح قاضي القضاة يطلق على كبير القضاة منذ ذلك الوقت ومقره بغداد عاصمة الخلافة العباسية ثم صار قاضي القضاة يقوم بتعيين القضاة فى سائر الولايات والاشراف عليهم ومراقبتهم منذ القرن الرابع الهجرى (٤) .

وورد فى النص نفسه لقب : " مدرس أعلا مدارس أعلا سلاطين الأنام " .

والمدرس اسم فاعل من درّس ودرس الكتاب معناها قرأه ويقال : انه مأخوذ من درست الكتاب دراسة اذا كرّرته للحفظ .

والمدرس هو المعلم الذى يقوم بتعليم الطلبة العلوم المختلفة ولاسيما العلوم الشرعية وما يتصل بها من تفسير وحديث وفقه ونحو وصرف ولغة وغير ذلك ومن ثم كان يعتبر من أرباب الوظائف الدينية . كما أن مصطلح المدرس كان يستخدم أيضا لمعلمي العلوم الأخرى مثل الطب والرياضة والفلك (٥) .

وعلى الرغم من وجود مهنة التدريس الاسلامية منذ ظهور الاسلام فانه يبدو أن مسطلح المدرس لم يصبح سائدا محدد المعنى الا فى حوالي النصف الثانى من

---

(١) حسن الباشا : الفنون والوظائف جـ ٢ ص ٨٣٦ .
(٢) المرجع نفسه : نفس الجزء ص ٨٦٤ - ٨٦٦ .
(٣) المرجع نفسه : نفس الجزء ص ٨٦٧ - ٨٦٨ .
(٤) المرجع نفسه : نفس الجزء ص ٨٦٨ .
(٥) المرجع نفسه : نفس الجزء ص ١٠٤٦ .

القرن الخامس الهجرى حيث بدأت الدول الاسلامية تسهم بطريقة عملية فى حركة تأسيس المدارس بحيث صارت المدرسة مؤسسة محددة المعالم يعين فيها مدرسون ومن ثم يلاحظ أن ظهور وظيفة المدرس بمعناها المحدد قد ارتبط بنشأة المؤسسات التى صارت تعرف بالمدارس[(١)].

أما لقب " مدرس أعلا مدارس " فلم أجد له مثيلا أو مشابها فيما أورده الدكتور حسن الباشا وربما كان هذا النص هو أول نص يظهر عليه هذا اللقب بحيث يصبح هذا النص في غاية الأهمية اذ أضاف الى معلوماتنا لقبا لم يكن معروفا من قبل .

وورد فى النص نفسه أيضا : لقب " ناظر الحرم الشريف والمهمات والعمائر والأموال السلطانية " :

وقد سبق أن تحدثت عن وظيفة الناظر ومدلولها عند دراسة لقب ناظر الحرم الشريف الذى ورد فى نص السلطان جقمق المؤرخ بعام ٨٥٢ هـ[(٢)].

أما " ناظر المهمات " فقد عرف منذ العصر المملوكي فورد بلفظ ناظر المهمات الشريفة[(٣)].

ويلاحظ أن الدكتور حسن الباشا لم يحدد مدلول هذه المهمات ولم يورد مثالا على ذلك من واقع الآثار الاسلامية .

ويظهر أنه يقصد بالمهمات هو ما يسنده اليه السلطان من أعمال ومهمات يقوم بها أو يشرف عليها خاصة الاشراف على العمائر كما يبدو من خلال هذا النص الذى ربما كان من النصوص النادرة التى وردت بها هذه الوظيفة .

أما " ناظر العمائر " فقد ورد بعدة صيغ مثل ناظر العمائر وناظر العمارة وناظر البناء ويقصد به المشرف على العمائر والأماكن التى يأمر السلطان ببنائها

---

(١) حسن الباشا : الفنون والوظائف جـ ٢ ص ١٠٤٧ .
(٢) أنظر ص ١٦١ - ١٧٤ من الرسالة .
(٣) حسن الباشا : المرجع السابق جـ ٣ ص ١١٨٠ .

وعمارتها وكان له الأمر على المهندسين والحجارين وصناع العمارة بفئاتهم المختلفة كما كان له ديوان يسمى ديوان العمائر، والراجح أن هذه الوظيفة كانت مؤقتة بفترة البناء وربما كلف ناظر المملكة أو قاضي القضاة[1] بالنظر على العمائر كما هو الحال فى نصنا هذا .

كما أن ناظر الأموال السلطانية يشبه فى بعض تخصصاته " المستوفي " كما يشبه أيضا فى بعض تخصصاته ناظر الخزانة السلطانية ووردت هذه الوظيفة بعدة صيغ مثل ناظر المال وناظر الرجال والأموال[2] .

أما ناظر الأموال السلطانية فلم أجد لها مثيلا فيما عرضت له من ألقاب .

والملاحظ أن جمع هذه الوظائف لشخصية واحدة دليل على ما لهذه الشخصية من المكانة الرفيعة عند من أسندها اليه كما هو الحال بالنسبة لحسين الحسيني الوارد اسمه فى هذا النص .

وورد فى النص لقب: " صفوة آل محمد عليه السلام " :

وصفوة الشيء خالصه وقد أضيف الى لفظ الصفوة بعض الألفاظ لتكوين ألقاب مركبة مثل صفوة الأنام وصفوة الخلق وصفوة الملك وصفوة الملوك والسلاطين وصفوة نساء أهل البيت[3].

أما صفوة آل محمد عليه السلام فلم أجد له مثيلا وربما كان هذا النص أحد النصوص القليلة التى ورد بها هذا اللقب ويدل هذا اللقب فى الواقع على أن صاحب هذا اللقب ينتسب الى الحسن أو الحسين أبناء فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) حسن الباشا : الفنون والوظائف جـ ٣ ص ١١٨٣ ، ١٢١٢ .
(٢) المرجع نفسه ، نفس الجزء ص ١٠٨٤ - ١٠٨٩ ، ١١٨٠ ، ١٢٠٢ .
(٣) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

ومن المؤكد أنه يقصد بذلك أبناء الحسين بن على بن أبى طالب خاصة اذا أدركنا أن صاحب اللقب هو حسين الحسينى .

ورد فى النص لقب : " بدر الملة والدين " :

وقد أضيف لفظ بدر الى بعض الكلمات لتكوين ألقاب مركبة مثل بدر الدين وبدر الدولة وبدر الدنيا والدين.(١)

أما بدر الملة والدين فلم أجد له مثيلا فيما اطلعت عليه من ألقاب وربما كان هذا النص موضوع الدراسة من أندر النصوص التى ورد بها هذا اللقب اذ أمدنا بلقب ربما لم يرد على الآثار الاسلامية قبل ذلك .

ورد فى النص أيضا لقب : " أمير العمارة " :

والواقع أنى لم أعثر على مثيل لهذا اللقب مما يصعب معه تحديد تاريخ هذه الوظيفة وان كانت وظيفة أمير العمارة شبيهة الى حد كبير بوظيفة شاد العمارة أو العمائر(٢) لأن لكل منهما الحق فى الاشراف والمراقبة والتعمير كما أن كلا الوظيفتين كان يشغلها عسكريون منذ العصر المملوكي وموضوع هاتين الوظيفتين أن يكون لصاحبهما الحق فى التحدث على العمائر السلطانية مما يختار السلطان احداثه أو تجديده من العمائر.(٣)

وربما كان يعاون أمير العمارة فى انشاء الأماكن المهمة والمراد تعميرها أو انشاؤها موظف آخر يطلق عليه ناظر العمارة كما هو الحال فى نصنا هذا موضوع الدراسة وربما كان لقب أمير العمارة هو استمرار لوظيفة الشاد التى تطورت وأصبح يطلق على الشاد أمير العمارة منذ العصر العثماني .

---

(١) حسن الباشا : الألقاب ص ٢٢٣ .
(٢) عن لقب الشاد أنظر: حسن الباشا : الفنون والوظائف جـ ٢ ص ٦٠٤ ومابعدها .
(٣) المرجع نفسه : نفس الجزء ص ٦١٦ .

وورد فى النص لقب : " أمير لواء العساكر المنصورة بثغر جدة المعمورة " :

وهي احدى الوظائف التى كان يشغلها العسكريون منذ العصر المملوكي وكان يطلق عليه فى العصر المملوكي اسم " نائب جدة " وأصبح رئيسا للادارة فيها بعد أن ضعفت وظيفة الناظر التي كانت قبل ذلك والتى كان يتولاها أحد الموظفين من المدنيين .

ولم أعثر لهذا اللقب على مثيل وان كان هناك ألقابا تشبهه الى حد كبير مثل أمير الثغور وأمير العسكر التى عرفت منذ العصور الاسلامية الأولى[(١)] .

وورد فى النص لقب " المعمار " :

وقد وردت هذه الصيغة على كثير من الآثار العربية ويبدو أنها استخدمت بدلالتين :

احداهما : البناء أو المهندس ،

والأخرى : المشرف على العمارة والذى يتولى أمرها[(٢)] .

. . . . . .

---

(١) حسن الباشا : الفنون والوظائف جـ ١ ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٣٧ ، جـ ٣ ص ١١٩٠ ، ١١٩١ وأنظر :

حسن الباشا : الألقاب ص ١٩٠ .

(٢) حسن الباشا : الفنون والوظائف جـ ٣ ص ١١١١ .

لوحة رقم (٤٢)

المكان : مكتبة عبد الله بن عباس بالطائف
الرقم : بدون
النوع : لوح بازلتي مستطيل الشكل منقوش عليه نص تذكاري يؤرخ لوفاة حراز بن أحمد بن أبي نمي أحد أفراد أسرة الأشراف من بني قتادة بن ادريس الذى حكم مكة وسائر الحجاز منذ أواخر القرن السادس الهجرى[1] (١٢م) .
المقاس : ٦٠ × ٣٩ سم .
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث الجلي .
التاريخ : ٢ شوال ٩٩٤ هـ .
عدد الأسطر : عشرة سطور يفصل بين كل سطر وآخر خط بارز عريض ونقشت البسملة والسطر الأول من النص داخل عقد نصف دائرى ويحيط بالنص اطار بارز عريض خاصة فى أعلاه وفى جانبيه بينما يقل عرض الاطار فى أسفل اللوح .

النص

١ - بسم الله الرحمن الرحيم
٢ - يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم[2] .
٣ - هذا ضريح العبد الفقير الى الله الرا [جـ] ى عفو الله سيدنا ومولانا المقر الكريم العالي
٤ - حاوى المفاخر والمعالي صفوة أولاد سيد المر [سـ] لين سلالة الملوك والسلاطين حراز
٥ - ابن سيدنا ومولانا السيد الشريف سلطان الحجاز المنيف شهاب الدين أحمد بن سيدنا
٦ - ومولانا سلطان الحرمين الشريفين جمال الدين محمد أبى نمي بن بركات بن محمد بن بركات

---

(١) الفاسي : العقد الثمين جـ ٧ ص ٣٩ وما بعدها
(٢) سورة التوبه ، آية (٢١) .

٧ - ابن [حسن بن] عجلان بن رميثه بن أبي نمي بن أبي سعد علي بن قتادة بن ادريس بن مطاعن

٨ - ابن عبد الكريم بن حسن بن عيسي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى

٩ - ابن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن[1] ابن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

١٠- كرم الله وجهه انتقل بالوفاة الى رحمة الله في ثاني شوال عام أربع[2] وتسعين وتسعماية

وقد ورد في النص اسم " حراز بن أحمد بن أبي نمي " .

ولم يشر المؤرخون الى حراز هذا أو يحددوا تاريخ وفاته مما يجعل لهذا النص أهمية بالغة في تحديد وفاة أحد أفراد أسرة الأشراف من بني قتادة باليوم والشهر والسنة مما غفل عن ذكره المؤرخون فضلا عن أن هذا النص قد أمدنا بسلسلة لقب أمراء مكة من بني قتادة حتى أوصلها الى الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

والاشارة الوحيدة التي عثرت فيها على اسم " حراز " هذا ما ذكره صاحب خلاصة الكلام عند حديثه عن وفاة والد حراز الشريف أحمد بن أبي نمي بقوله :

" هو جد السادة الأشراف آل منديل وآل حراز "[3] .

وأود أن أضيف أن أبناء الشريف حراز مازالوا معروفين حتى يومنا هذا ويطلق عليهم " ذوو حراز " والفرد منهم يعرف " بالحرازي " ويسكن غالبيتهم بمدينة الطائف وضواحيها .

---

(١) على الرغم من أن الاسم هو الحسن الا أن الطريقة التي كتب بها هذا الاسم في النص توهم بأنه الحسين وليس الحسن .

(٢) وقع في النص خطأ لغوي فقد ورد قوله " عام أربع " والصواب " عام أربعة " .

(٣) دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص ٥٥ .

أما الاسم الثاني الوارد في النص فهو " شهاب الدين أحمد بن أبي نمـــي " والد حراز ،

وهو أحمد بن أبي نمي بن بركات تولي امرة مكة شريكا لوالده أبي نمي ابتداء من سنة ٩٤٦ هـ وذلك عند ما أرسله والده الى السلطان سليمان (٩٢٦هـ - ٩٧٤هـ) فأنعم عليه بامرة مكة مشاركة مع أبيه وظل شريكا لوالده[(1)] الى أن توفي في حياة أبيـه في الثاني من شهر رجب سنة ٩٦١ هـ[(2)].

ويشير الجزيرى الذى انتهى من تأليف كتابه في سنة ٩٦١ هـ الى أنه قـام بزيارة الشريف أحمد بن أبي نمي أثناء مرضه الذى توفى على أثره بمكة بقوله :

" وتوجهت الى منزله للسلام عليه عند قدومي صحبة الركب فوجدته ابتدأ بـه التوعك والتشكى .... وتوفى في ثاني شهر رجب الفرد "[(3)].

أما جمال الدين أبي نمي والد أحمد وجدّه بركات فقد سبـــق أن أوردت ترجمتهما عند دراسة نص اعادة اصلاح عين حنين وبركة السّلم في عهد السلطـــان سليمان اذ ورد اسمهما في هذا النص المؤرخ بسنة ٩٣٥ هـ[(4)].

أما بقية سلسلة النسب الواردة في النص فاني أرى أن ايراد ترجمة لكل اســم ورد في النص سوف يؤدى الى الاطالة والاسهاب فيما ليس له اتصال مباشر بموضوع الرسالة ولكن يكفي أن أحيل القارئ الكريم الى بعض كتب التاريخ والتراجم الـــتي

---

(١) ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٣٢٤، وأنظر:
الجزيرى : درر الفوائد المنظمة ص ٥٨٧ ، العيدروسي: تاريخ النور السافـــر ص ٢٥٣ .

(٢) الجزيرى : درر الفوائد ص ٣٩٩ ، وأنظر:
العيدروسي: تاريخ النور السافر ص ٢٥٣ ، الشيلي : السنا الباهر بتكميل النور السافر ورقة ٢٤٢.
أما العصامي فقد أورد تاريخ وفاة أحمد بن أبي نمي بسنة ٩٦٦ هـ مخالفا بذلك المصادر الأخرى، أنظر: سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٣٢٦.

(٣) الجزيرى : المصدر السابق ص ٤٠٠.

(٤) أنظر ص ٣٤٣ - ٣٤٧ من هذه الرسالة .

أوردت تراجم لهذه الأسماء[1] .

ويلاحظ أن هذا النص يسبق النص الذى نشره الدكتور حسن الباشا والذى يؤرخ لوفاة قايتباى بن شرف بن قايتباى بن محمد بن بركات والمؤرخ بسنة ١٠٠٥ هـ[2] .

ويختلف نصنا هذا مع ما ورد فى النص المؤرخ بسنة ١٠٠٥ هـ فيما يلي :

١ - لم يرد فى النص المؤرخ بسنة ١٠٠٥ هـ اسم جمال الدين محمد أبى نمي بن بركات ووالده بركات بن محمد واقتصر على ذكر محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بينما ورد فى نصنا هذا على هذا النحو :

" جمال الدين محمد أبى نمي بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ... " .

٢ - ورد فى قراءة الدكتور حسن الباشا للنص الذى نشره اسم " أبى سعد بن عجلان بن قتاده " فى السطرين السادس والسابع وبمراجعتي للنص المذكور وجدت أن الاسم الوارد هو " أبى سعد بن علي بن قتاده " وهو يتفق مع نصنا الذى ننشره هنا فى السطر السابع منه .

٣ - ورد فى نصنا هذا أسماء " عبد الله بن موسي بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب " فى السطر التاسع بينما اقتصر النص المؤرخ بسنة ١٠٠٥ هـ على ذكر أسماء " عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب " فى السطرين التاسع والعاشر ولم يذكر اسمي " موسى بن عبد الله " الواردين فى السطر التاسع من نصنا المؤرخ بسنة ٩٩٤ هـ .

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ حيث خصص فصلا كاملا عن ولاة مكة المشرفة فى الاسلام وذكر كثيرا من أخبار الشخصيات الواردة أسماؤهم فى النص موضوع الدراسة . أنظر: ص ١٦٢ وما بعدها ، فضلا عما أورده من تراجم فى كتابة العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين بأجزائه الثمانية لكثير من هذه الشخصيات الواردة فى النص الذى أنشره هنا ، وأنظر أيضا :
ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٢٩١ وما بعدها .

(٢) حسن الباشا :" أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية " مصادر تاريخ الجزيرة جـ ١ طبع جامعة الرياض ، ١٣٩٩ هـ ، شاهد رقم ١٩ لوحة ٤١ ص ١١٨ وما بعدها .

٤ - يختلف النص الذى أنشره هنا مع ما أورده الفاسي من حيث ترتيب الأسماء ابتداء من اسم عبد الكريم ، فقد جاء ترتيب الفاسي كالتالي : "عبد الكريم بن عيسي بن حسين بن سليمان".[1]

بينما ورد فى النص موضوع الدراسة ترتيب الأسماء المشار اليها على هذا النحو :

"عبد الكريم بن حسن بن عيسي بن سليمان" فى السطر الثامن.

ويتفق نصنا هذا مع ما ورد فى النص الذى نشره الدكتورحسن الباشا المؤرخ بسنة ١٠٠٥ هـ فى السطر السابع منه .

ويتفق نصنا أيضا فى ترتيب الأسماء ابتداء من سليمان وحتى رأس هذه الأسرة الصحابي الجليل على بن أبي طالب رضي الله عنه مع ما أورده الفاسي[2] بينما يختلف النص المؤرخ بسنة ١٠٠٥ هـ فى ترتيبه للأسماء مع ما ورد فى نصنا هذا وما أورده الفاسي وهو ما أشرنا اليه فى الفقرة الثالثة .

وقبل أن أختم حديثي عن هذا النص التذكارى المؤرخ بسنة ٩٩٤ هـ أود أن أشير الى أنني قد عثرت فى الآونة الأخيرة على مجموعة من الكتابات التذكارية التى تتميز بتسلسل أنسابها على نحو ماهو وارد فى هذا النص وسوف أقوم بإذن الله بنشرها والتعليق عليها فى أقرب فرصة ممكنة .

. . . . . .

---

(١) الفاسي : العقد الثمين جـ ٧ ص ٣٩ ، شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، العقد الثمين جـ ٧ ص ٣٩ .

لوحه (٤٣)

المكان : متحف آثار الحرم المكي
الرقم : بدون
النوع : لوح من الرخام مستطيل الشكل تقريبا نقش عليه أبيات من النظم تشير الى انشاء سبيل بباب الصفا ليستقى منه الوافدون الى المسجد الحرام من حجاج وعمار في عهد السلطان مراد بن سليم (٩٨٢ هـ - ١٠٠٣هـ) .
المقاس : ٨٥ × ٧٧ سم
عدد الأسطر : أربعة أسطر عبارة عن أبيات من الشعر يفصل بعضها عن بعض خط أفقي بارز عريض كما يفصل صدر كل بيت عن عجزه خط رأسي عريض بارز أيضا وقد نقش كل بيت من هذه الأبيات داخل خرطوش مستطيل الشكل .
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث الجلى
التاريخ : بدون

" النص "

١ - فاق على قيصر وكسرا	بعدله قرت البلاد
٢ - مد على الخلق فيض بر	فعاش في فضله العباد
٣ - بنا بباب الصفا سبيل	للوفد في ورده ارتياد
٤ - صار به للاله جارا	وجاده الدهر لا يكاد

وقد أشار لهذا النص عبد الكريم القطبى المؤرخ المعاصر المتوفى سنة ١٠١٤هـ بقوله " ومن أبلغ ماعمل للسبيل التواريخ هذا النظم ".[1]

----

(١) عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١١٨ .

كما أورد النص على النحو التالي :

" أنا سبيل أشاد مجـــــدى	سلطان كل الورى مــــراد
فاق على قيصر وكســـــرى	بعدله قرت البـــــلاد
مد على الخلق فيض بـــــرّ	فعاش فى فضله العبـــاد
بنى بباب الصفا سبيـــــلا	للوفد فى ورده ارتيـــاد
صار به للاله جـــــــارا	وجاره الدهر لا يكـــاد
له من الله سلسبيـــــــل	وكوثر ماله نفـــــاد
جاء بلاغاية المجـــــــد	تاريخ بنيانه المشـــاد
أسسني بالصفا سبيـــــلا	لله سلطاننا مـــــراد"

ويلاحظ أن عبد الكريم القطبى قد أورد هذا النظم فى ثمانية أبيات بينما ورد فى النص موضوع الدراسة أربعة أبيات فقط كما يلاحظ أيضا أن القطبى لم يذكـــر صراحة أن هذه الآبيات قد نقشت على لوح ووضعت على السبيل المذكور وانمـــا أشار فقط الى أنه عمل لهذا السبيل تواريخ منها هذا النظم .

وأشار لهذا النص أيضا محي الدين عبد القادر العيدروسي المتوفى سنـــة ١٠٣٨ هـ فى كل من تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر (٢) ووفيات الآكابر فى القرن العاشر (٣) فقد أورده فى النور السافر على النحو التالي :

" أنا سبيل أشاد مجـــــدى	مليك كل الورى مـــــراد
مليك كل الورى طـــــــرا	عجما وعربا له تقـــــاد
فاق على قيصر وكســـــرى	بعدله قرت البـــــلاد
بأمنه عز كل قطــــــــر	الغور والسهل والنجـــاد
مد على الخلق فيض بـــــرّ	فعاش فى فضله العبـــاد
صار به للاله جـــــــارا	وجاره الدهر لا يكـــاد

---

(١) عبد الكريم القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١١٨ .
(٢) العيدروسى : النور السافر ص ٤٤١ ، ٤٤٢ .
(٣) العيدروسى : وفيات الآكابر ورقة ٢٢١ ، ٢٢٢ .

يعم كل الأنام نفعـــــا	كأنه للورى عهـــــاد
فكان للخلق من نـــداه	ماء بأم القـــرى وزاد
له من الله سلسبيـــل	وكوثر ماله نفـــاد
جاء بلا غاية لمجـــد	تاريخ بنيانه المشـــاد
أسسني بالصفا سبيـــلا	لله سلطاننا مـــراد [1]"

ويلاحظ أن هناك اختلافا في بعض الكلمات التي أوردها العيدروسي في كل من النور السافر ووفيات الأكابر .

فبينما أورد عبارة " فاق على قيصر وكسرى " في صدر البيت الثالث في النـور السافر نجده أوردها في وفيات الأكابر بعبارة " فاق كل قيصر وكسرى " بدلا من" على" وأورد في النور السافر عبارة " صار به للاله " في صدر البيت السادس بينما حـذف كلمة " به " في وفيات الأكابر .

وأورد كلمة " وجاره الدهر " في عجز البيت السادس في النور السافر بينمـا أوردها في وفيات الأكابر بلفظ " وجاده " بالدال وهو ما يتفق مع النص موضـوع الدراسة وأورد كلمة " عهاد " في آخر البيت السابع في النور السافر بينما أوردهـا في وفيات الأكابر بلفظ " عماد " .

وأورد عبارة " فكان للخلق من نداه " في صدر البيت الثامن في النور السافـر بينما وردت في وفيات الأكابر بلفظ " فكان للحق من ندا " .

وأورد عبارة " وكوثر ماله نفاد " في عجز البيت التاسع بينما أوردها في وفيات الأكابر بلفظ " وكوثر ماء له يقاد " .

ويلاحظ أن العيدروسي لم يشر الى أن هذه الأبيات قد نقشت نصا تأسيسيـا لهذا السبيل وانما أشار الى أن الشيخ على بن عبد الكبير باحميد الحضرمي أصـلا المكي وطنا نظم تاريخا لطيفا لهذا السبيل [2].

---

(١) العيدروسي : النور السافر ص ٤٤١، ٤٤٢ .

(٢) العيدروسي : النور السافر ص ٤٤١، وأنظر: وفيات الأكابر ورقة ٢٢١ .

وقد أورد العيدروسي أبيات هذا النظم فى أحد عشر بيتا بينما وردت فى النص موضوع الدراسة أربعة أبيات فقط وأوردها القطبى ثمانية أبيات كما سبق أن أشرنا .

أما السنجارى المتوفى سنة ١١٢٥ هـ فقد أورد هذه الأبيات على النحو التالي :

" أنا سبيل أشاد مجـــدى	سلطان كل الورى مـــراد
فاق على قيصر وكســـرى	بعدله قرت البـــلاد
ومدّ على الخلق فيض بـــرّ	للوفد فى ورده ارتيـــاد
صار به للاله جـــارا	وجاره الدهر لا يكـــاد
له من الله سلسبيـــل	وكوثر ماله نفـــاد
جاء بلا غاية لمجـــد	تاريخ بنيانه المشـــاد
أسس بالصفا سبيـــلا	لله سلطاننا مـــراد (١)

ويلاحظ أن السنجارى قد اكتفى بالاشارة الى أن على بن عبد الكبير الحضرمي قد وضع تاريخا لهذا السبيل دون الاشارة الى أن هذه الأبيات قد نقشت ووضعت على السبيل والواقع أن معظم المؤرخين لم يدركوا أهمية النقوش التأسيسية أو التذكارية لأن اهتمامهم كان مقتصرا على الكتابات التاريخية المتناثرة فى كتب التاريخ والتراجم والسير وغيرها أما النقوش فليس لها عندهم شأن يذكروهو ما تحدثنا عنه بالتفصيل عند دراسة نقوش السلطان اينال المؤرخة بعام ٨٥٨ هـ (٢) .

ويلاحظ هنا أيضا أن السنجارى قد أورد سبعة أبيات وهو يختلف فى ذلك مع النص موضوع الدراسة حيث وردت به أربعة أبيات فقط كما يختلف السنجارى فى العدد مع كل من عبد الكريم القطبى والعيدروسي .

وأود أن أشير الى أنه من المحتمل أن هناك جزءا آخر للنص موضوع الدراسة لم نعثر عليه وربما تعرض هذا الجزء المفقود للكسر أثناء ازالة السبيل لأن هذا السبيل كما يشير باسلامه قد أزيل سنة ١٣١٥ هـ (٣) أى قبل التوسعة السعودية للمسجد

---

(١) السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧٦ .

(٢) أنظر ص ١٧٥ - ١٩٧ من هذه الرسالة .

(٣) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٠٦ .

الحرام واحتفظ فقط بالجزء السليم الذى نحن بصدد دراسته كما يحتمل أيضا أن النقاش أو الخطاط الذى كتب هذا النص قد اختار أربعة أبيات فقط من مجمل الأبيات وقام بنقشها وكتابتها وجعلها نصا تأسيسيا لعمارة السبيل وترك بقية الأبيات .

ومهما يكن من اختلاف فى عدد الأبيات الواردة فى النص أو التى أوردها المؤرخون الذين أشرت اليهم الا أن المهم هنا هو أننى لم أجد أى بيت من هذه الأبيات يتفق فى حساب جمله مع تاريخ انشاء هذا السبيل وهو سنة ٩٩٥ هـ وتتساوى فى ذلك الأبيات الواردة فى النص وكذلك الأبيات التى أوردها المؤرخون رغم ما بذلته من جهد فى سبيل تحويل أحرف هذه الأبيات الى أرقام وفق حساب الجمل .

ومن حسن الحظ أن هؤلاء المؤرخين قد ذكروا صراحة أن هذا السبيل قد أنشئ فى سنة ٩٩٥ هـ اذ يذكر عبد الكريم القطبى ذلك بقوله :

" وكانت عمارته فى سنة خمس وتسعين وتسعمائه "[(١)] وكذلك العيدروسي بقوله :

" وفى سنة خمس وتسعين أحدث السلطان مراد بن السلطان سليم بن السلطان سليمان على باب الصفا سبيلا للشرب . . . "[(٢)].

أما محي الدين الطبرى فقد أشار الى سبيل السلطان مراد هذا حين تحدث عن الأسبله بمكة فى عصره بقوله " ومنها سبيل مولانا السلطان مراد خان على باب الصفا "[(٣)]، ولكن دون أن يورد تاريخ انشائه .

وأورد السنجارى تاريخ انشاء هذا السبيل وهو سنة ٩٩٥ هـ وان كان يبدو أنه قد نقل ذلك عن عبد الكريم القطبى[(٤)].

وقد وصف العصامي هذا السبيل بأنه عظيم فى بنائه وفرشه وعذوبة مائه[(٥)].

---

(١) القطبى : اعلام العلماء الاعلام ص ١١٨ .
(٢) العيدروسي : تاريخ النور السافر ص ٤٤١ ، وفيات الأكابر فى القرن العاشر ورقة ٢٢ .
(٣) محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٢٦ .
(٤) السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧٦ .
(٥) العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ١٠٠ .

والواقع أن عبد الكريم القطبي هو أكثر المؤرخين الذين تحدثوا بالتفصيل عن عمارة هذا السبيل فأشار الى أن هذا السبيل قد أنشئ بالجانب الجنوبي من المسجد الحرام على يسار الخارج الى الصفا وأنه كان قريبا من مدرسة السلطان مراد التي أنشأها بالقرب من الصفا كما كان قريبا أيضا من تلك الأماكن التى أمر السلطان بعمارتها ليأوى اليها الفقراء كما سبق أن أشرنا[(١)] . وجعل السلطان لهذا السبيل وقفا هو عبارة عن بيوت ومساكن عمرها السلطان مراد وأوقفها على مصالح هذا السبيل وعلى فراشين لكنس الأماكن التى يقطنها الفقراء وأنشأ سبيلا آخر ملاصقا لجدار مدرسة السلطان قايتباى بالجانب الشرقي من المسجد الحرام[(٢)] .

أما " السبيل " من الناحية المعمارية فغالبا ماكان يلحق قبل العصر العثماني بالمسجد أو المدرسة أو الخانقاه وفى قليل من الأحيان يكون السبيل منفردا كما هو الحال بالنسبة لسبيل السلطان الناصر محمد بن قلاوون ٧٢٦هـ بالقاهرة وسبيل السلطان قايتباى بالقاهرة ٨٧٩ هـ وكان السبيل والكتاب يمثلان أحد العناصر المعمارية التى يتكون منها مبنى المدرسة أو الخانقاه وقد شغل السبيل فى معظم الأحيان مكانا هاما هو ركن المبنى كما يقع أحيانا بجوار المدخل أو يكون فى أول الدهليز المؤدى الى الصحن وذلك لسهولة ايصال المياه المنقوله من القرب الجلديه اليه[(٣)] .

أما فى العصر العثماني فقد وجد السبيل منفردا بكثرة وعادة ما تغطى أرضية غرفة السبيل بالرخام الملون بأشكال هندسية وتكسى الحوائط بالرخام الملون ويكون السقف خشبيا مزخرفا ويوجد أمام شباك السبيل من الخارج لوح من الحجر أو الرخام يحمل على كوابيل حجرية توضع عليه أكواب من النحاس تربط بسلاسل فى نوافذ السبيل وتستعمل للشرب[(٤)] .

---

(١) أنظر ص ٣٩٢، ٣٩٣ من هذه الرسالة .
(٢) عبد الكريم القطبي : اعلام العلماء الاعلام ص ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٢ وأنظر: السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧٦ .
(٣) صالح لمعى مصطفى : التراث المعمارى الاسلامي فى مصر ص ٣٣، ٣٤ .
(٤) لمزيد من التفاصيل عن الوصف المعمارى للسبيل وتطوره أنظر: صالح لمعى مصطفى : المرجع السابق ص ٣٣ - ٣٥ .

أما بالنسبة لمصير سبيل السلطان مراد الذى نحن بصدد دراسة نقوشه فيشير باسلامه الى أنه أزيل فى سنة ١٣١٥ هـ لأن الذين كانوا يتوضؤون منه كانوا يلوثون أبواب المسجد الحرام بما يتراكم من فضلات المياة .

أما بالنسبة للسبيل الذى أنشأه السلطان مراد بجوار مدرسة السلطان قايتباى فيذكر باسلامه أن آثاره لا تزال باقية حتى عهده (ت ١٣٦٤ هـ) على يمين المسجد الحرام من باب مدرسة السلطان قايتباى ولم يقف على تاريخ هدمه ولا الهادم له [1] .

.. .. ..

---

(١) باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١٠٦ وأنظر: أحمد السباعي : تاريخ مكة جـ ٢ ص ٤٧٧ .

تحليل
نصوص السلطان مراد بن سليم (٩٨٢ هـ - ١٠٠٣هـ)
وهي :

١ - النص التأسيسي الخاص باكمال عمارة المسجد الحرام في عهد السلطان مراد غير المؤرخ - لوحة (٣٣) .

٢ - نص الرنك المؤرخ بسنة ٩٨٤ هـ المنقوش على واجهة الرواق الشرقي للمسجد الحرام من الداخل - لوحة (٣٤) .

٣ - نصوص الآيات القرآنية التي نقشت على بعض أبواب المسجد الحرام من الداخل - لوحة (٣٥-٣٩) .

٤ - النص التذكاري الذي يؤرخ لوفاة الشريف حراز بن أحمد بن نمي سنة ٩٩٤هـ - لوحة (٤٢) .

٥ - نص السبيل المنقوش على هيئة أبيات من الشعر - لوحة (٤٣) .

ومن خلال دراسة هذه النصوص يتضح ما يلي :

١ - نقشت جميع هذه النصوص بالخط الحجازي اللين البارز من نوع الثلث الجلي الذي كان للعثمانيين فضل كبير في تطويره وتحسينه وقد استطاع الخطاط الحجازي أن يستوعب هذه التحسينات والاصلاحات العثمانية لهذا النوع من الخط الذي عرفه الخطاط الحجازي منذ العصر المملوكي وتمرس على كتابته .

والجدير بالملاحظة هنا هو أن نصوص السلطان مراد التأسيسية الخاصة بعمارة المسجد الحرام وما يتعلق بها من نصوص للآيات قد كتبت بعد انتهاء أكبر عمارة للمسجد الحرام على مدى العصور الاسلامية.ولو فرضنا أن السلطان مراد بعث بخطاط أو خطاطين من قبله لكتابة هذه النصوص لحرص هؤلاء الخطاطون بدون شك على ذكر أسمائهم أو توقيعاتهم على هذه النصوص لادراكهم بأنهم يؤدون عملا فنيا في أقدس بقعة على وجه الأرض وهي المسجد الحرام ، ولكن هذا لم يحدث مما يدل على أن الخطاطين المحليين هم الذين قاموا بكتابة هذه النصوص .

٢ - ان جميع النصوص الحجازية التي كتبت في العصر العثماني ومنها هذه النصوص موضوع الدراسة قد كتبت بنوع واحد من الخط وهو الخط الثلث الجلي مع العلم أن جهود العثمانيين في تحسين وابتكار الخطوط لم تقف عند هذا النوع فقط بل ابتكروا أنواع أخرى مثل التعليق والمثنى والديواني وغيرها وأستخدم بعضها في النقوش والكتابات المعمارية العثمانية [1] فكان من الممكن أن تظهر لنا نماذج من هذه الخطوط في النصوص التأسيسية الحجازية أو نصوص الآيات والكتابات التذكارية لو أن الحجاز استعان بخطاطين من خارج الحجاز ولكن شيئا من هذا لم يحدث مما يدل على أن الخطاط الحجازي الذى كان له خبرة طويلة في كتابة الخط الثلث هو نفسه الذى استوعب التحسينات التي دخلت على الخط الثلث في العصر العثماني ولم يلجأ الى الأنواع الأخرى التي ابتكرها العثمانيون .

٣ - لقد اهتم المؤرخون المكيون اهتماما بالغا بذكر عمارة المسجد الحرام التى تمت في عهد السلطان مراد وخاصة المعاصرون منهم وعلى رأسهم قطب الدين الحنفي (ت ٩٨٨ هـ)وذكروا كل التفاصيل عن هذه العمارة وما مرت به من مراحل وأسماء الأشخاص الذين أشرفوا عليها والمواد والمؤن التي صرفت عليها والتواريخ التى كتبت لهذه العمارة سواء ما أمر السلطان بكتابته أو أمر بكتابته المشرفون على هذه العمارة كما سبق أن أشرنا الى ذلك عند الحديث عن هذه العمارة ، ولم يشيروا أى اشارة الى أن السلطان قد بعث بخطاط من قبله أو أن المشرفين على العمارة استقدموا خطاطين من خارج الحجاز لكتابة هذه النصوص مما يدل دلالة واضحة أن هناك خطاطين حجازيين محليين يستطيعون أن يقوموا بهذه المهمة على أكمل وجه كما هو واضح في كتابة هذه النصوص .

٤ - ان جميع المواد التي استخدمت في كتابة هذه النصوص هي من الرخام أو البازلت ولو أن السلطان بعث من قبله بخطاط لكان من المحتمل جدا أن يبعث معه

---

(1) محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني ص ١٧٦ وما بعدها .

بكميات كافية من بلاطات القاشاني ليكتب نصوصه عليها وخاصة بالنسبة لنصوص عمارة المسجد الحرام التي تعتبر أكبر انجاز معماري تحقق في الحجاز في العصر العثماني فلابد أن يكون السلطان حريصا على كتابة وزخرفة هذه العمارة بأجود أنواع المواد المعروفة في ذلك الوقت وهو القاشاني وأن يبعث بأجود خطاط لديه لينفذ نصوصه على هذه المادة التي توسع الخطاط العثماني في استعمالها في الكتابات والزخارف ولكن لم نجد أي نص حجازي كتب على القاشاني وانما كتبت جميع النصوص الحجازية على المواد المتوفرة في الحجاز وهي الرخام والبازلت والتي تمرس الخطاط الحجازي على كتابة نصوصه عليها منذ أمد بعيد .

٥ - ومما يؤكد أن الحجاز قد اعتمد على الخطاطين المحليين هو أن النص التذكاري الذي يؤرخ لوفاة الشريف حراز بن أحمد بن أبي نمي سنة ٩٩٤ هـ قد نقش بخط جيد لا يقل في مستوى جودته عن نصوص السلطان مراد التأسيسية ويتمثل فيه خط الثلث الجلي بكل المقاييس على الرغم من أنه لم ينقش في مكة المكرمة أو في المدينة المنورة وهما أكبر مركزين حضاريين في الحجاز بل نقش في الطائف مما يدل على أن هناك مراكز حضارية في الحجاز غير الحرمين الشريفين تحتضن مجموعة من الخطاطين المحليين الذين لهم باع طويل في الكتابة واستطاعوا استيعاب التطورات والتحسينات التي دخلت على الخط الثلث في العصر العثماني ، ولا يعقل أن يبعث السلطان بخطاط من قبله لمجرد كتابة نص تذكاري يؤرخ لوفاة شخص من أهل الحجاز حتى وان كان هذا الشخص يمت بصلة القرابة لأمراء الحجاز في ذلك العصر .

٦ - يلاحظ أن النصوص المؤرخة من هذه المجموعة قد جاءت تواريخها اما بالكلمات أو بالأرقام الهندية فقد ورد تاريخ النص التذكاري المؤرخ بسنة ٩٩٤هـ - لوحة (٤٢) بالكلمات بينما جاء نص الرنك مؤرخا بالأرقام ولم نعثر على نص من هذه النصوص جاء تاريخه بحساب الجمل على الرغم من أننا سبق أن أشرنا عند دراسة نص سبيل السلطان مراد الى أن المؤرخين قد ذكروا أن تاريخ هذا السبيل قد جاء بحساب الجمل وهو يوافق سنة ٩٩٥ هـ ولكن عند تحويل أحرف هذا

النص الى أرقام لم نجد فيها أى بيت من الأبيات يوافق هذا التاريخ مما يـدل على أن الخطاط الحجازى لم يكن كثير الاهتمام بحساب الجمل على نحو ما كـان الخطاط العثماني فكان لكتابته واستخدامه للتواريخ طابعه الخاص .

. . . . . .

لوحة رقم (٤٤)

المكان : المعسكر الكشفي الدائم التابع لمنطقة مكة المكرمة التعليمية
الرقم : بدون
المقاس : ٦٥ × ٣٥ سم
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث الجلي
عدد الأسطر : ثلاثة سطور السطر الثالث منها عبارة عن خرطوش مستطيل مدبب الطرفين وهامشين أحدهما على يمين الخرطوش والآخر على يساره ويبدو أن الخطاط قد اضطر تحت ضغط المساحة الضيقة أن يكتب هذين الهامشين فى مستوى أسطر النص بالخرطوش وليست نازلة عنه .
التاريخ : ١٠٢٥ هـ

" النص "

١ - أمر بتعمير عين عرفات فايضة البركات من أول وادى نعمان الى بلد الله ذى الأمن والأمان مولانا السلطان .

٢ - الأعظم والخاقان الأفخم خادم الحرمين الشريفين السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان.

أما السطر الثالث فقد نقش داخل خرطوشة مستطيلة بطرفين مدببين على النحو التالى :

٣ - أيد الله سلطانه الى آخر الزمان سنة خمس وعشرين بعد الألف .

وقد كتب الى يمين الخرطوش	وكتب الى يسار الخرطوش
بمباشرة	حسن باشا
الفقير الى رحمة الله	عفى عنه

والمؤرخ الوحيد الذى أشار الى هذا النص هو ابراهيم رفعت وذكر أنه رأى هذه

اللوحة وعليها الكتابة[1] دون الاشارة الى المكان الذى كانت موجودة به . والواقع أن هذا النص كان مع مجموعة النصوص الملصقة بأسفل جبل الرحمة والتى أشرت اليها فيما سبق[2] وقد رأيته فى هذا المكان وقمت بتصويره قبل أن ينقل الى المعسكر الكشفى التابع لادارة التعليم بمنطقة مكة المكرمة .

وقد وردت قراءة ابراهيم رفعت لهذا النص على النحو التالي :

" أمر بتعمير عين عرفات مولانا السلطان الأعظم والخاقان الأفخم خادم الحرمين الشريفين السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان أيد الله سلطنته الى آخر الزمان سنة ١٠٢٥ هـ بمباشرة الفقير اليه سبحانه حسن باشا عفى عنه "[3] .

ويلاحظ على هذه القراءة ما يلى :

١ - لم يدعم قراءته هذه بصورة فتوغرافية توثق هذه القراءة .

٢ - لم ترد بها كثير من العبارات مثل قوله : " فايضة البركات " الى قوله :"الأمان" .

٣ - وردت فى القراءة المذكورة عبارة " سلطنته " والصواب " سلطانه " .

٤ - جاء تاريخ النص فى هذه القراءة رقما والصواب ايراده كتابة بالحروف كما هو بالنص .

٥ - ورد نص الهامشين ضمن النص مع أنهما وردا مستقلين فى الجانبين الأيمن والأيسر من السطر الثالث .

٦ - وردت فى هذه القراءة عبارة " بمباشرة الفقير اليه سبحانه " والصواب " بمباشرة الفقير الى رحمة الله " فى الهامش الأيمن .

٧ - لم يراع فى النص عدد الأسطر وبداية كل سطر ونهايته .

٨ - لم يشر الى نوع الخط الذى نقش به النص .

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٢٠ .

(٢) أنظر ص ١٩٨ من هذه الرسالة .

(٣) ابراهيم رفعت : المرجع السابق نفس الجزء ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

ومهما يكن من أمر هذه الملاحظات فانه يشكر على أى حال لأنه أول من أشار الى هذا النص وقرأه .

وقد ورد فى النص اسم " السلطان أحمد بن السلطان محمد " .

وهو السلطان أحمد بن محمد بن مراد بن سليم بن سليمان الذى عرف بالسلطان أحمد الأول ١٠١٢ هـ - ١٠٢٦ هـ [(١)] .

وقد ولد السلطان أحمد بن محمد فى ١٧ رجب سنة ٩٩٩ هـ [(٢)] وتولى السلطنة بعد وفاة والده السلطان محمد بن مراد ١٠٠٣ هـ - ١٠١٢ هـ فى ١٧ رجب سنة ١٠١٢ هـ [(٣)] وبقي فى السلطنة حتى توفي فى ١٣ ذى القعدة سنة ١٠٢٦ هـ (١٦١٧م) بعد أن حكم أربعة عشر عاما [(٤)] .

وكان للسلطان أحمد بن محمد المعروف بأحمد الأول عدة اصلاحات بالحرمين الشريفين منها أنه أمر بترميم المقامات الأربعة على يد شيخ الحرم حسن بن مراد

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن حياة السلطان أحمد وأعماله وغزواته أنظر :
محمد فريد بك المحامى : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١١٩ - ١٢٢ ، وأنظر :
د . علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ص ١٠٠ - ١٠٢ وأنظر :
عبد المؤمن السيد أكرم : أضواء على تاريخ توران ص ١٧٩ .

(٢) المحبى : خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ج ١ - طبع المطبعة الوهبية - مصر ١٢٨٤ هـ ص ٢٩١ . ويلاحظ أن محمد فريد بك قد جعل تاريخ ولادة السلطان أحمد فى ١٢ جمادى الثانية ٩٩٨ هـ - أنظر : الدولة العلية العثمانية ص ١١٩ .

(٣) المحبى : المصدر السابق نفس الجزء ص ٢٨٥ وأنظر :
العصامي : سمط النجوم العوالي ج ٤ ص ١٠٢ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٨١ وقد جعل السنجارى تاريخ ولايته بيوم ١٢ رجب من نفس السنة - وأنظر :
ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن بولاية بنى الحسن ورقة ٩٨ ، ٩٩ .

(٤) المحبى : المصدر السابق ج ١ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ وأنظر :
العصامي : سمط النجوم ج ٤ ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٨٤ ، ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٩٩ ، ١٠٠ ، وقد أورد محمد فريد بك تاريخ وفاته بيوم ٢٣ ذى القعدة من نفس السنة - وأنظر :
عبد المؤمن السيد أكرم : أضواء على تاريخ توران ص ١٧٩ .

الرومى سنة ١٠١٦ هـ[1]، وأشار العصامي (ت ١١١١ هـ) الى أنها رمت على أحسن وجه وأتقنه[2].

ومن اصلاحاته : أنه أرسل مع الباشا حسن المعمار الوارد اسمه بالنص بهلال مطلى بالذهب وصفائح من الفضة المطلية بالذهب لأعلى المنبر كما أرسل بصفيحة من الذهب توضع على باب الكعبة المشرفة كتب عليها آيات من القرآن الكريم هي قوله تعالى : " ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا " وكان ارسال جميع ذلك في سنة ١٠٢٠ هـ[3].

وأرسل فى نفس العام بحزام من حديد مصفح بالفضة المطلية بالذهب لتشد به جدران الكعبة المشرفة لما بلغه من تصدع جدران البيت الشريف كما بعث بميزاب جديد للكعبة المشرفة وقام حسن باشا المعمار بترميم سقف الكعبة المشرفة وشد جدران الكعبة المشرفة بالحزام الذى أرسله السلطان وتركيب الميزاب الجديد وأرسل الميزاب القديم الى الخزانة السلطانية وتم عمل ذلك كله فى عام ١٠٢١ هـ[4].

وقد ظلت الكعبة المشرفة مشدودة بهذا الحزام الى أن سقطت جدرانها عقب السيل الذى دخل المسجد الحرام سنة ١٠٣٩ هـ وقام السلطان مراد بن أحمد

---

(١) العصامي : سمط النجوم العوالى جـ ٤ ص ٣٩٤ وأنظر : السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٨٣ وأنظر أيضا : ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٩٨ .

(٢) العصامي : سمط النجوم العوالى جـ ٤ ص ٣٩٤ .

(٣) ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٩٩ وأنظر : باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٦٣ .

(٤) محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ٢٨ وأنظر : المحبى : خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر جـ ١ ص ٢٩٠ ويلاحظ أنه أشار الى أن السلطان أحمد قد أرسل أعمدة من فولاذ مطلية بالذهب طوقت بها الكعبة المشرفة من جهاتها الأربع وأنظر أيضا : العصامي : المصدر السابق جـ ٤ ص ٣٩٧ ، ١٠٣ وأنظر أيضا : السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٨٣ وأنظر أيضا : ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٩٩ .

المعروف بمراد الرابع ١٠٣٢ هـ - ١٠٤٩ هـ بعمارتها عمارة شاملة سنة ١٠٤٠هـ.[(١)]

والواقع أن السلطان أحمد لما بلغه تصدع جدران الكعبة المشرفة أراد أن يهدمها ثم يبنيها من جديد كما أراد أن يجعل حجارتها مطلية بالذهب والفضة ولكن منعه بعض علماء الروم من ذلك لأن فيه ازالة لحرمة البيت الشريف.[(٢)]

ويذكر العصامي أنه قد كتب تاريخ تجديد سقف الكعبة المشرفة وتركيب الحزام والميزاب الجديد في لوح من الرخام ثبت في شاذروان الكعبة المشرفة وأن هذا التاريخ مقتبس من القرآن الكريم وهو قوله تعالى " أسس بنيانه على تقوى من الله " وذلك وفق حساب الجمل[(٣)] هكذا :

أسس		بنيانه		على		تقوى		من		الله		
١٢١	+	١١٨	+	١١٠	+	٥١٦	+	٩٠	+	٦٦	=	١٠٢١ هـ

ولكن يلاحظ أن النص القرآني الذى جعل تاريخا لهذه الاصلاحات كما يذكر العصامي ربما لم يكن هو الوحيد الذى يؤرخ لهذه الاصلاحات لأن بعض الباحثين المحدثين الذين أتيحت لهم فرصة الاطلاع عن قرب على النقوش المكتوبة

---

(١) نظرا لأهمية هذه العمارة فقد أشار اليها كثير من المؤرخين بل ان بعضهم قد ألف كتبا خاصة بهذه العمارة ، ويمكن أن نذكر هنا أهم المصادر التي أوردت خبر هذه العمارة على النحو التالي :
محمد بن علي بن علان : انباء الجليل المؤيد مراد ببناء بيت الوهاب الجواد - مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٨٤٢ (ومصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى - ميكروفيلم رقم (١) وأنظر :
أحمد محمد الأسدى : اخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام - تحقيق د . غلام مصطفى ص ١١٧ وما بعدها وأنظر : محي الدين الطبرى : الأرج المسكي في التاريخ المكي ورقة ٤١ وما بعدها وأنظر: المأموني : تهنئة أهل الاسلام بتجديد بيت الله الحرام مخطوط بمكتبة الزاوية الحمراء بالمغرب رقم ١٠٦ وأنظر أيضا : الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي امارة الحاج ص ١٨١ وما بعدها وأنظر أيضا : المحبى : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر ج ٤ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠.

(٢) المحبى : خلاصة الأثر ج ١ ص ٢٨٨ وأنظر :
السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٨٣.

(٣) العصامي : سمط النجوم العوالي ج ٤ ص ١٠٣.

داخل وخارج الكعبة يشيرون الى أن هناك نصا منقوشا ومثبتا بالشاذروان يؤرخ لهذه الاصلاحات ومن هؤلاء الباحثين البتنونى وابراهيم رفعت وباسلامه فقد أورد البتنونسي نصه على النحو التالي :

" بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . أمر بعمارة سقف البيت الشريف وبتجديد ميزاب الرحمة وتقوية جدار بيت اللهالحرام السلطان أحمد فى شهر محرم سنة ١٠٢١ هـ "[(١)] .

بينما أورد ابراهيم رفعت هذا النص على النحو التالى :

" بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . أمر بعمارة سقف البيت الشريف وتجديد ميزاب الرحمة وتقوية جدار بيت الله الحرام تجديدا بحرمه وطرقه من ذهب وفضة وجلبار بخبر القرآن العظيم أسس بنيانه على تقوى من الله العبد الفقير الى رحمة ربه ملك البرين والبحرين سلطان الروم والعراق خادم الحرمين الشريفين السلطان أحمد خان خلد الله ملكه الى آخر الزمان رسم فى محرم سنة ١٠٣١ هـ[(٢)] .

أما باسلامه فقد نقل هذا النص عن الصباغ المكى صاحب كتاب تحصيل المرام المتوفي سنة ١٣٢١ هـ فجاء نصه كما يلى :

" أمر بتجديد سقف الكعبة وميزاب الرحمة أحمد خان فى سنة ألف واحدى وتسعين "[(٣)]

وعلق باسلامه على هذا النص بأنه قد ورد خطأ فى التاريخ الذى أورده الصباغ والصواب أن تاريخه هو سنة ١٠٢١ هـ[(٤)] .

---

(١) البتنونى : الرحلة الحجازية ص ١٠٤

(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٦٧ .

(٣) باسلامه : تاريخ الكعبة المعظمة ص ١٩٢ ، ١٩٣

(٤) المرجع نفسه ص ١٩٣ .

والواقع أن هذا النص الذى نقله باسلامه عن الصباغ قد جاءناقصا فلم يورد منه سوى الشيء اليسير وهو الأمر الذى ينطبق أيضا على النص الذى أورده كل من العصامي والبتنوني اذ يلاحظ أن البتنوني لم يورد النص كاملا مقارنة بما أورده ابراهيم رفعت الذى أخطأ هو بدوره فى تاريخ النص .

كما أن الآية الكريمة التى أوردها العصامي قد وردت أيضا فى نص ابراهيم رفعت مما يرجح معه أن العصامي أشار فقط الى نص الآية التى توافق التاريخ ولم يذكر بقية النص الذى أورده ابراهيم رفعت فيما بعد .

ويصف البتنوني ميزاب الكعبة الذى أرسله السلطان أحمد والذى استبدل بميزاب آخر بعثه السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٣ هـ ومن ثم أرسل ميزاب السلطان أحمد الى دار الآثار السلطانية بقوله : وهو " من الفضة المنقوشة بالمينا الزرقاء تتخللها النقوش الذهبية وقد رأيته محفوظا فى دار الآثار السلطانية الخصوصية بالأستانة " (١).

ومن اصلاحات السلطان أحمد أنه أمر حسن باشا المعمار سنة ١٠٢٠ هـ بانشاء مكان خاص لزيت المسجد ومتعلقاته وأنشأ بناء آخر خلف سقاية العباس جعله خاصا لحفظ أموال الصّرة القادمة كل عام (٢).

ومن اصلاحاته أنه رتب سحابه تسير مع الحاج المصرى وزودها بالماء والطعام لفقراء الحجاج ومساكينهم وأوقف عليها أوقافا وأشار المحبى الى أن هذه السحابة مازالت مستمرة حتى عصره (٣).

ومن هذه الاصلاحات أنه كسى الحجرة النبوية الشريفة وبعث لها بشبابيك من الفضة المحلاة بالذهب وأن ترسل الشبابيك القديمه اليه (٤).

---

(١) محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ص ١٠٥ وأنظر :
يوسف أحمد : المحمل والحج ص ٨٢ .
(٢) محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٧٥ .
(٣) المحبى : خلاصة الأثر جـ ١ ص ٢٩٠ .
(٤) المصدر نفسه : نفس الجزء ص ٢٨٨ .

وفى سنة ١٠٢٣ هـ أمر السلطان أحمد بتجديد عمارة العلمين اللذين هما حدّ الحرم من جهة عرفه وتم ذلك على يد حسن باشا المعمار[(١)].

وفى سنة ١٠٢٤ هـ أمر السلطان أحمد بتجديد عمارة مسجد البيعة بالقرب من منى[(٢)].

وفى سنة ١٠٢٤ هـ أيضا بعث السلطان أحمد بفصين من الألماس للحجرة النبوية الشريفة بلغت قيمتهما حوالي ٨٠ ألف دينار لوضعهما فوق الكوكب الدّرى وهذا الكوكب الدّرى عبارة عن مسمار من الفضة المموهة بالذهب مثبت فى رخامة حمراء[(٣)] من استقبله كان مستقبلا الوجه النبوى الشريف[(٤)].

ومن اصلاحات السلطان أحمد أنه بعث فى سنة ١٠٢٥ هـ بشبك من النحاس يوضع داخل بئر زمزم ليمنع من وقوع أحد من الناس بها[(٥)].

ويذكر العصامي أن هذا الشبك سرعان ما أزيل لما قيل ان ماءزمزم قد تغير طعمه بسببه[(٦)]، وفى هذه السنة وهى سنة ١٠٢٥ هـ أمر السلطان أحمد بترخيم المطاف الشريف[(٧)].

ومن أهم اصلاحات السلطان أحمد أنه جعل وقفا لأهل الحرمين الشريفين يجمع

---

(١) محي الدين الطبرى : الأرج المسكي ورقة ١١ وأنظر :
المحبى : خلاصة الأثر جـ ١ ص ٢٨٨.
(٢) محي الدين الطبرى : المصدر السابق ورقة ٢٢.
(٣) لمزيد من التفاصيل عن هذا المسمار الذى يعرف بالكوكب الدّرى وموضعه وأول من وضعه أنظر : السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٧٤.
(٤) المحبى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٨٨.
(٥) العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٣٩٨ وأنظر :
ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٩٩ ويلاحظ أن باسلامه قد أشار الى أن أول من أورد خبر هذا الشبك هو ابراهيم رفعت وأنه ربما نقله عن مرآة مكة التركية لأيوب صبرى والحقيقة أن أول من أشار الى هذا الشبك هما عبد الملك العصامي وابن فضل الله الطبرى كما ذكرنا ذلك أعلاه.
(٦) العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٤٠٠.
(٧) السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٧٧.

مغله في كل سنة ويرسل اليهم صحبة ركب الحاج المصرى (١) .

وقد علق محي الدين الطبرى (ت ١٠٧٠ هـ) على وقف السلطان أحمد هذا بأنه خاص بعلماء مكة وقضاتها ومشائخها وغيرهم من أعيان مكة بقوله :

" الى أن كان زمن مولانا السلطان أحمد بن محمد فوقف على أهل الشعائر بالحرمين جهات بمصر تحمل مغلاتها وتقسم عليهم وهو الصّر المعروف بالأحمدية وهو مستمر الى الآن فغالب أهل الشعائر انما هم به حيث يصل اليهم ويقسم عليهم قبل صعودهم الى عرفات (٢) .

ويذكر العصامي أن مال الأحمدية أو ما يعرف بصّر الأحمدية قد خصصه السلطان أحمد لأهل مكة عوضا عما كان يتحصل من بندر جدّه لانقطاع المراكب الهندية (٣) .

كما أوقف السلطان أحمد بعض القرى بمصر على خدام الحرمين الشريفين زيادة في مرتباتهم وعلوفاتهم ويعلّل المحبّى سبب تخصيص وقف لخدام الحرمين الشريفين بأن ماكان يصرف لخدام الحرمين من مرتبات وعلوفات قبل ذلك كان يصرف على حكم النصف فأوقف السلطان أحمد هذه القرى زيادة في مرتباتهم (٤) .

---

(١) محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٩٠ وأنظر :
العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، المحبى : خلاصة الأثر جـ ١ ص ٢٩٠ ، ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٩٨ .

(٢) محي الدين الطبرى : المصدر السابق ورقة ٩١ .

(٣) العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ١٠٣ . وأنظر :
السنجارى : منائح الكرم ورقة ٢٨١ .

(٤) المحبى : خلاصة الأثر جـ ١ ص ٢٩٠ ولزيادة التفاصيل عن هذه الأوقاف وما كانت تدرّه من مبالغ وما تعرضت له هذه المبالغ من زيادة ونقصان ثم مآل اليه أمر هذه الأوقاف أنظر :
المحبى : المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٩٠ وأنظر :
حسين أفندى الروزنامجي : ترتيب الديار المصرية ص ٤٦ وما بعدها وأنظر أيضا :
مصطفى محمد رمضان : " وثائق مخصصات الحرمين الشريفين ابان العصر العثماني" مصادر تاريخ الجزيرة جـ ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٧ .

ومهما يكن من أمر اصلاحات السلطان أحمد الأول بالحرمين الشريفين فـإن ما يهمنا هنا بصفة خاصة هو تعميره لعين عرفات كما هو وارد بالنص موضوع هـذه الدراسة .

والواقع أن هذا الاصلاح والتعمير لعين عرفات الذى أمر به السلطان أحمـد وتم فى سنة ١٠٢٥ هـ - كما هو وارد بالنص - لم يتحدث عنه أحد من المؤرخين بالتفصيل بل لقد اكتفى محي الدين الطبرى (ت ١٠٧٠ هـ) بالاشارة الى ذلك بقوله : " وعمّر العين أحسن عمارة "[1] دون ايضاح لنوع هذا الاصلاح أو التعمير كما أن العصامي قد اقتصر على القول بأن " اتفق عمل ذلك وأتمه "[2].

الا أن النص موضوع الدراسة قد حدد مواقع التعمير والاصلاح بقوله فى السطر الأول : " من أول وادى نعمان الى بلد الله ذى الأمن والأمان " مما يدل علـى أن التعمير والاصلاح قد بدأ من أول وادى نعمان[3] الى أن وصل الى مكة المشرفة .

والراجح أن هذا الاصلاح قد اقتصر على اصلاح مجرى العين ابتداء مـن وادى نعمان الى داخل مكة المشرفة فقط لأن محي الدين الطبرى أشار الى أن مجارى عين عرفه وعين حنين وهي ما عبّر عنها " بالدبول " كانت تصلح من حين لآخر مـن قبل الملوك والسلاطين وأورد خبر اصلاح عين عرفه فى عهد السلطان أحمد بعـد ذلك مباشرة على يد حسن باشا المعمار[4].

وهناك عبارة أوردها ابراهيم رفعت قد ترجح ما ذهبنا اليه من أن هـذا التعمير قد اقتصر على اصلاح مجرى العين فقط وهى قوله : " وقد حصل بعـد ذلك فى العين ومجاريها تعميرات فى سني ١٠١٩ هـ ، ١٠٢٠ هـ ، ١٠٢٥ هـ "[5].

---

(١) محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٢٨ .
(٢) العصامي : سمط النجوم ج ٤ ص ٣٩٧ .
(٣) سبق أن تحدثنا عن وادى نعمان هذا وأوضحنا بدايته ونهايته فى عدة مواضع من هذه الرسالة .
(٤) محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٢٨ .
(٥) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٢٠ .

ويبدو أن هناك اختلافا بين المؤرخين الذين أشاروا الى عمارة عين عرفه في عهد السلطان أحمد وبين النص موضوع الدراسة حول السنة التى تمت فيها عمارة عين عرفات فبينما يذكر محي الدين الطبرى صراحة أن حسن باشا المعمار وصل الى مكة سنة ١٠٢٣ هـ لعمارة العين[1] نرى أن العصامي (ت ١١١١ هـ) يشير الى أن حسن باشا المعمار وصل الى مكة فى ذى الحجة سنة ١٠٢٠ هـ ومعه ميزاب الكعبة وأنه توجه الى عمارة العين بعد رجوع الحجاج الى أوطانهم فى هذه السنة[2] كما نلاحظ أن النص موضوع هذه الدراسة قد جعل تعمير عين عرفات سنة ١٠٢٥ هـ .

والراجح أن تعمير عين عرفه واصلاحها فى عهد السلطان أحمد قد حدث أكثر من مرة بدليل ما أشار اليه ابراهيم رفعت من أنه حصل لعين عرفه ومجاريها تعميرات فى سنوات ١٠١٩ هـ ، ١٠٢٠ هـ ، ١٠٢٥ هـ .[3] بل يحتمل أن يكون حسن باشا المعمار قد بدأ العمل فى عمارة عين عرفه فى سنة ١٠٢٣ هـ حسب ما أورده محي الدين الطبرى كما أشرت فى السابق ولم ينته العمل منها الا فى سنة ١٠٢٥ هـ وهي السنة التى وردت بالنص موضوع الدراسة خاصة اذا علمنا أن النصوص التأسيسية تؤرخ فى أغلب الأحيان لتمام العمارة وليس لبدايتها . وبالله التوفيق.

. . . . . .

---

(١) محي الدين الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٢٨ .
(٢) العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٣٩٧ .
(٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٢٠ .

لوحة رقم (٤٥)

المكان	:	متحف آثار الحرم المكي
الرقم	:	بدون
النوع	:	لوح من الرخام دائرى الشكل
المقاس	:	القطر ٥٥ سم
الخط	:	حجازى لين بارز من نوع الثلث الجلي وحجازى مزوى بارز من النوع الذى اشتهر بالكوفي .
عدد الأسطر	:	سطران هامشيان يسيران من اليمين الى اليسار فى اتجاه عقرب الساعة .

يوجد بمتحف آثار الحرم المكي الشريف لوح رخامي دائرى الشكل نقش عليه بالخطين الحجازى المزوى البارز الذى اشتهر بالكوفي والحجازى اللين البارز من نوع الثلث الجلي الذى ازدهر فى العصر العثمانى وقد نقش النص بخطيه المزوى واللين بطريقة دائرية على هيئة هامشين يسيران من اليمين الى اليسار فى اتجاه عقرب الساعة ويحصر النص بداخله زخارف هندسية تتألف من أشكال سداسية الأضلاع تحصر داخلها شكل زخرفي على هيئة نجمة مثمنة الأضلاع وتكوّن هذه النجمة المثمنة مع الأشكال الهندسية السداسية جامه أو صرّه تتصل بها آلفات النص ولاماته بحيث تمثل نهايات زخرفية لها تشكل فى مجموعها وحدة زخرفية متكاملة .

ولم يشر أحد من المؤرخين والباحثين لهذا النص خاصة ابراهيم رفعت وباسلامه اللذان أوردا كثيرا من النصوص فى داخل الحرم وخارجه كما آن السنجارى الذى أشار الى النص التأسيسي المؤرخ بعام ١٠٧٣ هـ لم يشر الى هذا النص الذى يحتوى على البسملة وسورة الاخلاص .

والراجح آن هذه البسملة والسورة القرآنية قد جعلت افتتاحية للنص التأسيسي المؤرخ بعام ١٠٧٣ هـ والذى سوف نتحدث عنه فى الصفحات القادمة فنقشت على لوحة مستقلة ونقش النص التأسيسي على لوحة مستقلة آخرى لأن اسلوب الخط وطريقة التنفيذ ونوع اللوح ومقاسه فى هذا النص يتفق تماما مع النص التأسيسي ولا يختلفان فى شيء سوى محتوى النص فى كل منهما ، ونقش هذا النص بطريقة دائرية بينما نقش

النص التأسيسي بطريقة أفقية ربما أراد المنقش من خلالها لفت نظر القارىء الى كل منهمـــا .

" النص "

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ ـ قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .

. . . . . .

لوحة رقم (٤٦)

المكان : متحف آثار الحرم المكي
الرقم : بدون
النوع : لوح من الرخام دائرى الشكل
المقاس : القطر ٥٥ سم
الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث الجلي
عدد الأسطر : أربعة سطور
التاريخ : ١٠٧٣ هـ

يوجد بمتحف آثار الحرم المكي الشريف لوح من الرخام دائرى الشكل نقش بالخط الثلث الحجازى الذى يعرف بالجلي والذى ازدهر فى العصر العثماني .

وقد أشار لهذا النص السنجارى حين تحدث عن كثير من اصلاحات السلطان محمد بن السلطان ابراهيم بن السلطان أحمد ١٠٥٨ هـ - ١٠٩٩ داخل الحرم المكى الشريف وخارجه وذكر أن تاريخ هذه العمائر والاصلاحات قد نقش فى حجر بالنقر وألصق فى جدار مقام الحنفى [(١)] .

والواقع أن ما أشار اليه السنجارى من الاصلاحات المتعددة والكثيرة التى نقش بسببها هذا اللوح يتفق تماما مع ما ورد فى النص موضوع الدراسة اذ ورد فى السطر الأول منه عبارة :
" أمر بتجديد هذه الأماكن الشريفة " مما يدل على أن الاصلاح الذى تم لم يقتصر على مكان واحد وانما لعدة أماكن .

" النص "

١ - أمر بتجديد هذه الأماكن الشريفة
٢ - مولانا السلطان الأعظم محمد خان بن ابراهيم خان
٣ - ؟؟؟؟؟؟؟؟؟ محمد بن مراد
٤ - فى شهر جماد الأولى سنة ١٠٧٣هـ .

---

(١) السنجارى : منائح الكرم ورقة ٣٣٨ .

وقد ورد في النص اسم " السلطان محمد خان بن السلطان ابراهيم خان " وهو السلطان محمد بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن مراد بن سليم بن السلطان سليمان القانوني ولد في سنة ١٠٤٩ هـ[(١)] وتولى السلطنة وعمره تسع سنوات بعد خلع والده السلطان ابراهيم في السادس عشر من رجب سنة ١٠٥٨ هـ[(٢)] وظل في الحكم مايزيد على احدى وأربعين سنة الى أن خلع من السلطنة في الثاني من محرم سنة ١٠٩٩ هـ[(٣)] وبقي معزولا الى أن أدركته الوفاة في الثامن من ربيع الآخر سنة ١١٠٤ هـ (الموافق ١٧ ديسمبر ١٦٩٢ م)[(٤)] وقد بلغ من العمر ثلاثا وخمسين سنة.

وكان للسلطان محمد بن ابراهيم اصلاحات كثيرة بالحرمين الشريفين وغيرها من جهات الجزيرة فمن هذه الاصلاحات هدم قبة الفراشين[(٥)] واعادة بنائها من جديد

---

(١) العصامي : سمط النجوم العوالي ج ٤ ص ١٠٨ ويلاحظ أن محمد فريد بك قد أورد تاريخ ولادته بشهر رجب سنة ١٠٥١ هـ ويذكر أيضا أن السلطان محمد بن ابراهيم قد ولي السلطنة وهو لم يتم السابعة من عمره - أنظر: تاريخ الدولة العثمانية ص ١٢٩ - وأنظر: السيد عبد المؤمن السيد أكرم : أضواء على تاريخ توران ص ١٨٤.

(٢) المحبي : خلاصة الأثر ج ١ ص ١٥ - وأنظر: العصامي : المصدر السابق نفس الصفحة ، وقد جعل محمد فريد بك تاريخ تولية السلطنة يوم ١٨ رجب من نفس السنة - أنظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١٢٩.

(٣) العصامي : المصدر السابق ص ٧٥٢.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن حياة السلطان محمد بن ابراهيم - أنظر: محمد فريد بك المحامي : الدولة العلية العثمانية ص ١٢٩ - ١٣٩ ، السيد عبد المؤمن السيد أكرم : أضواء على تاريخ توران ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، د. علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ص ١٠٥ - ١٠٧.

(٥) قبة الفراشين كانت تقع بين بئر زمزم وسقاية العباس في الناحية الشرقية من المسجد الحرام وقد بنيت هذه القبة منذ وقت مبكر ربما يرجع الى القرن الثالث الهجري وكان يحفظ بها الأشياء الموقوفة من مصاحف وغيرها من فوانيس وشمع وما يتعلق بمصالح المسجد الحرام - أنظر: الفاسي :شفاء الغرام ج ١ ص ٢٤٢ ، ابن ظهيرة القرشي :الجامع اللطيف ص ٢١٥ ، الأسدي : اخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ص ١٥٨ ، ١٥٩.

سنة ١٠٦٣ هـ[1] ويشير العصامي (ت ١١١١ هـ) الى أن قاضي المالكية فى ذلك الوقت قد أرخ عمارتها بقصيدة منها بيت التاريخ وهو قوله :

عمّرها		سلطاننا		محمد
٣١٦	+	٢٠١	+	٩٢

المالك		السامي		العلى		الأوحد	
١٢١	+	١٤٢	+	١٤١	+	٥٠	= ١٠٦٣ هـ

ويضيف العصامي بقوله " وان أردت تاريخها - أى قبة الفراشين - باعتبار تمام البناء كله فى سنة أربع وستين فقل المالك بزيادة الألف على كلمة الملك ".[2]

ومن هذه الاصلاحات تجديد قلعة تبوك سنة ١٠٦٤ هـ والتى كان قد أنشأها جدّه السلطان سليمان القانوني .

ولم يشر المؤرخون الى تجديد هذه القلعة وانما توصلت الى معرفة ذلك عن طريق النقش القائم حتى الآن فوق بوابة القلعة المذكورة مؤرخ بعام ١٠٦٤ هـ وسوف أقوم بنشره لأول مرة فى الفصل الخاص بالدراسات المقارنة للنصوص فى العصر العثماني باعتبار هذا النقش يتميز بتأثيرات المدرسة العثمانية فى الكتابات والتى اهتمت اهتماما بالغا بالخط الثلث الجلي الذى ازدهر على يد العثمانيين .[3]

ومن اصلاحات السلطان محمد بن ابراهيم تعمير عين عرفه سنة ١٠٦٦ هـ اذ يشير السنجارى (ت ١١٢٥ هـ) الى أن عين عرفات قد انقطعت عن الجريان وتعب الناس من قلة الماء حتى بلغ ثمن قربة الماء أربعين درهما فأمر السلطان محمد بن ابراهيم والى جدّه آنذاك محمد بيك بعمارتها فقام بتنظيف مجاريها واصلاح ما تهدم منها الى أن وصل ماؤها مكة مرة أخرى.[4]

---

(١) يلاحظ أن السنجارى قد أورد عمارة هذه القبة بسنة ١٠٦٥هـ - أنظر : منائح الكرم ورقة ٣٣٨ .

(٢) العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

(٣) أنظر ص ٥١١ ، ٥١٢ من هذه الرسالة .

(٤) السنجارى : منائح الكرم ورقة ٣٣٨ .

ويبدو أن هذا التعمير أو الاصلاح لم يدم طويلا اذ سرعان ما أعيد تعميرها واصلاحها في سنوات مختلفة بعد ذلك ابتداء من سنة ١٠٨٣ هـ الى سنة ١٠٩٣ هـ (١) فقد اشار ابراهيم رفعت الى أنه رأى لوحا من الرخام ثبت بجبل الرحمة على يمين الصاعد اليه يؤرخ لاصلاح وتعمير هذه العين سنة ١٠٨٤ هـ وقرأ نصه على النحو التالي :

" يامحمد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حق حمده على أفضاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أمر حضرة السلطان الأعظم والخاقان الأفخم مولى ملوك العرب والعجم السلطان الغازي محمد خان ابن السلطان ابراهيم خان عز نصره أجرى عين عرفات وتعمير أبنيتها واتصاله الى الحرم المنيف بفضله تعمرت سنة أربع وثمانين وألف ١٠٨٤ هـ من هجرة من له العز والشرف على يد عمدة أعيان الدولة الحاج علي أغا بن مصلي قهوجي باشا السلطان كان الله له ووفقه لمرضاة الله ".

ويذكر أن هناك كلمتان لم يتمكن من قراءتهما (٢).

ومن اصلاحات هذا السلطان تجديد سقف الكعبة سنة ١٠٧٠ هـ ولم يشر المؤرخون الى هذا التجديد الا أن الأستاذ أحمد السباعي قد ذكر أنه تم اصلاح سقف الكعبة المشرفة لأن احدى أخشاب سقف الكعبة قد انكسرت وتم اصلاحها سنة ١٠٧٣ هـ (٣).

والواقع أن هذا التاريخ الذي أورده الأستاذ السباعي غير دقيق لأن بعض الباحثين الذين أتيح لهم دخول الكعبة المشرفة رأوا نصا منقوشا بالحائط الغربي يذكر صراحة أن اصلاح سقف الكعبة المشرفة قد تم في سنة ١٠٧٠ هـ ومن هؤلاء الباحثين البتنوني وابراهيم رفعت وباسلامه فقد أورد البتنوني هذا النص على النحو التالي :

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٢١ .
(٢) المرجع نفسه : نفس الصفحة .
(٣) السباعي : تاريخ مكة جـ ٢ ص ٤٨٣ .

" أمر بتجديد سقف البيت الشريف وجميع داخل الحرم وخارجه مولانا السلطان بن السلطان محمد خان سنة سبعين وألف "[(١)].

أما ابراهيم رفعت فقد أورد النص على نحو ما أورده البتنوني الا أنه جعل تاريخه رقما بينما أورده البتنوني كتابة[(٢)].

ويلاحظ أن باسلامه قد أورد النص على نحو ما أورده البتنوني أيضا الا أنه زاد عن البتنوني بعبارة دعائية تسبق النص التأسيسي هي " ربنا تقبل منا "[(٣)].

ومن هذه الاصلاحات ما أشار اليه النص موضوع الدراسة المؤرخ بعام ١٠٧٣ هـ بطريقة موجزه بقوله " أمر بتجديد هذه الأماكن الشريفة ".

وهي الأماكن التى ذكرها بعض المؤرخين بشيء من التفصيل مثل العصامي والسنجارى وابن فضل الله الطبرى (ت ١١٧٣ هـ ") ولكن يلاحظ اختلاف هؤلاء المؤرخين حول السنة التى عمرت فيها هذه الأماكن التى أشار اليها النص موضوع الدراسة .

فالعصامي أورد تاريخ تجديدها واصلاحها بسنة ١٠٧٤ هـ[(٤)] بينما نرى السنجارى قد أشار الى أن سليمان بك عيّن صنجقا على جدّه وأسندت اليه مشيخة الحرم ونظارته وجاء ومعه الأوامر بتعمير هذه الأماكن سنة ١٠٧٢ هـ دون اشارة الى انتهاء تاريخ عمارة هذه الأماكن وانما تحدث عن هذه الأماكن التى عمّرت واكتفى بالقول بأنه كتب تاريخ هذه العمائر فى حجر بالنقر وألصق فى جدار مقام الحنفى[(٥)].

والمؤرخ الوحيد الذى أورد تاريخ تجديد هذه الأماكن التى أشار اليها النص ايرادا صحيحا هو ابن فضل الله الطبرى وهو عام ١٠٧٣ هـ[(٦)].

---

(١) البتنوني : الرحلة الحجازية ص ١٠٧

(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٦٦

(٣) باسلامه : تاريخ الكعبة المعظمة ص ١٤١

(٤) العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٤٧١ وأنظر : أحمد زيني دحلان: خلاصة الكلام ص ٧٩ .

(٥) السنجارى : منائح الكرم ورقة ٣٣٨

(٦) ابن فضل الله الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ١٠٨

أما هذه الأماكن التي جددت ورممت فهي ترميم المسجد الحرام ودهن قبابه بالنورة ظاهرا وباطنا وتجديد قبة زمزم وقبة مقام الخليل عليه السلام ونقشها بأنواع الأصبغة وتعمير مقام الحنفي وبناؤه بالحجر المنحوت المعروف بالشميسي ونقش بقية المقامات وزخرفتها وجعل أعلاها مصفحا بالرصاص وترميم مآذن المسجد الحرام ودهن علم المسعى ووضع ثمانين قنديلا بين الصفا والمروة تضاء في كل يوم من شهر رجب وشعبان ورمضان وانشاء سبيل بالمسعى وترميم مسجد نمره ومسجد مزدلفة ومسجد الخيف بمنى وتجديد قبة جبل الرحمة وتجديد اعلام حدود الحرم واعلام الجمرات وغير ذلك.(١)

ويذكر السنجاري وأحمد دحلان أن الذي أمر بعمارة هذه الأماكن واصلاحها هو الآغا محمد كزلار السلطان محمد بن ابراهيم.(٢)

ومن الاصلاحات التي تمت في عهد السلطان محمد بن ابراهيم اصلاح وترميم حجر اسماعيل عليه السلام سنة ١٠٧٣ هـ وقد اورد خبر هذا الاصلاح ابراهيم رفعت من واقع النص التأسيسي الملصق بحائط الحجر الغربي والمؤرخ بعام ١٠٧٣ هـ ويلاحظ أنه لم يورد النص وانما أشار اليه فقط.(٣)

ومما أصلح في عهد السلطان محمد بن ابراهيم فرش أروقة المسجد الحرام بالحجر المنحوت واجراء عين جدّه والتي استمر العمل بها ثلاث سنوات وانشأ مسجدا وحماما ووكالة بها وذلك سنة ١٠٩٤ هـ.(٤)

---

(١) العصامي : سمط النجوم جـ ٤ ص ٤٧١ وأنظر :
السنجاري : منائح الكرم ورقة ٣٣٨ وأنظر أيضا : ابن فضل الله الطبري : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ١٠٨.

(٢) السنجاري : المصدر السابق ورقة ٣٣٨ ، ٣٣٩ وانظر: أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص ٧٩.

(٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨.

(٤) العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٥٤٥.

كما جرى فى عهد هذا السلطان ابطال بعض المنكرات التى أحدثت بمكة سنة ١٠٨٢ هـ مثل ابطال الضرب بالدفوف فى الزوايا ومنع النساء من الخروج ليلة المولد النبوى الشريف وكان الساعي فى ابطالها الشيخ محمد بن سليمان المغربي المتوفى سنة ١٠٩٤ هـ .(١)

وفى سنة ١٠٨٦ هـ أنشئت تكية للفقراء بمكة وسوف أتحدث عنها فى الصفحات القادمة من واقع النص الذى كان منقوشا على واجهتها وحفظ فى الوقت الحاضر بمتحف آثار الحرم المكي .(٢)

وفى سنة ١٠٨٥ هـ ورد معمار من جهة الخاصكية والدة السلطان محمد بن ابراهيم لعمارة مارستان بمكة فاختير له مكان دكاكين لبعض أشراف مكة بالجانب الشرقي من المسجد الحرام وبذلت لهم أثمانها وبدأ الهدم بهذه الدكاكين فى ذى الحجة من نفس السنة .(٣)

وتم انشاء هذا المارستان فعلا سنة ١٠٨٦ هـ لأن هناك نصا كان منقوشا على باب هذا المارستان (مستشفى) أشار اليه ابراهيم رفعت دون أن يقرأه وأطلق على هذا المارستان اسم مستشفى الغرباء والفقراء .(٤)

ويلاحظ أن البتنوني قد أشار اليه وأنه كان يعرف فى عصره باسم " شفخانة الخاصكية " ولكنه أخطأ حين نسبه الى خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني(٥) والصواب أن الذى أمرت بانشائه هي والدة السلطان محمد بن ابراهيم سنة ١٠٨٦ هـ .

. . . . . .

---

(١) العصامي : سمط النجوم العوالي جـ ٤ ص ٥٢٥ ، ٥٤٢ .
(٢) أنظر ص ٤٥١ من هذه الرسالة
(٣) السنجاري : منائح الكرم ورقة ٣٧٧ .
(٤) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ١٨٤ .
(٥) البتنوني : الرحلة الحجازية ص ٦٤ .

لوحة (٤٧)

المكان : متحف آثار الحرم المكي
النوع : لوح من الرخام مستطيل الشكل
الرقم : بدون
المقاس : ٨٥ × ٣٣ سم
التاريخ : ١٠٨٦ هـ
عدد الأسطر : أربعة سطور نقشت داخل جامات مستطيلة ومفصصة تختلف في حجمها فأكبر هذه الجامات يشغلها السطر الأول الذى نقش داخل جامة على هيئة محراب مدرج وأصغر هذه الجامات هي التي يشغلها السطر الرابع الذى يحمل تاريخ النص .

ويحيط بالنص من أعلاه زخارف نباتية من نوع " الرومي " كما يحيط بالنص من جانبيه الأيمن والأيسر اطار زخرفي على هيئة ضفائر مجدولة أو حلقات متصل بعضها ببعض على هيئة سلاسل .

الخط : حجازى لين بارز من نوع الثلث .

والنص هو عبارة عن آية قرآنية من سورة الانسان على النحو التالي :

١ - قال الله تعالى
٢ - ويطعمون الطعام على
٣ - حبّة مسكينا ويتيما وأسيرا (١)
٤ - سنة ١٠٨٦ هـ

وقد أشار لهذا النص ابراهيم رفعت وذكر أن هذا النص قد سطّر بواجهة تكية السيدة فاطمة رضي الله عنها (٢) وربما قصد بذلك أن التكية قريبة من المكان المعروف بمولد السيدة فاطمة بالناحية الشرقية من المسجد الحرام فنسبت اليها ولم يذكر عن هذه التكية أكثر مما أشرنا اليه الا أن السنجارى المتوفى سنة ١١٢٥ هـ أشار الى أنه ورد في سنة ١٠٨٥ هـ معمار من جهة الخاصكية (أى والدة السلطان أو زوجته) لعمارة

---

(١) آية رقم (٨) .
(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ١٨٦ .

دار الشفاء ومارستان ودشيشة فأختير لها بعض دكاكين لبعض أشراف مكة فبذلت لهم أثمان وافرة وشرعوا في الهدم والحج بمكة .[١]

ولكنه لم يشر الى متى انتهت عمارة دار الشفاء هذه والدشيشة ولكن من المؤكد أنها انتهت في سنة ١٠٨٦ هـ كما ورد بالنص كما أن ابراهيم رفعت أشار الى دار الشفاء التي عمرت في هذه السنة وأطلق عليها اسم " مستشفى الغرباء والفقراء " وأنه أنشئ في سنة ١٠٨٦ هـ كما هو مكتوب عليه زمن السلطان الغازي محمد خان الرابع كما قام بزيارة هذا المستشفى في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣١٨ هـ ووصف الحالة السيئة التي كان عليها .[٢]

ويلاحظ أن ابراهيم أشار الى أنه كان بمكة ثلاث تكايا أهمها التكية المصرية التي أنشأها محمد علي باشا والي مصر سنة ١٢٣٨ هـ ووصفها وصفا مفصلا ، أما التكايا الأخرى فأشار الى أنه لم يزرها لأنه لا يأوى اليها أى فقير[٣] ومنها تكية والدة السلطان محمد الرابع التي كان منقوشا على واجهتها هذا النص موضوع الدراسة مما يشير الى أنها قد آلت للخراب منذ أوائل القرن الرابع عشر ولم يشر المؤرخون الى تاريخ هدمها وازالتها وان كان يبدو أنها قد أزيلت ضمن التوسعة الضخمة للمسجد الحرام وما يحيط به من ميادين سنة ١٣٧٥ هـ ونقل هذا النص بالتالي مع مجموعة النصوص التي تخلفت عن الهدميات الى متحف آثار الحرم المكي الشريف حيث أتيحت لي الفرصة للاطلاع على هذا النص وتصويره ونشره هنا في هذه الرسالة .

. . . . . .

---

(١) السنجاري : منائح الكرم ورقة ٣٧٧ .

(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ١٨٤ .

(٣) المرجع نفسه : ص ١٨٣ .

تحليل

نص السلطان أحمد الأول الخاص بتعمير عين عرفات المؤرخ بسنة ١٠٢٥ هـ ونصوص السلطان محمد بن ابراهيم المؤرخة بسنتي ١٠٧٣هـ ، ١٠٨٦هـ

لوحات (٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧)

١ - نقشت جميع هذه النصوص بالخط الحجازى اللين البارز من نوع الثلث الجلي الذى ازدهر فى العصر العثماني واستطاع الخطاط الحجازى أن يتكيف مع هذه التحسينات الجديدة التى أدخلها العثمانيون على الخط الثلث وحققوا معنى الجلي ولكن يلاحظ أن هناك تفاوتا فى مستوى الكتابه بين هذه النصوص على الرغم من جودة خطها فالخطاط الذى نقش نص عين عرفة المؤرخ بسنة ١٠٢٥هـ وكذلك الذى نقش نص السلطان محمد بن ابراهيم المؤرخ بسنة ١٠٧٣ هـ لم يوفقا كل التوفيق فى توزيع الكلمات فى هذين النصين كما جاءت الكلمات متزاحمة فى السطر الواحد فضلا أنهما لم يضعا معدلا معينا لحجم الكلمات فجاءت بعض الكلمات أصغر فى حجمها من بقية النص كما هو الحال فى نص عين عرفة المؤرخ بسنة ١٠٢٥ هـ بل ان الكلمات فى السطر الأول من النص جاءت أكبر حجما من كلمات السطر الثاني وجاءت كلمات السطر الثاني أكبر حجما من كلمات السطر الأخير كما أن رسم بعض الحروف فى نص السلطان محمد بن مراد المؤرخ بسنة ١٠٧٣ هـ يختلف عن رسمه فى خط الثلث الجلي العثماني مثل حرف " الدال " الثانية فى كلمة بتجديد حيث رسمت على هذا النحو " لـد " وكذلك حرف " النون " فى كلمة " الأماكن " فى السطر الأول التى وردت على هذا النحو " كن " كما أن حرف الكاف فى هذه الكلمة جاء متصلا باللام ألف وأستخدم الألف الوسطي فى أكثر من موضع فجعلها حرف مدّ تابع للميم كما جعلها جزءًا قائما لحرف الكاف .

وورد حرف الهاء النهائية فى نفس السطر فى كلمة " الشريفة " على هذا النحو " لفه " واتصل أسفل هذه الهاء بحرف الراء .

كما جاءت كلمة " في " في السطر الأخير بشكل بدائي لا يتناسب مع الجهود التي بذلت في سبيل اتقان الخط الثلث ولاسيما الجلّي منه حيث وردت على هذا النحو " ... " وكذلك الحال بالنسبة لحرفي " الهاء " في كلمة " شهر " و " الياء " في كلمة " الأولى " حيث وردت الياء النهائية هنا شبيهة بالكاف على هذا النحو " ... " .

وعلى العكس من كل ذلك ورد نص التكية المؤرخ بسنة ١٠٨٦ هـ حيث أتقن الخطاط كتابة هذا النص بحيث يمكن أن نعتبره من أجمل النماذج ليس في الحجاز فحسب بل وفي خارج الحجاز .

والواقع أن مثل هذا التفاوت يوضح أن هناك تفاوتا في مستوى الخطاطين الحجازيين الذين كتبوا هذه النصوص من حيث جودة الخط مما يدل على أن الحجاز قد اعتمد على خطاطيه المحليين ولم يستقدم خطاطا من خارج الحجاز لأنه لو أستقدم خطاطين من خارج الحجاز لأدى ذلك الى وحدة المستوى الفني لهذا الخط .

٢ - يلاحظ أن الخطاط الحجازى قد استخدم الهوامش في هذه النصوص ولكنه لم يحسن التوزيع في بعضها مثل هوامش نص عين عرفة المؤرخ بسنة ١٠٢٥هـ حيث جاءت في نفس مستوى السطر الأخير من النص وليست نازلة عنه مما جعله يفصل بين هذه الهوامش وبين بقية النص بخرطوش مستطيل مدبب الأطراف مما يدل على الطابع المحلي الذى تميز به هذا النص فضلا عن أن الهوامش قد ظهرت في النصوص الحجازية منذ القرن الثالث الهجرى كما سبق أن أشرنا الى ذلك في أكثر من موضع .

٣ - أستخدم الخطاط الحجازى في نص السلطان محمد بن ابراهيم غير المؤرخ الخط المزوى في كتابة البسملة والحقيقة أن الخطاط الحجازى قد أستخدم هذا النوع في العصر العثماني على نطاق ضيق جدا فلم نعثر له على مثيل لهذا النص فيما عرضت له من النصوص بالدراسة والتحليل في هذه الرسالة ولكن يلاحظ أن استخدام الخطاط الحجازى لهذا النوع من الخط في كتابة البسملة يعتبر أمرا مألوفا فقد كتبت البسملة بهذا النوع من الخط في الحجاز منذ أوائل

القرن التاسع الهجرى كما هو الحال فى نص الخراطيش الخاص بعمارة السلطان فرج بن برقوق للمسجد الحرام سنة ٨٠٤ هـ .

٤ - كتبت جميع هذه النصوص على ألواح من البازلت أو الرخام ولم يستخدم بلاطات القاشاني كمادة لتنفيذ كتاباته كما فعل الخطاط العثماني فى خارج الحجاز مما يدل على أن الحجاز قد أعتمد على الخطاطين المحليين وعلى المواد المتوفرة فى منطقته .

٥ - وردت تواريخ هذه النصوص بالكلمات كما هو الحال فى نص عين عرفة المؤرخ بسنة ١٠٢٥ هـ أو بالأرقام الهندية كما هو الحال فى نصوص السلطان محمد بن ابراهيم المؤرخة بعامي ١٠٧٣ هـ ، ١٠٨٦ هـ ولم ترد بحساب الجمل التى توسع الخطاط العثماني فى استعمالها مما يدل على أن الخطاط الحجازى على الرغم من استيعابه للأساليب المتطورة لخط الثلث الا أنه كان له طابعه الخاص الذى يميزه وخاصة فى كتابة تواريخ نصوصه وخاصة النصوص التى حافظت فى تواريخها على الطابع التقليدى الذى يكتب بالكلمات .

. . . . . .

الفصل الثالث:

أولاً: دراسة مقارنة للكتابات والنقوش الحجازية مع غيرها
في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (١٤ - ١٥م)

ثانياً: دراسة مقارنة للكتابات والنقوش الحجازية مع غيرها
من القرن العاشر إلى نهاية القرن الحادي عشر (١٦-١٧م)

الدراسة المقارنة

لنص السلطان الناصر محمد بن قلاوون المؤرخ بعام ٧٢٩ هـ

سبق أن أشرنا عند تحليل نص السلطان الناصر محمد بن قلاوون المؤرخ بعام ٧٢٩ هـ الى أن هذا النص ليس على درجة من الاتقان والجودة كتلك النصوص المعاصرة له فى أقاليم أخرى من العالم الاسلامي وخاصة مصر مركز السلطة المملوكية التى يوجد بها كثير من النقوش التى ترجع الى عهد السلطان الناصر محمد نفسه بعضها نقوش معمارية تأسيسية أو نقوش على بعض التحف سواء النحاسية أو الزجاجية أو الخشبية أو غير ذلك .

كما أشرنا فى السابق الى أن هذا النص الحجازى موضوع الدراسة يشبه فى بعض أساليبه الخط النسخى الأيوبى مما يمكن معه أن نقول ان مدرسة الحجاز الكتابية لم تتأثر بالتطورات الكبيرة والشاملة التى حدثت لخط النسخ ولاسيما النوع المعروف بالثلث فى العصر المملوكي لأن خط الثلث فى هذه الفترة كان قد بلغ درجة كبيرة من الاتقان وشمل كل ما وقع فى يد الخطاط فى ذلك الوقت من كتابات قرآنية ونقوش معمارية وتحف فنية ومسكوكات ووثائق بل ان الخطاطين فى مصر فى هذه الفترة كانوا قد وضعوا مواصفات ومعايير دقيقة لا يتجاوزها الخطاط أو يقصر دونها وهي المواصفات التى أفاض فى شرحها وايضاحها القلقشندى (ت ٨٢١ هـ) فى كتابه صبح الأعشى فى صناعة الانشا والتى سوف نستفيد منها فى دراستنا المقارنة هذه كلما دعت الى ذلك ضرورة .

والنصوص المصرية التى ستكون ميدان المقارنة مع نصنا الحجازى موضوع الدراسة جميعها ترجع الى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون هي :

١ - نص تأسيسي معمارى منقوش على الجص يقع على مئذنة مدرسة السلطان الناصر محمد بن قلاوون التى عمرها فيما بين سنتى ٦٩٥ هـ الى ٧٠٣ هـ (١٢٩٥ - ١٣٠٤ م) وقد أورد جزءاً منه الأستاذ كريزول CRESWELL (1)

---

1. K.A.C. Creswell: The Muslim archilecture of Egypt Volum II Ayyulids and early bahrilte Mamluks A.D. 1171-1320 Hacker Art Books N.Y. 1978 Plate 88.

أنظر لوحة (٤٨أ) من هذه الرسالة .

ويظهر من النص ما يلى :

" أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين " .

٢ - نص دعائي منقوش على قرص علوى لكرسي عشاء من النحاس المكفت بالفضة والذهب سدس الأضلاع للسلطان الناصر محمد يرجع تاريخ صنع هذا الكرسي لسنة ٧٢٨ هـ - أنظر لوحة رقم (٤٩) من هذه الرسالة .

وقد أورد هذا النص الدكتور زكي محمد حسن على النحو التالي :

" أ - فى وسط القرصة دائرة نقش بها بالخط الكوفي عبارة :

" عز لمولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين ابن السلطان قلاوون " وفى مركز الدائرة كتب بخط الثلث كلمة "محمد" .

ب - وفى أطراف القرصة سداسية الشكل نص كتب على هيئة أشرطة كتابية قسمت الى ست مناطق بخط الثلث بحيث تسير الكتابة فى اتجاه عقرب الساعة النص الآتى :

" عز لمولانا السلطان الملك الناصر العالم العامل المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المنصور سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محي العدل فى العالمين مجير المظلومين من الظالمين ناصر الملّة المحمّدية ناصر الدنيا والدين ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى " .(١)

٣ - نص دعائي وآيات قرآنية على احدى مشكاوات السلطان الناصر محمد الزجاجية المموهة بالمنيا ويرجع تاريخها الى نهاية القرن السابع أو بداية القرن الثامن الهجرى (٢) ، لوحه (٥٠) .

---

(١) زكي محمد حسن : فنون الاسلام - طبعة دار الفكر العربى - الكويت ص ٥٥٥ ، ٥٥٦ وأنظر: كتاب معرض الفن الاسلامي فى مصر - طبع وزارة الثقافة المصرية - ابريل ١٩٦٩م ص ٩٩ لوحة ١٠ .

(٢) زكي محمد حسن : المرجع السابق ص ٦٠٣ ، ٦٠٤ وانظر: كتاب معرض الفن الاسلامي فى مصر ص ٢٤٩ لوحة ٣١ .

وقد اورد الدكتور زكي حسن نصها على النحو التالي :

أ - رقبة المشكاة شأنها شأن كثير من المشكاوات المملوكية حيث تكتب عليها الآية القرآنية الكريمة " الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد " .(1)

ب - كتب على بدن المشكاة النص التالى :

" عز لمولانا السلطان الناصر ناصر الدنيا والدين محمد عز نصره " .(2)

ويجب أن نلاحظ أن الجزء الظاهر فى الصورة من النص هو ما يلى :

١ - بالنسبة للآية الكريمة التى على رقبة المشكاة يظهر من الآية قوله تعالى : " كمشاة فيها مصباح المصباح في " .

٢ - بالنسبة لاسم السلطان والعبارات الدعائية الواردة يظهر منها فى النص قوله : " لناصر ناصر الدنيا والدين " .

مما جعلنى أستعين بلوحات أخرى أوردت أجزاء أخرى من النص مثل الجزء الذى ورد فى شكل ٤٩٩ من كتاب فنون الاسلام للدكتور زكي محمد حسن ص ٦٠٧ .

وبمقارنة هذه النصوص المصرية مع نصنا الحجازى المؤرخ بعام ٧٢٩هـ يتضح ما يلى :

١ - أن النصوص المصرية قد بلغت درجة كبيرة من الاتقان والجودة سواء تلك التى نقشت على العمائر أو التى نقشت على التحف النحاسية أو الزجاجية أو غيرها بحيث يمكن القول انها قد سارت وفق قواعد ومواصفات معينة سواء من حيث ضبط كتابة الحروف واتقانها أو من حيث المعدل الذى اتخذه النقاشون لكتاباتهم بحيث روعي فى ذلك حسن التوزيع واستقامة

---

(1) سورة النور ، آية رقم (٣٥) .

(2) د. زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ٦٠٣ - ٦٠٤ .

السطور على العكس من النص الحجازى الذى يفتقر الى جودة الكتابة واتقانها على الرغم من أنه يعود الى العقد الثانى من القرن الثامن الهجرى مما يرجح أن الخطاط الحجازى لم يتأثر بالأساليب المصرية المتطورة فجاء خطه وفق بيئته المحلية التي لم تتأثر بالمؤثرات الخارجية.

٢ - لقد حدّد الخطاطون المصريون نصوصهم باطارات علوية وسفلية تحدد بداية الحروف ونهاياتها وهو ما يفتقر اليه النص الحجازى موضوع الدراسة كما سبق أن أشرت الى ذلك عند تحليل النص .

٣ - تتميز النصوص المصرية بطولها ورشاقتها على العكس من النقش الحجازى موضوع الدراسة الذى يتميز بقصر حروفه وغلظتها اذا ماقورنت بحروف النصوص المصرية المشار اليها .(1)

٤ - تكثر العبارات الدعائية فى النصوص المصرية وخاصة عبارتى " عز لمولانا " و " عز نصره " وغيرها من العبارات الدعائية وخاصة نص كرسي المشاء الذى يتميز بكثرة الأدعية للسلطان بينما نلاحظ أن النص الحجازى موضوع الدراسة يخلو من هذه العبارات ولكن الملاحظ فى النص الحجازى ظهور لقب على درجة كبيرة من الأهمية لم نجده فى النصوص المصرية وهو لقب " خادم الحرمين الشريفين " الذى قصد سلاطين المماليك من ورائه تأكيد سلطتهم الدينية المستمدة من كونهم خدام حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك لا خفاء أصلهم لأنهم كانوا من الرقيق وهو ما أشرنا اليه عند دراسة الألقاب الواردة فى هذا النص .

٥ - تحدث القلقشندى عن قلم الثلث وذكر أن الألقاب فى هذا القلم تنقسم الى ثلاثة أقسام هي :

---

(1) يلاحظ أن هناك بعض النصوص المصرية التى ظهرت حروفها غليظة مثل النص المنقوش على نافذة الايوان الشمالي الغربى من مدرسة السلطان الناصر محمد . أنظر :
كريزول : العمارة الاسلامية فى مصر ج ٢ لوحة ١٢٤ شكل " د " ، أنظر : لوحة (٤٨ ب) من هذه الرسالة .

أ ـ الألف المطلق .

ب ـ الألف المشعر .

جـ ـ الألف المحرف .

ومثل لكل قسم من هذه الأقسام بمثال :

فالألف المطلق على هذا النحو
والألف المشعر على هذا النحو
والألف المحرف على هذا النحو (١)

والواقع أنه من خلال هذه الأمثلة لكل قسم من أقسام الألفات نلاحظ أن ألفات النصوص المصرية ميدان المقارنة لا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة بينما نجد أن نص السلطان الناصر محمد الحجازى لا تتوفر فيه هذه الأقسام أو الأنواع لحرف الألف الثلث مما يرجح أن ناقشه هو خطاط حجازى لم يتمرس فى كتابة خط الثلث ويجهل كثيرا من قواعده وهو وان كان قد حاول أن يلتزم بذلك فى بعض الألفات مثل الألف فى كلمة " المقام " و " الشريف " فى السطر الأول وفى كلمتي " السلطان " و " الملك " فى السطر الثانى وكلمات " السلطان " و " الملك " و " المنصور " فى السطر الثالث ولكن محاولاته هذه ليست على درجة من الاتقان لأن الألفات فى النص الحجازى ظهرت قصيرة القوائم وغليظة اذا ما قورنت بالنصوص المصرية ميدان المقارنة مما يرجح أن ناقش النص هو خطاط حجازى محلي يجهل الأساليب الكتابية المصرية المتطورة .

أما " الجيم وأخواتها " فيشير القلقشندى الى أنها فى حالة الافراد تأتي على ثلاثة أوجه :

ـ مفرده مرسلة هكذا

ـ ومفردة مسبلة

ـ ومفردة مجموعة (٢)

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٥٩ .

(٢) نفس المصدر ، نفس الجزء ص ٦٣ .

وهو يقصد بالمرسلة تلك التي لا يجوز أن يخرج صدرها عن الخط الموازى لجبهتها كما لا يجوز أن يخرج طرف ذنبها عن الخط الموازى لقفاها بحيث لو نصبت عليها خطوط لناسبت أعاليها أسافلها .[1]

أما المفردة المسبلة فهي لا تختلف عن المرسلة الا من حيث أنها مسبلة الذنب .[2] وقد ظهر هذا النوع بشكل واضح فى نص المشكاة فى كلمتى " مصباح " و " المصباح " ولم يظهر للجيم المسبلة وأخواتها مثيل فى النص الحجازى موضوع الدراسة لأنه لا يوجد به حرف جيم مفردة أو أى من أخواتها .

كما أن الجيم المفردة المجموعة ليس لها مثال فى النص الحجازى أو النصوص المصرية ميدان المقارنة .

أما الجيم وأخواتها التي تأتي فى بداية الكلمة ومركبة مع حرف آخر فهي تنقسم الى قسمين :

١ - الملوزة ولا تكون الا قبل الألف[3] هكذا " حا " وقد ظهر هذا الشكل فعلا فى نص المشكاة فى كلمة " زجاجة " بينما جاءت الجيم التى بعدها مفتوحة هكذا " جـا " مما يؤكد أن الخطاط المصرى كان على معرفة بالقوانين والقواعد التي وضعت لخط الثلث على العكس من الخطاط الحجازى الذى جعل حرف الخاء ملوزا مع غير الألف فى كلمة " ترخيم " فجعل الخاء ملوزه مع أن الحرف الذى جاء بعدها هو حرف ياء وليس ألفا كما أنه لم يعط حرف الخاء حقه من التلويز فى كلمة " خادم " فكان من الواجب عليه اقفالها وعدم فتحها مما يرجح أن الخطاط الحجازى فى هذا النص ليس على دراية بالقواعد التى وضعت لهذا الخط .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٦٣ .
(٢) نفس المصدر ، نفس الجزء والصفحة .
(٣) نفس المصدر ، نفس الجزء ص ٦٤ .

ومن المهم أن نشير الى أن القلقشندى يذكر أن المتأخرين من الكتّاب قد توسعوا في استخدام التلويز لحرف الجيم وأخواتها مع الحروف الشبيهة بالألف كالدّال واللام ألف فتكون بهذه الأشكال :

حل حلا حد (١)

" الدال والذال "

يلاحظ أن الخطاط الحجازى لم يستطع اتقان كتابة حرف الدال المفردة فقد كتبها بهذا الشكل " د " بينما هي تكتب في خط الثلث على هذا النحو " د "(٢) كما أوردها القلقشندى كما أن الخطاط الحجازى قد كتبها في حالة التركيب في كلمة " هذا " في السطر الأول بهذا الشكل " د " كما أوردها في كلمة " محمد " في أول السطر الثالث على هذا النحو . د

أما بالنسبة لحرف الدال المركب فقد ذكر القلقشندى أنه يأتي على عدة وجوه :

أ - الدال المركبة المجموعة هكذا " دل " .
ب - الدال المركبة المبسوطة هكذا " دل " .
جـ - الدال المركبة المخطوفه وهي كالمجموعة الا أنها تخطف بحرف القلم وتختتم بأدق ما تكون عليه النحافه هكذا " دل " .
د - الدال المركبة المقطوفه وهي كالمخطوفه الا أنه يكون لها ذنب صغير بحرف القلم هكذا " دل ".(٣)

وبمقارنة هذه الأشكال بما ورد في كل من النصوص المصرية والنص الحجازى نجد أن الخطاط الحجازى قد جعل شكل حرف الدال في هذا النص أقرب الى خط النسخ منه الى خط الثلث بينما نرى أن النصوص المصرية قد راعت مثل هذا التقسيم لأنواع الدال المركبة فالمبسوطة وردت في نص السلطان الناصر محمد الانشائي الذى سبق أن أشرنا اليه في كلمتى " الدنيا والدين " كما وردت الدال المقطوفة في نص كرسي العشاء في كلمات " المجاهد " ، " المؤيد " ، " محي العدل " ، " المحمدية " " ناصر الدنيا والدين " وفي كلمة " محمد " في الدائرة الصغيرة الوسطى .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٦٥ .
(٢) المصدر نفسه ، نفس الجزء ص ٦٦ .
(٣) المصدر نفسه ، نفس الجزء ص ٦٨ .

ووردت الدال المركبة المجموعة في نص المشكاة فى كلمة " الدنيا والدين ".

" الراء والزاى "

جاءت الراء والزاى فى النص الحجازى موضوع الدراسة وكذلك النصوص المصرية ميدان المقارنة بشكل واحد تقريبا هكذا " ر " .

" السين والشين "

تأتي السين والشين مظهره أى ذات أسنان اذا كانت مفردة هكذا " س "
كما تأتي مظهرة أيضا فى حالة التركيب هكذا " سـ " كما تأتي معلقة أى محذوفة الأسنان اذا كانت فى بداية الكلام هكذا " ســـ " أما اذا كانت متوسطة فالأولى أن تكون ذات أسنان .

ويذكر القلقشندى أن السين يحسن أن تكون معلقة قبل الكاف المشكوله وقبل الألف ولا تكون قبل الصاد والعين والكاف المعرّاه .(1)

وقد وردت فى النصوص المصرية ميدان المقارنة بنوعيها الظاهر المحقق والمعلق ولاسيما فى نص كرسي العشاء بينما وردت فى جميع النص الحجازى موضوع الدراسة معلقة بدون أسنان ، ويلاحظ أنها قد وردت معلقة قبل حرف العين فى كلمة " تسع " وهو ما لا يجوز كما ذكر ذلك القلقشندى مما يرجح أن ناقش النص هو خطاط حجازى يجهل قواعد خط الثلث المتطور آنذاك فى مصر .

ويلاحظ أيضا أن حرف الشين فى كلمة " مشكاه " فى نص المشكاه قد ورد ظاهرا بأسنان مع أن حرف الكاف مشكول وهو جائز وان كان الأفضل أن يأتى معلقا فى هذه الحالة كما أشار الى ذلك القلقشندى وأوردناه فى السابق .

" الصاد والضاد "

ولهما شكل واحد وهو أن تكون مقاربة للتلويز (2) هكذا " ص " " صـ " وقد ظهرت كذلك فى جميع النصوص المصرية بينما هي أقرب الى التدوير فى النص الحجازى

---

(1) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٧١ ، ٧٢ .
(2) المصدر نفسه ، نفس الجزء ص ٧٢ ، ٧٣ .

موضوع الدراسة هكذا " صد " " ــــ " في كلمة " الناصر " في آخر السطر الثاني وكلمة " المنصور " في آخر السطر الثالث .

ويلاحظ أن حرف الصاد جاء متداخلا مع الحروف الأخرى في النصوص المصرية مثل حرف الصاد في كلمة " ناصر " في نص مدرسة السلطان الناصر محمد هكذا " ناصر " وكذلك في نص المشكاه وفي كلمة " الناصر " في نص كرسي العشاء .

" الطاء والظاء "

ظهرت الطاء والظاء في النص الحجازى موضوع الدراسة ذات رأس مائل نحو اليمين بحيث يشبه رأس الكاف هكذا " ط ط " وبعضها منتهية بعنصر زخرفي مثل حرف الطاء والظاء في كلمة " الحطيم ، المعظم " كما أنها غير ظاهرة التلويز على العكس من النصوص المصرية التي وردت رؤوسها على هيئة ألفات مستقيمة ومكتوبة بطريقة متقنة وظاهرة التلويز هكذا " ط " .

ونلاحظ أن الخطاط الذى كتب نص كرسي العشاء قد أخطأ في كتابة " المظلومين " فجعلها بحرف الضاد بدلا من الظاء .

"العين والغين "

يذكر القلقشندى أن العين الوسطى وتعرف بالمربعة على نوعين منورة ومطموسة وتكون في خط الثلث منوره أو محققه وعلامة صحتها أن تلتمس البياض الذى في وسطها فان تناسبت زواياه فهو في غاية الصحة[1] هكذا " ـعـ " .

وأما المطموسة وتسمى المعلقة فلا تكون الا في قلم التوقيعات والرقاع[2] هكذا " ـعـ " وبمقارنة ذلك بالنص الحجازى موضوع الدراسة نجد أن العين الوسطى قد وردت منورة الوسط في كلمات " المعظم " في السطر الثاني و " تسع وسبعماية " في السطر الأخير .

وفي نص كرسي العشاء نلاحظ أنها وردت منورة الوسط أيضا في أكثر الكلمات مثل " العالم " و " العدل " و " العالمين " ولم ترد مطموسة الا في كلمة " العامل " فقط مما يدل على أن الخطاط المصرى كان يراعي قوانين الخط الثلث التى اصطلح

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٧٧ .
(٢) المصدر نفسه ، نفس الجزء والصفحة .

عليها فى مصر الى حد كبير .

والمهم هنا هو أن يكون البياض فى وسط العين متناسب الأبعاد والزوايا فاذا كان كذلك كان رسم العين فى غاية الصحة على حد تعبير القلقشندى وهو ما لا يتوفر فى النص الحجازى موضوع الدراسة لأن البياض فى حرف العين فى كلمة " المعظم " فى السطر الثانى غير متناسب الزوايا كما أن البياض فى حرف العين فى كلمة " سبعمائة " جاء صغيرا للغاية بحيث يصعب أن نتبين مدى صحة أبعاده وزواياه ولم يرد البياض متناسبا الا فى كلمة " تسع " فى السطر الرابع .

" الفاء والقاف "

تأتى الفاء والقاف مفردة ومركبة والمفردة تكون مجموعة هكذا " ڡـ " وتكون موقوفه هكذا " ڡـ " وتكون مبسوطة هكذا " ڡ " وتكون القاف المفردة هكذا " ق " أما الفاء والقاف المركبة فتكون هكذا " لف ".[1]

ومع مقارنة ذلك بما ورد فى النص الحجازى موضوع الدراسة نجد أن القاف فى كلمة " المقام " فى السطر الأول غير مكتملة الكتابة وجاء شبه بيضاوية هكذا " لمقا " كما أن الفاء فى كلمة " الشريف " فى لسطر الأول أيضا جاءت مستطيلة هكذا " لف " وجاءت شبه مطموسة فى كلمة " الشريفين " فى السطر الأخير مما يرجح أن الخطاط الحجازى غير مترس فى كتابة الخط الثلث فى هذه الفترة بينما وردت متقنة الكتابة فى النصوص المصرية وخاصة فى نص المشكاه فى كلمات " فيها مصباح " وكلمة " فى زجاجة " وكذلك الحال فى نص كرسي العشاء وان كانت الفاء قد وردت مطموسة فى كلمة " الكفره " والقاف فى كلمة " قاتل " وكلمة " قلاوون " والفاء فى كلمة " في العالمين " والظاهر أن طمسها جائز لأ ن القلقشندى أوردها مطوسة عند تمثيله لها مدغمة مع الياء فى كلمة " فيها ".[2]

" الكاف "

وردت الكاف فى النص الحجازى موضوع الدراسة فى كلمتى " الملك " فى السطر الثانى والثالث هكذا " لك " وقد ورد لها شبيه فى نص المشكاه فى كلمة " كمشكاه " هكذا " كمشكاه " بينما وردت فى نص كرسي العشاء مثل حرف

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٧٩ .

(٢) المصدر نفسه ، نفس الجزء ص ٩٣ .

اللام دون زيادة عليا أو همزه أما في نص مدرسة السلطان محمد المعمارى فقد جاء مثل حرف اللام ثم وضع لها فى أعلاها كاف صغيرة هكذا " لك " .

والذى يلفت النظر فى النصوص المصرية هو أن طرفي الكاف القائم منهما والأفقى كلاهما جاء مستقيما دون اعوجاج بينما جاء كلا الطرفين المذكورين مائلين الى ناحية اليسار فى النص الحجازى .

" اللام "

يلاحظ أن حرف اللام في النص الحجازى قد ظهر قصير القوائم وغليظ الحجم اذا ماقورن بحرف اللام فى النصوص المصرية التى تتميز بلاماتها الطويلة الرشيقة الدقيقة كما أن الخطاط الحجازى لم يراع وضع الشظية العليا التى تأتى فى رؤوس اللامات والتى تشبه شظية حرف الألف الا فى عدد قليل من لامات النص مثل حرف اللام فى كلمة " السلطان " فى السطر الثانى وكلمة " الملك " فى السطر الثانى أما بقية اللامات فقد جعلت رؤوسها عريضة ومدببة هكذا " ل " مما يدل على عدم تمرسه فى كتابة خط الثلث بينما روعي ذلك بدقة فى النصوص المصرية هكذا " ل " .

"الميم"

ينقسم حرف الميم عند واضعي قوانين الخط الى محققه ومعلقة ومسبله ومبسوطة وتنقسم المحققه الى قسمين : مبتدأة هكذا " مـلـ " ومختتمه هكذا " ـمـ " وتنقسم المعلقة الى مبتدأة هكذا " ما " ومختتمة هكذا " ـمـ " وتنقسم المسبله الى مفرده هكذا " م " ومركبه " م " . ومسبله وتكون مفردة هكذا " م " .(١)

والمتتبع لحرف الميم فى النص الحجازى يجد أنها لا تخضع لشىء من هذه التقسيمات فقد وردت فى حالة الافراد بهذا الشكل " م " فى كلمة " المقام " فى السطر الأول وفى كلمة " خادم " حيث ألصقت بحرف الدال فى أول السطر الرابع هكذا " د " .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٨٤ وما بعدها .

وجاءت الميم المبتدأة والوسطى فى كلمة " مما " فى أول النص هكذا " مما " والنهائية المركبة جاءت بهذا الشكل " م " فى كلمة " بترخيم " وجاءت هكذا فى كلمة " الحطيم والمعظم " فى السطر الثاني " م " ، " م " وجاءت فى وسط الكلمة هكذا " الملك " ، " فى كلمة " المقام " فى السطر الأول و " الملك " فى السطر الثاني وجاءت فى كلمة " المنصور " فى آخر السطر الثالث هكذا " " كما وردت فى كلمة " الحرمين " بهذا الشكل فى السطر الأخير " " وهي شبه مربعة .

أما فى النصوص المصرية ميدان المقارنة فنلاحظ أن الخطاط المملوكى فى مصر قد أورد الميم المبتدأة والوسطى على نفس القاعدة فى نص المشكاه فى كلمتى " مصباح ، المصباح " هكذا " مصبا " - " المصبا " كما وردت متطورة جدا فى نص كرسي العشاء وان كانت مطموسة الوسط فى جميع الأحوال .

أما الميم المعلقة هكذا " م " فقد وردت فى النص الحجازى فى كلمة " مما " وكلمة " أمر " فى السطر الأول وكلمة " محمد " فى السطر الثانى ولكن بطريقة بدائية اللهم الا فى كلمة " محمد " فقد وردت صحيحة وقد وردت هذه الميم نفسها بطريقة متطورة جدا فى كلمة " محمد " فى نص المشكاه كما وردت هذه الميم بطريقة متطورة أيضا فى كثير من كلمات نص كرسي العشاء ، ويلاحظ أنها قد وردت فى نص كرسي العشاء مطموسة الوسط فى جميع النص عدا كلمة واحدة هي كلمة " محي " حيث وردت منوره الوسط هكذا " محـ " .

ووردت هذه الميم أيضا فى نص مدرسة السلطان محمد الانشائى ولكن يبدو أن رأسها أقرب الى التدوير منه الى الثلث الذى يميز الميم المعلقة فقد ورد فى هذا النص على هذا النحو " م " .

" النـــون "

أ - اذا كان حرف النون مفردا فيأتى على ثلاث حالات هي :

١ - أن يكون حرف النون مجموعا هكذا " ن " .

٢ - أن يكون حرف النون مقورا على هيئة نصف دائرة " ن " .

٣ - أن يكون حرف النون مبسوطا هكذا " ن " .

ب - اذا كان حرف النون مدغما أى مركبا فانه لا يحسن الا مع ثلاثة أحرف هـى " الميم " وهي كثيرة المؤاخاة لها فتكون مع الميم هكذا " " ومع الكاف والعين هكذا " ".(١)

وبمقارنة ذلك مع ما ورد فى النص الحجازى نجد أن حرف النون فى كلمة " السلطان " فى السطر الثانى جاءت شبه هلالية هكذا " " وسميكة أيضا وجاءت على هذا النحو فى كلمة " ابن " فى السطر الثالث " " كما جاءت شبيهة بالياء الموقوفة فى كلمة " السلطان " فى السطر الثالث أيضا هكذا " " كما جاءت شبيهة بالراء النسخية فى كلمة " الحرمين " فى السطر الرابع هكذا " " وجاءت شبه مقورة فى كلمة " الشريفين " هكذا " " .

كما أن الخطاط الحجازى لم يقتصر فى استخدام النون المدغمة على الميم المعلقة والعين الملوزة والكاف المشكوله وهو شرط من شروط استخدامها كما سبق أن أشرنا بل استخدمها أيضا مع حرف الياء فى كلمة " عشرين " فى السطر الأخير هكذا " " .

والواقع أن التوسع فى استخدام النون المدغمة مع حروف أخرى غير التى أشرنا اليها لم يقتصر على الخطاط الحجازى فحسب بل ان الخطاطين المصريين توسعوا أيضا فى استخدام النون المدغمة مع غير الميم المعلقة والعين الملوزة والكاف المشكولة فقد استخدمها الخطاط المصرى فى نص مدرسة السلطان محمد الانشائى مع حرف الياء فى كلمة " الدين " هكذا " " وكذلك استخدمت مع الياء فى نص المشكاه فى كلمة " الدين " أيضا هكذا " " بل لقد توسع الخطاط المصرى فى استخدامها فى عدة كلمات فى نص كرسي العشاء مثل كلمة " العالمين " وكلمة " المظلومين " وكلمة " الظالمين " وكلمة " الدين " كما أنه استخدمها مدغمة فى كلمة " قلاوون " رغم أنها مفردة وليست مدغمة مع حرف آخر هكذا " " .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٨٧ وما بعدها .

أما استخدام الخطاط المصرى للنون المفردة فهو ليس بعيدا عن القواعد الخطية التى وضعها حذاق الخط الثلث فقد وردت النون المفردة مجموعة فى كلمة " السلطان " فى نص مدرسة السلطان الناصر محمد هكذا " ن " كما وردت مجموعة أيضا فى نص كرسي العشاء فى كلمة " سلطان الاسلام " ولكن بدون شظية فى أعلاها هكذا " ن " وفى كلمة " ابن السلطان " فى النص نفسه . كما وردت مفردة مبسوطة وفى أعلاها شظية فى كلمة " السلطان " فى أول النص هكذا " ن " .

ومن خلال هذا التحليل للنصوص وما وضعه حذاق الخط من قواعد لخط الثلث نلاحظ أن الخطاط الحجازى لم يتأثر بقواعد الخط الثلث الذى ازدهر فى مصر وظهر أثر هذا الازدهار واضحا فى النصوص المصرية ميدان المقارنة .

"الهاء"

ورد في النص الحجازى حرف الهاء المبتدأة وهي التى أطلق عليها القلقشندى اسم وجه الهرّ هكذا " هـ ، ـهـا " ولا تكون هذه الهاء الا مبتدأة أو متوسطة ولا يجوز أن تكون فى نهاية الكلمة ومن أهم شروطها أن تكون عبارة عن دائرة على مركزين متساويين فى البياض حذرا من أن يقع فيها حول[1] .

وبمقارنة هذه القاعدة بما ورد فى النص الحجازى موضوع الدراسة نجد أن حرف الهاء المبتدأة فى كلمة " هذا " في السطر الأول ليست على القاعدة التى أشار اليها القلقشندى لأن أحد مركزى الدائرة يكاد يكون مطموسا ولم يظهر منه سوى شيء يسير هكذا " هـ " مما يشير بأن الخطاط الحجازى كانت له ذاتيته وشخصيته فى كتابة خط الثلث دون التقيد بالقواعد العامة لهذا النوع من الخط .

أما بالنسبة للنصوص المصرية فقد وردت الهاء المبتدأة فى نص كرسي العشاء فى كلمة " المجاهد " على هذا النحو " ـهد " وهي فى الواقع ليست على القاعدة التى أشار اليها القلقشندى ولكن يلاحظ أنها كتبت بطريقة متقنة بحيث لم تخرج عن مستوى السطر مما يدل على أن الخطاط المصرى كان يهتم اهتماما كبيرا بتناسق الكتابة وكتابة الكلمات على مستوى واحد على العكس من الخطاط الحجازى الذى لم يكن

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٩١ وما بعدها .

يهتم بتناسق الكلمات فى السطر الواحد . أما بالنسبة للهاء المخفاة وهي التى تأتى فى آخر الكلمة هكذا " ـه " ومن شروطها أن تكون مصاحبة للحروف القصيرة كالباء والياء ونحوهما وتكون على هيئة نصف راء محددة الطرف[1] وقد وردت بطريقة متقنة فى نص كرسي العشاء فى كلمة " المحمدية " بينما وردت فى النص الحجازى مندمجة مع حرف آخر هو حرف " النون " فى كلمة " عشرين " فى السطر الأخير وذلك فى كلمة " سنة " هكذا " سنه " كما وردت صغيرة للغاية بالنسبة للحرف الذى قبلها فى كلمة " سبعماية " هكذا " ـه " بحيث لا تمثل نصف راء محددة الطرف كما أشار الى ذلك القلقشندى والتى أطلق عليها أيضا اسم المخطوفه .

" الواو "

أشار القلقشندى الى أن الواو تنقسم الى خمسة أنواع هي :

أ - الواو المجموعة هكذا " و " .

ب - الواو المبسوطة هكذا " و " .

جـ - الواو المقورة هكذا " و " .

د - الواو البتراء هكذا " و " .

هـ - الواو المخطوفه هكذا " و " .

وبمقارنة هذه الأنواع بما ورد فى النص الحجازى موضوع الدراسة نلاحظ أن حرف الواو فى كلمة " وهذا " فى السطر الأول قد جاءت مقعرة وذيلها مرتفع يكاد يوازى رأسها هكذا " و " وذات رأس أقرب الى المستطيل منه الى التدوير كما وردت مطموسة ومقرمطه فى كلمة " وعشرين وسبعماية " هكذا " و " وهي فى هذه الحالة شبيهة بحرف القاف .

أما بالنسبة للنصوص المصرية ميدان المقارنة فنجد أن جميع حروف الواو الواردة فى هذه النصوص قريبة الشبه بالأنواع الخمسة التى ذكرها القلقشندى وذكرناها فى السابق .

فقد وردت الواو المبسوطة فى نص مدرسة السلطان محمد الانشائى فى كلمة

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٩٥ .

" والدين " كما وردت الواو البتراء في نص كرسي العشاء في كلمة " لمولانا " وكلمة " المؤيد " وكلمة " المنصور " وكلمة " والمسلمين " وكلمة " المظلومين " .

بينما وردت مجموعة ومطموسة في كلمات " والدين " وعبارة " المنصور قلاوون " ، ووردت مجموعة ومفتوحة الوسط في كلمة " والمشركين " .

أما في نص المشكاه فقد ظهرت الواو مجموعة في كلمة " والدين " ولكن رأسها غير مكتمل التدوير بل هو أقرب الى الاستطالة منه الى التدوير هكذا " و " ومهما يكن فان حرف الواو في النصوص المصرية قد سار على شيء من القاعدة " الياء " ونخص بالذكر هنا الياء الراجعة الى الخلف لأنها الياء النهائية الوحيدة التي وردت في النص الحجازي موضوع الدراسة في السطر الأخير في كلمة " في " .

ويذكر القلقشندى أن الياء الراجعة تختص بحرف الفاء واللام دون غيرها وهي مع الفاء أكثر استعمالا فتأتي على هذا النحو " في " بحيث تكون جرتها الى ناحية اليمين جرّة معتدلة .(1)

وبمقارنتها بما ورد في النص الحجازى نلاحظ أن جرتها الى ناحية اليمين غير مستقيمة بل صاعدة الى أعلى كما أن الخطاط لم يترك مسافة كافية بين رأس الفاء ورأس الياء هكذا " في " ويلاحظ أنها مطموسة الوسط بينما نجد أن الخطاط المصرى في النصوص المصرية ميدان المقارنة قد رسم " الياء الراجعة م مستقيمة وجعل مسافة كافية بين رأس الفاء ورأس الياء كما هو الحال في كلمة " في العالمين " في نص كرسي العشاء ولا تختلف مواصفاتها عما أورده القلقشندى سوى أن رأس الفاء هنا جاء مطموسا فقط .

ولا تعني كل هذه المقارنات أن النصوص الحجازية كان لا بد أن تتأثر بالضرورة بمدرسة الخط الثلث المصرية في عصر المماليك اللهم الا اذا سلّمنا بأن الأمر كان يستدعي وجود الكثير من الخطاطين المصريين في الحجاز كي يحدث هذا التأثير وهو مالا تثبته النصوص التي أوردتها في عصر الناصر محمد بن قلاوون بالحجاز مما يجعلنا نؤكد ذاتية الخطاطين المحليين في الحجاز وانتهاجهم خطا مستقلا في مثل ما أوردناه من نقوش .

---

(1) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٩٩ .

الدراسة المقارنة
لنصوص السلطان شعبان الحجازية
وهي نص المرسوم المؤرخ بعام ٧٦٦ هـ والنصوص التأسيسية لمانذنة باب الحزوره المؤرخة بعام ٧٧٢ هـ مع بعض النصوص المصرية التى ترجع الى عهد هذا السلطان - لوحة (٢، ٣، ٤، ٥)

ونصوص السلطان شعبان المصرية - ميدان المقارنة - هي نص حجة الوقف الخاصة بالسلطان شعبان المؤرخة بشهر جمادى الآخر سنة ٧٧٧ هـ والمحفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة بالقاهرة والتى سبق أن أشرنا اليها عند الحديث عن اصلاحات السلطان الأشرف شعبان[1] لوحة (٥١) وكذلك نصوص الكتابات التى ظهرت على بعض النقود التى ضربت فى عهد هذا السلطان وخاصة الكتابات التى ظهرت على دينار من الذهب مؤرخ بعام ٧٦٥ هـ محفوظ ضمن مجموعة بالوج Balog ونشره الدكتور سامح عبد الرحمن فهمي[2] وسوف تكون هنا برقم (٥٢) ونصها على النحو التالي :

مركز الوجه	مركز الظهر
[و] [مـ] ـا النصر الا من عند [الله]	ضرب القاهرة سنة خمس
[لا] اله الا الله محمد	السلطان الملك الأشرف
رسول الله أرسله بالهدى	ناصر الدنيا والدين شعبان بن حسين بن
[و] دين الحق ليظهره على	الملك الناصر محمد بن قـــلاوون
الدين كله	وسـ [تين] وسبعـ [ما] ية

ويتضح من خلال المقارنة ما يلى :

---

(١) أنظر ص ١٢، ٥١٨ من هذه الرسالة ، ويلاحظ أن المقارنة هنا قد جرت على الجزء الأول والثانى من نص حجة الوقف الخاص بالحجاز الذى يمثل القسم (أ، ب) من هذا النص وذلك لأن حجة الوقف تسير كلها على نمط واحد فى الخط .

(٢) سامح عبد الرحمن فهمى : الوحدات النقدية المملوكية - عصر المماليك البحرية - الطبعة الأولى - تهامة - جدة ١٤٠٣ هـ لوحه (٦٥) قطعة ٣١٨ ص ١٨٦ .

١ - أن النصوص الحجازية الخاصة بالسلطان الأشرف شعبان سواء نص المرسوم المؤرخ بعام ٧٦٦ هـ أو نصوص مآذنة باب الحزوره المؤرخة بعام ٧٧٢هـ قد نقشت بالخط الثلث المحقق بينما نقش نص حجة الوقف المصري بخط الثلث الخفيف والذى عرف أيضا بخفيف الثلث وقد عرف القلقشندى هذا النوع من الخط بأنه " الذى يكتب به فى قطع النصف وصورة كصور الثلث الثقيل المتقدم الذكر لا تختلف الا أنه أدق منه قليلا وألطف مقادير منه بنزر يسير "(١) ويضيف القلقشندى نقلا عن زين الدين عبد الرحمن بن الصايغ الخطاط الشهير أن الفرق بين خفيف الثلث والثلث الثقيل هو " أن الثقيل تكون منتصباته ومبسوطاته قدر سبع نقط على مافى قلمه على ماتقدم والثلث الخفيف يكون مقدار ذلك منه خمس نقط فان نقص عن ذلك قليلا سمي القلم اللؤلؤى ".(٢)

أما بالنسبة لنص الدينار الذهب المشار اليه فربما كان خطه أقرب الى خط النسخ الدارج والذى لم يبذل فيه الخطاط درجة كبيرة من التجويد والعناية . ومن خلال المقارنة يمكن أن نقول ان ازدهار الخط العربى فى مصر فى هذه الفترة لم يكن على يد الخطاطين المحليين فقط وانما كان نتيجة لهجرة كثير من أرباب الصنائع والفنون وفى مقدمتهم الخطاطين الى مصر نتيجة الغزو المغولي لبلاد المشرق والغزو الأسباني المسيحى لبلاد الأندلس باعتبار مصر أكبر قوة اسلامية فى هذه الفترة تستطيع أن تقف فى وجه هذا الغزو مما أدى بالتالي الى ظهور وحدة فنية اسلامية اشترك فى ازدهارها وتطورها مختلف الفنانين المسلمين من معظم الأقطار الاسلامية .

ولكن على الرغم من هذه الوحدة الفنية الاسلامية فان هناك نماذج حجازية متميزة ومتطورة جدا كما هو الحال فى نص المرسوم الحجازى المؤرخ بعام ٧٦٦هـ ونصوص مآذنة الحزورة المؤرخة بعام ٧٧٢ هـ ونصوص أخرى ترجع الى العصر المملوكي سوف نتعرض لها بالتحليل والمقارنة فى صفحات هذه الرسالة والذى

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ١٠٠ .
(٢) المصدر نفسه ، نفس الجزء والصفحة .

يوصلنا الى كل ذلك ان كثيرا من النقوش الحجازية المبكرة كان يعيننا على التعرف عليها أن الخطاطين الحجازيين كانوا يسجلون أسماءهم على هذه النقوش كما هو الحال فى نص سدّ الطائف المؤرخ بعام ٥٨ هـ [(١)] وكذلك نقوش مبارك المكى المؤرخة بعامي ٢٤٣ هـ ، ٢٤٦ هـ [(٢)] ونقش أبو عيسى المكى الذى يرجع الى القرن الثالث أو الرابع الهجرى [(٣)] وظل الخطاطون الحجازيون يسجلون أسماءهم على هذه النقوش حتى منتصف القرن السابع الهجرى كما هو الحال في نقوش عبد الرحمن بن أبى حرمي المكي المؤرخة بأعوام ٥٨٣ هـ - ٦١٤ هـ [(٤)] ولكن ظاهرة كتابة اسم الخطاط فى النقوش الحجازية فى فترة هذا البحث لم تعد موجودة كما كانت فى النقوش المبكرة .

ومما يزيد فى صعوبة التعرف على شخصية الخطاطين الحجازيين أن المؤرخين والأثريين لم يهتموا بشخصية أحد من هؤلاء الخطاطين أو ايراد ترجمة تكشف عن بعض جوانب حياتهم .

٢ - على الرغم من أن الخطاط الحجازى هنا قد نقش سطوره بطريقة دائرية وهي من أصعب طرق التنفيذ فى الكتابة فان كتاباته ونقوشه تتميز باستقامة السطور وفصل بعضها عن بعض بخطوط رأسية تفصل بين بدايات السطور ونهاياتها وخطوط أفقية تفصل كل سطر عن الآخر مما يشير الى الدقة فى التنفيذ على العكس من نص الحجه الذى تفتقر سطوره الى الاستقامة اذ نجد أنها مستقيمة فى بداياتها مائلة الى أعلى فى نهاياتها كما أنه لا توجد خطوط أفقية تفصل بين السطور وتحدد اتجاهاتها مما جعل المسافات بين السطور غير متساوية كما أن النقاش أو الخطاط الذى نقش نص الدينار لم يراع التناسب فى عدد الكلمات بين سطر وآخر فبعض الأسطر تقل فيها الكلمات بينما تكثر فى سطر آخر كما يلاحظ تزاحم السطور وعدم تناسقها نتيجة عدم وضع خطوط بارزة تفصل كل سطر عن الآخر .

---

(١) محمد فهد الفعر : تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز ص ١٦٩ لوحة (٢٤) .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢١٩ - ٢٣٢ لوحات (٣٧ - ٤٠) .
(٣) حسن الباشا : أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية فى العصر الاسلامى " مصادر تاريخ الجزيرة ج ١ ص ١١١ وما بعدها - لوحة (٣٨) .
(٤) محمد فهد الفعر : المرجع السابق ص ٣٠٥ - ٣٢١ لوحات (٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢) .

٣ - تتميز نصوص السلطان شعبان الحجازية سواء نص المرسوم أو نصوص ماذنة باب الحزوره بعناية كبيرة من حيث النقط والاعجام اذ بذل الخطاط في ذلك جهدا كبيرا على الرغم من صلابة المادة التى نقشت عليها هذه النصوص بينما نلاحظ أن كلا من خطاط الحجة والعمله قد أهملا الاعجام فى كثير من الكلمات.

٤ - يلاحظ أن نصوص السلطان شعبان الحجازية تتسم بليونة فى كتابة الحروف وكذلك الحال بالنسبة لنص حجة الوقف المصرية بينما نلاحظ أن كتابة نص الدينار ماتزال عليها مسحة من الصلابة والتزوية وربما كان ذلك نتيجة لطريقة الكتابة على النقود والتى تنقش فى المادة على القالب الحديد الذى تضرب به الدنانير بطريقة مقلوبه ثم يختم به على قطع النقود حيث تظهر الكتابة فى وضعها الصحيح .

٥ - تتسم حروف النصوص الحجازية هنا بسمك الحروف وكذلك بالنسبة لنص الدينار المصرى المملوكى بينما نجد نص الحجة أكثر رشاقة .

٦ - ورد تاريخ المرسوم باليوم والشهر والسنة وهو الثالث من جمادى الأولى سنة ٧٦٦ هـ وكذلك الحال بالنسبة لنص الحجة حيث ورد تاريخها باليوم والشهر والسنة وهو الثالث من شهر جمادى الآخرة سنة ٧٧٧ هـ ولكن يلاحظ أن نص المرسوم قد ورد تاريخه فى أول سطر من سطوره بينما ورد تاريخ الحجة فى آخر النص وكذلك الحال بالنسبة لنصوص ماذنة باب الحزوره حيث وردت تواريخها فى نهاية النصوص بينما ورد تاريخ نص الدينار مجزءا فى مركز ظهر الدينار بين أول سطر وآخر سطر من سطوره .

٧ - ظهرت بعض الزخارف النباتية على بعض كلمات النصوص الحجازية سواء نص المرسوم أو النصوص التأسيسية لماذنة باب الحزوره وقد سبق أن أشرنا الى ذلك عند تحليل هذه النصوص بينما لم يظهر أى عنصر زخرفي فوق كلمات نص الحجّة .

أما نص الدينار فقد ظهرت على بعض كلماته عناصر زخرفية نباتية مثل الزخرفة التى ظهرت فوق كلمة " محمد " فى مركز الوجه على هذا النحو ـــ وظهرت زخرفة أيضا فوق حرفي الراء والواو فى كلمة " رسول " فى مركز الوجه

أيضا على هذا النحو ه كما ظهرت فوق كلمة " أرسله " فى مركز الوجـــه
أيضا هكذا .

٨ - يلاحظ أن الشظية العليا التى تتميز بها الألفات واللامات فى خط الثلث قـد ظهرت واضحة فى النصوص الحجازية سواء نص المرسوم أو نصوص المآذنة هكذا بينما ظهرت هذه الشظية فى حرف " اللام ألـف " فقط فى نص الحجة المصرى أما فى نص الدينار فقد ظهرت رؤوس الألفـات واللامات ذات شقوق سهمية هكذا وهي شبيهة الى حد كبـير بالشقوق السهمية التى ظهرت على النقود الحجازية منذ أوائل القرن الثانـى الهجرى وبالتحديد على نقوش المسكوكات والدنانير الحجازية المؤرخة بعـام ١٠٥ هـ[1] مما يؤكد سبق مدرسة الحجاز الزخرفية على سائر المدارس الاسلامية وظل تأثيرها واضحا على المسكوكات الاسلامية فى مصر حتى العصر المملوكى رغم أنها تطورت فى الحجاز وظهرت بأشكال مختلفه فى كثير من النصوص .

أما حرف الألـف

فقد ظهر فى النصوص الحجازية موضوع المقارنة بين الشكل المطلق هكذا والشكل المحرف هكذا وذلك بصفة عامة فى كافة ألفات هذه النصوص بينما ظهر فى نص الحجة على أشكال تجمع بين الألف المطلق بدون شظية هكذا والألف المحرف وبدون شظية أيضا هكذا كما ظهرت الألف المشعرة هكذا وان كانت الألف المحرفة هي الغالبة على نص هذه الحجة بينما ظهرت الألفات فى نص الدينار مطلقة دون تحريف أو تشعير على هذا النحو اللهم الا فى كلمة واحدة فقط ظهرت الألف مشعرة حيث ظهرت هذه التشعيرة الى ناحية اليمين هكذا فى كلمة " القاهرة " فى أول سطر من مركز الظهر مخالفة بذلك القاعدة التى وضعهـا

---

(١) محمد فهد الفعر : تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، ص ١٧٧، ٣٤٣، ٣٤٤ لوحة (٢٥) .

مقننوا الخط الثلث اذ أن التشعيره تكون دائما الى ناحية اليسار.(1)

حرف الدال والذال

وردت في النصوص الحجازية موضوع المقارنة مفردة ومركبه حيث وردت المفردة على هذا النحو وذلك في سائر كلمات هذه النصوص بينما ظهرت في نص الدينار على هذا النحو في كلمة "ودين الحق" في السطر الرابع من مركز الوجه أما في نص الحجه فقد ظهرت الدال والذال المفردة على هذ النحو أما الدال والذال المركبة فقد جاءت في النصوص الحجازية موضوع المقارنة على هذا النحو ، ، بينما ورد حرف الدال والذال المركبة في نص الحجة المصرى على هذا النحو ، أما في نص الدينار فقد وردت على النحو التالي

حرف الراء والزاى

وردت في النصوص الحجازية موضوع المقارنة مفردة ومركبة فجاءت المفردة على هذا النحو في سائر كلمات هذه النصوص بينما وردت في نص الحجة تارة على هذا النحو وتارة على هذا النحو وتارة أخرى مقوره على هذا النحو أما في نص الدينار فقد ورد حرف الراء على هذا النحو في عبارة "رسول الله أرسله" في السطر الثالث من مركز الوجه . أما الراء والزاى المركبة المدغمة فقد جاءت مع حرف اللام في البسملة سواء في نص المرسوم أو في النصوص التأسيسية لمائذنة الحزوره هكذا كما جاءت مبسوطه في كلمة "أمر" في النص التأسيسي المحفوظ بمتحف الحرم المكي ولكنها ظهرت بصفة عامة في معظم كلمات هذه النصوص على هذا النحو بينما وردت في نص الحجة المصرى هكذا ولكن في كلمات قليلة من النص. أما الظاهرة العامة لورودها في نص الحجة فهي على هذا النحو أما في نص الدينار فقد ورد حرف الراء بعدة أشكال حيث جاء على هذا النحو في كلمة "النصر" في السطر الأول من مركز الوجه

---

(1) أنظر : القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٥٩ .

وكلمة " ضرب " فى السطر الأول من مركز الظهر وكذلك كلمة " الأشرف " فى السطر الثانى وكلمة " ناصر " فى السطر الثالث وجميع ذلك فى مركز ظهر الدينار بينما وردت على هذا النحو صر فى كلمة " الناصر " فى السطر الرابع .

السين والشين

يلاحظ أن حرف السين والشين قد ورد فى النصوص الحجازية تارة محققا ظاهر الأسنان سواء كان فى أول الكلمة أو فى وسطها هكذا سـ ، لسـ كما ظهر حرف السين معلقا أيضا فى أول الكلمة أو وسطها مثل كلمة " سيدنا " و " السلطان " هكذا سـيدنا ، السلطان وهي تتفق فى ذلك مع نص الحجة بينما نلاحظ أن حرف السين فى نص الدينار قد ظهرت أسنانه فى بعض الكلمات على هيئة مثلثات صغيرة هكذا ـــ كما هو الحال فى كلمة " أرسله " فى السطر الثالث من مركز الوجه وكلمة " شعبان " فى السطر الثالث من مركز الظهر بينما وردت شبيهة بحرف السين فى كل من النصوص الحجازية ونص الحجة وذلك فى كلمة " الأشرف " كما ظهر حرف السين معلقا أيضا فى كثير من كلمات نص الدينار أى بدون أسنان فى كلمات " رسول " فى السطر الثالث من مركز الوجه وكلمة " خمس " فى السطر الأول من مركز الظهر وكلمة " السلطان " و " حسين " و " سبعمايه " فى الأسطر الثانى والثالث والسطر الأخير على التوالي من مركز الظهر .

الصاد والضاد

يكاد حرف الصاد والضاد فى النصوص الحجازية موضوع المقارنة يشبه الى حد كبير حرف الصاد والضاد فى نص الحجة المصرى سواء من حيث التلويز أو من حيث عراقاتها حيث كتبت بطريقة مجوده مما يرجح أن هناك خطاطين حجازيين لا تقل شهرتهم فى الكتابة عن غيرهم من الخطاطين ولاسيما فى مصر التى ازدهر فيها خط الثلث وما تفرع عنه من خطوط بينما نلاحظ أن حرف الصاد فى نص الدينار يتأرجح فى كتابته بين الجودة والرداءة اذ نلاحظ أن حرف الصاد فى كلمة " النصر " فى السطر الأول من مركز الوجه غير متقنة اذا ما قورنت بمثيلاتها فى نصوص السلطان شعبان الحجازية أو اذا ما قورنت بمثيلاتها فى نص الحجة حيث وردت فى نص الدينار

على هذا النحو ﺻﺮ وكذلك فى كلمة " الناصر " فى السطر الرابع من مركز الظهر من الدينار نفسه هكذا ﺻﺮ بينما وردت أكثر تطورا فى كلمة " ضرب " فى السطر الأول من مركز الظهر هكذا ﺿﺮ .

الطاء والظاء

يلاحظ أن حرف الطاء والظاء فى نصوص السلطان شعبان الحجازية قد كتبت بطريقة متقنة الا أن ألفاتها جاءت شبه مقوسة هكذا ﻟﻄﺎ سواء فى نص المرسوم أو فى نصوص مأذنة الحزوره بينما جاءت فى نص الحجة المصرى ذات ألفات مستقيمة فى غالبيتها هكذا ﻟﻄﺎ أما فى نص الدينار فقد وردت على هذا النحو ـــﻂ فى كلمة " ليظهره " فى السطر الرابع من مركز وجه الدينار حيث ظهرت الألف مائلة نحو اليمين كما ظهرت بشكل آخر فى كلمة " السلطان " فى السطر الثانى من مركز الظهر هكذا ﻟﺴﻄﺎ بحيث لم تكتمل التلويز.

العين والغين

وردت العين والغين فى نصوص السلطان شعبان الحجازية ملوزه تماما بحيث يلاحظ أن طرفي رأسها متساويين تقريبا فى الامتداد هكذا ﻋـ ﻌـ وهي تكاد تتفق فى ذلك مع حرف العين والغين الواردة فى نص الحجة المصرى ولكنهما يختلفان من حيث العين والغين الوسطى اذ ظهرت فى النصوص الحجازية منوّره الوسط متناسبة الزوايا فى سائر هذه النصوص هكذا ـﻌـ أى أنها ظهرت هنا محققة بينما ظهرت فى النصوص المصرية مطموسة الوسط والتى تعرف أيضا بالمعلقة سواء فى نص الحجة أو فى نص الدينار هكذا ـﻌـ .

الفاء والقاف

وردت الفاء فى نصوص السلطان شعبان الحجازية منوره وليست مطموسة كما جاءت فى معظم الأحيان مجموعة هكذا " ﻑ " بينما جاءت فى بعض الكلمات مبسوطه هكذا " ﻑ " كما هو الحال فى كلمة " الأشرف " فى السطر الثانى من المرسوم وفى كلمة " الأشرف " أيضا فى نص مأذنة الحزوره القائم عند باب العمرة

وذلك فى السطر الثانى منه وفى كلمة " ضاعف " و " المعروف " فى السطرين الرابع والخامس من النص نفسه ولكن يلاحظ أنها قصيرة نسبيا اذا ماقورنت بحرف الفاء المبسوط فى نص الحجة المصرى حيث جاء على هذا النحو : " ف " كما جاءت فى نص الحجة مبسوطه مطموسة الرأس هكذا " ف " والواقع أن أشكال الفاء فى نص الحجة يتفق تماما مع الأمثلة التى أوردها القلقشندى من حيث امتداد الفاء المبسوطة[1] على العكس من الفاء التى وردت فى النصوص الحجازية مما يرجح أن لمدرسة الحجاز طابعا خاصا بها يميزها عن بقية مدارس الخط فى العالم الاسلامي ولا سيما فى مصر .

كما جاءت الفاء فى نص الدينار مطموسة الرأس ومجموعة وكتابتها أقل جودة من مثيلاتها فى النصوص الحجازية أو فى نص الحجة المصرى .

أما حرف الفاء المركب أو المتوسط فقد ورد فى هذه النصوص الحجازية مفتوح الوسط ولم يأت مطموس بينما وردت فى نص الحجة المصرى تارة مفتوحة الوسط وتارة مطوسة على هذا النحو " ـفـ " " ـفـ " وكذلك الحال بالنسبة لحرف القاف حيث جاء مفتوح الوسط فى النصوص الحجازية بينما ورد فى نص الحجة تارة مفتوح الوسط وتارة مطموس الوسط أما فى نص الدينار فقد جاء حرف القاف المتوسط شبه مستطيل ومطموس الوسط هكذا " ـقا " فى كلمة "القاهرة" فى السطر الأول من مركز ظهر الدينار .

أما حرف القاف المفردة والنهائية فقد وردت فى نص المرسوم الحجازى فقط دون النصوص التأسيسية فى كلمات " الدقيق " فى السطر الثامن و " الاتفاق " فى آخر السطر الرابع عشر و " الأفق " فى السطر السادس عشر و " فاليتق " فى السطر السادس والعشرين وقد وردت فى جميع هذه الكلمات مفتوحة الوسط ومجموعة على هذا النحو " ق " بينما جاءت فى نص الحجة المصرى مطموسة الوسط فى كلمة " والدقيق " وذات عراقة أشبه ماتكون بعراقة حرف النون فى خط الثلث هكذا " ـق " ويتفق وضعها فى نص الحجة المصرى مع ما ذكره القلقشندى من أن " حكم عراقتها حكم

---

(1) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٧٩ .

النون(1) مما يرجح أن خطاط الحجة كان على معرفة بالأساليب المصرية فى الكتابة بينما نجد أن الخطاط الحجازى له أسلوبه الخاص فى الكتابة بحيث لم يتأثر بالأساليب المصرية مما يجعلنا نقول انه كان بالحجاز خطاطون لا تقل شهرتهم عن غيرهم من الخطاطين فى مصر بدليل ما نقشوه من مراسيم أو لوحات تأسيسية مثل نصوص السلطان شعبان موضوع الدراسة .

الكاف

ورد حرف الكاف فى النصوص الحجازية موضوع الدراسة فى ثلاث حالات مبتدئا ومتوسطا ونهائيا ، ففي حالة الابتداء ورد على هذا النحو   وذلك فى جميع النصوص الحجازية سواء نص المرسوم أو نصوص ماذنة الحزورة بينما وردت هذه الكاف فى نص الحجة المصرى على هذا النحو   وذلك فى معظم النص بينما وردت على هيئة اللام أى معرّاه بدون جرة فى أعلاها فى كلمة " يذكر " فى السطر الرابع كما وردت على هذا النحو "   " ولكن بدون جره عليا فى السطر السابع والحادى عشر والتاسع والعشرين من نص الحجة وهكذا مبتدئة بينما وردت مبتدئة فى نص الدينار على هذا النحو "   " .

أما فى حالة كونها متوسطة أو نهائية فقد وردت فى النصوص الحجازية موضوع الدراسة على هذا النحو "   " "   " وذلك فى سائر النصوص الحجازية عدا حرف الكاف النهائية فى كلمة " كلفك " فى نص الماذنة القائم أمام باب العمرة حيث ورد شبيها باللام بدون جرة عليا .

بينما وردت الكاف المتوسطة والنهائية فى نص الحجة المصرى حيث وردت على هذا النحو "   " ، "   " وذلك فى معظم النص بينما وردت فى بعض الكلمات معرّاه من دون زيادة عليا فى بعض الكلمات مثل كلمة " المكوس " فى السطر العاشر والثانى عشر وكلمة " يمكن " فى السطرين الثامن عشر والتاسع عشر وغيرها من الكلمات كما وردت على هذا النحو فى كلمات قليلة من النص "   " فى كلمة " مكيلا " فى السطر الرابع عشر .

---

(1) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٧٩ .

أما فى نص الدينار فقد وردت معّراه بدون أى جرة عليا سواء المتوسطة منهـا أو النهائية والذى يلفت النظر هنا هو ظهور بعض الزخارف داخل حرف الكـــاف النهائية فى النصوص الحجازية على العكس من النصوص المصرية سواء نص الحجــة أو نص الدينار والتى تخلو من أى زخرفة وقد سبق أن أشرنا الى هذه الزخارف واختلاف أشكالها عند تحليلنا لهذه النصوص .

المـــيم

يلاحظ أن حرف الميم قد ورد فى النصوص الحجازية موضوع الدراسة معلقـــا فى حالة الابتداء فـــى جميع هذه النصوص سواء فى حالة الابتداء أو الانتهاء مثل كلمة " أمر " هكذا " [illegible] " كما وردت الميم المدغمة مع النون النهائية بنفـــس الشكل هكذا " [illegible] " عدا البسملة فى هذه النصوص حيث وردت مفتوله هكـــذا " [illegible] " بينما وردت الميم المتوسطة مفتولة أيضا فى معظم كلمات هذه النصوص هكذا " [illegible] " ووردت أيضا شبه معلقة مثل كلمة " مما " هكذا " [illegible] " وكلمـــة " محمد " هكذا " [illegible] " . " [illegible] " وذلك فى سائر هذه النصوص .

ويلاحظ أن الميم قد وردت مفتوحة الوسط ولم تأت مطموسة فى غالب كلمات هذه النصوص الحجازية .

أما فى نص الحجة المصرى فقد وردت الميم معلقة فى سائر النص سواء فى حالـــة الابتداء أو فى حالة الانتهاء هكذا " [illegible] " و " [illegible] " ويلاحظ أن هـــذه الأخيرة شبيهة بالميم المحققة التى تكون مفتوحة الوسط واذا طمست أصبحت معلقـــة وفى حالة الانتهاء هكذا " [illegible] " كما وردت مفردة مسبله هكذا " [illegible] " فى بعـــض الكلمات مثل كلمة " درهم " فى السطر الحادى عشر وكلمة " العظام " فى السطـــر السابع عشر وكلمة " مقام " فى نهاية السطر السادس والعشرين وهكذا .

أما فى نص الدينار فقد وردت الميم شبه معلقة فى حالة الابتداء والتوسط كما هو الحال فى كلمة " محمد " فى السطر الثانى من مركز وجه الدينار وفى كلمة " خمس " فـــى السطر الأول من مركز الظهر وكلمة " محمد " فى السطر الرابع .

أما حرف الميم فى كلمة " من " فى السطر الأول من مركز وجه الدينار فهى غـــير

واضحة المعالم وان كان يبدو أنها شبه معلقة هكذا " " ويلاحظ أن رأسهـــا يميل الى التربيع على العكس من شكلها المعروف فى خط الثلث حيث تظهر على هيئة مثلث صغير هكذا " " .

النــــون

وردت النون المفردة فى النصوص الحجازية موضوع الدراسة مجموعة هكذا " ن " وذلك فى سائر الكلمات التي وردت بها نون مفردة مثل " السلطان ، شعبان ، قلاوون" وغيرها من الكلمات سواء فى نص المرسوم أو فى نصوص ماذنة باب الحزورة .

أما النون النهائية المركبة مع حروف أخرى فقد وردت فى النصوص الحجازيـــة على حالتين :

١ - الأولى : مجموعة هكذا " ـن " وذلك فى كلمات كثيرة جدا نذكر على سبيل المثال كلمة " الدين " و " بن " و " حسين " و " اثنين " و " سبعين " فى السطر الثانى والرابع من نص اللوحة التأسيسية المستطيلة على التوالي وكذلك فى كلمة " الدين " و " حسين " و " اثنين " و " سبعين " فى الأسطر الثانى والرابع من نص ماذنة الحزوره القائم حتى الآن عند باب العمرة . كما وردت أيضا فى نـــص المرسوم فى كلمات كثيرة بالنص نذكر على سبيل المثال كلمة " الاثنين " و " ستين " فى السطر الأول وكلمة " المسلمين " فى السطر الثالث و " العالمين " و " الدين" فى السطر الثالث أيضا وهكذا فى كثير من كلمات النص .

٢ - كما وردت فى النصوص الحجازية المشار اليها مدغمة مع بعض الحروف هكذا " " " " " " فقد وردت فى البسملة فى نص المرسوم أو النصـوص التأسيسية لماذنة الحزوره وفى كلمات كثيرة أيضا بهذه النصوص .

أما فى نص الحجة المصرى فقد وردت النون المفردة شبه مقوره فى سائر النـــص هكذا " ن " .

أما النون النهائية المركبة مع حروف أخرى فقد وردت تارة شبه مقوره وتارة مدغمة فجاءت شبه مقوره فى كلمة " الأماكن " فى السطر الثانى وكلمة " الحرمين الشريفيـن " فى السطر الخامس كما وردت مدغمة مع حرف الميم والكاف والياء فى كلمة " من " فى سائر

النص هكذا " " و " يمكن " في السطرين الثامن عشر والتاسع عشر ، وكلمة " العراقيين " في السطر الحادي والعشرين . أما في نص الدينار فقد وردت النون المفردة مقعرة في كلمة " السلطان " في السطر الثاني من مركز ظهر الدينار هكذا " " وجاءت شبه مقوره في كلمة " شعبان " في السطر الثالث من مركز الظهر أيضا وجاءت مجموعة في كلمة " قلاوون " هكذا " " في السطر الرابع بينما جاءت النون النهائية أشبه بحرف الباء في كلمة " دين " في السطر الرابع من مركز الوجه وجاءت مبسوطه في كلمة " الدين " في السطر الآخير من مركز الوجه وكلمة " حسين " في السطر الثالث من مركز الظهر هكذا " " " " وجاءت على هيئة خط أفقي في كلمة " من " في السطر الأول من مركز الوجه هكذا " " كما جاءت مدغمة في كلمة " الدين " في السطر الثالث من مركز الظهر وكلمة " بن " في السطرين الثالث والرابع هكذا " " و " " .

الهاء

وردت الهاء المفردة المعراه هكذا " ٧ " في النصوص الحجازية فقد وردت على هذا النحو في كلمات " بعمارة " و " هذه " في السطر الأول من نصوص ماذنة الحزوره الثلاثة وكلمة " أنصاره " و " اقتداره " في السطر الثاني من النص المستطيل والسطر الثالث والرابع من أسطر كل من نص عمود المتحف ونص العمود القائم بالحرم عند باب العمره وكذلك كلمة " بمباشرة " في السطر الثالث من النص المستطيل والسطر الرابع من نصي العمودين المشار اليهما بينما جاءت هذه الهاء مختلفة في كلمة "بحزوره " في نهاية السطر الأول من نصي العمودين فقد جاءت في نص العمود القائم أمام باب العمرة بالحرم الشريف بنفس الشكل المشار اليه هنا هكذا " ٧ " بينما جاءت في نص العمود المحفوظ بمتحف الحرم على هذا النحو " ٥ " وجاءت في نص المرسوم بصورة واحدة فقط في جميع النص هكذا " ٧ " بينما جاءت في نص الحجه المصرى على هذا النحو " ٥ " ، " ٥ " ، " ٥ " ولم تأت على ما جاءت في النصوص الحجازية المشار اليها . أما في نص الدينار فقد جاءت شبه مدوره على نحو ما ورد في نص الحجة وان كانت قد كتبت في نص الحجة بطريقة أكثر تجويدا .

أما الهاء المبتدأة فقد وردت فى النصوص الحجازية موضوع الدراسة على هذا النحو " هـ " ، " ها " ، " ها ها " وهي التى تعرف بوجه الهر ، فقد وردت فى نص مانذنة الحزوره المستطيل فى كلمة " هذه " و " وذهاب " و " آثارها " فى السطر الأول كما وردت متوسطة فى نفس النص فى كلمة " انهدامها فى السطر الأول وكلمة " مهندسها " و " شهر " فى السطر الأخير.

كما وردت مبتدأة فى نص مانذنة الحزوره المنقوش على العمود القائم الآن عند باب العمره فى الكلمات التالية " هذه " فى السطر الأول وكلمة " ذهاب " و "وآثارها " فى السطر الثاني ولكن يلاحظ أنها فى كلمتى " هذه وآثارها " قد جاءت شبه مزخرفة على هذا النحو " ها " كما وردت هذه الهاء المعروفة بوجه الهر متوسطة فى نفس النص فى كلمة " انهدامها " هكذا " ها " ، " ها " بينما وردت هذه الهاء المتوسطة شبه ملوزه فى كلمة " شهر " فى السطر الأخير من نفس النص هكذا " شهر " أما فى نص مانذنة الحزوره المنقوش على عمود والمحفوظ بمتحف الحرم المكي فقد وردت الهاء المبتدأة على هذا النحو " هذه " فى كلمة " هذه " فى السطر الأول. وكلمة " ذهاب آثارها " بنفس الشكل تقريبا وهو الشكل المعروف بوجه الهر بينما وردت فى حالة التوسط شبه ملوزه فى كلمة " انهدامها " فى السطر الثاني هكذا " مها " ، " شهر " وفى كلمة " شهر " فى السطر الأخير من النص نفسه . أما فى نص المرسوم الحجازى فقد وردت الهاء المبتدأة على هذا النحو " هذا " فى كلمة " هذا " فى السطر الرابع عشر وكلمة " هو " و " درهم " فى السطر الخامس عشر وكلمة " هذا " فى السطر الثامن عشر و " هذه " فى السطر التاسع عشر بينما وردت هكذا " هذا " فى كلمة " هذا " فى السطر العشرين كما جاءت هكذا " هذا " فى كلمة الدهور فى السطر الحادى والعشرين .

أما الهاء المتوسطة فقد وردت فى نص المرسوم شبه ملوزه فى كلمة " الشهيد " على هذا النحو " لشهـ " فى السطرين الثالث والرابع وفى كلمة " بها " و " اليها " و " أنواعها " و " أسواقها " وجميع هذه الكلمات فى السطر السابع وكلمة " اليها " فى السطر العاشر وكلمة " بها " فى السطر السابع عشر وكلمة " قربها " فى السطر الثامن عشر وكلمة " المهالك " فى السطر العشرين وكلمة " يلعنهم " فى السطر الثالث والعشرين وهكذا حتى نهاية النص .

وبمقارنتها بالنصوص المصرية نجد أن حرف الهاء قد جاء شبه ملوز سواء فى حالة الابتداء كما هو الحال فى كلمة " القاهرة " فى السطر الأول من مركز ظهر الدينـــار هكذا " هـ " أو فى حالة كونها متوسطة كما هو الحال فى كلمتى " الهـــدى " و " يظهره " فى السطرين الثالث والرابع من مركز وجه الدينار .

أما فى نص الحجه المصرى فقد وردت الهاء المبتدئه عبارة عن شرطة صغيرة على هذا النحو " ـهـ " فى كلمة " درهم " فى جميع النص كما وردت ملوزه مطموسة فـى كلمة " وهو " فى آخر السطر الثامن هكذا " هو " بينما وردت الهاء المتوسطة ملوزه فى معظم النص هكذا " ـها " فى كلمة " عليها " و " ربعها " فى السطـــر الثالث والسطر التاسع وكلمة " شرفها " فى السطر العشرين " .

بينما وردت مدغمة هكذا " ـهما " " ـهـ " فى كلمات " شرفهما " فـى السطر الخامس وكلمة "عظمهما " فى السطر السادس وكلمة " أنهما " فى السطـــر العاشر وهكذا فى كلمات كثيرة بالنص . كما وردت " الهاء " المتوسطة على هيئة وجـه الهر فى كلمة " تناولها " فى السطر العاشر .

الـــواو

ورد حرف الوار فى النصوص الحجازية موضوع الدراسة سواء نص المرسوم أو نصوص ماذنة الحزوره بشكلين فقط : الأول شكل الواو المجموعة على هذا النحو " و " والثانى : شكل الواو المبسوطه على هذا النحو (" و " .

أما فى نص الحجه المصرى فقد ورد حرف الواو مخطوفا ومجموعا ، فقـد ورد مخطوفا على هذا النحو " و " فى كلمة " والمتولي " فى السطر الثالث "و"يصرفه" و " وجوه " و " القربات " و كلمة " وقفهما " و " المدينة " فى السطر التاسع وكلمـــة " واحدا " فى السطر العاشر وكلمة " مأكول " و " مطبوخ " و " والمدس " فى السطـر الثالث عشر وهكذا فى كلمات كثيرة بالنص بينما وردت فى معظم النص مجموعة هكـــذا " و " ولكن يلاحظ أنها وردت مطموسة الرأس فى نص الحجة سواء الـــواو المجموعة أو المخطوفه بينما وردت فى النصوص الحجازية مفتوحة الوسط هكذا " و " أما فى نص الدينار فقد وردت الواو مخطوفه فى كلمة " رسول " فى السطر الثالث مـــن مركز وجه الدينار وكلمة " ودين " فى أول السطر الرابع بينما وردت الواو مجموعة فى كلمة

" والدنيا " فى السطر الثالث من مركز الظهر وكلمة " وسبعمايه " فى السطر الأخير من مركز الظهر ولكن يلاحظ أن ذيل الواو المجموعة هنا قد ارتفع الى أعلا بحيث أصبح أعلا من رأسها هكذا " و " بحيث تشبه فى بعض ملامحها حرف النون المجموعة بالاضافة الى أن رأسها جاء مطموسا سواء الواو المجموعة أو المخطوفة .

اليــاء

ونخص بالذكر هنا الياء الراجعة حيث وردت فى نصوص مآذنة الحزوره فى كلمة " الى " فى نص اللوحة المستطيلة فى السطر الثالث وكلمة " تعالى " فى نص العمود المحفوظ بالمتحف ومما يلفت النظر هو شكلها فى كلمة " الى " فى نص اللوحة المستطيلة حيث ورد ذيلها مرتفعا الى أعلى هكذا " ـلى " وهى تشبه فى ذلك الياء الراجعة فى نص السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذى سبق أن تحدثنا عنه فى كلمة " فى " الواردة فى السطر الأخير منه بينما وردت الياء الراجعة مستقيمة فى كلمة " تعالى " فى نص العمود المحفوظ بالمتحف هكذا " ـلى " .

أما فى نص المرسوم فقد وردت الياء الراجعة فى بعض كلمات النص مثل كلمة " محي " فى السطر الثالث وكلمة " الأشرفي " فى السطر الخامس وكلمة " يعفى " فى السطر الثالث عشر وكلمة " على " فى السطر السادس عشر وكلمة " في " فى السطر العشرين وهكذا فى كلمات كثيرة فى النص بينما وردت فى وضعها المألوف فى معظم كلمات النص هكذا " ى ". أما فى نص الحجه المصرى فقد وردت اليـاء فى وضعها الصحيح ولم تظهر الياء الراجعة .

. . . . . .

الدراسة المقارنـــة

لنص السلطان برقوق الخاص بتجديد مقام الحنفي بالحرم المكي الشريف المؤرخ بعام ٨٠١هـ ونصوص السلطان فرج بن برقوق الخاصة بتعمـــير الحرم المكي الشريف المؤرخة بعام ٨٠٤هـ لوحات (٦، ٧، ٨، ٩)

أما النصوص المصرية ميدان المقارنة هنا فهي :

١ - آيات من سورة البقرة [١] من مصحف السلطان الظاهر برقوق الذى كتب سنـــة ٨٠١ هـ وهذا المصحف محفوظ بدار الكتب المصرية ونقلت صورة هذا المصحـف عن الأستاذ ناجي زين الدين المصرف [٢] - أنظر لوحة (٥٣) من هـــذه الرسالة .

أما هذه الآيات التى تمثل أول سورة البقرة فهي قوله تعالى :

" بسم الله الرحمن الرحيم
ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين
يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون
والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم
يوقنون "

٢ - جزء من النص التأسيسي المنقوش على هيئة افريز أو طراز بالخطين الكوفي المزوى والثلث اللين فى سطر واحد على رقبة القبّة البحرية بخانقاة السلطان فـــرج بن برقوق بالقرافه الشرقية بالقاهرة مؤرخ بسنة ٨٠٣هـ نشرة الأستاذ حســـن عبد الوهاب [٣] أنظر لوحة (٥٤) من هذه الرسالة .

---

(١) آية ١ - ٤ من سورة البقرة .
(٢) ناجي زين الدين المصرف : بدائع الخط العربي - منشورات وزارة الاعـــلام العراقية ١٩٧١م ص ٥٠ ، ٤٤١ شكل (٢٦) .
(٣) حسن عبد الوهاب : " خانقاة فرج بن برقوق وما حولها " المؤتمر الثالث للآثـــار فى البلاد العربية - فاس - ١٩٥٩م - نشر جامعة الدول العربية - لوحـــة (١٦) ، (١٧) .

والواقع أن الأستاذ حسن عبد الوهاب قد أورد صورة النص كاملة ولكنها غير واضحة بينما وردت صورة هذا الجزء من النص الذى سوف يستخدم هنا فى الدراسة المقارنة فى غاية الوضوح فى لوحة رقم (١٧) كما أورد الأستاذ حسن عبد الوهاب النص بخطيه الكوفي والثلث على النحو التالي :

أ - النص المنقوش بالخط الكوفي هو :

" أمر بانشاء هذه التربة المباركة مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته بمنه وكرمه فى أيام ولده مولانا الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبو السعادات فرج أدام الله أيامه وثبت أحكامه ونشر فى الخافقين أعلامه وذلك بنظر العبد الفقير الى الله تعالى أبى المعالي عبد الله يلبغا السالمي الحنفى الظاهرى استادار العالية الملكي الناصرى لطف الله به فى الدارين وجعله مع خير الصديقين[1] وذلك فى شهور سنة اثنان[2] وثمانمائة[3] "

ب - النص المنقوش بالخط الثلث هو :

" قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولوجئنا بمثله مددا. قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا . ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آموا صلوا عليه وسلموا تسليما اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين[4] "

والواضح من النص هو الجزء الذى سبق أن أشرنا اليه والذى يحتوى على جزء من النص الكوفي وجزء من النص الثلث - لوحة (٥٤) وذلك على النحو التالي :

---

(١) يلاحظ أن الأستاذ حسن عبد الوهاب قد قرأ هذه الكلمة "الصديقين" والصواب انها "الفريقين" .

(٢) يلاحظ أن الأستاذ حسن عبد الوهاب قد جعل تاريخ هذا النص سنة ٨٠٢ هـ عند قراءته له بينما يشير فى موضع آخر الى أن الانتهاء من عمارة هذه القبة هو سنة ٨٠٣ هـ ومما يؤسف له أن التاريخ غير واضح فى الصور التى أوردها الأستاذ المذكور لكي نستطيع تحديده على وجه الدقة - أنظر : حسن عبد الوهاب : المرجع السابق ص ٢٩٦

(٣) حسن عبد الوهاب : " خانقاه فرج بن برقوق " ص ٣٠٢ .

(٤) المرجع نفسه : ص ٣٠٢ .

أ ـ الجزء الواضح من النص المنقوش بالخط الكوفي هو :

" الناصرى لطف الله به في الدارين وجعله مع خير الفريقين وخير "

ب ـ الجزء الواضح من النص المنقوش بالخط الثلث هو :

" [عـ]لى سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ورضي الله عـن أصحا [ب] رسو [ل الله] .

وبمقارنة هذه النصوص المصرية مع النصوص الحجازية يتضح مايلى :

١ ـ أن نص السلطان برقوق الحجازى المؤرخ بعام ٨٠١ هـ غير متقن الخط على الرغم من أنه يعود الى أوائل القرن التاسع الهجرى اذا ماقورن بالنص القرآني في مصحف السلطان برقوق الذى كتب في مصر والذى كتب في نفس التاريخ أى سنة ٨٠١ هـ اذ يتميز خطه بالجودة والاتقان مما يشير الى أن الحجاز قد اعتمد على الخطاطين المحليين فحسب وهذا لا يعنى أن جميع خطاطى الحجاز كانت كتاباتهم أقل مستوى من غيرهم من خطاطى الأقاليم الأخرى بدليل أن نصوص السلطان فرج بن برقوق الحجازية المؤرخة بعام ٨٠٤ هـ قد نقشت بخط متقن مجود مما يدل على أن هناك أيضا خطاطين حجازيين على مستوى رفيع والشواهد على ذلك كثيرة سواء فى النصوص التى سبق لنا دراستها مثل نصوص السلطان شعبان أو نصوص أخرى سوف ندرسها .

بل اننا نجد فى مدرسة الحجاز نصوص ضعيفة ونصوص جيدة الكتابة لسلطان واحد كما هو الحال في نصي السلطان برسباى المؤرخين بعام ٨٢٥هـ، ٨٣٨هـ على التوالي وهذا الاختلاف في مستوى الكتابة ليس له تفسير سوى أن هناك خطاطين حجازيين بلغوا درجة عالية في الكتابة بينما هناك خطاطون حجازيون آخرون أقل اتقانا وجودة فى كتاباتهم ومع ذلك أستفيد منهم في تنفيذ بعض النصوص التأسيسية بالحجاز .

٢ ـ نقش نص السلطان برقوق الحجازى بخط الثلث ويتميز بضخامة حروفه وغلظتها وعدم تناسبها بينما نقش النص القرآني الذى كتب فى مصر بالخط المحقق وقد بذل الخطاط فيه جهدا كبيرا من حيث الاتقان والجودة وهو أمر ليس بمستغرب أن يبذل الخطاط جهده فى سبيل الاتقان والجودة لأنها كتابة قرآنية يجب أن يكتبها أمهر الخطاطين وأجودهم .

٣ - يلاحظ أن الخطاط الذى كتب النص القرآني قد جعل الزخرفة منفصلة عـــن الحروف بين كل سطر وآخر وهي عبارة عن وريدات صغيرة تملأ المساحةالفاصلة بين السطور تحيط بوريدان أكبر حجما منها على هذا النحو كمـا زينت اطارات الصفحة بزخارف كثيفة فى أعلى النص وأسفله وأحد جوانبه بينما نجد أن الزخرفة فى نص السلطان برقوق الحجازى على نهايات بعض الحروف فقط مثل حرف الميم فى كلمة " المقام " فى السطر الثالث وحرفي الهاء والـراء فى كلمة " الظاهر " فى نهاية السطر الثالث .

٤ - يلاحظ أن الخطاط الحجازى الذى كتب النصوص التأسيسية لعمارة الحرم المكي الشريف فى عهد السلطان فرج سنة ٨٠٤ هـ لم يقتصر فى توثيق هذه العمارة على نص واحد بل قام بنقش نصين تأسيسيين أحدهما على هيئة خراطيش والآخر عبارة عن لوحة مستطيلة من ثلاثة أسطر ويدل ذلك على حرص الخطاط الحجازى على ابراز أهمية هذه العمارة التى قام بها السلطان فرج بن برقوق للحرم المكي الشريف سنة ٨٠٤ هـ . والواقع أن الخطاط الحجازى قد دأب على توثيـــق العمائر السلطانية فى الحجاز بأكثر من نص واحد كما سبق أن أشرنا الى ذلك عند تحليل نصوص السلطان فرج .

وبمقارنة ذلك مع النصوص المصرية لا نجد هذه الملاحظة وانما اكتفى الخطاط المملوكي فى مصر على نقش نص تأسيسي واحد ولو حرص الخطاط المصرى عـلى توثيق العمائر السلطانية فى مصر بأكثر من نص لكان قد ظهر ذلك واضحا فـى نصوص خانقاه السلطان فرج بن برقوق هذه ، ولهذا نجد أن نصوص الخانقاه مختلفة التواريخ بمعنى أنه كلما انتهى جزء من عمارة الخانقاه نقش لها نـص تأسيسي يختلف فى مضمونه وتاريخه عن النقوش الأخرى بينما نجد أن الخـطاط الحجازى قد حرص على توثيق العمائر بأكثر من نص تحمل نفس المضمون والتاريخ مهما كانت العمارة صغيرة بل حرص الخطاط الحجازى على توثيق التجديدات والترميمات التى حدثت بالحرم المكي بأكثر من نص تأسيسي واحد تحمل نفـس المضمون والتاريخ وذلك دليل على مدى حرصه لأنه ربما كان من باب الاحتيـاط

بحيث لو تعرض أحد النصوص للكسر أو الطمس فان هناك نصا آخر مماثلا يؤرخ لهذه العمارة .

٥ - نقش النص المصرى بخطيه الكوفي والثلث داخل افريز واحد على هيئة طراز بينما نقش أحد نصوص السلطان فرج الحجازية على هيئة خراطيش مفصصة ومستطيلة (لوحة ٨) كما نقش الخطاط الحجازى نصا آخر مستطيل من ثلاثة أسطر (لوحة ٧) مما يدل على قدرة الخطاط الحجازى واستطاعته فى تنويع تنفيذ طرق الكتابة واذا كان الخطاط المملوكي فى مصر قد استخدم نوعين من الكتابة فان الخطاط الحجازى قد استخدم هو الآخر كلا النوعين في تنفيذ نصوصه في هذه الفترة مما يدل على أن مصر ليست وحدها التى عرفت نوعين من الخط فى نص واحد وانما الحجاز أيضا عرف هذين النوعين ونفذه الخطاطون الحجازيون بكل دقة .

بل ربما كان الخطاط الحجازى هنا أكثر دقة لأنه استخدم الخط المزوى فى البسملة على أنه خط زخرفي بحت ليدلل على أن دور الخط المزوى فى النصوص التأسيسية قد انتهى واقتصر على الناحية الزخرفية على العكس من الخطاط المملوكي فى مصر الذى مازال يعتبر الخط الكوفي عنصرا أساسيا فى كتابة النصوص التأسيسية حتى أنه نقش اسم المباشر للعمارة وتاريخ التعمير بالخط الكوفي (١) .

٦ - على الرغم من وجود نماذج من الخط الكوفي بجانب الخط الثلث فى كثير من النصوص المصرية المنقوشة على العمائر المملوكية التى أشار اليها الأستاذ حسن عبد الوهاب الا أن الملاحظ أنه لم يأت بأى نموذج مصرى قبل عصر السلطان فرج بن برقوق بل ان جميع النماذج التى استشهد بها على وجود نوعين من الخط فى نص واحد لا تتعدى سنة ٨٢٣ هـ فى جامع المؤيد شيخ (٢) بينما نجد أن الخطاط الحجازى قد استخدم كلا النوعين فى أوائل القرن التاسع كما هو

---

(١) حسن عبد الوهاب : خانقاه فرج بن برقوق وما حولها ص ٣٠١، ٣٠٢.
(٢) المرجع نفسه ص ٣٠١.

الحال فى نص السلطان فرج بن برقوق المنقوش على الخراطيش والمؤرخ بعام ٨٠٤ هـ مما يدل على أن الخطاط الحجازى كان على قدم المساواة مع الخطاط المملوكي فى مصر فى استخدام نوعين من الخط فى نص واحد وبالتالى فان الخطاط الحجازى لم يكن مقتبسا من الخطاط المملوكي فى مصر ولو حدث ذلك الاقتباس لظهر تأثيره بعد هذا التاريخ بسنوات عديدة فى الحجاز وليس هذا فحسب بل ان كتابة البسملة بالخط الكوفي وبقية النص بالخط الثلث لم تظهر فى مصر قبل سنة ٩٠٩ هـ كما هو الحال فى نقوش جامع السلطان الغورى[1] ، مع أن كتابة البسملة بالخط المزوى الحجازى وبقية النص بالخط الثلث قد ظهرت فى نصوص السلطان فرج الحجازية منذ سنة ٨٠٤ هـ الأمر الذى يمكن أن نقرر معه أن الخطاط الحجازى قد استخدم تنويع الخطوط فى النص الواحد قبل مصر المملوكية .

٦ - يلاحظ أن الخطاط المملوكي فى مصر قد اقتصر فى كتابته على نصوص تأسيسية وعبارات دعائية وتاريخ النص فقط ، كما فى نص السلطان فرج بن برقوق ميدان المقارنة المؤرخ بعام ٨٠٣ هـ بينما نجد أن الخطاط الحجازى لم يقتصر على النص التأسيسي والعبارات الدعائية والتاريخ فقط بل فصل بين البسملة المنقوشة بالخط الحجازى المزوى وبين الخرطوشة الثالثة المتضمنة للعبارات الدعائية والآيات القرآنية بخرطوشة مفصصة نقش عليها اسم السلطان فرج بن برقوق على هيئة رنك مفصص كما فصل بين الخرطوشة الثالثة التى أشرت اليها وبين الخرطوشة التى تتضمن النص التأسيسي بخرطوشة مفصصة نقش عليها عبارة التوحيد والرسالة المحمدية كما فصل بين الخرطوشة المستطيلة التى تحمل النص التأسيسي وبين الخرطوشة التى تحمل اسم المباشر للعمل والتاريخ بخرطوشة مفصصة على هيئة رنك آخر مما يدل على المستوى الرفيع الذى بلغه الخطاط الحجازى وخصوبته فى طرق تنفيذ الكتابة وتمرسه فى أنواع الكتابة المختلفة وطرق تنفيذها وقد لاحظنا ذلك فى نماذج سابقة ولاحقة أشرنا اليها عند تحليل نصوص السلطان فرج الحجازية .

---

(١) حسن عبد الوهاب : خانقاه فرج بن برقوق وما حولها ص ٢٠١ .

لقد استخدم الخطاط المصرى التضفير والتزهير فى النص الكوفي ولكنه أسهل وأقل تعقيدا من التضفير والتزهير الذى ظهر فى البسملة فى النص الحجازى المنقوش على الخراطيش فقد استخدم الخطاط الحجازى أسلوب التعمية فى النص بحيث يصعب تمييز الحروف الكتابية من العناصر الزخرفية وفى ذلك دليل على أن الخطاط الحجازى قد استخدم الخط المزوى هنا كعنصر زخرفي فقط على العكس من الخطاط المملوكي فى مصر الذى مازال يعتبر الخط الكوفي عنصرا أساسيا فى كتابة النصوص التأسيسية ولذلك فانه على الرغم من استخدامه للتضفير والتزهير فاننا نستطيع أن نتبين الحروف الكتابية فى نصه من الزخارف بكل سهولة .

٧ - لقد أضفى الخطاط أو النقاش الحجازى على النص التأسيسي المنقوش داخل الخراطيش بعض الزخارف التى جاء بعضها منفصلا عن الحروف والبعض الآخر متصلا بالحروف على الرغم من أن النص قد نقش بخط الثلث اللين على العكس من الخطاط المملوكي فى مصر الذى لم يستخدم أى عنصر زخرفي فى النص المنقوش بخط الثلث مما يدل على مدى حرص الخطاط الحجازى على زخرفة نقوشه بغض النظر عن نوع الخط الذى كتب به سواء كان مزوى أو لينا فقد حرص دائما على على ادخال العنصر الزخرفي على نقوشه الكتابية حتى أنه استخدم التضفير كعنصر زخرفي فى بعض أحرف نصوص الخراطيش كما هو الحال فى حرف اللام ألف فى كلمة " لا اله الا الله " فى نص الخرطوشة المفصصة الرابعة وهو ما سبق أن أشرنا اليه عند تحليل النص .

بل ان الخطاط الحجازى لم يقتصر فى الزخرفة على حروف النص فحسب بل ظهرت زخارف نباتية أيضا متفرعة من الاطار العلوى للنص كما هو الحال فى الزخرفة التى تعلو كلمة " فرج " فى نص الخرطوشة المستطيلة الخامسة .

٨ - يلاحظ التزاحم الشديد فى حروف نص السلطان فرج المنقوش على الخراطيش بحيث أدى هذا التزاحم الى تقاطع الحروف بعضها مع بعض سواء الحروف الرأسية كالألفات واللامات أو الأفقية التى تمثل بقية الحروف على العكس من

نص السلطان فرج المنقوش على قبة الخانقاه بمصر الذى يتميز الى حد كبير بحسن توزيع الحروف وعدم تزاحمها وربما كان السبب هو ضيق المساحة المخصصة للنص على الخراطيش الحجازية بينما نجد أن المساحة المخصصة للنص المصرى واسعة بحيث تحيط برقبة القبة كلها ولم يجد الخطاط المصرى نفسه مضطرا الى أن يزاحم الحروف بعضها مع بعض .

٩ - يتميز النص المصرى المنقوش على رقبة القبة البحرية لخانقاه السلطان فرج بطول حروفه ورشاقتها خاصة الألفات واللامات على العكس من نصوص السلطان فرج المنقوشة فى الحجاز سواء التى نقشت على الخراطيش أو التى نقشت على لوحه مستطيلة الشكل من ثلاثة أسطر (لوحة ٧) أو حتى نص الرنك المنقوش فى الحجاز (لوحة ٩) والتى تتميز بقصر حروفها النسبى وغلاظتها .

١٠ - تتميز نصوص السلطان فرج الحجازية بأنها تحتوى على تاريخين بدلا من تاريخ واحد التاريخ الأول منها هو تاريخ احتراق المسجد الحرام سنة ٨٠٢هـ والآخر تاريخ الانتهاء من العمارة بينما نجد أن النص المصرى يحتوى على تاريخ واحد هو تاريخ الانتهاء من عمارة القبة .

. . . . . .

الدراسة المقارنة
لنصي السلطان برسباى المؤرخين بعامي ٨٢٥ هـ ، ٨٣٨ هـ
لوحة (١٠ ، ١١)

سبق أن تحدثنا عن نصي السلطان برسباى الحجازيين وهما النص الخاص بتجديد باب النبي صلى الله عليه وسلم بالمسجد الحرام المؤرخ بعام ٨٢٥ هـ ونص مانة باب الزيادة المؤرخ بعام ٨٣٨ هـ وأشرنا الى أوجه الشبه والاختلاف بينهما ولاسيما أن النص المؤرخ بعام ٨٣٨ هـ قد نقش بخط جيد بينما نقش نص باب النبى المؤرخ بعام ٨٢٥ هـ بخط أقل جودة مما يشير الى أن هناك مستويات مختلفة من الكتابة فى الحجاز فى هذه الفترة كما يؤكد أن الحجاز قد اعتمد فى كتاباته ونقوشه على الخطاطين المحليين ولم يستعن بأى خطاط من خارج الحجاز وربما يتضح ذلك أكثر عند مقارنة هذين النصين بنصوص أخرى ترجع الى نفس التاريخ من خارج منطقة الحجاز وخاصة النصوص التى كتبت فى مصر حيث ازدهار الخط الثلث بها وهذه النصوص المصرية ميدان المقارنة هي :

١ - آيات من القرآن الكريم من سورة مريم (١) من مصحف السلطان برسباى كتب سنة ٨٢٩ هـ بمصر ومحفوظ الآن بالخزانة الخاصة بالمصاحف بدار الكتب المصرية برقم ٩٨ وقد نقلت صورته من المصحف المذكور مباشرة وهو مكتوب بخط نسخي محقق فى جزءين يبدأ الجزء الأول من أول القرآن الكريم وينتهى بسورة الكهف والجزء الثاني من سورة مريم الى آخر القرآن الكريم . وهو محلى بالزخارف الملونة باللون الأحمر (القرمزى) والأزرق (اللازوردى) أما الورقتان الأولى والثانية التى تمثل فاتحة الكتاب وأول سورة البقرة فهى محلاة بماء الذهب أما أسماء السور وعدد الآيات فهى مكتوبة بالخط الكوفي داخل جامات . لوحة (٥٥) .

٢ - أما النص المصرى الثاني فهو عبارة عن كتابة منقوشة على ظهر مرآة من الحديد باسم السلطان برسباى نشرت صورتها بكتاب معرض الفن الاسلامي فى مصر

---

(١) آية ١ - ٤ .

الذى طبعته وزارة الثقافة المصرية سنة ٩٦٩ م لوحة (رقم ١٧) محفـوظ بمتحف الفن الاسلامي برقم ١٥٣٤٦ . أنظر لوحة (٥٦) من هـذه الرسالة . والمرآة مستديرة الشكل عليها آثار تذهيب وظهرها مزين بجامه كبيرة ملوءة بزخارف نباتية مورقة تتخللها أسلاك مشعة تؤلف نجمة سداسية الشكل في المركز ويحيط بالجامه شريط كتابي يسير عكس اتجـاه عقرب الساعة يقطعه جامات مستديرة مليئة بالزخارف أما نص هذه الكتابـة فهو : " عز لمولانا السلطان العالم العالم[1] الملك[2] الأشرف أبو النصـر برسباى عز نصره "[3].

وبمقارنة هذه النصوص المملوكية التى كتبت فى مصر مع نصوص السلطان برسباى الحجازية نجد ما يلى :

١ - أن نصوص السلطان برسباى الحجازية المؤرخة بعامي ٨٢٥ هـ ، ٨٣٨ هـ ما تزال تتأرجح في جودة الكتابة اذا ماقورنت بالنصوص المصرية سواء النـص القرآني أو النص المنقوش على المرآة مما يدل على أن الخط الثلث المملوكـي قد بلغ أوج ازدهاره فى مصر فى هذه الفترة بينما نجد أن الخط الثلث فـي الحجاز يعطى نموذجين مختلفين أحدهما متقن مجود ظهرت صورته واضحـة في نص المئذنة المؤرخ بعام ٨٣٨ هـ وثانيهما أقل جودة واتقانا ظهرت صورته واضحة فى نص باب النبى صلي الله عليه وسلم المؤرخ بعام ٨٢٥ هـ مما يؤكـد أن هناك مجموعة من الخطاطين الحجازيين بلغت كتاباتهم درجة رفيعـة المستوى من حيث الاتقان وجودة الخط وهو دليل أيضا على أن الحجاز قـد اعتمد فى تنفيذ نصوصه على الخطاطين المحليين فقط ولم يستقدم خطاطين من خارج الحجاز .

---

(١) يبدو أن هذه الكلمة هي " العامل " ولكن الخطاط أخطأ فكتب العالم مرتين .

(٢) يلاحظ أن القائمين على نشر كتاب معرض الفن الاسلامي قد أوردوا كلمة " الملك" مرتين مع أنها وردت مرة واحدة فقط - أنظر ص ١٢٣ من الكتاب المذكور .

(٣) معرض الفن الاسلامي فى مصر : نشر وزارة الثقافة المصرية ١٩٦٩ م - لوحـة (١٧) ص ١٢٣ .

كما يجب أن نلاحظ أنه من غير المحتمل أن يبعث السلطان من مصر بخطاطين لتنفيذ النصوص التأسيسية الخاصة بعمائره في الحجاز لاسيما وأن هذه العمائر والاصلاحات لا تعدو أن تكون عمارات تجديدية وترميمية وليست عمائر شاملة تستدعي من السلطان أن يبعث بخطاطين لكتابة نصوص تأسيسية لهذه العمائر .

والأمر الجدير بالملاحظة هو أن الكتابات والنقوش الحجازية بدأت تأخذ طابع الجودة والاتقان بصفة عامة ابتداء من النصف الأول من القرن التاسع الهجرى لأن النصوص الحجازية منذ هذا التاريخ وما بعده تكاد جميعها أن تكون متقنة الكتابة ولم نعد نرى تلك النماذج القليلة الجودة على نحو ما كنا نلاحظه في القرن الثامن الهجرى وليس لذلك تفسير سوى أن الخطاطين الحجازيين بمختلف فئاتهم ومستوياتهم قد تمرسوا فى كتابة الخط الثلث وانتجوا نماذج خطية متميزة مما سوف نراه فى نصوص قادمة ربما تفوقت هذه النماذج الحجازية على غيرها من الكتابات فى خارج الحجاز .

٢ - يلاحظ أن النقوش الحجازية هنا وكذلك نقش مرآة السلطان برسباى المنقوش فى مصر قد كتبت بخط الثلث بينما كتب النص القرآني بخط النسخ المحقق وقد بذل الخطاط فيه غاية الضبط والاتقان كما جرت العادة فى كتابة المصاحف الشريفة .

٣ - نقشت النصوص الحجازية هنا وكذلك النص القرآني الذى كتب فى مصر فى أسطر أفقية بينما نقش نص المرآة بطريقة دائرية تسير فى عكس اتجاه عقرب الساعة .

٤ - فصل نص المرآة الذى نقش فى مصر بفواصل عبارة عن جامات مستديرة مليئة بالزخارف لم نجدها فى النصوص الحجازية .

٥ - يلاحظ أن توزيع الحروف والكلمات فى النصوص المملوكية المكتوبة فى مصر جاء متناسقا ومتناسبا فى كل سطر من سطور هذه النصوص سواء النص القرآنى أو نص المرآة ، ونجد أيضا أن نص المآذنة الحجازى متناسقا ومتناسبا بينما جاء نص باب النبى الحجازى المؤرخ بعام ٨٢٥ هـ متزاحم الكلمات والحروف مما جعل قراءته تتميز بشىء من الصعوبة .

٦ - جاءت الزخارف فى النصوص المملوكية التى كتبت فى مصر سواء النص القرآنى أو نص المرآة منفصلة عن الكتابة اذ تمثل اطارات خارجية للكتابة أو أرضيات نباتية لها ولم تظهر أى زخارف متصلة بالحروف سوى حرف واحد فى نص المرآة هو حرف " الباء الأولى " فى كلمة " برسباى " حيث اتصلت بها زخرفة عبارة عن وريدة صغيرة جاءت على هذا النحو " " بينما لحقت الزخارف النباتية كثيرا من حروف النصوص الحجازية وسبق أن أشرنا اليها عند تحليل هذه النصوص .

٧ - يلاحظ أن النصوص الحجازية وكذلك النصوص المملوكية المنقوشة فى مصر قد وجدت عناية كبيرة من حيث النقط والاعجام .

. . . . . .

الدراسة المقارنة

لنصوص السلطان قايتباى وهي نصا عمارة عين عرفة المؤرخان بسنة ٨٧٥ هـ ونص الرنك المحفوظ بمتحف آثار الحرم المكي الشريف ونص مسجد الاجابة بمكة المكرمة المؤرخ بسنة ٨٩٨ هـ

لوحات (١٧، ١٨، ١٩، ٢١)

١ - سبق أن تحدثنا عن هذه النصوص الحجازية وقمنا بتحليلها وهي نصا عين عرفه المؤرخان بسنة ٨٧٥ هـ لوحة (١٧، ١٨) ونص رنك السلطان قايتباى المحفوظ بمتحف آثار الحرم المكي لوحة (١٩) ونص مسجد الاجابة الذى عمّره سنقر الجمالي ناظر الحسبة بمكة وشاد العمائر السلطانية بها سنة ٨٩٨ هـ لوحة (٢١) أما النصوص المصرية ميدان المقارنة فهي :

١ - مرسوم سلطاني أصدره السلطان قايتباى سنة ٨٧٥ هـ يقضي بابطال بعض الضرائب وهي ضريبة النطرون عن جماعة القزازين بدمنهور الوحش ومنيلها لوحه (٥٧).

والمرسوم منقوش على لوح من الرخام مقاسه ٤٣ × ٥٣ سم وارد الى متحف الفن الاسلامي من مسجد سيدى شعبان بدمنهور. ويتألف النص من أربعة أسطر بالخط الثلث البارز ويفصل بين كل سطر وآخر خط بارز والكتابة داخل اطار بارز أيضا وقد قرأ هذا النص الأستاذ جاستون فييت Wiet على النحو التالي :

١) المرسوم بالأمر العالي المولوى السلطان الملك الأشرف قايتباى

٢) عز نصره أن يعفو جماعة القزازين بدمنهور الوحش ومنيلها من

٣) النطرون الجارى في الديوان المفرد السلطاني من استقبال

٤) سنة خمس وسبعين وثمان مائه على يد الشيخ شعبان نفع الله به المسلم[ين].(١)

٢ - نص منقوش على ثريا من النحاس مكفته بالفضة ذات ستة أضلاع على شكل هرم غير كامل وأسفل الثريا حامل قناديل لتركيب القناديل الزجاجية وفى أعلى الثريا ثلاث نتوءات مختلفة الحجم على هيئة بصيلات تنتهى بخطاف لرفع الثريا

---

1. Wiet: Inscriptions Historiques sur pierre. Le Caire 1971
Pl. XXVIII - 120 - 3930, p. 92.

وعلى جوانب الثريا مناطق مثقبة تحتوى على جامة مركزية بها زخارف نباتيـــــة دقيقة ومنقوش بكل ضلع من أضلاع الثريا اسم السلطان قايتباى وبعض ألقابه وقد عمل الخطاط الذى نقش كتابات هذه الثريا على جعل هامات الحروف ونهاياتها العليا على هيئة مقصات معقودة وأشكال مجدولة تشبه ألسنة اللهب. لوحه (٥٨).

وهذه الثريا محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة وقد وردت الى المتحف المذكور من جامع السلطان قايتباى بالفيوم (١) .

وأسلوب الكتابة المنقوشة على هذه الثريا على هيئة مقصات معقـــــودة أو ألسنة اللهب ظهر على بعض الشمعدانات التي بعث بها السلطـــــان قايتباى للحجرة النبوية الشريفة بالمدينة المنورة سنة ٨٨٧ هـ والتى مازال بعضها محفوظا بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة (٢) حتى الآن ولكن للأسف لم أعثر له على صورة واضحة مما جعلنى ألجأ الى تصوير هذه الثريا نظرا لتطابق أسلـــــوب كتابتها مع كتابة هذه الشمعدانات ووضوح صورتها (٣) .

وبمقارنة هذه النصوص المصرية مع نصوص السلطان قايتباى الحجازية نجد مايلى :

١ - أن جميع هذه النصوص المصرية والحجازية على السواء قد نقشت بالخط الثلـــث البارز الذى ازدهر فى العصر المملوكي واستخدمه الخطاطون فى كتاباتهم سواء كانت كتابات قرآنية أو نقوش تأسيسية معمارية أو كتابات تذكارية كما استخـــدم هذا النوع من الخط فى كتابات السّكه والتحف سواء كانت معدنية أو خشبيـــة أو زجاجية كما كتبت به الوثائق وحجج الوقف وغيرها .

ونلاحظ أن النصوص الحجازية هنا قد نقشت بخط جيّد بحيث لا نجد هناك فوارق كبيرة فى مستوى الخط وقد سبق أن أشرنا فى أكثر من موضع الى أن الكتابـــات والنقوش الحجازية قد بدأت تميل نحو الجودة والاتقان منذ النصف الأول مـــن القرن التاسع الهجرى بصفة عامة وهو ما ينطبق على نصوص السلطان قايتبـــاى

---

(١) زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ٥٥٩ شكل ٤٥٦ ، وأنظر : معرض الفن الاسلامي : لوحة ٨٢ ص ١٢٤.
(٢) زكي محمد حسن : المرجع السابق ص ٢٤٧ شكل ١٧٧ .
(٣) كريزول وآخرون : مساجد مصر جـ ٢ وزارة الأوقاف المصرية ـ طبع مصلحة المساحـــة المصرية ١٩٤٨م لوحة ٢٣٤.

الحجازية مثل نصي عين عرفه المؤرخين بسنة ٨٧٥ هـ ونص الرنك ونص مسجد الاجابة المؤرخ بسنة ٨٩٨ هـ بحيث يمكن القول ان الخطاط الحجازى فى هذه النصوص قد تفوق على نظيره المملوكي فى مصر عند مقارنة هذه النصوص الحجازية بنص المرسوم المصرى المؤرخ بسنة ٨٧٥ هـ الذى ازدحمت حروفه والتصق بعضها ببعض كما تداخلت كلماته وعدا بعضها فوق بعض بينما نجد كتابة الثريا قد طغى عليها الطابع الزخرفي البحت واهتم الخطاط هنا بمد رؤوس الحروف وهامتها بحيث تؤلف شكلا زخرفيا على هيئة ألسنة اللهب أو المقصات المعقودة .

والجدير بالملاحظة هنا هو أن الخطاط اعتاض عن كتابة بعض الآيات القرآنية التى كانت تكتب على المشكاوات مثل " الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّى يوقد " برسم الحروف هنا على هيئة ألسنة من اللهب متّقدة كناية عن النّور أو الاضاءة.

أما من حيث حروف الكتابة فنجد أن كتابة هذه الثريا من أجود أنواع الخط الثلث الذى ازدهر فى مصر فى العصر المملوكي بحيث يشكل مع بقية الزخارف داخل الجامات وخارجها وعلى خودة الثريا تحفة فنية رائعة تليق بالمكان الذى وضعت فيه وهو المسجد .

٢ - لم تذكر البسملة فى النصوص المصرية بينما وردت فى النصوص الحجازية .

٣ - يلاحظ أن التاريخ فى نص المرسوم المصرى لم يحدد اليوم أو الشهر وانما اقتصر على عبارة " من استقبال سنة ٨٧٥ هـ " بينما ورد التاريخ فى النصوص الحجازية محدد فى نصي عين عرفه المؤرخين بعام ٨٧٥ هـ بالشهر وهو شهر رجب كما حددت المدّة التى استغرقها اصلاح عين عرفه ابتداء من شهر ربيع الآخر وانتهاء بشهر رجب بل وعبّرت هذه النصوص عن هذه المدّة بأنها تقارب أشهر العدّه ، كما أن نص مسجد الاجابة الحجازى المؤرخ بسنة ٨٩٨ هـ قد حدّد انتهاء مدّة عمارة المسجد باليوم والشهر والسنة وهو يوم الأحد ١١ صفر ٨٩٨ هـ .

٤ - يلاحظ أن نص الرنك أو الرنوك المنقوشة على الثريا قد اقتصرت على عبارة

" الملك الأشرف " في الشطب وكتب في القسم الأعلى " أبو النصر قايتباى " وفى القسم الأسفل كتب " عز نصره " وهو شبيه بما ورد في نص رنك السلطان قايتباى الحجازى المحفوظ بمتحف آثار الحرم المكي وان كان يزيد عن نص رنك الثريا بعبارة " عز لمولانا السلطان " فى نص الشطب .

٥ - لم تظهر كتابات هامشية في النصوص المصرية سواء نص المرسوم أو النصوص المنقوشة على الثريا النحاسية بينما ظهرت فى نص عين عرفة المحفوظ بمتحف قسم الحضارة والنظم الاسلامية بجامعة أم القرى الذى سبق أن نشره الدكتور أنور شكرى .

والواقع أن ظهور الهوامش فى النقوش والكتابات الحجازية قد بدأ منذ وقت مبكر كما سبق أن أشرنا الى ذلك عند تحليل نصوص السلطان قايتباى موضوع الدراسة [(١)] .

٦ - يخلو نص المرسوم المصرى من أى زخرفة بينما ظهرت الزخارف فى نصي عين عرفة الحجازيين خاصة فى البسملة كما ظهرت الزخرفة فى الاطارات الخارجية والتوشيحات فى نص الرنك الحجازى على هيئة فروع نباتية ملتوية تنتهى بوريدات ذات رؤوس مدببة ومفلطحة كما سبق أن أشرنا الى ذلك بتفصيل أكثر عند تحليل نصوص السلطان قايتباى الحجازية [(٢)] .

٧ - نقشت نصوص السلطان قايتباى الحجازية الخاصة بعمارة عين عرفة داخل اطار أعلاه على هيئة عقد مفصص بينما لم نجد هذا العقد المفصص فى نص المرسوم المصرى بينما نقشت كتابة الثريا على هيئة أشرطة كتابية .

٨ - بدأت نصوص السلطان قايتباى الحجازية وكذلك نص مسجد الاجابة بعبارات دعائية أو آيات قرآنية بينما لم نجد هذه الآيات أو العبارات الدعائية فى نص المرسوم المصرى بينما انحصرت العبارات الدعائية فى كتابات الثريا النحاسية التى كتبت فى مصر فى النص المنقوش على خودة الثريا مثل كلمة " المجاهد ، المرابط " كما هو واضح فى الصورة .

---

(١) أنظر ص ٢٦٩ - ٢٧٣ من هذه الرسالة .
(٢) أنظر ص ٢٦٩ - ٢٧٣ من هذه الرسالة .

الدراسة المقارنة
لنصوص السلطان قانصوه الغورى وهي نصا تجديد مقام ابراهيم المؤرخ أحدهما بسنة ٩١٥ هـ ونص قلعة الأزنم المؤرخ بسنة ٩١٦ هـ - لوحات (٢٢ ، ٢٣)

سبق أن تحدثنا عن نصوص السلطان قانصوه الغورى الحجازية وهي نصا تجديد المقام ونص قلعة الأزنم الواقعة على طريق الحاج المصرى . أما النص المصرى ميدان المقارنة فهو عبارة عن لوحة تأسيسية للسلطان قانصوه الغورى مؤرخة بشهر ذى الحجة سنة ٩١١ هـ (لوحة ٥٩) وقد قام بقراءة نصها ونشره الأستاذ جاستون فييت Gaston Wiet (١) والنص منقوش على لوح من الرخام مقاسه ٥٠ × ٨٤ سم وهو مهدى الى متحف الفن الاسلامي بالقاهرة من اسماعيل الملواني . ويحتوى النص على ستة أسطر بالخط الثلث البارز ويفصل بين كل سطر وآخر خط بارز والكتابة داخل اطار بارز ونصها على النحو التالي :

١) قف على الباب خاضعا واحسن الظن والتجى (٢) .
٢) فهو باب مجرب لقضاء الحوائجى (٣) أمر بانشاء هذا
٣) الباب المعظم الامام (٤) الأعظم والملك المكرم
٤) السلطان الصالح الملك الأشرف أبو
٥) النصر قانصوه الغورى خلد الله ملكه
٦) بتاريخ شهر ذى الحجة الحرام سنة احدى عشر وتسعمائه .

---

(1) G. Wiet: Inscription Historiques sur pierre Le Caire 1971 Pl. XXXIII - 130 - 13734. p. 104.

(٢) الراجح أن هذه الكلمة هي : " الترجى " أو " التناجى " وقد كتبها الخطاط هنا بطريقة خاطئة ويلاحظ أن الأستاذ فييت لم يشر الى هذا الخطأ الذى وقع فيه الخطاط .

(٣) يلاحظ أن الخطاط هنا أضاف لهذه الكلمة ياء وصوابها " الحوائج " بدون ياء .

(٤) يلاحظ هنا ورود لقب الامام والواقع أن لقب الامام قد أطلق على بعض سلاطين المماليك فى أواخر عهد الدولة المملوكية وربما يرجع ذلك الى اتساع نفوذهم الذى كان يقابله اضمحلال فى مركز الخلفاء ـ أنظر : حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

وبمقارنة هذا النص مع النصوص الحجازية نلاحظ :

١ - أن جميع هذه النصوص سواء النص المنقوش في مصر في العصر المملوكي أو النصوص الحجازية نقشت بالخط الثلث الذى بلغ قمة ازدهاره في العصر المملوكي ولكن يلاحظ أن النص المصرى ونصي تجديد المقام الحجازيين قد كتبت بخط متقن مجود على العكس من نص قلعة الأزنم الحجازى الذى يفتقر الى الجودة وجمال الخط وهذا التفاوت في مستوى الخط ليس له تفسير سوى أن هناك مجموعة من الخطاطين الحجازيين تمرست في كتابة الخط الثلث وأصبح لها خبرة واسعة في كتابة النصوص التأسيسية وطرق تنفيذها بينما هناك مجموعة أخرى من الخطاطين أقل اتقانا وخبرة في كتاباتهم من سابقيهم ، واذا كان هذا التفاوت قد بدأ يختفى منذ النصف الأول من القرن التاسع الهجرى كما سبق أن أشرنا فان ذلك ينطبق على كتابة الخطاطين المقيمين في المراكز الحضارية الكبرى في الحجاز مثل مكة والمدينة أما بالنسبة للمناطق النائية والبعيدة فلابد أن يكون هذا التفاوت واضحا خاصة اذا ما قورنت نصوص هذه المناطق بالنصوص المكتوبة في المدن الكبرى لأن هذه المناطق لم تأخذ بنصيب وافر من التحضر فلا غرابة أن تكتب نصوصها بطريقة أكثر ميلا الى البداوة على العكس من كتابة المراكز الحضارية والمدن الكبرى لاستحكام الصنعة فيها .

بل ان هذا التفاوت في مستوى الكتابة دليل واضح على أن الحجاز قد اعتمد في تنفيذ نصوصه على الخطاطين المحليين . ولو فرضنا أن الحجاز قد استخدم خطاطين من خارج الحجاز لظهر أثر ذلك واضحا في نص قلعة الأزنم بحكم موقعها في منتصف الطريق بين القاهرة ومكة .

٢ - لم تذكر البسملة في جميع هذه النصوص سواء النصوص الحجازية أو النص المكتوب في مصر وهو أمر نادر الحدوث في النقوش العربية الاسلامية بصفة عامة .

٣ - يلاحظ ورود بعض الأخطاء في النص المصرى والتى أشرنا اليها عند قراءة النص بينما اقتصرت الأخطاء في النصوص الحجازية على التواريخ فقط دون بقية هذه النصوص .

٤ - ورد في النص المصرى عبارة " انشاء هذا الباب " كدليل على أن السلطان قد عمّر هذا الباب عمارة شاملة على العكس من نصي تجديد المقام اللذين ورد بهما

عبارة " أمر بتجديد " مما يدل على أن عمارة السلطان قانصوه الغورى للمقـام قد اقتصرت على الترميم والتجديد فقط أما فى نص قلعة الأزنم فلم يشر الى أى كلمة تدل على انشاء أو تجديد وانما اقتصر على القول بأنه حضر فى هذا المكان الأمير خشقدم معمار السلطان مما يدل على جهل الخطاط الذى كتب هـذا النص بأساليب كتابة اللوحات التأسيسية .

٥ - حظيت جميع هذه النصوص بعناية كبيرة من حيث الاعجام لمعظم حروف هذه النصوص التى تحتاج الى اعجام ولكن يلاحظ أن نقطة كلمة " الباب " فى النص المصرى جاءت فوق الحروف ولم تأت تحتها كما هو الوضع الصحيح فجـاءت على هذا النحو " النان " .

. . . . . .

الدراسة المقارنة
للكتابات الحجازية في العصر العثماني
في القرنين العاشر والحادى عشر الهجريين (١٦، ١٧ م)

وتشمل :

١ - نصوص السلطان سليمان (٩٢٦ هـ - ٩٧٤ هـ) .لوحات (٢٤ - ٢٩، ٦٢) .
٢ - نصوص السلطان مراد بن سليم (٩٨٢ هـ - ١٠٠٣ هـ) .لوحات (٣٣ - ٤٣) .
٣ - نص السلطان أحمد الأول (١٠١٢ هـ - ١٠٢٦ هـ) .لوحة (٤٤) .
٤ - نصوص السلطان محمد بن ابراهيم المعروف بمحمد الرابع (١٠٥٨ هـ - ١٠٩٩ هـ) .
لوحات (٤٥ - ٤٧) .

قبل أن أبدأ في الدراسة المقارنة لهذه النصوص الحجازية أود أن أوضح بعض النقاط الهامة التي تتعلق بمدى تأثر مدرسة الحجاز الكتابية بالأساليب الكتابية التي ظهرت في العصر العثماني ولاسيما بالنسبة للخط الثلث الذى نقشت به جميع هذه النصوص الحجازية وهل كانت هناك تأثيرات خطية عثمانية مباشرة تأثرت بها مدرسة الحجاز لاسيما وأن العثمانيين منذ فتحهم لبلاد المشرق العربي قد اتبعوا سياسة معينة مع طوائف الفنانين وأرباب الصنائع وعلى رأسهم بطبيعة الحال الخطاطين في هذه البلاد التي خضعت لحكمهم وتتمثل هذه السياسة في أنهم عندما يفتحون بلدا من البلدان يقومون باصطحاب أرباب الصنائع والفنون في هذه البلاد ومنهم بالطبع أشهر الخطاطين باعتبار الخط من أرقي الفنون الاسلامية على الاطلاق ويستبدلونهم بغيرهم من الأتراك العثمانيين وهو ما أشار اليه المؤرخ المعاصر محمد بن اياس الحنفي (٩٣٠ هـ) بقوله :

" وخرج جماعة كثيرة من البرددارية والرسل وأصحاب الصنايع من كل فن ممن تعين الى اسطنبول ...... وقيل ان عدّة من خرج من أهل مصر الى اسطنبول ألف وثمانمائة انسان وقيل دون ذلك وقيل ان السلطان سليم شاه لما أخذ من مصر هؤلاء الجماعة أحضر غيرهم من اسطنبول يقيمون بمصر عوضا عن الذى خرج منها وقيل ان هذه عادة عنده اذا فتح مدينة فيأخذ من أهلها جماعة يمضون الى بلاده ويحضر من بلاده جماعة الى تلك المدينة عوضا عن الذين أخذهم منها " (١) .

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٥ ص ١٨٨ .

ويفهم من نص ابن اياس الذى أوردناه أن العثمانيين قد أخذوا جميع أرباب الصنائع والفنون في كل البلاد التى خضعت لسلطانهم وجعلوا ذلك قاعدة تطبق على كل الأقطار التى أصبحت تابعة لهم .

والراجح أن أخذ العثمانيين لفناني الأقاليم وأرباب الصناعة فيها قد اقتصر على البلاد التى أخضعوها بحد السيف بعد أن وجدوا من حكامها وأهلها مقاومة شديدة مثل مصر والشام الخاضعتين لدولة المماليك والتى شهدت ازدهارا عظيما فى سائر الفنون والصناعات ومنها فن الخط وخاصة الثلث منه فكان أخذ هؤلاء الفنانين نكاية بأهالي هذه البلاد يؤيدنا فى ذلك أن الشاه اسماعيل الصفوى الذى كان منافسا خطيرا للسلطان سليم الأول العثماني كان يدرك هذه السياسة التى اتبعها السلطان سليم مع البلاد التى تقاومه مما جعله يبذل غاية جهده فى سبيل المحافظة على خطاطه الشهير محمود خشية أن يقع فى يد السلطان سليم لو انهزم فى حربه معه .(١)

والواقع أن هذه السياسة التى طبقها العثمانيون وأصبحت عادة لهم على حد قول ابن اياس لا يمكن أن تنطبق على الحجاز الذى استسلم حكامه من الأشراف للعثمانيين دون حرب فضلا عن أن قدسية الحجاز فى نفوس سلاطين العثمانيين وحرصهم الشديد على حمل لقب خادم الحرمين الشريفين تجعلهم لا يفكرون فى أخذ أحد من فناني الحجاز وأرباب الصناعة به ومنهم بطبيعة الحال الخطاطين خشية أن يظهروا بمظهر غير لائق أمام العالم الاسلامي الذى كان يعتبرهم حماة للدين فكانوا ينظرون الى الحجاز بصفة عامة والى الحرمين الشريفين بنظرة خاصة ظهر أثرها فى العديد من الاصلاحات والمآثر التى أغدقها هؤلاء السلاطين على الحرمين الشريفين والمجاورين لهما ولو حدث مثل هذا لأشار اليه مؤرخوا الحجاز تماما كما فعل ابن اياس بالنسبة لمصر .

---

(١) حسن الباشا : مدخل الآثار الاسلامية ـ نشر دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٧٩م ص ٣٢٠ .

وهناك نقطة أخرى هامة جدا وهي أن الحجاز قد اعتمد في تنفيذ نصوصه وكتاباته على الخطاطين المحليين ولم يستقدم أي خطاط من خارج الحجاز وخاصة من تركيا التي أدخلت تحسينات على الخط الثلث الذي عرفه الحجاز منذ العصر المملوكي وظهر ما يعرف بخط الثلث الجلي وذلك للأسباب الآتية :

١ - لقد كان للسلاطين العثمانيين انجازات معمارية متعددة في الحجاز وهذه الانجازات المعمارية تحمل في الغالب نصوصا تأسيسية تؤرخ لهذه العمائر وتذكر اسم السلطان الذي تم في عهده هذا الانجاز المعماري ولو بعث السلطان أو السلاطين بخطاطين من قبلهم لكتابة هذه النصوص التأسيسية لحرص هؤلاء الخطاطون على كتابة أسمائهم أو توقيعاتهم على هذه النصوص واعتبروا ذلك شرفا لهم وفخرا أن يقوم أحدهم بتنفيذ وكتابة نص من النصوص في أقدس بقعة على وجه الأرض وهي الحرمين الشريفين وهو مالم نعثر عليه في أي نص من النصوص الحجازية في العصر العثماني مع العلم أن الخطاط العثماني كان حريصا على كتابة اسمه أو توقيعه على أي عمل يؤديه فكيف لو حدث وأن كتب نصا من النصوص في الحجاز بصفة عامة وفي الحرمين الشريفين بصفة خاصة .

٢ - عدم اشارة المؤرخين وخاصة مؤرخي الحجاز الى وصول أي خطاط من خارج الحجاز لتنفيذ وكتابة نقوش سلطانية على المنجزات المعمارية العثمانية وخاصة في مكة والمدينة ولا نعرف أن خطاطا قدم من تركيا أو غيرها لكتابة مثل هذه النصوص اللهم الا ما حدث في القرن الثالث عشر عندما قام السلطان عبد المجيد بعمارة المسجد النبوي وبعث بالخطاط الشهير عبد الله زهدي للكتابة في المسجد النبوي الشريف وظل زهدي حريصا بعد ذلك على الاشارة بأنه خطاط الحرمين الشريفين[1] .

٣ - لو فرض أن سلاطين العثمانيين قد بعثوا بمن شاءوا من الخطاطين الى الحجاز سواء من استانبول أو القاهرة أو الشام لكان الأمر يستدعي وحدة أسلوب الخط في كل أقاليم الجزيرة العربية الواقعة تحت سيطرة العثمانيين ولكن الواقع غير ذلك فقد كان للحجاز طابعه الخاص المميز بدليل أن النقوش المعاصرة في غير الحجاز في الانجازات المعمارية قد ظهرت بشكل مميز يعطي صورة واضحة عن

---

(١) محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ص ٢٤٥ ، وأنظر :
يوسف أحمد : المحمل والحج جـ١ ص ١٥٧ .

الخط الجلي العثماني كما هو الحال في نقش قلعة تبوك المؤرخ بسنة ١٠٦٤هـ لوحة (٦٣) .

٤ - من المعروف أن جهود العثمانيين لم تقتصر على تحسين وتطوير الخط الثلث فحسب بل ابتكروا أنواعا عديدة من الخطوط مثل التعليق والمثنى والديواني وغيرها واستخدم بعضها في النقوش والكتابات التأسيسية[1] فكان من المحتمل ظهور نماذج منها في الحجاز لو أنه استعان بخطاطين من خارج الحجاز مع أن جميع النصوص التي كتبت في الحجاز هي بخط الثلث الذى عرفه الخطاط الحجازى منذ عصر المماليك واستطاع في نفس الوقت أن يستوعب التحسينات والاصلاحات التي أدخلها العثمانيون على هذا النوع من الخط ولم يستخدم غيره من الخطوط التي عرفها العثمانيون .

أما النصوص العثمانية ميدان المقارنة فهي على النحو التالي :

١ - سورة الفاتحة من مصحف السلطان سليمان القانوني كتبها الخطاط العثماني القره حصاري المتوفي سنة ٩٦٣ هـ والمصحف محفوظ بمتحف طوبقبوسراى باستانبول[2] لوحة (٦١) .

٢ - نص تأسيسي على قلعة تبوك بشمال الجزيرة العربية مؤرخ بسنة ١٠٦٤ هـ وينشر هذا النص التأسيسي هنا لأول مرة وأوصافه على النحو التالي :

نص تأسيسي منقوش على بلاط من القاشاني مقاسه ١٦٨ × ٩٣ سم وعدد الأسطر ثمانية سطور منها سبعة أسطر تتألف من أربع بلاطات أما السطر الأخير فيتألف من خمس بلاطات البلاطة الأخيرة بها التاريخ رقما ويلاحظ أن هذه البلاطة مضافة . أما البلاطات التي تؤلف السطر الواحد فهي تشكل في مجموعها خرطوشة مستطيلة الشكل تنتهي بأنصاف دوائر باللون الأزرق الفاتح والزخرفة باللون الأسود وقد وضع هذا النص أعلى باب القلعة - لوحة (٦٣) .

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني ص ١٧٣ - ١٨٩ .

(٢) ناجي زين الدين : مصور الخط العربي ص ٦٩ شكل ٢٢٢ .

النص

١ - أمر بتجديد وتعمير هذه القلعة المباركة

٢ - حضرة مولانا السلطان بن السلطان

٣ - السلطان محمد خان بن السلطان ابراهيم

٤ - خان بن السلطان أحـ[ـمد خان ابن]

٥ - عثمان خلد الله مـ[ـلكه الى آخر] الزمان

٦ - وتشرف بمباشرة خدمتها العبد [الـ]ـفقير

٧ - الى الله تعالى محمد ابن النا[ظر السر] وجي بدمشق

٨ - الشام غفر الله له في سنة أربع وستين وألف ١٠٦٤ سنة

وبمقارنة هذه النصوص بالنصوص الحجازية نلاحظ ما يلي :

١ - نقشت جميع النصوص الحجازية على الرخام أو البازلت وهما المادتان المتوفرتان في الحجاز والتي تمرس الخطاط الحجازي على الكتابة عليهما ولم يجلب لـه أي مواد أخرى من الخارج بينما نقش نص قلعة تبوك المؤرخ بسنة ١٠٦٤هـ على بلاط من القاشاني أحضر خصيصا لكتابة هذا النص التأسيسي عليه وهي المادة المفضلة التي كان يستخدمها الخطاط العثماني في النصوص التأسيسية والتذكارية والتي كانت لها مراكز صناعة كبيرة في بعض المدن التركية مثل ازنيق كما سبق أن أشرنا الى ذلك عند تحليل نصوص السلطان سليمان .

٢ - يلاحظ أن أسلوب الخط الذي كتب به مصحف السلطان سليمان وهو خط الثلث الجلي هو نفسه الذي نقش به نص قلعة تبوك من حيث الخصائص الكتابية ممـا يدل على وحدة الأسلوب الكتابي في هذه النصوص سواء كان الخطاط هنا تركيا أو شاميا وبالتالي فان كلا النصين يعطي صورة واضحة عن الخط الجلي العثماني على العكس من النصوص الحجازية التي يتفاوت أسلوب الكتابة فيها بين خـط الثلث الجلي الذي استطاع الخطاط الحجازي أن يستوعب الاصلاحـات والتحسينات التي دخلت عليه مثل نص باب السلام بالحرم المكي الشريف المؤرخ بسنة ٩٣١ هـ ونص مقام ابراهيم المؤرخ بسنة ٩٤٩ هـ ونص قلعة النويلـح المؤرخ بسنة ٩٦٨ هـ ونص السلطان مراد الخاص باكمال عمارة المسجد الحرام

غير المؤرخ وغير ذلك بينما نجد أن نص عمارة عين حنين المؤرخ بسنة ٩٣٥ هـ ونص مولد جعفر المؤرخ بسنة ٩٤٥ هـ ونص الرنك المنقوش على باب السلام لا تتوفر فيها كل مقومات الخط الثلث الجلي وهذا يعود أساسا الى أن الحجاز قد اعتمد فى تنفيذ كتاباته ونقوشه على الخطاطين المحليين لأن الحجاز لو استقدم خطاطين من تركيا أو الشام أو مصر لأدى ذلك الى وحدة أسلوب الخط فكان لذاتية الخطاط الحجازى أثره فى تفاوت أساليب الكتابة مما جعل له طابعا خاصا يميزه عن الخطاط العثماني .

ويتضح أسلوب الخطاط الحجازى المحلي فى الكتابة فى نصوص السلطان أحمد الأول ونصوص السلطان محمد بن ابراهيم الحجازية المؤرخة بسنوات ١٠٢٥ هـ ، ١٠٧٣ هـ ، ١٠٨٦ هـ اذا ماقورنت بنص قلعة تبوك الذى يعطي نموذجا واضحا للخط الجلي العثماني سواء من حيث أسلوب الخط أو توزيع الكلمات والحروف فى النص اذ نلاحظ أن التفاوت واضحا فى أسلوب النصوص الحجازية فعلي الرغم من طول الأحرف وعرضها الا أن الخطاط الحجازى لم يوفق فى وضع معدل لكلمات هذه النصوص فجاءت بعض الكلمات أصغر في حجمها من بقية الكلمات كما هو الحال فى نص السلطان أحمد الخاص بتعمير عين عرفات المؤرخ بسنة ١٠٢٥ هـ كما أن حجم الكلمات فى أسطر هذا النص تختلف من سطر الى آخر بينما كتبت بعض الكلمات والحروف فى نص السلطان محمد بن ابراهيم المؤرخ بسنة ١٠٧٣ هـ بطريقة لا تمت الى خط الثلث الجلي العثماني بأى صلة كما سبق أن أشرنا الى ذلك عند تحليل هذه النصوص .

واذا كان نص التكية الحجازى المؤرخ بسنة ١٠٨٦ هـ هو أكثر هذه النصوص اتقانا وجودة الا أن الملاحظ أن حروفه تعتبر قصيرة نسبيا اذا ما قورنت بحروف نص المصحف أو حروف نص قلعة تبوك المؤرخ بسنة ١٠٦٤هـ ، فضلا عن أن حروفه غليظة اذا ماقورنت بحروف النصين السابقين .

. . . . . .

الخاتمة والنتائج العلمية

الخاتمة والنتائج العلمية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد

فقد انتهيت من كتابتي لهذا البحث حسب خطة علمية وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينفع به وقد بدأت بدراسة الكتابات والنقوش الحجازية فى عصر المماليك البحرية ثم بدراسة النقوش والكتابات الحجازية فى عصر المماليك الجراكسة ثم أتبعتها بدراسة الكتابات والنقوش الحجازية فى العصر العثماني حتى بداية القرن الثاني عشر وهي كتابات ونقوش تبحث لأول مرة وكانت الغالبية العظمي لهذه الكتابات والنقوش التي قمت بدراستها تمثل لوحات تأسيسية لمنشآت معمارية مختلفة فى كلا العصرين المملوكي والعثماني بالاضافة الى دراسة مرسوم هام جدا يقضي بابطال المكوس عن الحجاج هو مرسوم السلطان شعبان بن حسين المؤرخ بسنة ٧٦٦ هـ . أما الكتابات الشاهدية التذكارية فلم ألجأ اليها الا فى القليل النادر كما هو الحال فى نقش حراز بن أحمد بن أبى نمي المؤرخ بسنة ٩٩٤ هـ لأن هذه الكتابات الشاهدية رغم أهميتها الواضحة الا أن النصوص التأسيسية هي فى الغالب أكثر أهمية .

وقد بذلت جهدا كبيرا فى التعريف بهذه الأسماء الواردة فى النصوص وما يتبعها من ألقاب خاصة أسماء السلاطين نظرا لما لهؤلاء السلاطين من اصلاحات كثيرة ومتعددة بالحجاز من ناحية ومن ناحية أخرى فهى اضافة جديدة لأعمالهم واصلاحاتهم بصفة عامة لأن هذه الاصلاحات لم تجد من يضمها فى مؤلف واحد وانما هي متناثرة هنا وهناك مما يشكل عقبة على الباحثين والمهتمين بدراسة تاريخ الحجاز وحضارته .

كما تعرضت فى هذه الدراسة لبعض المحاولات فى دراسة بعض النقوش وقمت باعادة نشرها هنا لما أتوخاه من فائدة علمية من النشر الصحيح وعلى أى حال فان هذه

المحاولات لم تتعد دراسة نقشين فقط حدث في دراستهما كثير من الأخطاء .

ثم أجريت دراسات مقارنة للنصوص الحجازية في العصر المملوكي مع غيرها من النقوش والكتابات في مصر باعتبارها مركز الثقل الحضاري في العصر المملوكي والتي ازدهر فيها الخط الثلث ازدهارا كبيرا وخصصت نقوش وكتابات كل سلطان من سلاطين المماليك بدراسة مقارنة مستقلة نظرا لاختلاف المستويات الخطية الحجازية في هذا العصر .

ثم قمت بدراسة مقارنة للنصوص الحجازية في العصر العثماني وأدمجتها في دراسة مقارنة واحدة نظرا لاختلاف الفوارق الكتابية في النصوص الحجازية في هذا العصر .

وأبرزت من خلال هذه الدراسات المقارنة مميزات وخصائص مدرسة الحجاز الكتابية ، ولم أقتصر في هذه المقارنات على النقوش والكتابات الحجرية فحسب بل شملت هذه المقارنات كتابات قرآنية ووثائقية وكتابات المسكوكات والتحف النحاسية والزجاجية وغيرها .

وقد اتضح لي من خلال هذه الدراسة عدة نتائج هامة نوجزها فيما يلي :

١ - أن الحجاز كان ومايزال مركزا من مراكز الحضارة الاسلامية الكبرى وأن دوره الحضاري لم يتأثر بانتقال مركز الخلافة الاسلامية منه الى دمشق أو بغداد أو القاهرة أو استانبول .

٢ - أن للحجاز طابعه الخاص والمميز في الكتابات والنقوش مما يؤكد اعتماده على الخطاطين المحليين ولم يستقدم أي خطاط من خارج الحجاز وقد اتضح لي هذا الرأي من خلال دراسة الكتابات والنقوش الحجازية في العصرين المملوكي والعثماني فيما بين سنتي ٧٢٩ هـ - ١٠٨٦ هـ .

٣ - أن الحجاز كان وما يزال موضع اهتمام كبير من قبل السلاطين والملوك على مر العصور الاسلامية .

٤ - ان الاعتماد فى كتابة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية على المؤلفات التاريخية والأدبية وما ورد فى كتب التراجم أو الرحلات يعد عملا غير مكتمل اذا لم يدعم بدراسة المصادر الحضارية من منشآت معمارية وكتابات ونقوش ووثائق ومسكوكات وتحف وخلافها بحيث تجعل الباحث أقرب ما يكون الى واقع العصر الذى يكتب عنه فى أى قطر من أقطار العالم الاسلامي .

٥ - ان الكتابات والنقوش فى الحجاز تكشف لنا عن حقائق تاريخية قد لا تتوفر فى المؤلفات التاريخية وتكمل بذلك نقصا يشعر به الباحث فى تاريخ الحجاز .

٦ - أهمية دراسة الكتابات والنقوش الحجازية فى دراسة تطور الخط العربى والزخارف الاسلامية .

.. .. ..

ملحق - لوحة (٥١)

هذا الملحق هو نص الجزء المتعلق بمآثر السلطان شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون بالحرمين الشريفين وما أبطله بهما من مكوس من حجة وقفه المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة برقم ٤٩ محفظة ٨ المؤرخة بالثالث من جمادى الآخرة سنة ٧٧٧ هـ .

وحين أقوم بنشر هذا النص المتعلق من الوقفيه بالحجاز لأول مرة انما أهدف من وراء ذلك الى استفادتي منها في الدراسة الخطية المقارنة أولا واستفادة الباحثين منها ثانيا سواء المهتمون بدراسة الوثائق أو تاريخ الحرمين الشريفين في العصر المملوكي .

ونظرا لطول النص فقد قمت بتصويره مجزءا على عدة لوحات ورمزت لهذه اللوحات بالحروف الأبجدية ، فاللوحة الأولى وضعت لها حرف " أ " واللوحة الثانية حرف " ب " وهكذا حتى نهاية النص مع العلم أن النص بأكمله يحمل رقم لوحة (٥١) أما النص فهو على النحو التالي :

١ - أنشأ مولانا السلطان الملك الأشرف الواقف المسمى فيه خلد الله مملكته وأدامه .

٢ - وأدام دولته وتقبل منه برّه وصدقته صرف ريع الأماكن الموقوفه أعلاه .

٣ - التى اقتضى رأيه الشريف وأمره المنيف أن الناظر فيها والمتولى عليها يستغل ريعها .

٤ - بوجوه الاستغلال الشرعي ويصرفه فيما يذكر فيه من وجوه البر والقربات التى تذكر فيه فمن ذلك .

٥ - ما عين الواقف المسمى فيه أعز الله أنصاره وأدام اقتداره صرفه بالحرمين الشريفين شرفهما الله .

٦ - الله تعالى وعظمهما حرم مكه وحرم مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يذكر فيه .

٧ - فيصرف منه فى كل سنة من النقره مايتى ألف درهم وخمسة عشر ألف .

٨ - درهم نقره نصف ذلك الى ريع ما وقفه مولانا السلطان خلد الله مملكته وأدام دولته وهو .

٩ - ناحية (اللحسه) وثلثا (دادسح) اللتان وقفهما على أن يستغل ريعهما
ويصرف لأمير مكة والمدينة .

١٠ - بشرط أنهما لا يتناولان شيئا من المكوس المشترط عدم تناولها بحيث يصير
مالا واحدا ويصرف .

١١ - منه لأمير مكه المشرفه في كل سنة مائه ألف درهم وستون ألف درهم .

١٢ - بشرط أن لا يتناول شيئا من المكوس من حاج ولا مقيم ولا زائر ولا مجتاز من
بر أو بحر وما يباع .

١٣ - بأسواق مكة من مأكول ومشروب ونيء ومطبوخ من جميع ما يقتات به من الحنطة
والأرز والعدس .

١٤ - والشعير والدقيق والحمص وغير ذلك مكيلا أو موزونا أو معدودا أو مذروعا
ولا من الفواكه والثمار .

١٥ - والأعناب والبطيخ ولا من الخضراوات والأعسال والأدهان والآدام ولا من
الحيوانات .

١٦ - من الابل والبقر والغنم وغير ذلك وما يحضر اليها من البر والبحر وغيره من
ساحل جده ومن وادى نخله .

١٧ - والحجاز وسائر المشاعر العظام ولا يتناول شيئا من عشر النخل التى فى ولايته
ولا نزالة ولا .

١٨ - وكالة ولا عرافه ولا رياسة ولا يمكن أحدا من ذريته ولا من نوابه ومباشريه وعبيده
ولا خدمه من .

١٩ - التعرض الى أخذ شيء من ذلك ولا يمكن بوابا ولا عريفا ولا سمسارا من
التعرض الى أخذ شيء من ذلك وأن .

٢٠ - من دخل مكة شرفها الله تعالى ترك ومتاعه يبيعه حيث شاء لا يتلقاه أحد من
مباشريه ولا .

٢١ - من أرباب الدّرك ولا غيرهم بطلب مكس ولا غيره خلا تجار العراقيين واليمن
وما يحضر معهم من التجارة .

٢٢ - فانه يخلى وسبيله فيتناول المبلغ المذكور مادام متصفا بالصفة المشروحة فيه فان
تناول .

٢٣ - شيئا من ذلك أو خرج عما شرطه عليه مولانا السلطان الملك الأشرف أعز الله
أنصاره .

٢٤ - وأدام اقتداره أضيف الى ريع باقى الموقوف المذكور وصرف على الحكم الـــذى
يشرح فيه فان .

٢٥ - عاد امكان الصرف اليه عاد ويصرف الى أمير مكه المذكور أعلاه فى كل سنة مـــن
النقره خمسة آلاف .

٢٦ - درهم نقره عوضا عما كان يتناوله من بني شيبه على فتح الكعبة وأخذ ســـتر
الباب وفتح المقام الشريف مقام .

٢٧ - ابراهيم عليه الصلاة والسلام يتناول ذلك على ابطال ذلك عنهم فى كل سنـــة
بحيث أنه .

٢٨ - لا يتعرض اليهم فى شيء من ذلك ويصرف لأمير المدينة الشريفة على مشرفهـا
أفضل الصلاة .

٢٩ - والسلام والرحمة فى كل سنة من النقره مائة ألف درهم نصفها خمسون ألـــف
درهم .

٣٠ - بشرط ألا يتناول شيئا من المكوس مما قرره على أمير مكه والتزامه بما شرط عليـــه
من الشروط .

٣١ - المعيّنه أعلاه بشرط اتصافه بها وعدم خروجه عنها بحيث يكون حكم أمير المدينة
كحكم أمير مكه .

٣٢ - فيما شرط عليه من الشروط المعينه أعلاه بسبب ابطال المكس وعدم التعرض اليـه
فان لم .

٣٣ - يتصف بالصفة المشروحه أعلاه صرف فيما يذكر فيه فان عاد متصفا بالصفة .

٣٤ - المشروحه أعلاه صرف اليه يجرى الحال فى ذلك كذلك وجودا وعدما الـــى أن
يرث الله .

٣٥ - الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ويصرف بحرم مكه شرفها الله وعظمها فى كل

٣٦ - سنة من النقره ألف درهم وثمان مائة درهم نقره النصف من ذلك تسع مائـــــة
درهم نقره .

٣٧ - لستة نفر من القراء الحافظين لكتاب الله العظيم على أنهم يجتمعون فى كـــل
يوم بعد صلاة الصبح خلف .

٣٨ - المقام الشريف شرفه الله تعالى وعظّمه ويقرءون حزبا واحدا من تجزئة ستـين
جزءا من كتاب الله .

٣٩ - قراءة حسنه مرتلة ويصلي على النبى صلى الله عليه وسلم عشر مرات ويهـــدون ثواب قراءتهم .

٤٠ - لمولانا السلطان الملك الأشرف الواقف المسعى فيه ضاعف الله ثوابه ولوالديـه وذريته .

٤١ - ومن سلف منهم ولجميع المسلمين ويجتمعون أيضا بالمكان المذكور بعد صـلاة العصر ويقرءون حزبا .

٤٢ - من كتاب الله العظيم كما ذكر أعلاه ويهدون ثواب القراءة كما ذكر أعلاه ويصـرف لقارئ .

٤٣ - الحديث يوم الجمعة بعد الصلاة ثلثمائة درهم نقره وستين درهما نقره عـلى أنه يحضر بعد صلاة الجمعة .

٤٤ - بالمسجد الحرام يقرأ ما تيسرت له قراءته من تفسير القرآن العظيم ومن صحيح البخارى أو صحيح مسلم أو مما .

٤٥ - أختصر منهما أو من بقية الكتب الصحيحة ومن كتب الرقايق المعتمدة ومناقـب الأبرار والصالحين .

٤٦ - ويقرأ بعد ذلك سورة الاخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وخواتيم البقـرة ويدعوا عقيب ذلك .

٤٧ - لمولانا السلطان الواقف المسعى فيه عز نصره ولوالديه وذريته ومن سلف منهـم بالرحمة والمغفرة .

٤٨ - ولجميع المسلمين ويرتب الناظر بالحرم المذكور مدرسا محدثا من أهل الصدق والديانة والعدالة والصيانة .

٤٩ - له رواية ودراية بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حافظا لما تيسر له حفظه من متون .

٥٠ - الأحاديث والأسانيد عارفا ببعض علومهما ويرتب معه عشرة من طلبة الحديث المشتغلين .

٥١ - به يجلس وطائفته فى رواق من أروقة الحرم المذكور أو بمكان يراه المدرس مـن الحرم المذكور يلقي .

٥٢ - درس حديث نبوى فى الأيام التى جرت العادة بحضور الدروس فيها ويبـين لطلبته ما يظهر له في .

٥٣ - ذلك من كشف غامض وحل مشكل ويبيّن لهم أسماء الرجال وذكر أحكام الحديث وفقهه وصحة .

٥٤ - متنه على عادة المدرسين ويصرف لجميعهم فى كل سنة من النقره ثلاثـــة آلاف درهم . . .

٥٥ - من ذلك ماهو للمدرس المذكور ألف درهم ومائتا درهم وما هو للطلبة العشره ألف درهم .

٥٦ - وثمان مائه درهم لكل منهم فى كل سنة من النقره مائة درهم وثمانون درهمـــا نقره ويرتب بالحرم .

٥٧ - الشريف المذكور أربعة من المدرسين ذوى المذاهب الأربعة شافعى وحنفـــى ومالكي وحنبلى ويرتب .

٥٨ - مع كل مدرس من مدرسي الشافعيه والحنفيه والمالكيه عشرة من طلبة العـــلم الشريف من أهل مذهبه .

٥٩ - ومع مدرس الحنابله خمسة نفر من طلبة مذهبه يجلس كل مدرس من المدرســين الأربعة وطلبته بالحرم المذكور في .

٦٠ - الأيام التي جرت العادة بحضور الدروس فيها فيما بين طلوع الشمس الـــى الزوال يستفتح كل .

٦١ - كل مدرس وطائفته درسه بقراءة ما تيسرت لهم قراءته من ربعة شريفه يطـــاف عليهم بأجزائها .

٦٢ - أو من صدورهم ثم يقرأ أحدهم ما تيسرت له قراءته من كتاب الله العظيم ثـــم يدعوا عقيب ذلك لمولانا .

٦٣ - السلطان الملك الأشرف الواقف المسمى فيه أعز الله أنصاره ولجميع المسلمين ثم يأخذ كل مدرس .

٦٤ - لطائفته درسا من فروع مذهبه ويبين لطلبته ما يظهر له فى ذلك من كشـــف غامض أو حل مشكل .

٦٥ - ويبحث معه من تأهل للبحث على العاده ويسلك كل مدرس من المدرســين الأربعة المذكورين .

٦٦ - أعلاه في وظيفته مسلك التعليم والافادة ويصرف لكل مدرس من مدرسي المذاهب.

٦٧ - الثلاثة الشافعي والحنفى والمالكي وطلبته فى كل سنة من النقره ثلاثة آلاف
درهم نقره .

٦٨ - من ذلك ما هو لكل مدرس من المدرسين المذكورين في كل سنه من النقره ألف
درهم وثمان .

٦٩ - ومايتا درهم نقره وما هو للطلبة المذكورين فى كل سنه من النقره ألف درهم
وثمان مائه درهم نقره .

٧٠ - لكل طالب منهم فى كل سنه ماية درهم نقره وثمانون درهما نقره ويصرف لمدرس.

٧١ - الحنابله فى كل سنة سبع مايه درهم وعشرين درهما نقرهولطلبته الخمسة فى كل
سنة ستمائة درهم نقره .

٧٢ - لكل منهم فى كل سنة مائة درهم وعشرين درهما نقره ويرتب بالحرم المذكور
مؤدبا .

٧٣ - من أهل الخير والديانة حافظا لكتاب الله العظيم وعشرة من أيتام المسلمين
الذين لم يبلغوا .

٧٤ - الحلم يجلس هو والأيتام المذكورين فى الأيام التى جرت العادة بالحضور فيها
للتعليم بالحرم المذكور .

٧٥ - ويبطلون البطالة الجارى بها عادة مكاتب السبيل بمكة شرفها الله تعالى
يعلمهم ما يطيقون .

٧٦ - تعليمه ويحتملون قراءته من كتاب الله العظيم وما يحتملون تعلمه من الخط
العربى وهجاية واستخراجه ويأخذ .

٧٧ - ويأخذ كل منهم ما مضى له من القراءة ويصحح عليه ما كتب له على (العادة)
على أنه من بلغ من الأيتام .

٧٨ - المذكورين استبدل الناظر به غيره الا أن يكون قد بقي عليه اليسير من حفظه
وهو ممن يرجى فلاحه وخيره .

٧٩ - فيبقى بالمكتب المذكور الى أن يستكمل حفظ كتاب الله العزيز فاذا استكمل ذلك
استبدل .

٨٠ - الناظر به غيره بالصفة المشروحة أعلاه ويصرف لجميعهم فى كل سنة من النقرة
أربعة آلاف درهم .

٨١ - وثلثمائة درهم نقره وعشرين درهما من ذلك ماهو لمؤدبهم فى كل سنة من النقره سبع مائة درهم وعشرون درهما نقره .

٨٢ - وما هو للأيتام المذكورين بقية المبلغ المذكور وهو ثلاثة آلاف درهم وستمائة درهما نقره لكل يتيم منهم في .

٨٣ - كل سنة من النقره ثلثمائة درهم وستون درهما نقره غير نفقته وكسوته ولوازمه الشرعية ويرتب .

٨٤ - بالحرم المذكور مادحا يمدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من القصايد المشهورة بعد صلاة العصر .

٨٥ - في يوم الاثنين والخميس والجمعة ويختم بقراءة ما تيسرت له قراءته من كتاب الله العزيز ثم يدعو لمولانا .

٨٦ - السلطان الملك الأشرف الواقف المسمى فيه تقبل الله منه برّه وصدقته ولوالديه ولذريته ومن .

٨٧ - سلف منهم ولجميع المسلمين ويصرف فى كل سنه من النقره ثلثمائة درهم وستين درهما نقره وقرر مولانا السلطان .

٨٨ - الواقف المذكور عز نصره لهذه الوظيفة المذكورة الفقيه حسين بن يوسف المادح ثم من بعده يقرر الناظر .

٨٩ - لهذه الوظيفه من يراه ويصرف له المعلوم المذكور ويرتب بالحرم المذكور خمسة من المؤذنين الحسنى الصوت .

٩٠ - فأربعة منهم يعلنون بالأذان الشرعي فى الميادن (هكذا) التى بالحرم المذكور كل منهم فى ميذنه منها والمؤذن .

٩١ - الخامس يعلن بالأذان على سطح زمزم وقرر لوظيفة الأذان على زمزم الفقيه حسين المسمى أعلاه ثم بعده .

٩٢ - يقرر الناظر لهذه الوظيفة المذكورة من يراه ويصرف لجميعهم فى كل سنة من النقره ألفى درهم لكل منهم .

٩٣ - أربع مائة درهم نقره ويصرف للأيمه الأربعة المرتبين بالحرم المذكور للامامه فى الصلوات .

٩٤ - الخمس فى كل سنة من النقره ألف درهم وستمائه درهم نقره لكل امام منهم فى كل سنه من النقره .

٩٥ - أربع مائة درهم زيادة على ماهو مقرر له من المعلوم من غير الواقف المذكـــور
ويصرف للمكبرين خلف الأئمه .

٩٦ - الأربعة المذكورين فيه زيادة على ماهو مقرر لهم من المعلوم فى كل سنه مـــن
النقره ثمان مائه درهم لكل مكبر منهم في .

٩٧ - كل سنه مائتا درهم ويصرف لقاضي الحكم بمكة شرفها الله تعالى فى كل سنـــة
من النقره ألف درهم نقره .

٩٨ - بشرط أن يكون نظره على ما قرره مولانا السلطان المسمى فيه أعز الله أنصاره
وأدام اقتداره من .

٩٩ - الوظائف بالحرم المذكور واجرائها على ما شرطه الواقف المسمى فيه عز نصـــره
بحيث تكون مستمرة على .

١٠٠ - الدوام والاستمرار ويصرف لثمان نفر من الفراشين في كل سنة من النقره ألفـى
درهم .

١٠١ - وأربع مائة درهم بالسوية بينهم على أنهم يتولون خدمة الحرم المذكور وتنظيف
أروقته وأسطحته من .

١٠٢ - الأوساخ وكنس أبواب الحرم المذكور وما حولها من الأوساخ ليكون نظافتهـــا
مستمرة على الدوام .

١٠٣ - ويصرف فى كل سنة من النقره ألف درهم وثمان مايه درهم نقره من ذلك مـــا
يصرف لسدنة .

١٠٤ - الكعبة الشريفة ومن معهم في كل سنه من النقره ألف درهم وخمس مائه درهـــم
نقره وما يصرف لخدام .

١٠٥ - السلم الذى يتوصل من عليه الى فتح باب الكعبة الشريفه شرفها الله تعالـــى
وعظمها فى كل سنة ثلثمائة .

١٠٦ - درهم نقره ويصرف للمؤذنين بالجبال الأربعة فى كل سنة من النقره أربع مايـــة
درهم وثمانين درهما نقره لكل .

١٠٧ - منهم فى كل سنة من النقره مائة درهم وعشرون درهما نقره ويدعوا كل منهم في
وقت السّحر لمولانا السلطان .

١٠٨ - الواقف المسمى فيه أعز الله أنصاره ولجميع المسلمين ويصرف فى كل سنة مـــن
النقره خمس مائة درهم وستين .

١٠٩ - درهما نقره لمصالح بير زمزم ومن يسقى الماء منها لساير الناس آجمعين من ذلك ما يصرف لمصالحها في ثمن دلاء وسلب .

١١٠ - وبكر في كل سنه من النقره مائتا درهم وما يصرف للمسبّل المذكور في كل سنة من النقره ثلثماية وستين درهما نقره .

١١١ - ويرتب بالحرم المذكور سقايين أحدهما يسقى الماء بالليل والآخر بالنها فيما بين المقام الشريف.

١١٢ - والكعبة الشريفه شرفها الله تعالى يسقيان الطائفين بالكعبة وغيرهم ويصرف لهما عن ثمن ماء وأجرة .

١١٣ - ماعون وأجرتهما عن تسبيل الماء المذكور في كل سنه من النقره ألف درهم وخمس مائه درهم نقره لكل .

١١٤ - منهما سبع مائة درهم وخمسون درهما نقره ويصرف في كل سنة من النقـرة ستمائة درهم من ذلك ماهو ثمن طيب.

١١٥ - وبخور لتطييب الكعبة الشريفه وأركانها وتخليقها وتبخير من يحضر للطـواف من الطائفين ماعدا أيام الحج .

١١٦ - ما جملته مائتا درهم نقره وأربعون درهما نقره وما هو أجره من يفعل ذلك في كل سنة من النقره ثلثمائه وستون درهما .

١١٧ - نقره ويصرف في كل سنة ثلثمائة وستين درهما نقره لثلاثة نفر يتولى كل منهـم تنظيف الحرم المذكور من الكرش .

١١٨ - والعقارب وسائر الهوام على العادة ويصرف في كل سنة من النقره ألفي درهم للبوابين بالحرم .

١١٩ - المذكور زيادة على ماهو مقرر لهم من المعلوم من غير الواقف المذكور ويكون ذلك بينهم بالسوية ويصرف .

١٢٠ - في كل سنة للوقاد بمكة شرفها الله تعالي خمس ماية درهم نقره ويصرف فـي كل سنة من النقره ألف درهم .

١٢١ - للمباشرين لعمارة الحرم المذكور وترميمه واصلاحه يكون ذلك بينهم بالسّويـة زيادة على ماهو مقرر لهم من .

١٢٢ - المعلوم من غير الواقف المذكور ويصرف في كل سنة لنفرين يتوليا تنظيف مابين الصفا والمروة .

١٢٣ - من العظام والأوساخ على عادة أمثالهما فى ذلك بحيث يكون الصفا والمـــروة
والمسعى بطائفيهما [م]ستمره .

١٢٤ - على الدوام والاستمرار ما جملته من النقره ألف درهم نقره بالسّوية بينهمـــــا
ويصرف في كـ[ل] .

١٢٥ - سنه من النقره ستمائة درهم نقره لمن يسقى الماء فى طول النهار بمكة شرفهـا
الله تعالى عن ثمن ماء عذب وثمن د و[ارق] .

١٢٦ - وأجرة تسبيله على الناس أجمعين بالحرم المذكور ويصرف فى كل سنه مـــن
النقره ألف درهم نقره .

١٢٧ - النصف من ذلك خمس مائه درهم نقره فى ثمن قمصان من الكتان والقطـــــن
ويرسل ذلك فى كل سنه الى مكة شرفها [الله] .

١٢٨ - تعالى صحبة الركب الشريف السلطاني مع من يثق به يصرف ذلك على الفقراء
والمساكين والأرامل والمنقطع[ين] .

١٢٩ - ويقدم منهم أصحاب الأخصاص ويصرف فى كل سنه من النقره ثلاثة آلاف درهم
نقره يشترى .

١٣٠ - منها الناظر بألف درهم وخمس مائة درهم نقره أكفانا ويرسلها مع بقية المبلغ
المذكور الى الناظر على الحرم .

١٣١ - المذكور صحبة الركب الشريف ليصرف الأكفان المذكورة لتكفين الأموات بالحرم
المذكور وأجرة من يتولى غسلهـ[م] .

١٣٢ - وتكفينهم ومواراتهم فى لحدهم أسوة أمثالهم على الوجه الشرعي ويصرف فى
كل سنه من النقره ماية.

١٣٣ - درهم وخمسين درهما نقره يشترى بها الناظر ابرا وخيوطا من الكتان والقطن
ويرسل ذلك الى الحرم يفرق .

١٣٤ - ذلك على من يراه من الفقراء والمساكين بالحرم المذكور ويصرف فى كل سنـــة
من النقره خمسة آلاف درهم نقره .

١٣٥ - نصفها ألفا درهم وخمس مائة درهم نقره يرسلها الناظر على الوقف المذكـور
صحبة الركب الشريف .

١٣٦ - يتولى تفرقة ذلك من يراه الناظر على الفقراء والمساكين والأرامل والمنقطعـــين
به والواردين [اليه غير] .

١٣٧ - الروافض ويقدم فى الصرف أصحاب الأخصاص الذين هم بظاهر مكة شرفهـا الله تعالى ويصرف فى .

١٣٨ - كل سنه من النقره خمسة آلاف درهم وثمان مائة درهم نقره لمصالح الميضـأة المستجدة الانشاء الكائنة .

١٣٩ - بباب علي الذى استجدها مولانا السلطان الواقف المسمى فيه تقبل الله منه برّه وصدقته فمن ذلك .

١٤٠ - ما يصرف منه لسواق يقوم بادارة الساقية المذكورة ومصالح العوامـل لادارتها فى كل سنة سبع مائة .

١٤١ - درهم نقره وعشرين درهما نقره وما يصرف للبواب المرصد لفتح باب الميضـأة المذكورة في كل سنة من النقره .

١٤٢ - وغلقها فى الأوقات المحتاج اليها وغلقه علي عادة أمثاله في كل سنة من النقره سبع مايه درهم وعشرون .

١٤٣ - درهما نقره وما يصرف للمقيم بالميضأة المذكورة فى كل سنة من النقره ألـف درهم وثمانون درهما .

١٤٤ - نقره على أن يقوم بتنظيف الميضأة والمراحيض ومسح مابها من الأوسـاخ والمستقذرات علىعادة أمثاله .

١٤٥ - فى ذلك ويصرف فى ثمن جمل برسم دوران الساقية ما يحتاج اليه ويصـرف فى كلفة علوفة .

١٤٦ - الجمل المذكور فى كل سنة ألف درهم وثمانون درهم نقره ويصرف فى ثمن زيت .

١٤٧ - منزيت الزيتون يستضىء به فى الميضأة المذكورة فى الأوقات المحتاج اليهـا فى كل سنة من النقره مايتا .

١٤٨ - درهم وخمسون درهما نصفها مائة درهم وخمسة وعشرون درهما نقره ويصرف فى كل سنة من النقره .

١٤٩ - مائتا درهم وخمسون درهما نقره فى ثمن سلب وأدلية وغير ذلك مما تحتـاج اليه الساقية المذكورة .

١٥٠ - ويصرف فى كل سنة لمشارف الميضأة المذكورة ما جعلته من النقرة خمس مائـة درهم نقره .

١٥١ - ومافضل بعد ذلك ادّخره الناظر تحت يده لما تحتاج اليه الميضأة والساقية من العمارة والمرمّة وشراء .

١٥٢ - جمال لادارتها مدة سنة كاملة فان حصل الاستغناء عنه صرفه الناظر لمايحتاج اليه المارستان .

١٥٣ - الآتي ذكره فيه واستأنف الادخار ويصرف في كل سنه لمصالح المارستان الذي .

١٥٤ - استجده مولانا السلطان خلد الله مملكته بمكة شرفها الله تعالى وعظمها ما يذكر فيه فتصرف .

١٥٥ - في ثمن دقيق وقمح وطحنه ما جملته ستة وسبعون اردبا من النقره خمسة عشر ألف درهم ومائتا .

١٥٦ - فان كان السعر أقل من ذلك اشترى ببقية المبلغ دقيقا أو قمحا وطحنه وصرفه على الحكم الذي شرح .

١٥٧ - فيه فيصرف في مدة أولها الثالث عشر من ذي الحجة من كل سنة والى آخر المحرم من السنة الثانية .

١٥٨ - في كل يوم نصف اردب المدة ثمانية وأربعون يوما عن المدة أربعةوعشرون اردبا وان زاد .

١٥٩ - الدقيق أضيف الزيادة الي هذه المدة ويصرف على الحكم الذي يشرح فيه وبقية في كل يوم سدس .

١٦٠ - اردب المدة ثلثمائة يوم واثنا عشر يوما عنها اثنان وخمسون اردبا يقيم الناظر طباخا .

١٦١ - يطبخ الدقيق في كل يوم حريره ويفرق ذلك على الضعفاء من الرجال والنساء والرّمدا والزمناء .

١٦٢ - المقيمين بالمارستان المذكور ويصرف في كل سنه من النقره سبع مائة درهم وعشرين درهما .

١٦٣ - نقره في ثمن سمن برسم المذكورين فيه يجعل ذلك في الحريره المذكورة ويفرقها على الحكم المشروح .

١٦٤ - فيه ويصرف في كل ستة ألفي درهم وثمان مائة درهم نقره لثمان نفر من الفراشين والفراشات .

١٦٥ - من النسوه علي أن كل واحد من الفراشين من الرجال والنسوة يتعاهد من بازائه من المرضي ويقوم.

١٦٦ - بمصالحهم فى شربهم وأكلهم وغسل ما يحصل منهم من الأوساخ وتنظيفهم وملازمتهم على.

١٦٧ - العادة ويتقى كل منهم الله تعالى فى ذلك ويعلم أنه رقيب عليه فيما هو لازم له من الخدمة يصرف المبلغ.

١٦٨ - اليهم بالسويّة ماهو للفراشين من الرجال نصف المبلغ المذكور ألف درهم وأربع مائة درهم.

١٦٩ - وما هو للفراشات من النسوة بقية المبلغ المذكور ويصرف لمن يسقي الماء العذب للمرضى بالمارستان.

١٧٠ - المذكور أعلاه فى كل سنة من النقره سبع مائة درهم وستين درهما نقره ماهو عن المرة الأولى المعينة أعلاه.

١٧١ - ثلثمائة درهم نقره وما هو عن المرة الثانية بقية السنة أربع مائة وستون درهما نقره ويصرف فى جامكية.

١٧٢ - البواب فى كل سنة من النقرة ثلثمائة درهم وستين درهما نقرة على أن يتولى ماجرت به عادة أمثاله.

١٧٣ - من غلق باب المارستان المذكور وفتحه وصونه عن أرباب التهم والفساد ويصرف فى كل سنة من النقره.

١٧٤ - ثلثمائة درهم وستين درهما نقره لأمين الحواصل بالمارستان المذكور وعلى تفرقة الطعام والشراب.

١٧٥ - للمرضى بالمارستان المذكور فى كل يوم على عادة أمثاله فى ذلك ويصرف فى كل سنة من النقره ثلثمائة درهم.

١٧٦ - في ثمن حطب تطبخ به الحريرة المذكورة وغيرها مما يحتاج اليه المرضى بالمارستان المذكور فى كل يوم.

١٧٧ - على العادة ويصرف فى كل سنة من النقره ألفى درهم نقره وأربع مائة درهم نقره لحكيم طبائعي كحّال.

١٧٨ - يقوم بمداواة المرضى والرّمدا ومداواة الجرحي بالمارستان المذكور على العادة فى مثل ذلك.

١٧٩ - ويصرف في ثمن زيت من زيت الزيتون وما يقوم مقامه في كل سنة من النقره أربع مايه .

١٨٠ - وخمسين درهما نقره يشترى بها زيتا يستضيء به على الضعفاء بالمارستان المذكور في طول السنة .

١٨١ - ويصرف في كل سنة من النقره أربعةآلاف درهم نقره يصرف في ثمن لحم برسم الضعفاء .

١٨٢ - في طول المدة وفي ثمن سكّر وأشربة وغير ذلك مما يحتاج اليه في كل سنة ويصرف في كل سنة .

١٨٣ - من النقره ألف درهم نقره لشاهدين يحضرا في كل يوم الى المارستان المذكور يصرفا ما يحتاج .

١٨٤ - اليه المرضى بالمارستان المذكور ويضبطا مايه من الحواصل على عادة أمثالهما في ذلك ويصرف.

١٨٥ - في كل سنة من النقره خمس مائة درهم نقره للناظر على المارستان المذكور وفعل ما تقتضيه مصلحة المرض[ى] .

١٨٦ - ويصرف في كل سنة ما يحتاج اليه بسبب المرضى من سكّر وأدوية وأشربة وغير ذلك .

١٨٧ - وما يحتاج اليه المارستان المذكور من عبى ومكانس وأسطال نحاس وغير ذلك بحيث يستمر نفعه .

١٨٨ - على الدوام والاستمرار وعلى كل من له وظيفة بالمارستان المذكور يلازمها ويراقب الله تعالى .

١٨٩ - ويخشاه ويتقيه ويصرف في كل سنة من النقره الجيدة ألفي درهم وخمس مائة درهم نقره .

١٩٠ - ماهو للشيخ شهاب الدين أحمد بن ظهيرة المكي الشافعي ألف درهم على أن يتصدى للأشتغال .

١٩١ - بالعلم الشريف ونشره واحياء معالم الدين وشد أزره في كل يوم تجاه الكعبة الشريفة على عادة أمثا[له] .

١٩٢ - وماهو للشيخ عبد الرحمن بن أبي الخير المكي المالكي خمس مائة درهم على أنه يفعل نظير ذلك في كل .

١٩٣ - يوم وما هو للشيخ الصالح محمد يعقوب الفيروزبادى بن صاحب التنبيه ألف
د رهم على أنه .

١٩٤ - يتصدر فى كل يوم على عادة أمثاله ومتى تعذر اشتغال المذكورين أو واحد
منهم قرر الناظر .

١٩٥ - عوضه بالصفة المذكورة ويصرف لمصالح رباط السّدره بمكة فى كل سنة من النقرة
ألف درهم .

١٩٦ - ويصرف للحاكم بمكة شرفها تعالى عن انتصابه للحكم والفصل بين الخصوم
ورد الظالم عن .

١٩٧ - المظلوم وخلاص الحقوق والنظر فى المصالح العامة والخاصة فى كل سنة
من النقره ألفي درهم .

١٩٨ - وخمس مائة درهم نقره ويصرف فى كل سنة من النقره ألف درهم نقره من ذلك
ماهو لعمارة .

١٩٩ - مسجد الخيف بمنى وترميمه فى كل سنة خمس مائة درهم وماهو لبواب يقيم
بالمسجد المذكور ويفتح بابه .

٢٠٠ - ويغلقه ويتقيم بتنظيفه وصيانته ومنع من يتطرق اليه من أرباب التهم والفساد
ومن يقصد .

٢٠١ - الدخول اليه بما يصان عنه المسجد المذكور من نشر اللحوم والأثواب وغير
ذلك ويحترز فى ذلك .

٢٠٢ - كلَ الاحتراز ويجتهدَ في صيانته الاجتهاد التام لتكون نظافته مستمرة على
الدوام ما جملته من .

٢٠٣ - النقره خمس مائة درهم ويصرف فى كل سنة من النقره ألف درهم نقره لعمارة
الفساقي بعرفه .

٢٠٤ - وأجرة من يتولى تنظيفها على عادة أمثاله ويصرف فى كل سنة من النقرة
ألفى درهم لتنظيف .

٢٠٥ - العين المعروفه بالجوبانية وترميمها وأجرة من يتولى تنظيفها على عادة
أمثاله فى ذلك ويصرف فى .

٢٠٦ - كل سنة من النقره ألف درهم فمن ذلك ماهو لمشائخ عر [ب] خليص
خمس مائه درهم نقره على أنهم يخفرون .

٢٠٧ - الحاج ذهابا وايابا وماهو لعمارة العين وترميمها والفسقيّة وترميمها فى كل سنة بقية المبلغ المذكور .

٢٠٨ - وهو خمس مائة درهم نقره ويصرف لمشائخ حنين الذى تجرى العين فى أرضهم الأربعة .

٢٠٩ - في كل سنة من النقره ألفي درهم نقره لكل منهم فى كل سنة من النقـــــرة خمس مائه درهم بحيث يسقون .

٢١٠ - من العين المذكورة من يمر بهم ويخفرون الحاج ذهابا وايابا على العــــادة يصرف اليهم المبلغ المذكور .

٢١١ - مادامو[ ] ا متصف [ين] بالصف [ة] المش [ر و] حة فيــــه فان تعذر صرف ذلك صرف فى وجوه البّر والقربات .

. . . . . .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر العربية :

أ - الوثائق :

١ - حجة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون رقم ٣٠/٥ مؤرخة في ١٠ جمادى الآخرة سنة ٧٢٤ هـ نشر د. محمد محمد أمين - ملاحق تذكرة النبيه للحسن بن حبيب . القاهرة .

٢ - حجة وقف السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون - محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة برقم ٤٩ - محفظة ٨ - مؤرخة في ٣ جمادى الأولى سنة ٧٧٧ هـ .

٣ - حجة وقف السلطان الناصر فرج بن برقوق - محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة برقم ٦٦/١١ مؤرخة في ٧ محرم ٨١٢ هـ .

٤ - حجة وقف بهادر الجمالي والسيفي قلمطاى بن عبد الله - محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة برقم ٦٨/١١ مؤرخة في ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٨١٣ هـ .

٥ - حجة وقف الأشرف برسباى - محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة برقم ١٧٣ وهي عبارة عن كتاب مجلد في ٣٠٠ صفحة مؤرخة بشهر جمادى الآخرة سنة ٨٢٧ هـ .

٦ - حجة وقف الجمالي يوسف ناظر الخواص الشريفة - محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة برقم ١٠٥/ محفظة ١٦ ب - مؤرخة في ٢ ذى القعدة سنة ٨٤٩ هـ .

٧ - حجة وقف السلطان الظاهر أبو سعيد جقمق - محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة برقم ١٠٨/١٧ مؤرخة بشهر ربيع الأول سنة ٨٥٣ هـ .

٨ - حجة وقف للسلطان سليمان القانوني مؤرخة بسنة ٩٦٨ هـ مصورة بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة - ميكروفيلم رقم ٧٠٨ عن مكتبة تشستر بيتى .

ب - المخطوطات :

١ - ابن الضياء الحنفي (ت ٨٥٤ هـ) :

أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء القرشي الحنفي المكي

- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة المسمى بالبحر العميق - مصور بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ١٩١٠ .

٢ - السنجارى (ت ١١٢٥ هـ) :

على بن تاج الدين بن تقي الدين

- منائح الكرم فى أخبار مكة والبيت وولاة الحرم - مكتبة الحرم المكي رقم (٣٠) تاريخ دهلوى .

٣ - الشيلي (ت ١٠٩٣هـ) :

جمال الدين أبي العلاوى محمد بن أبي بكر

- السنا الباهر بتكميل النور السافر فى أخبار القرن العاشر - مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي - جامعة أم القرى بمكة ، ميكروفيلم رقم ٣١٢ .

٤ - الصديقي (ت ١٠٥٧ هـ) :

محمد بن علي بن علان الصديقي الشافعي

- انباء الجليل المؤيد مراد ببناء بيت الوهاب الجواد - مركز البحث العلمي - جامعة أم القرى - ميكروفيلم رقم (١) .

٥ - الطبرى (ابن فضل الله ت ١١٧٣هـ) :

محمد بن علي

- اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن شرفاء مكة - المكتبة المركزية - جامعة أم القرى - رقم ١٩٠٣ .

٦ - الطبرى (محي الدين ت ١٠٧٠ هـ) :

على بن عبد القادر

- الأرج المسكي في التاريخ المكي - مكتبة الحرم المكي - رقم (٣) تاريخ دهلوى .

٧ - العز بن فهد (ت ٩٢٢ هـ) :

عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي القرشي

- بلوغ القرى فى ذيل اتحاف الورى - مكتبة الحرم المكي رقم (١) تاريخ دهلوى .

٨ - العيدروسي (ت ١٠٣٨ هـ) :

محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله

- وفيات الأكابر فى القرن العاشر - المكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة رقم (٧١) .

٩ - الفاسي (ت ٨٣٢ هـ) :

تقي الدين محمد بن أحمد الحسنى الفاسي المكي

- الزهور المقتطفة من أخبار مكة المشرفة - مركز البحث العلمي - جامعة أم القرى بمكة المكرمة - ميكروفيلم (٧٢٧) .

١٠ - المأموني (ت ١٠٧٩ هـ) :

ابراهيم بن محمد بن عيسى

- تهنئة أهل الاسلام بتجديد بيت الله الحرام - معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة - ميكروفيلم رقم (١٠١٣) عن مكتبة الزاوية الحمراء بالمغرب رقم ١٠٦ .

١١ - مؤلف مجهول :

- سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد - مركز البحث العلمي - جامعة أم القرى بمكة المكرمة - ميكروفيلم رقم (٦٧٥) .

١٢ - نجم الدين بن فهد (ت ٨٨٥هـ) :

- اتحاف الورى بأخبار أم القرى - مكتبة الحرم المكي رقم (٢) تاريخ دهلوى .

- الدّر الكمين بذيل العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين - مركز البحث العلمي - جامعة أم القرى بمكة المكرمة - ميكروفيلم رقم (٢٥١) .

جـ - المصادر المطبوعة :

١ - ابن اياس (ت ٩٣٠ هـ) : (أبو البركات محمد بن أحمد)

- بدائع الزهور في وقائع الدهور - تحقيق محمد مصطفى - ٥ أجزاء - طبع دار احياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة ١٩٦٠ - ١٩٦٣م.

٢ - ابن بطوطه (ت ٧٧٩هـ) : (أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن محمد)

- رحلة ابن بطوطه المسماه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) - مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م

٣ - ابن بعره الكاملي (منصور بن بعره الذهبي)

- كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية - تحقيق د. عبد الرحمن فهمي محمد - نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - القاهرة ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥م.

٤ - ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ) : (جمال الدين أبي المحاسن يوسف)

- الدليل الشافي على المنهل الصافي - تحقيق فهيم شلتوت - جزءان - نشر مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي - جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور - طبعة كاليفورنيا ١٩٣٢م.

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي جـ ٢ تحقيق د. محمد محمد أمين - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ١٦ جزء - طبع دار الكتب المصرية - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

٥ - ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) : (أحمد بن عبد الحليم)

- الفتاوى الكبرى - جـ ٢ - تحقيق حسنين مخلوف - طبع دار المعرفة - بيروت - لبنان.

٦ - ابن جبير (ت ٦١٤ هـ) : (أبو الحسين محمد بن أحمد)

- الرحلة - طبعة دار صادر - بيروت - ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٧ - ابن الجيعان :

- التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية - نشر مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ١٩٧٤م.

٨ - ابن حبيب (ت ٧٧٩ هـ) : (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر)

- تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه - جزءان - تحقيق د . محمد محمد أمين - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.

٩ - ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) : (شهاب الدين أحمد بن علي)

- انباء الغمر بأنباء العمر - ٣ أجزاء - تحقيق د . حسن حبشي - نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - القاهرة ١٣٨٩هـ - ١٣٩٢هـ / ١٩٦٩م - ١٩٧٢م .

- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة - ٤ أجزاء - طبع دار الجيل - بيروت .

١٠ - ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) : (عبد الرحمن بن محمد)

- المقدمة - طبعة دار احياء التراث العربى - بيروت

١١ - ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) : (أبوالعباس أحمد بن محمد بن أبى بكر)

- وفيات الأعيان - جـ ١ - تحقيق د . احسان عباس - طبعة دار صادر - بيروت ١٩٦٨م .

١٢ - ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ) : (صارم الدين ابراهيم بن محمد)

- الانتصار لواسطة عقد الأمصار - طبع بولاق سنة ١٣١٠هـ .

١٣ - ابن الرفعه (ت ٧١٠هـ) : (أبو العباس أحمد بن محمد الأنصارى)

- الايضاح والتبيان فى معرفة المكيال والميزان - تحقيق د . محمد اسماعيل الخاروف - نشر مركز البحث العلمي - جامعة أم القرى بمكة المكرمة - ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م.

١٤ - ابن شاهين الظاهرى (ت ٨٧٣هـ) : (غرس الدين خليل)

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك - مطبعة الجمهورية - باريس ١٩٨٤م.

١٥ - ابن الصيرفي (ت ٩٠٠ هـ) : (على بن داود)

- نزهة النفوس والأبدان - ٣ أجزاء - تحقيق د . حسن حبشي مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٧٠م - ١٩٧٣م .

١٦ - ابن طولون (ت ٩٥٣هـ) : (شمس الدين محمد)

- مفاكهة الخلان - جزءان - تحقيق محمد مصطفى - طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٨١هـ - ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٢م - ١٩٦٤م.

١٧ - ابن ظهيرة القرشي (ت ٩٥٠هـ) : (جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين)

- الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف - الطبعة الثالثة - دار الفكر - بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٨ - ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) : (عبد الحي بن العماد)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ٨ أجزاء - الطبعة الثانية - دار المسيرة - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٩ - ابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٢ هـ) : (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن محمد)

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار - ج ١ - تحقيق أحمد زكي باشا - طبع دار الكتب المصرية ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م.

٢٠ - ابن القاضي (ت ١٠٢٥هـ) : (أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي)

- درّة الحجال في أسماء الرجال - تحقيق محمد الأحمدى أبو النور - نشر دار التراث بالقاهرة ، المكتبة العتيقة بتونس ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م.

٢١ - ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) : (عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر)

- البداية والنهاية - ١٤ جزء - طبع بيروت ١٩٧٧م.

٢٢ - ابن المجاور (ت ٦٩٠ هـ) : (جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب)

- تاريخ المستبصر - تحقيق أوسكر لوفغرين - ليدن ١٩٥١م.

٢٣ - ابن الوردى (ت ٧٤٩ هـ) : (زين الدين عمر)

- تتمة المختصر في أخبار البشر - تحقيق أحمد رفعت البدراوى - الطبعة الأولى - بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

٢٤ - أبواسحق الحربي (ت ٢٨٥هـ) : (ابراهيم بن اسحق بن ابراهيم)
- كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة - تحقيق حمد الجاسر - طبعة دار اليمامة - الرياض ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٢٥ - أبو شامه (ت ٦٦٥ هـ) : (عبدالرحمن بن اسماعيل)
- الروضتين فى أخبار الدولتين - جزءان - الطبعة الثانية - دار الجيل - بيروت ١٩٧٤م.
- ذيل الروضتين فى أخبار الدولتين - دار الجيل - طبعة بيروت - ١٩٧٤م.

٢٦ - أبو الفدا (ت ٧٢٣ هـ) : (الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماه)
- المختصر فى تاريخ البشر - ٤ أجزاء - طبع دار المعرفة - بيروت.

٢٧ - أبو يوسف (ت ١٨٢ هـ) : (يعقوب بن ابراهيم)
- الخراج - تحقيق د. محمد ابراهيم البنا - دار الاصلاح - ١٩٨١م.

٢٨ - الأزرقي (ت حوالي سنة ٢٥٠ هـ) : (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد)
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار - جزءان - تحقيق رشدى الصالح ملحس - الطبعة الثانية - دار الثقافة - مكة المكرمة - ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٢٩ - الأسدى (ت ١٠٦٦هـ) : (أحمد)
- اخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام - تحقيق الحافظ غلام مصطفى - الطبعة الأولى - نشر ادارة البحوث الاسلامية والدعوة والافتاء - الجامعة الاسلامية - بنارس - الهند ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

٣٠ - بامخرمه (ت ٩٣٧ هـ) : (أبومحمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد)
- تاريخ ثغر عدن - طبعة ليدن ١٩٣٦م.

٣١ - البلوى (خالد بن عيسى)
- تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق - مطبعة فضالة المحمدية - المغرب.

٣٢ - التجيبي (ت ٧٣٠ هـ) : (القاسم بن يوسف السبتي)

- مستفاد الرحلة والاغتراب - تحقيق عبد الحفيظ منصور - طبع الدار التونسية - تونس - ليبيا ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

٣٣ - الجزيرى (ت حوالي سنة ٩٧٦هـ) : (عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن ابراهيم الأنصارى)

- درر الفوائد المنظمة - المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٨٤هـ .

٣٤ - الجيّاني (ت ٦٧٢هـ) : (محمد بن عبد الله بن مالك)

- اكمال الاعلام بتثليث الكلام جـ ٢ تحقيق ودراسة حمدان الغامدى - نشر مركز البحث العلمي - جامعة أم القرى مكة المكرمة - الطبعة الأولى ١٤٠٤/١٤٠٥ هـ .

٣٥ - الخزرجي (ت ٨١٢ هـ) : (علي بن الحسن)

- العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية - جزءان - تحقيق محمد بسيوني عسل - طبع الفجالة بمصر ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

٣٦ - دحلان (ت ١٣٠٤هـ) : (أحمد بن زينى)

- خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام - نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

٣٧ - الديار بكرى (ت ٩٦٦ هـ) : (حسين بن محمد)

- تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس - المطبعة الوهبية - القاهرة ١٣٨٢ هـ .

٣٨ - الرشيدى (ت حوالي القرن الحادى عشر الهجرى) : (أحمد)

- حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي امارة الحاج - تحقيق د . ليلى عبد اللطيف - نشر مكتبة الخانجى - القاهرة ١٩٨٠م .

٣٩ - الروزنامجي : (حسين أفندى)

- " ترتيب الديار المصرية " - تحقيق شفيق غربال - مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - مجلد ٤ جـ ١ مايو ١٩٣٦م

٤٠ - الرومي (ت ٩٤٨ هـ) : (محمد بن خضر)

- "التحفة اللطيفة في تاريخ المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة" رسائل في تاريخ المدينة - قدم لها حمد الجاسر - منشورات دار اليمامه - الرياض - الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٤١ - الزبيدي : (محمد مرتضى)

- تاج العروس جـ ٧ - الطبعة الأولى - المطبعة الخيرية بالجمالية - مصر ١٣٠٦ هـ .

٤٢ - الزركشي : (محمد بن عبد الله)

- اعلام الساجد بأحكام المساجد - تحقيق مصطفى المراغي - نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - القاهرة ١٣٨٤ هـ .

٤٣ - السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) : (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)

- التبر المسبوك في ذيل السلوك - طبعة بولاق ١٨٩٦ م .

- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة - ٣ أجزاء - تحقيق محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٦هـ-١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م - ١٩٥٨م.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - طبعة بيروت

٤٤ - السمهودي (ت ٩١١ هـ) : (نورالدين علي بن أحمد المصري)

- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى - جزءان - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٥٤م.

٤٥ - الشجاعي : (شمس الدين)

- تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده - نشر المعهد الألماني للآثار بالقاهرة جـ ٢ - طبع عيسى البابي الحلبي ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م.

٤٦ - الشيبي (ت ١٣٣٥هـ) : (محمد صالح)

- اعلام الأنام - تحقيق اسماعيل أحمد اسماعيل - نشر نادي مكة الثقافي ١٤٠٥ هـ .

٤٧ - العباسي (ت في القرن العاشر) : (أحمد بن عبد الحميد السندى)

- عمدة الأخبار في مدينة المختار - تحقيق الطيب الأنصارى - الطبعة الخامسة - نشر أسعد طرابزونى - القاهرة .

٤٨ - العصامي (ت ١١١١هـ) :

- سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالي - ج ٤ - المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٨٠ هـ .

٤٩ - العيدروسي (ت ١٠٣٨هـ) : (محي الدين عبد القادر بن عبد الله)

- تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر - تحقيق محمد رشيد الصفار - بغداد - ١٩٣٤ هـ .

٥٠ - الغزى (ت ١٠٦١هـ) : (نجم الدين محمد بن محمد)

- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة - ٣ أجزاء - تحقيق جبرائيل سليمان جبّور - الطبعة الثانية - نشر دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٧٩م .

٥١ - الفاسي (ت ٨٣٢ هـ) : (تقي الدين محمد بن أحمد بن علي)

- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - جزءان - طبعة عيسي البابي الحلبى - القاهرة ١٩٥٦م .

- العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ج ١ - تحقيق محمد حامد الفقي - القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨م ، ج ٢ - ج ٧ تحقيق فؤاد سيد ١٣٨١هـ - ١٣٨٧هـ / ١٩٦٢م - ١٩٦٩م ، ج ٨ - تحقيق محمود محمد الطناحي - القاهرة ١٣٨٨ هـ /١٩٦٩م .

٥٢ - قطب الدين الحنفى (ت ٩٨٨هـ) :

- الاعلام بأعلام بيت الله الحرام - تحقيق محمد طاهر الكردى - الطبعة الثانية - نشر مكتبة فدا ١٣٧٠ هـ .

٥٣ - القطبى (ت ١٠١٤هـ) : (عبد الكريم)

- اعلام العلماء الاعلام - تحقيق أحمد جمال وعبد العزيز الرفاعي - الطبعة الأولى - مكة المكرمة ١٣٦٩ هـ/١٩٥٨م .

٥٤ - القلقشندى (ت ٨٢١ هـ) : (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي)

- صبح الأعشي فى صناعة الانشا - ١٤ أجزاء - المطبعة الأميرية القاهرة .

٥٥ - محب الدين الطبري (ت ٦٩٤هـ) : (أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر)

- القرى لقاصد أم القرى - تحقيق مصطفى السقا - الطبعة الثانية - مصطفى البابي الحلبي ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

٥٦ - المحبي :

- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر - ٤ أجزاء - المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٤ هـ .

٥٧ - المراغي (ت ٨١٦هـ) : (أبو محمد زين الدين بن بدر الدين بن سراج)

- تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة - تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي - الطبعة الثانية - نشر المكتبة العلمية - المدينة المنورة ١٤٠١ هـ .

٥٨ - المطري (ت ٧٤١ هـ) : (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف الخزرجي)

- التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة - نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٤٠٢ هـ .

٥٩ - المقريزي (ت ٨٤٥هـ) : (تقي الدين أحمد بن علي)

- اغاثة الأمة بكشف الغمة - تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٣٥٩ هـ/ ١٩٤٠م.

- السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ، ج ٢ تحقيق د . محمد مصطفى زيادة - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٦ - ١٩٧٠م، ج ٣ ، ج ٤ تحقيق د . سعيد عاشور ١٩٧٠ - ١٩٧٢م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) جزءان - طبعة بولاق ١٢٧٠ م .

- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك - تحقيق د . جمال الدين الشيال - مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٥٥م.

٦٠ - ناصر خسرو (ت القرن الخامس الهجري)

- سفر نامه - ترجمة يحي الخشاب - الطبعة الثانية - دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٧٠م.

٦١ - ياقوت (ت ٦٢٦هـ) :
- معجم البلدان - ٥ أجزاء - طبعة بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٦٢ - يحى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠هـ) :
- غاية الأماني فى أخبار القطر اليماني - تحقيق د. سعيد عاشور - دار الكاتب العربي - القاهرة ١٣٨٨ هـ.

.. .. ..

ثانيا : المراجع العربية :

١ - ابراهيم رفعت :
- مرآة الحرمين - جزءان - طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م.

٢ - اتحاد المهندسين الاستشاريين (باكستان) :
- المسجد الحرام " مشروع جلالة الملك عبد العزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام مج ٢ جـ٢ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ.

٣ - أحمد السعيد سليمان (دكتور) :
- تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل - دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.

٤ - أحمد السيد دراج (دكتور) :
- المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجرى (١٥)م - دارالفكر العربي - القاهرة ١٩٦١م.
- وثائق دير صهيون بالقدس الشريف - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٨م.

٥ - أحمد عبد الرازق أحمد (دكتور) :
- " الرنوك على عصر سلاطين المماليك " - مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية مج ٢١ - سنة ١٩٧٤م.

٦ - أحمد فكرى (دكتور) :
- مساجد القاهرة ومدارسها - ٣ أجزاء - طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٥م - ١٩٦٩م.

٧ - اسماعيل أحمد اسماعيل :
- " مدرسة السلطان قايتباى بالمسجد الحرام " مجلة العرب عدد يوليو ١٩٧٩م.

٨ - أيوب صبرى باشا :
- مرآة جزيرة العرب - جزءان - تحقيق د. أحمد فؤاد متولي ، د. الصفصافي أحمد المرسي - الطبعة الأولى - دار الرياض للنشر.

٩ - باسلامه (حسين عبد الله) :

- تاريخ عمارة المسجد الحرام - تحقيق عمر عبد الجبار - الطبعة الثانية - مصر ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤م.

- تاريخ الكعبة المعظمة - تهامة للنشر - جدة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٠ - باقاسي (عائشه) :

- بلاد الحجاز فى العصر الأيوبي - نشر نادى مكة الثقافـي - الطبعة الأولى - ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

١١ - البتنوني (محمد لبيب) :

- الرحلة الحجازية - الطبعة الثالثة - نشر مكتبة المعـــارف بالطائف .

١٢ - البلادى (عاتق بن غيث) :

- معجم معالم الحجاز ج ١ طبع نادى الطائف الأدبي ١٣٩٨هـ، ج ٢ - ج ١٠ طبع دار مكة للنشر والتوزيع ١٣٩٩- ١٤٠٤ هـ .

- معالم مكة التاريخية والأثرية - الطبعة الأولى - دار مكة للنشـر والتوزيع ١٤٠٠ هـ .

١٣ - بول كازانوفا :

- تاريخ ووصف قلعة القاهرة - ترجمة د . أحمد السيد دراج - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

١٤ - الدمياطي (محمود مصطفى) :

- معجم أسماء النبات الواردة فى تاج العروس - طبع الــدار المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٥م .

١٥ - حسن الباشا (دكتور) :

- أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية " مصــادر تاريخ الجزيرة العربية - ج ١ طبع جامعة الرياض ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

- الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار - دار النهضـة المصرية - القاهرة ١٩٥٧م ، دار النهضة العربية - القاهـرة ١٩٧٨م.

- الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية - ٣ أجزاء - دار النهضة العربية - القاهرة - ٦٥ - ١٩٦٦م.

- مدخل الآثار الاسلامية - دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٩م.

١٦ - حسن عبد الوهاب :

- " خانقاة فرج بن برقوق وما حولها " - المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية - فاس ١٩٥٩م.

١٧ - حسنين محمد ربيع (دكتور) :

- " وثائق الجنيزه وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى" - مصادر تاريخ الجزيرة العربية - جـ ٢ - طبع جامعة الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

١٨ - الخطيب (عبد الكريم) :

- تاريخ ينبع - الطبعة الأولى - مطابع الشرق الأوسط - الرياض ١٤٠٥ هـ .

١٩ - زكي محمد حسن (دكتور) :

- فنون الاسلام - دار الفكر العربي - الكويت .

٢٠ - الزيلعي (أحمد عمر) :

- مكة وعلاقاتها الخارجية - الطبعة الأولى - جامعة الرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢١ - الساداتي (أحمد محمد) (دكتور) :

- تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم من الفتح العربي حتى قيام الدولة المغولية - جـ ١ - طبع مكتبة الآداب بمصر ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧م.

٢٢ - سامح عبد الرحمن فهمي (دكتور) :

- القيم النقدية فى الوثائق المملوكية عصر المماليك البحرية - نشر المكتبة الفيصلية بمكة ١٤٠٤ هـ .

- المكاييل فى صدر الاسلام - نشر المكتبة الفيصلية بمكة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م.

- الوحدات النقدية المملوكية عصر المماليك البحرية - الطبعة الأولى - نشر مؤسسة تهامة - جدة ١٤٠٣هـ .

٢٣ - السباعي (أحمد) :

- تاريخ مكة - الطبعة الرابعة - دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٤ - سعاد ماهر محمد (دكتورة) :

- الخزف التركي - طبع دار المعارف بمصر ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٢٥ - سعيد عاشور (دكتور) :

- العصر المماليكي فى مصر والشام - دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٠م.

- الظاهر بيبرس - سلسلة أعلام العرب رقم ١٤ - القاهرة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

- الحروب الصليبية جـ ٢ - الطبعة الثانية - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧١م.

٢٦ - السليمان (على بن حسين) :

- العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك - طبع الشركة المتحدة للنشر والتوزيع - القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٢٧ - سيد عبد المجيد بكر :

- أشهر المساجد فى الاسلام جـ ١ البقاع المقدسة - مطابع سحر بجدة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- الملامح الجغرافية لدروب الحجيج - الطبعة الأولى - مؤسسة تهامة - جدة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٢٨ - الشاطر بصيلي :

- " الكارميه " مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - مجلد ١٣ - سنة ١٩٦٧م.

٢٩ - صالح لمعي مصطفى (دكتور) :

- التراث المعمارى الاسلامي فى مصر - طبعة دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٥م.

- المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري - دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨١م.

٣٠ - صبحي لبيب :
- "التجارة الكارمية" مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - مجلد ٤ - العدد الثاني - مايو ١٩٥٢م.

٣١ - الصعيدي (عبد الفتاح) وحسين يوسف موسى :
- الافصاح في فقه اللغة - الطبعة الأولى - دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩م.

٣٢ - عجيمي (هشام محمد علي) :
- قلعة المويلح - دراسة معمارية حضارية - رسالة ماجستير لم تطبع - جامعة أم القرى ١٤٠٣ هـ .

٣٣ - عبد الرحمن زكي (دكتور) :
- قلعة صلاح الدين وما حولها من الآثار - طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م .

٣٤ - عبد الرحمن فهمي محمد (دكتور) :
- " قلعة الجبل " القاهرة - تاريخها - فنونها - آثارها . مطابع الأهرام التجارية - القاهرة ١٩٧٠م.
- النقود العربية ماضيها وحاضرها - المكتبة الثقافية رقم ١٠ - المؤسسة العامة للتأليف والنشر - القاهرة .

٣٥ - عبد الغني محمد عبد الله :
- " الرنك الفن القديم المتجدد " - مجلة الفيصل العدد ٩٤ السنة الثامنة - ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ .

٣٦ - عبد القادر ملا قلندر :
- الخلاصة المفيدة لأحوال عين زبيده - مطبعة أم القرى - مكة - ١٣٤٦ هـ .

٣٧ - عبد اللطيف ابراهيم علي (دكتور) :
- دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغوري - رسالة دكتوراة لم تطبع - جامعة القاهرة ١٩٥٦م.

- " وثائق الوقف على الأماكن المقدسة " مصادر تاريخ الجزيرة العربية جـ ٢ - طبع جامعة الرياض ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

٣٨ - عبد المنعم عبد العزيز رسلان (دكتور) :

- " الأزنم خانا وبرجا " مجلة مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي - جامعة أم القرى بمكة المكرمة - العدد الرابع - ١٤٠١هـ

٣٩ - عبد المؤمن السيد أكرم :

- أضواء على تاريخ توران - الطبعة الثانية - مطبعة رابطة العالم الاسلامي - مكة المكرمة ١٣٩٩ هـ .

٤٠ - عبد الوهاب عزام :

- مجالس السلطان الغوري - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١م.

٤١ - العلبي (أكرم حسن) (دكتور) :

- دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين - الطبعة الأولى - الشركة المتحدة - سوريا ١٩٨٢م.

٤٢ - علي ابراهيم حسن (دكتور) :

- تاريخ المماليك البحرية - الطبعة الثالثة - مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧م .

٤٣ - علي حسون (دكتور) :

- تاريخ الدولة العثمانية - الطبعة الثانية - المكتب الاسلامي - دمشق ١٩٨١م.

٤٤ - فالترهنتس :

- المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المترى - ترجمة كامل العسلي - منشورات الجامعة الأردنية - عمان ١٩٧٠م.

٤٥ - فايد أحمد عاشور (دكتور) :

- العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى - طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٤م.

٤٦ - الغمر (محمد فهد عبدالله) :

- تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى - نشر مؤسسة تهامه - جده ١٤٠٥ هـ .

- " علاقة الخط العربي بالمسجد " مجلة رسالة المسجد - مجلد (١) العدد الثاني - ربيع الأول ١٣٩٩ هـ .

٤٧ - القوصي (عطيه) (دكتور) :

- تجارة مصر فى البحر الأحمد منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية - دار النهضة العربية ١٩٧٦م .

- " أضواء جديدة على تجارة الكارم " مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - مجلد ٢٢ - ١٩٧٥م .

٤٨ - الكردى (محمد طاهر بن عبدالقادر) :

- تاريخ الخط العربي وآدابه - الطبعة الأولى - دار الهلال - القاهرة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م .

- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم - ٤ أجزاء - الطبعة الأولى - مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ١٣٨٥ هـ .

- مقام ابراهيم - الطبعة الأولى - مطبعة مصطفى البابي الحلبى - القاهرة ١٣٦٨ هـ .

٤٩ - كريزول وآخرون :

- مساجد مصر ج ٢ - نشر وزارة الأوقاف المصرية - طبع مصلحة المساحة المصرية ١٩٤٨م .

٥٠ - مالكى (سليمان عبدالغني) :

- بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية - طبع دارة الملك عبدالعزيز - الرياض ١٤٠٣ هـ .

٥١ - محمد أنور شكرى (دكتور) :

- لوحان أثريان للسلطان قايتباى والسلطان سليمان القانوني فى قسم التاريخ والحضارة الاسلامية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة - مطابع دار الثقافة - مكة المكرمة ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م .

٥٢ - محمد جمال الدين سرور (دكتور) :

- دولة بني قلاوون في مصر - القاهرة ١٩٤٧م.

٥٣ - محمد رمزي :

- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية - عدة أجزاء - طبع دار الكتب المصرية ووزارة التربية والتعليم بمصر ١٩٥٤ م - ١٩٥٨م.

٥٤ - محمد صادق باشا :

- دليل الحج للوارد الى مكة من كل فج - المطبعة الأميرية - القاهرة ١٣١٣ هـ .

٥٥ - محمد عبد العزيز مرزوق (دكتور) :

- الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٤م.

٥٦ - محمد فريد بك المحامي :

- تاريخ الدولة العليه العثمانية - طبعة دار الجيل - بيروت - ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٥٧ - محمد محمد أمين (دكتور) :

- فهرس وثائق القاهرة - طبع المعهد الفرنسي للآثار الشرقية - القاهرة ١٩٨١م.

٥٨ - محمد مصطفى (دكتور) :

- " الرنوك في عصر المماليك " مجلة الرسالة - العدد ٤٠٠ - السنة التاسعة - شهر صفر - القاهرة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م.

٥٩ - محمد رزق سليم (دكتور) :

- الأشرف قانصوه الغوري - سلسلة اعلام العرب - ٥٢ - ١٩٦٣م.

٦٠ - المصرف (ناجي زين الدين) :

- بدائع الخط العربي - منشورات وزارة الاعلام العراقية ١٩٧١م.

- مصور الخط العربي - الطبعة الثانية - بيروت ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٦١ - مصطفى محمد رمضان (دكتور) :

- " وثائق مخصصات الحرمين الشريفين ابان العصر العثماني" مصادر تاريخ الجزيرة العربية - ج ٢ - جامعة الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٦٢ - ملحس (رشدى الصالح) :

- ملحق (٤) من كتاب الأزرقي - أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار

٦٣ - نعيم زكي فهمي (دكتور) :

- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

٦٤ - ونسنك وآخرون :

- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ج ٢ طبعة ليدن ١٩٤٣م.

٦٥ - يوسف أحمد :

- المحمل والحج ج ١ مطبعة حجازى - القاهرة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

. . . . . .

المراجع غير العربيـــة :

1. Creswell (K.A.C):
The Muslim Archilectur of Egypt Volme II Ayyubids and Early Bahrilte Mamluks A.D. 1171 - 1320 Hocker Art Books N.Y. 1978.

2. Dozy:
Supplement Aux Dictinnaires Arabes Leyden 1881.

3. Wiet (G.):
Inscriptions Historiques Sur Pierre Le Caire 1971.
